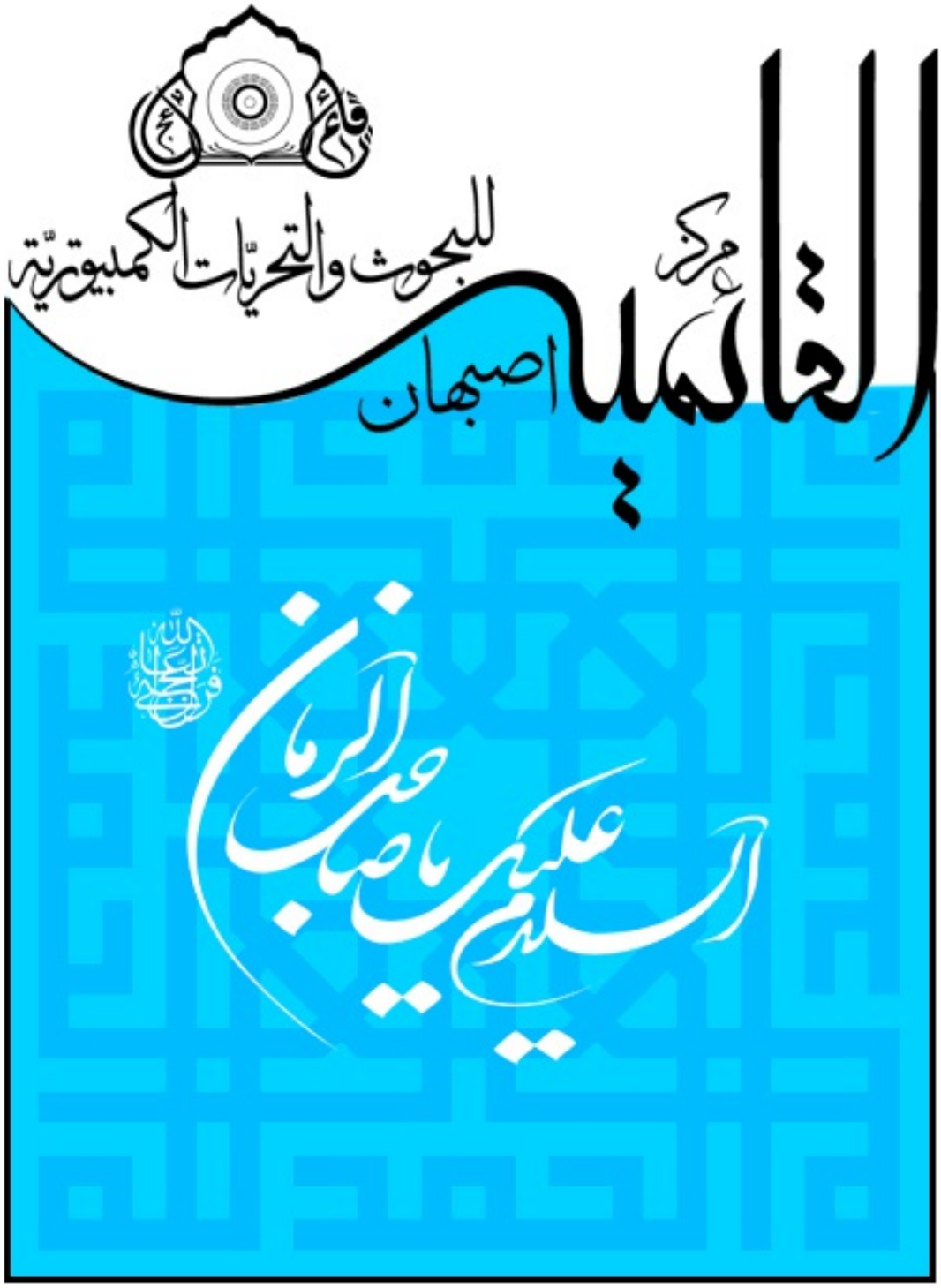


www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# وفاء الوفا
## بأخبار دار المصطفى ﷺ

تأليف
الشيخ العلامة نور الدين علي بن أحمد السمهودي
المتوفى سنة ٩١١هـ

تحقيق وتعليق
خالد عبد الغني محفوظ

المجلد الثاني

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

# وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى

كاتب:

سمهودی، علی بن احمد

نشرت فی الطباعة:

دارالکتب العلمیة

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى المجلد ۲ ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
المقدمه ----- ۱۴
[تتمة الباب الرابع: فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوى] ----- ۱۵
الفصل الرابع: الروايات فى حنين الجذع ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
صانع المنبر ----- ۱۶
موضع الجذع ----- ۱۷
شهرة حديث حنين الجذع ----- ۱۸
الموضع الذى دفن فيه الجذع ----- ۱۸
بدعة اصطنعها الناس بسبب الجذع ----- ۱۸
عود إلى الاختلاف فى صانع المنبر ----- ۱۸
أراد معاوية أن ينقل المنبر إلى الشام ----- ۲۰
رفع المنبر ست درجات ----- ۲۰
عدد درجات المنبر ----- ۲۱
مساحة المنبر ----- ۲۱
كسوة المنبر ----- ۲۷
ستور الأبواب كسوة الحجارة ----- ۲۷
الفصل الخامس فى فضائل المسجد الشريف ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
المسجد الذى أسس على التقوى ----- ۲۷
فضل مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ----- ۲۸

هل فضل الصلاة فی المساجد الثلاثة یختص بالفرض؟ ----- ۳۱
مرجع مضاعفة فضل الصلاة ----- ۳۲
هل یختص التضعیف بالصلاة؟ ----- ۳۲
الفصل السادس فی فضل المنبر المنیف، و الروضة الشریفة ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
معنی کون المنبر علی الحوض ----- ۳۵
معنی أن الروضة من ریاض الجنة ----- ۳۵
الفصل السابع فی الأساطین المنیفة الأسطوان المخلق ----- ۳۹
اشارة ----- ۴۰
أسطوان القرعة ----- ۴۰
أسطوان التوبة ----- ۴۱
أسطوان السریر ----- ۴۳
أسطوان المحرس ----- ۴۴
أسطوان الوفود ----- ۴۴
أسطوان مربعة القبر ----- ۴۵
أسطوان التهجد ----- ۴۵
الفصل الثامن فی الصّفة و أهلها، و تعلیق الأقناء لهم بالمسجد ----- ۴۶
وصف الصفة و موضعها ----- ۴۶
أهل الصفة ----- ۴۷
مبدأ تعلیق الأقناء ----- ۴۸
الفصل التاسع فی الحجرة الشریفة، و بیان إحاطتها بالمسجد الشریف إلا من جهة المغرب ----- ۴۹
اشارة ----- ۴۹
المشربة ----- ۵۱
الفصل العاشر فی حجرة فاطمة بنت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و رضی الله عنها ----- ۵۳

الفصل الحادی عشر فی الأمر بسدّ الأبواب الشارعة فی المسجد الشریف ----- ۵۵
الفصل الثانی عشر فی زیادة عمر بن الخطاب رضی الله عنه فی المسجد ----- ۵۹
اشارة ----- ۶۰
بین عمر و العباس ----- ۶۰
الفصل الثالث عشر فی البطیحاء التی بناها عمر رضی اللّه عنه بناحیة المسجد، و منعه من إنشاد الشعر و رفع الصوت فیه، و ما جاء فی ذلک ----- ۶۷
الفصل الرابع عشر فی زیادة عثمان بن عفان رضی اللّه عنه ----- ۶۹
الفصل الخامس عشر فی المقصورة التی اتخذها عثمان رضی اللّه عنه فی المسجد و ما کان من أمرها بعده ----- ۷۳
الفصل السادس عشر فی زیادة الولید بن عبد الملک علی ید عمر بن عبد العزیز ----- ۷۴
الفصل السابع عشر فیما اتخذه عمر فی المسجد فی زیادة الولید من المحراب و الشّرفات و المنائر، و اتخاذ الحرس، و منعهم من الصلاة علی الجنائز فیه
أول من أحدث المحراب و الشرفات ----- ۸۰
عثمان أول من خلق المسجد و رزق المؤذنین ----- ۸۲
اتخاذ حرس للمسجد ----- ۸۲
الصلاة علی الجنائز فی المساجد ----- ۸۳
الشیعة غیر الأشراف ----- ۸۴
الفصل الثامن عشر فی زیادة المهدی ----- ۸۵
الفصل التاسع عشر فیما کانت علیه الحجرة الشریفة الحاویة للقبور المنیفة فی مبدأ الأمر ----- ۸۷
اشارة ----- ۸۷
أول من بنی جدارا علی بیت عائشة ----- ۸۷
الفصل العشرون فیما حدث من عمارة الحجرة بعد ذلک، و الحائز الذی أدیر علیها ----- ۸۹
الفصل الحادی و العشرون فیما روی من الاختلاف فی صفة القبور الشریفة، بالحجرة المنیفة ----- ۹۲
اشارة ----- ۹۲
روایة نافع فی وضع القبور ----- ۹۲
روایة القاسم بن محمد ----- ۹۳
روایة عثمان بن نسطاس ----- ۹۳

روایة المنکدر بن محمد ----- ۹۳
روایة عمرة عن عائشة ----- ۹۳
روایة أخری عن القاسم بن محمد ----- ۹۴
روایة عبد اللّه بن محمد بن عقیل ----- ۹۴
بقی بعدها موضع قبر ----- ۹۵
الملائکة یحفون بالقبر ----- ۹۶
لا ینبغی رفع الصوت فی المسجد ----- ۹۶
سنة أهل المدینة فی أعوام الجدب ----- ۹۷
الفصل الثانی و العشرون فیما ذکروه من صفة الحجرة الشریفة، و الحائز المخمس الدائر علیها، و بیان ما شاهدناه مما یخالف ذلک ----- ۹۷
الفصل الثالث و العشرون فی عمارة اتفقت بالحجرة الشریفة علی ما نقله الأقشهری عن ابن عاث، و ما وقع من الدخول إلیها عند الحاجة له و تأزیرها بال
الفصل الرابع و العشرون فی الصندوق الذی فی جهة الرأس الشریف، و المسماة الفضة المواجه للوجه الشریف، و مقام جبریل من الحجرة الشریفة، و کس
اشارة ----- ۱۰۳
کسوة الحجرة النبویة ----- ۱۰۶
الفصل الخامس و العشرون فی قنادیل الذهب و الفضة التی تعلق حول الحجرة الشریفة، و غیرها من معالیقها ----- ۱۰۷
القنادیل ----- ۱۰۷
حکم معالیق المسجد النبوی ----- ۱۱۰
الفصل السادس و العشرون فی الحریق الأول القدیم المستولی علی تلک الزخارف المحدثة بالحجرة الشریفة و المسجد و سقفهما، و ما أعید من ذلک، و
سبب الحریق و تاریخه ----- ۱۱۴
حکمة اللّه فی الحریق ----- ۱۱۵
الشروع فی العمارة بعد الحریق ----- ۱۱۵
الفصل السابع و العشرون فی اتخاذ القبة الزرقاء التی جعلت علی ما یحاذی سقف الحجرة الشریفة بأعلی سقف المسجد، تمییزا لها، و إبدالها بالقبة الخ
القبة الزرقاء ----- ۱۱۹
المقصورة الدائرة علی الحجرة ----- ۱۲۰
الفصل الثامن و العشرون فیما تجدد من عمارة الحجرة الشریفة فی زماننا علی وجه لم یخطر قط بأذهاننا، و ما حصل بسببه من إزالة هدم الحریق الأول

الفصل التاسع و العشرون فی الحریق الحادث فی زماننا بعد العمارة السابقة و ما ترتب علیه ---- ۱۳۱
اشارة ---- ۱۳۱
خاتمة فیما نقل من عمل نور الدین الشهید لخندق حول الحجرة الشریفة مملوء بالرصاص، و ذکر السبب فی ذلک، و ما ناسبه ---- ۱۳۷
الفصل الثلاثون فی تحصیب المسجد الشریف و ذکر البزاق فیه، و تخلیقه، و إجماره، و ذکر شیء من أحکامه ---- ۱۴۱
أول تحصیب المسجد النبوی ---- ۱۴۱
حکم البزاق فی المسجد ---- ۱۴۲
مبدأ تخلیق المسجد ---- ۱۴۳
تخلیق القبر ---- ۱۴۴
تجمیر المساجد ---- ۱۴۴
فرش المساجد ---- ۱۴۵
الحدث فی المسجد ---- ۱۴۷
القراءة فی المصحف بالمسجد ---- ۱۴۷
بعث المصاحف إلی المساجد ---- ۱۴۷
مصاحف عثمان التی أرسلها إلی الآفاق ---- ۱۴۸
تعلیق المصابیح فی المسجد وصف عام ---- ۱۴۹
الفصل الحادی و الثلاثون فیما احتوی علیه المسجد من الأروقة و الأساطین و البالوعات و السقایات و الدروع، و غیر ذلک مما یتعلق به من الرسوم ۴۹
وصف عام ---- ۱۴۹
جدران المسجد ---- ۱۴۹
عدد أساطین المسجد ---- ۱۵۰
عدد بالوعات المسجد ---- ۱۵۲
سقایات المسجد ---- ۱۵۳
حواصل المسجد ---- ۱۵۴
قنادیل المسجد ---- ۱۵۴
فی صحن المسجد نخیل مغروسة ---- ۱۵۵

أئمة المسجد ----- ۱۵۵
عرض جدار المسجد ----- ۱۵۶
الفصل الثانی و الثلاثون فی أبواب المسجد و ما سد منها، و ما بقی، و ما یحاذیها من الدور قدیما و حدیثا ----- ۱۵۷
أبواب المسجد ----- ۱۵۷
باب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ----- ۱۵۸
باب علی ----- ۱۵۸
باب عثمان باب جبریل ----- ۱۵۸
باب ریطة (باب النساء) ----- ۱۶۰
باب سادس ----- ۱۶۰
باب سابع ----- ۱۶۱
باب ثامن ----- ۱۶۱
أبواب المسجد الشامیة ----- ۱۶۱
باب تاسع ----- ۱۶۲
باب عاشر ----- ۱۶۲
الباب الحادی عشر ----- ۱۶۲
الباب الثانی عشر ----- ۱۶۲
الباب الثالث عشر ----- ۱۶۲
الباب الرابع عشر ----- ۱۶۲
الباب الخامس عشر ----- ۱۶۳
الباب السادس عشر ----- ۱۶۳
باب عاتکة (باب السوق) (و باب الرحمة) ----- ۱۶۳
باب زیاد (باب القضاء) ----- ۱۶۴
خوخة تجاه خوخة أبی بکر ----- ۱۶۶
الفصل الثالث و الثلاثون فی خوخة آل عمر رضی اللّه تعالی عنه المتقدم ذکرها، و ما یتعین من سدّها فی زماننا ----- ۱۶۷

تحديد موضع خوخة آل عمر ----- ۱۶۸
اتخاذ بعض الناس بابا وسيلة للتدجيل ----- ۱۶۸
حج السلطان قايتباى ----- ۱۶۹
وقف السلطان قايتباى لأهل المدينة المنورة ----- ۱۷۱
من آثار قايتباى بالحرمين الشريفين ----- ۱۷۲
الفصل الرابع و الثلاثون فيما كان مطيفا بالمسجد الشريف من الدور، و ما كان من خبرها، و جلّ ذلک من منازل المهاجرين رضى اللّه تعالى عنهم ۱۷۳
رسول اللّه يخط دور المدينة ----- ۱۷۳
دار آل عمر بن الخطاب ----- ۱۷۳
بيت لأبى بكر الصديق صار لآل عمر ----- ۱۷۴
دار مروان بن الحكم ----- ۱۷۵
دار رباح و دار المقداد ----- ۱۷۵
دار مطيع بن الأسود ----- ۱۷۶
دار حكيم بن حزام ----- ۱۷۶
دار عبد اللّه بن مكمل ----- ۱۷۶
دار النحام ----- ۱۷۷
دار جعفر بن يحيى ----- ۱۷۷
دار نصير ----- ۱۷۸
دار منيرة مولاة أم موسى ----- ۱۷۸
حش طلحة ----- ۱۷۸
أبيات خالصة ----- ۱۷۹
دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ----- ۱۷۹
دار موسى المخزومى ----- ۱۷۹
أبيات الصوافى ----- ۱۸۰
دار خالد بن الوليد ----- ۱۸۰

دار أسماء بنت حسین ---- ۱۸۰
دار ریطة ---- ۱۸۱
دار عثمان بن عفان ---- ۱۸۱
دار أبی أیوب الأنصاری ---- ۱۸۱
دار جعفر الصادق ---- ۱۸۲
دار حسن بن زید ---- ۱۸۲
دار فرج الخصی ---- ۱۸۲
دار عامر بن الزبیر بن العوام ---- ۱۸۲
الفصل الخامس و الثلاثون فی البلاط، و بیان ما ظهر لنا مما کان حوله من منازل المهاجرین ---- ۱۸۳
تحدید مکان البلاط ---- ۱۸۳
حدود البلاط ---- ۱۸۳
بیان الدور المطیفة بالبلاط ---- ۱۸۵
الفصل السادس و الثلاثون فیما جاء فی سوق المدینة التی تصدق به النبی صلّی اللّه علیه و سلّم علی المسلمین، و ذکر دار هشام بن عبد الملک التی أ
الرسول ینشئ السوق ---- ۱۸۹
أسواق المدینة فی الجاهلیة ---- ۱۸۹
هدم الدار التی وضعت مکان السوق ---- ۱۹۲
بیت أم کلاب ---- ۱۹۲
البطحاء ---- ۱۹۳
بقیع الخیل ---- ۱۹۳
برکة السوق ---- ۱۹۳
الفصل السابع و الثلاثون فی منازل القبائل من المهاجرین، ثم اتخاذ السور علی المدینة ---- ۱۹۴
منازل بنی غفار ---- ۱۹۴
منازل بنی لیث بن بکر ---- ۱۹۵
منازل بنی ضمرة بن بکر ---- ۱۹۶

منازل بنی الدیل ----- ۱۹۶
منازل ابنی أفصی ----- ۱۹۶
منازل مزینة و من حل معها ----- ۱۹۶
منازل بنی جشم ----- ۱۹۸
منازل بنی کعب بن عمرو، و إخوتهم من بنی المصطلق ----- ۱۹۸
سعة المدینة فی عهد النبی ----- ۱۹۹
اتخاذ سور المدینة ----- ۱۹۹
سور آل زنکی ----- ۱۹۹
من مآثر الجواد الأصفهانی ----- ۲۰۰
أبواب السور ----- ۲۰۱
اشارة ----- ۲۰۱
فأحدها: [یعرف بدرب المصلی] ----- ۲۰۱
ثانیها: [یعرف بالدرب الصغیر] ----- ۲۰۱
ثالثها: [یعرف بالدرب الکبیر] ----- ۲۰۱
رابعها: [یعرف بدرب البقیع] ----- ۲۰۲
فهرس الجزء الثانی ----- ۲۰۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۰۸

# وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى المجلد ۲

## اشارة

نام کتاب: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى

نویسنده: سمهودی، علی بن احمد

تاریخ وفات مؤلف: ۹۱۱ ه. ق

سمهودی، علی بن احمد، ۸۴۴ - ق۹۱۱

محقق / مصحح: محفوظ، خالد عبدالغنی

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۴

ناشر: دار الکتب العلمیة

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۲۰۰۶ م

=

موضوع: سرگذشتنامه = محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ق۱۱

مابقی پدیدآورندگان: مصحح = عبدالحمید، محمد محی الدین

شرح پدیدآور: تالیف نورالدین علی بن احمد المصری السمهودی؛ حققه و فصله و علق حواشیه محمد محی الدین عبدالحمید

ناشر: داراحیاء التراث العربی

محل نشر: بیروت

رده کنگره: BP۲۲/۶۵/س۸/و۷

زبان: عربی

مشخصات ظاهری: ۴ج. ( در دو مجلد)

جلد: ۱-۲ = ۳-۴

ISBN: م۱۹۸۴. = ق۱۴۰۴. = ۱۳۶۳

## المقدمه

تألیف الشّیخ العلّامة نور الدّین علی بن أحمد السّمهودی المتوفی ۹۱۱ ه اعتنی به و وضع حواشیه خالد عبد الغنی محفوظ الجزء الثّانی

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

الحمد للّه الذی اختار رسوله محمدا صلّی اللّه علیه و سلّم من أطیب الأرومات، و الصلاة و السلام الأتمّان الأکملان علی أشرف الکائنات، و علی آله و صحبه الذین فدوه بالأنفس و الأموال و بالآباء و الأمهات. و علی من اتبعه و اتبعهم بإحسان إلی یوم الدین.

## [تتمة الباب الرابع: فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوى]

## الفصل الرابع: الروايات فى حنين الجذع

### اشارة

فى خبر الجذع الذى كان يخطب إليه صلّى اللّه عليه و سلّم و اتخاذه المنبر، و ما اتفق فيه، و ما جعل بدله بعد الحريق، و اتخاذ الكسوة له.

روينا فى صحيح البخارى عن ابن عمر قال: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه. و فيه عن جابر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، أ لا نجعل لك منبرا؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة رفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فضمّه إليه و هو يئن أنين الصبى الذى يسكن، قال: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها.

و فيه أيضا عنه: كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل، فكان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، الحديث.

و عند النسائى فى الكبرى عن جابر: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج: أى التى انتزع ولدها منها. و عند ابن خزيمة عن أنس: فحنّت الخشبة حنين الواله. و فى روايته الأخرى عند الدارمى: خار ذلك الجذع كخوار الثور.

و فى حديث أبى بن كعب عند أحمد و الدارمى و ابن ماجه: فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع و انشق. و فى حديثه: فأخذ أبىّ بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى و عاد رفاتا. و فى حديث أبى سعيد عند الدارمى: فأمر به أن يحفر له و يدفن، و سيأتى أحاديث بذلك، و لا تنافى بين ذلك؛ لاحتمال أن يكون ظهر بعد الهدم عند التنظيف، فأخذه أبىّ بن كعب.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴

و قال أبو اليمن بن عساكر فى تحفته: و فى رواية فلما جلس عليه أى المنبر حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها، حتى نزل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فوضع يده عليها، فلما كان من الغد رأيتها قد حوّلت، فقلنا: ما هذا؟ قال: جاء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أبو بكر و عمر فحولوها، انتهى.

و فى مسند الدارمى من حديث بريدة: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا خطب قام فأطال القيام، فكان يشق عليه قيامه، فأتى بجذع نخلة، فحفر له و أقيم إلى جنبه قائما للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فكان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكى عليه، فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائما إلى جنب ذلك الجذع، فقال لمن يليه من الناس: لو أعلم أن محمدا يحمدنى فى شىء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه، فإن شاء جلس ما شاء، و إن شاء قام، فبلغ ذلك النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: ائتونى به، فأتوه به، فأمر أن يصنع له هذه المراقى الثلاث أو الأربع، هى الآن فى مسجد المدينة؛ فوجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ذلك راحة، فلما فارق النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الجذع و عمد إلى هذه التى صنع له جزع الجذع فحنّ كما تحن الناقة، حين فارقه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فزعم ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه، و قال: اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت، و إن شئت أن أغرسك فى الجنة، فتشرب من أنهارها و عيونها فتحسن زينتك، و تثمر، فتأكل كل أولياء الله من ثمرتك و تخلد؛ فعلت؛ فزعم أنه سمع من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يقول له: نعم قد فعلت، مرتين، فسئل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: اختار أن أغرسه فى الجنة.

و لفظه عند عياض: إن شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك، و يكمل خلقك، و يجدد لك خوص و ثمرة، و إن شئت أغرسك فى الجنة فتأكل أولياء الله من ثمرك، ثم أصغى له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يسمع ما يقول، فقال: بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله و أكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: قد فعلت، ثم قال: اختار دار البقاء على دار الفناء، فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى و قال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم شوقا إليه لمكانه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه، و هو فى كتاب يحيى بنحوه، و فى حديث سهل بن سعد عند أبى نعيم: فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أ لا تعجبون من حنين هذه الخشبة، فأقبل الناس عليها فسمعوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم.

و فى لفظ عند ابن عبد البر: فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع و انشق، فرجع إليه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فمسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، قال: فكان إذا صلّى صلى إليه، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبى بن كعب فلم يزل عنده حتى أكلته الأرضة و عاد رفاتا.

و هذا يبعد ما قدمناه من التأويل؛ إذا ظاهره أنه لم يدفن.

و يحتمل: أن ذلك كان بعد دفنه، و مشى يصلى إليه قريبا منه؛ لأنه كان عند مصلّاه كما سنحققه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵

و فى كتاب يحيى عن أبى سعيد: كان صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب إلى جذع نخلة، فأتاه رجل رومى، فقال: أصنع لك منبرا تخطب عليه، فصنع له منبره الذى ترون، فلما قام عليه فخطب حنّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها، فنزل إليه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فضمّه فسكن، و أمر به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يدفن و يحفر له.

و عن عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب إلى جذع يتساند إليه، فمر رومى فقال: لو دعانى محمد لعملت له ما هو أرفق له من هذا، فذكروا ذلك لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فأرسل إليه، فدعاه، فجعل له المنبر، ثم ذكر حنين الجذع و تخيير النبى صلّى اللّه عليه و سلّم له، قال:

فقالت: فسمعنا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يقول: فنعم، فغار الجذع فذهب.

و عن أنس أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يخطب إلى الجذع، فلما اتخذ المنبر و عدل إليه حن الجذع حتى أتاه فاحتضنه فسكن، و قال: لو لم أفعل هذا لحنّ إلى يوم القيامة.

و ذكر الأسفراينى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم دعاه إلى نفسه، فجاء يخرق الأرض فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه.

## صانع المنبر

و فى كتاب ابن زبالة عن خالد بن سعيد مرسلا أن تميما الدارى كان يرى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يشتد عليه وجع كان يجده فى فخذيه يقال له الزجر، فقال له تميم: يا رسول الله أ لا أصنع لك منبرا تقوم عليه، فإنه أهون عليك إذا قمت و إذا قعدت؟ قال: و كيف المنبر؟

قال: أنا يا رسول الله أصنعه لك، قال: فخرج إلى الغابة فقطع منها خشبات من أثل، فعمل له درجتين: أى غير المقعد، فتحول رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن الخشبة التى كان يستند إليها إذا خطب، ثم ذكر حنينها، و قال: بلغنا أنها دفنت تحت المنبر.

و عن المطلب بن حنطب أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بالجذع فحفر له تحت المنبر فدفن هنالك، قال:

و الذى عمل المنبر غلام نصيبة المخزومى، و كان المنبر من أثلة كانت قريبا من المسجد.

و عن سهل بن سعد الساعدى نحو ما فى الصحيح أن رجالا أتوا سهلا و قد امتروا فى المنبر مم عوده، فسألوه عن ذلك، فقال: و الله إنى لأعرف ممّ هو، و لقد رأيته أول يوم وضع، و أول يوم جلس عليه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، أرسل رسول الله صلّى اللّه عليه

و سلّم إلى فلانة امرأة من الأنصار قد سماها سهل: مرى غلامك النجار، أن يعمل لى أعوادا أجلس عليها إذا كلمات الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فأمر بها فوضعت هاهنا، ثم رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى عليها و كبر و هو عليها، ثم ركع و هو عليها، ثم نزل القهقرى فسجد فى أصل المنبر، هذا لفظ الصحيح، و زاد فيه ابن زبالة: و قطعت خشب المنبر بيدى مع الذى بعثه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، و حملت إحدى الدرجات.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶

و رواه يحيى بلفظ: عمل من أثل، يعنى المنبر، و كنت ممن حمل درجته هذه، ثم ذكر حنين الجذع، و فى رواية للبخارى فى كتاب الهبة «فجاءوا به- يعنى المنبر- فاحتمله النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فوضعه حيث ترون».

و قال الحافظ ابن حجر: صحف بعض الرواة قوله إلى فلانة امرأة من الأنصار فقال إلى علاثة (بالعين المهملة و المثلاثة) و هو خطأ، و المرأة لا يعرف اسمها، و نقل ابن التين عن مالك أن النجار كان مولى لسعد بن عبادة؛ فيحتمل أنه كان فى الأصل مولى امرأته، و نسب إليه مجازا، و اسم امرأته فكيهة بنت عبيد بن دليم، و هى ابنة عمه؛ فيحتمل أن تكون هى المرأة، لكن رواه ابن راهواه عن ابن عيينة و قال: مولى لبنى بياضة، و وقع عند الكرمانى قيل:

اسمها عائشة، و أظنه صحّف المصحف، ثم وجدت فى الأوسط للطبرانى من حديث جابر أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان يصلى إلى سارية فى المسجد، و يخطب إليها، و يعتمد عليها، فأمرت عائشة، فصنعت له منبره هذا، فذكر الحديث، و إسناده ضعيف، و لو صح لما دل على أن عائشة هى المرادة فى حديث سهل هذا إلا بتعسف، و الله أعلم.

و أسند ابن سعد فى الطبقات من حديث أبى هريرة، و رجاله ثقات إلا الواقدى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يخطب و هو مستند إلى جذع، فقال: إن القيام قد شق على، فقال تميم الدارى: أ لا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام؟ فشاور النبى صلّى اللّه عليه و سلّم المسلمين فى ذلك، فرأوا أن يتخذه، فقال العباس بن عبد المطلب: إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس، فقال: مره أن يعمل» الحديث.

## موضع الجذع

و أسند يحيى منقطعا عن ابن أبى الزناد و غيره أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم كان يخطب يوم الجمعة إلى جذع فى المسجد كان موضعه عند الأسطوانة المخلّقة التى تلى القبر التى عن يسار الأسطوانة المخلّقة التى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى عندها التى هى عند الصندوق، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

إن القيام قد شق على، و شكا صلّى اللّه عليه و سلّم ضعفا فى رجليه، قالوا: فقال تميم الدارى- و كان رجلا من لخم من أهل فلسطين- يا رسول الله أنا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام، قالوا: فلما أجمع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و ذو الرأى من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب: إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: مره يعمل، فأرسله إلى أثلة بالغابة فقطعها ثم عملها درجتين و مجلسا، ثم جاء بالمنبر فوضعه فى موضعه اليوم، ثم راح رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يوم الجمعة، فلما جاوز الجذع يريد المنبر حن الجذع ثلاث مرات كأنه خوار بقرة، حتى ارتاع الناس، و قام بعضهم على رجليه، فأقبل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى مسه بيده، فسكن، فما سمع له صوت بعد ذلك، ثم رجع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى المنبر فقام عليه،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷

فلم يزل كذلك فى زمان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أبى بكر و عمر، فلما هدم عثمان المسجد اختلف فى الجذع، فمنهم من قال: أخذه أبى بن كعب، فكان عنده حتى أكلته الأرضة، و منهم من قال: دفن فى موضعه.

## شهرة حديث حنين الجذع

و قال عياض: حديث حنين الجذع مشهور منتشر، و الخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح، و رواه من الصحابة بضعة عشر.

و قال البيهقى: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف، و رواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف، و فيه دليل على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكا كأشرف الحيوان.

و قد نقل ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال: ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته؛ فهذا أكبر من ذلك.

## الموضع الذى دفن فيه الجذع

و نقل ابن زبالة اختلافا فى دفن خشبته؛ فعن عثمان بن محمد: دفنت دوين المنبر عن يساره، و قال بعضهم: دفنت شرقى المنبر إلى جنبه، و قال بعضهم: دفنت تحت المنبر، و تقدم فى رواية أنه دفن فى موضعه الذى كان فيه، و محصل الرواية المتقدمة فى كلام يحيى أنه كان فى جهة المشرق يسار المصلّى الشريف.

و نقل ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد أن الأسطوان الملطّخ بالخلوق ثلثاها أو نحو ذلك محرابها موضع الجذع الذى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب إليه، بينها و بين القبلة أسطوان، و بينها و بين المنبر أسطوان.

## بدعة اصطنعها الناس بسبب الجذع

قلت: و هذه الأسطوانة هى التى تقدم أنها علم المصلّى الشريف عن يمينه، و لهذا روى عقبة ما قدمناه من القيام بمقام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الصلاة لمن عدل عنها قليلا، و هذا مستند المطرى فى قوله: و كان هذا الجذع عن يمين مصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم لاصقا بجدار المسجد القبلى فى موضع كرسى الشمعة اليمنى التى توضع عن يمين الإمام المصلّى فى مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و الأسطوانة التى قبلى الكرسى متقدمة عن موضع الجذع؛ فلا يعتمد على قول من جعلها فى موضع الجذع، قال: و فيها خشبة ظاهرة مثبتة بالرصاص سدادة لموضع كان فى حجر من حجارة الأسطوانة مفتوح قد حوط عليه بالبياض و الخشبة ظاهرة، تقول العامة:

هذا الجذع الذى حن إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ليس كذلك بل هو من جملة البدع التى يجب إزالتها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸

لئلا يفتن بها الناس، كما أزيلت الجزعة التى كانت فى المحراب القبلى، و ذكر قصة الجزعة التى قدمناها.

و قال المجد: إن الخشبة المذكورة كان يزدحم على زيارتها و التمسح بها، و يعتقد الناس عامة أنها الجذع، فظن بعض الفقهاء أن هذا من المنكر الذى يتعين إزالته، و صرح بهذا فى كتبه، إلى أن وافق على ذلك شيخنا العز بن جماعة فأمر بإزالتها، إلى آخر ما قدمناه عنه.

قال: و كان موضع الخشبة من الأسطوان المذكور على مقدار ذراعين من الأرض ارتفاعا، و قد طلى عليه بالقصة، و لا عين منه و لا أثر.

قلت: الذى يظهر- كما قدمته- أن هذه الخشبة كانت من العود الذى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يضع يده عليه و يقول: عدلوا صفوفكم، كما تقدم، و الله أعلم.

## عود إلى الاختلاف فى صانع المنبر

و نقل ابن زبالة الاختلاف فى الذى عمل المنبر، فقيل: غلام نصيبة المخزومى، و قيل:

غلام للعباس، و قيل: غلام لسعيد بن العاص يقال له باقول (بموحدة و قاف مضمومة) و قيل: غلام لامرأة من الأنصار من بنى ساعدة، أو لامرأة لرجل منهم يقال له مينا، و قوله «يقال له مينا» يحتمل المولى و زوج المرأة، لكن عند يحيى قال إسماعيل بن عبد الله: الذى عمل المنبر غلام الأنصارية و اسمه مينا، و عند ابن بشكوال عن أبى بن أويس: عمل المنبر غلام لامرأة من الأنصار من بنى سلمة أو بنى ساعدة أو امرأة لرجل منهم يقال له مينا، و هذا محتمل كالأول، و قيل: عمله تميم الدارى، هذا حاصل ما ذكره ابن زبالة، و فى رواية ليحيى: عمل المنبر صباح غلام العباس (بضم المهملة بعدها موحدة خفيفة) و تقدم تسميته كلابا، و نقل المراغى عن بعض شيوخه أن الذى عمله باقوم (بالميم) بانى الكعبة لقريش، و فى الاستيعاب عن باقوم الرومى قال: صنعت لرسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم منبرا من طرفاء له ثلاث درجات: المقعدة، و درجتيه، قال ابن عبد البر: و إسناده ليس بالقائم.

و فى طبقات ابن سعد أن الصحابة قالوا: يا رسول الله إن الناس قد كثروا، فلو اتخذت شيئا تقوم عليه إذا خطبت، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: ما شئتم، قال سهل رضى الله عنه: و لم يكن بالمدينة إلا نجار واحد، فذهبت أنا و ذاك النجار إلى الغابة فقطعنا هذا المنبر من أثلة، و فى لفظ: فحمل سهل منهن خشبة، قال المجد: إسنادهما صحيح، و عند قاسم بن أصبغ: و كان بالمدينة نجار واحد يقال له ميمون، فذكر الحديث، و عند الطبرانى عن سهل: كنت جالسا مع خال لى من الأنصار، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: اخرج إلى الغابة و أتنى من خشبها فاعمل لى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹

منبرا، الحديث. و أخرج الطبرانى بإسناد فيه متروك أن اسم صانع المنبر إبراهيم، و فى أسماء الصحابة لابن شبة مرسلا: اسمه قبيصة أو قصيبة بتقديم الصاد، المخزومى، مولاهم، و عند أبى داود بإسناد جيد أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما بدّن قال تميم الدارى: يا رسول الله أ لا تتخذ لك منبرا يحمل- أو يجمع- عظامك، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: بلى، فاتخذ له منبرا مرقاتين: أى غير المقعدة.

قال الحافظ ابن حجر: و ليس فى الروايات التى سمى فيها النجار قوى السند إلا هذا، و ليس فيه تصريح بأن الذى اتخذ المنبر تميم، بل قد تبين من رواية ابن سعد المتقدمة أن تميما لم يعمله، و أشبه الأقوال بالصواب أنه ميمون؛ لكون الإسناد من طريق سهل، و لا اعتداد بالأقوال الأخرى لكونها واهية.

قلت: و لا ينافيه قوله فى مقدمة الشرح «باقوم أشهر الأقوال» فقد يشتهر الواهى.

و فى التحفة لابن عساكر: روينا من حديث أبى كبشة السلولى عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: إن أتّخذ منبرا فقد اتخذه أبى إبراهيم، و إن اتخذ العصا فقد اتخذها أبى إبراهيم، صلى الله عليهما و سلم.

و أسند ابن النجار من حديث أنس: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسندا ظهره إليها، فلما كثر الناس قال: ابنوا لى منبرا، فبنوا له منبرا له عتبتان، و هو يقتضى أن المنبر كان بناء، و يحتمل أنه أطلق على تأليفه من الأخشاب اسم البناء، لكن قال الحافظ ابن حجر: حكى بعض أهل السير أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذى من خشب» و يعكر عليه ما تقدم فى الأحاديث الصحيحة من أنه كان يستند إلى الجذع إذا خطب.

قلت: يحتمل أن ذلك المنبر المتخذ من الطين كان إلى جانب الجذع، و كأنه كان بناء مرتفعا فقط، و ليس له درج و مقعدة بحيث يكمل الارتفاق به؛ فلا ينافى ما تقدم فى سبب اتخاذ المنبر من خشب، و يؤيد ذلك ما ورد فى حديث الإفك فى الصحيحين عن عائشة قالت: فثار الحيان الأوس و الخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا، و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على المنبر، الحديث، و هذه القصة متقدمة على اتخاذ المنبر من الخشب؛ فقد جزم ابن النجار بأن عمله كان سنة ثمان، و جزم ابن سعد بأنه كان فى السنة السابعة، على أن ذكر تميم و العباس فى عمله كما تقدم يقتضى تأخره عن ذلك أيضا؛ فقد كان قدوم العباس بعد الفتح فى آخر سنة ثمان، و قدوم تميم سنة تسع، و فى بعض طرق الحديث: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس بين أصحابه، فيجىء الغريب فلا يدرى أيهم

هو، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه، الحديث. و فى بعض طرقه أنه جاء و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب أى: على ذلك الدكان، و الله أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰

و روى يحيى عن ابن أبى الزناد أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يجلس على المجلس، و يضع رجليه على الدرجة الثانية، فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية، و وضع رجليه على الدرجة السفلى، فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى، و وضع رجليه على الأرض إذا قعد، فلما ولى عثمان فعل ذلك ست سنين من خلافته؛ ثم علا إلى موضع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

ثم قال: قالوا فلما استخلف معاوية زاد فى المنبر، فجعل له ست درجات، و كان عثمان أول من كسا المنبر قبطية.

## أراد معاوية أن ينقل المنبر إلى الشام

قالوا: فلما قدم معاوية عام حج حرك المنبر، و أراد أن يخرجه إلى الشام، فكسفت الشمس يومئذ، حتى بدت النجوم، فاعتذر معاوية إلى الناس، و قال: أردت أنظر إلى ما تحته، و خشيت عليه من الأرضة. قال بعضهم: و كساه يومئذ قبطية أو لينة. ثم أسند عن سعيد ابن عمرو قصة تحريك معاوية للمنبر، و أن الشمس كسفت، و اعتذاره بأن خشى عليه الأرضة، و أنه كساه يومئذ قبطية يكون عليه أو لينة، فكان يقال: هو أول من كساه، قال يحيى: و أثبتهما عندنا أن عثمان هو أول من كساه، و قد نقل ذلك ابن النجار عن الواقدى عن ابن أبى الزناد، قال: فسرقت الكسوة امرأة، فأتى بها عثمان، فقال لها: هل سرقت؟

قولى لا، فاعترفت، فقطعها، و اتفق لامرأة مع ابن الزبير مثل ذلك.

و فى تاريخ الواقدى: أراد معاوية رضى الله عنه سنة خمسين تحويل منبر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى دمشق، فكسفت الشمس يومئذ، و كلمه أبو هريرة رضى الله عنه فيه، فتركه، فلما كان عبد الملك أراد ذلك فكلمه قبيصة فتركه؛ فلما كان الوليد أراد ذلك فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز فكلمه فيه فتركه، فلما كان سليمان قيل له فى تحويله قال: لا؛ها الله، أخذنا الدنيا و نعمد إلى علم من أعلام الإسلام نريد تحويله؟ ذاك شىء لا أفعله؛ و ما كنت أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك و لا عن الوليد! ما لنا و لهذا؟

## رفع المنبر ست درجات

و أسند ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: بعث معاوية رضى الله عنه إلى مروان يأمره أن يحمل إليه منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فأمر به أن يقلع، فأظلمت المدينة، و أصابتهم ريح شديدة، قال: فخرج عليهم مروان فخطبهم، و قال: يا أهل المدينة إنكم تزعمون أن أمير المؤمنين بعث إلى منبر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم، و أمير المؤمنين أعلم بالله من أن يغير منبر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم عن ما وضعه عليه، إنما أمرنى أن أكرمه و أرفعه، قال: فدعا نجارا فزاد فيه الزيادة التى هو عليها اليوم، و وضعه موضعه اليوم.

و فى رواية له عن ابن قطن: قلع مروان بن الحكم منبر رسول الله، و كان درجتين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱

و المجلس، و أراد أن يبعث به إلى معاوية، قال: فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم، قال:

فزاد فيه ست درجات، و خطب الناس فقال: إنى إنما رفعته حين كثر الناس.

و عند يحيى فى رواية أخرى: كتب معاوية رضى الله عنه إلى مروان و هو على المدينة أن أرسل لى بمنبر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فخرج مروان فقلعه، فأصابتنا ريح مظلمة بدت فيها النجوم نهارا، و يلقى الرجل الرجل يصكه فلا يعرفه، و ذكر اعتذار مروان

المتقدم، و قال: إنما كتب إلى يأمرنى أن أرفعه من الأرض، فدعا له النجاجرة، فعمل هذه الدرجات و رفعوه عليها، و هى- أى الدرجات التى زادها- ست درجات، قال: ثم لم يزد فيه أحد قبله و لا بعده.

و قال ابن زبالة عقب حديث رواه من طريق سفيان عن كثير بن زيد عن المطلب ما لفظه: و الذى زاد فى درج المنبر معاوية بن أبى سفيان.

قال سفيان: قال كثير: فأخبرنى الوليد بن رباح قال: كسفت الشمس يوم زاد معاوية فى المنبر حتى رؤيت النجوم.

و روى ابن النجار زيادة مروان فيه، و أنه صار تسع درجات بالمجلس، عن ابن أبى الزناد، ثم قال: و لما قدم المهدى المدينة سنة إحدى و ستين و مائة، فقال لمالك بن أنس: إنى أريد أن أعيد منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على حاله، فقال له مالك: إنما هو من طرفاء، و قد سمّر إلى هذه العيدان و شد، فمتى نزعته خفت أن يتهافت و يهلك، فلا أرى أن تغيره، فانصرف المهدى عن تغييره.

و روى ابن شبة قصة المهدى عن محمد بن يحيى عن محمد بن أبى فديك.

## عدد درجات المنبر

قلت: و جميع ما قدمناه من كلام المؤرخين مقتض لاتفاقهم على أن منبره صلّى اللّه عليه و سلّم كان درجتين غير المجلس و نقله ابن النجار عن الواقدى، لكن سبق فى رواية الدارمى «هذه المراقى الثلاث أو الأربع» على الشك، و فى صحيح مسلم «هذه الثلاث درجات» من غير شك، و قال الكمال الدميرى فى شرح المنهاج: و كان صلّى اللّه عليه و سلّم منبره ثلاث درج غير الدرجة التى تسمى المستراح، و لعل مأخذه ظاهر ذلك مع حديث أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رقى المنبر فلما رقى الدرجة الأولى قال: آمين، ثم رقى الدرجة الثانية فقال: آمين، ثم رقى الدرجة الثالثة فقال:

آمين، فقالوا: يا رسول الله سمعناك قلت آمين ثلاث مرات، قال: لما رقيت الدرجة الأولى جاء جبريل عليه السلام فقال: شقى عبد أدرك رمضان فانسلخ عنه فلم يغفر له، قلت:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲

آمين، ثم قال: شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك، قلت: آمين، ثم قال: شقى عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، فقلت: آمين، رواه يحيى بن الحسن عن جابر، و رواه الحاكم عن كعب بن عجرة و قال: صحيح الإسناد، و لفظه: قال قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: احضروا المنبر، فحضرنا، فلما رقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال:

آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين، فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه، قال: إن جبريل عرض لى فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين؛ فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت:

آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قلت: آمين، و يمكن حمله على أنه صلّى اللّه عليه و سلّم ارتقى حينئذ على المجلس و هى الدرجة الثالثة.

## مساحة المنبر

قال ابن زبالة: و طول منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خاصة ذراعان فى السماء، و عرضه ذراع فى ذراع، و تربيعه سواء، و فيه مما كان يلى ظهره إذا قعد ثلاثة أعواد تدور، ذهب إحداهن، و انقلعت إحداهن سنة ثمان و تسعين و مائة، و أمر به داود بن عيسى فأعيد، و فيما عمل مروان فى حائط المنبر الخشب عشرة أعواد لا يتحركن، و طول منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مرتفع فى السماء مع الخشب الذى عمله مروان- أى الأعواد المتقدمة- ثلاث أذرع و نصف.

و قال عقب كلامه الآتى فى ذرع ما عليه المنبر اليوم، يعنى زمنه، ما لفظه: و طول المجلس- أى مجلسه صلّى اللّه عليه و سلّم- شبران

و أربع أصابع فی مثل ذلک. مربع؛ فقوله أولا: «و عرضه ذراع فی ذراع» إنما أراد به مقعد المنبر؛ لما قاله هنا فی وصف المقعد بدون درجتیه؛ و لأنه قال هنا عقب ما تقدم: و ما بین أسفل قوائم منبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم الأول إلی رمانته خمسهٔ أشبار و شیء؛ و عرض درجه شبران، و طولها شبر، و طوله من ورائه- یعنی محل الاستناد- شبران و شیء؛ فیؤخذ من ذلک أن امتداد المنبر النبوی من أوله- و هو ما یلی القبلهٔ- إلی ما یلی آخره فی الشام أربعهٔ أشبار و شیء؛ لقوله: إن عرض درجه شبران، و إن المجلس شبران و أربع أصابع، و قوله: «و ما بین أسفل قوائم منبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم- إلی آخره» معناه أن من طرف المنبر النبوی الذی یلی الأرض إلی طرف رمانته التی یضع علیها یده الکریمهٔ خمسهٔ أشبار و شیء؛ و ذلک نحو ذراعین و نصف، و قد تقدم أن ارتفاع المنبر النبوی خاصهٔ ذراعان؛ فیکون ارتفاع الرمانهٔ نحو نصف ذراع.

و قال ابن النجار: طول منبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ذراعان و شبر و ثلاث أصابع، و عرضه ذراع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۳

راجح، و طول صدره- و هو مستند النبی صلّی اللّه علیه و سلّم- ذراع، و طول رمانتی المنبر اللتین کان یمسکهما بیده الکریمتین إذا جلس شبر و أصبعان، و عرضه ذراع فی ذراع، یرید و تربیعه سواء، و لا یخفی ما فیه من المخالفهٔ لکلام ابن زبالهٔ.

و قال ابن زبالهٔ فی الکلام علی فضل ما بین القبر و المنبر، بعد ذکر المرمر الذی حول المنبر، ما لفظه: و فی المنبر من أسفله إلی أعلاه سبع کوی مستطیرهٔ من جوانبه الثلاث، و فی جنبه الذی عمل مروان من قبل المشرق ثمانی عشرهٔ کوهٔ مستدیرهٔ شبه المربعهٔ، و من قبل المغرب ثمانی عشرهٔ کوهٔ مثل ذلک، و کان فیه خمسهٔ أعواد تدور، فذهب بعضها و بقی اثنان منها، فسقط أحدهما فی سلطان داود بن عیسی علی المدینهٔ فی سنهٔ ثمان و تسعین و مائهٔ، فأمر به فأعید.

و قال فی موضع آخر: و فیما عمل مروان فی حائط المنبر الخشب عشرهٔ أعواد لا یتحرکن، ثم قال: و فی منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم خاصهٔ خمسهٔ أعواد من جوانبه الثلاث، فذهب بعضها.

و قال بعد ما تقدم عنه فی ذرع منبره صلّی اللّه علیه و سلّم ما لفظه: و ذرع طول المنبر الیوم أربع أذرع، و عرضه ذراع و شیء یسیر، و ما بین الرمانهٔ المؤخرهٔ و الرمانهٔ التی کانت فی منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم القدیم ذراع و شیء، و ما بین رمانهٔ منبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم إلی الرمانهٔ المحدثهٔ فی مقدم المنبر ذراعان و عظم الذراع، و ما بین الرمانهٔ و الأرض ثلاث أذرع و شیء، و طول المنبر الیوم من أسفل عتبته إلی مؤخره سبع أذرع- أی بتقدیم السین- و شبر، و طوله فی الأرض إلی مؤخره ست أذرع، هذه عبارته بحروفها، و یتعین حمل کلامه علی أن امتداد المنبر فی الأرض من أسفل عتبته الرخام التی أمامه إلی مؤخر المنبر سبعهٔ أذرع و شبر، و طول امتداده و هو فی الأرض إلی مؤخره مع إسقاط العتبهٔ ست أذرع، حتی یلتئم کلامه، و قد ذکر فیما قدمناه عنه أن حول المنبر مرمر مرتفع قدر الذراع، و فیه شیء محدث غیر مرتفع زاده الحسن بن زید.

و قال فی موضع آخر: و المنبر مبنی فوق رخام، و هو فی وسط الرخام، فسمی المرمر رخاما، و قال: إن هذا الرخام حده من الأسطوانتین اللتین فی قبلهٔ المنبر- أی خلفه- إلی الأسطوانتین اللتین تلیانهما مما یلی الشام- أی أمام المنبر- و قد سمی ابن النجار هذا الرخام الذی علیه المنبر دکهٔ، و قال: إن طولها شبر و عقد، یعنی فی الارتفاع، و سمی ذلک أبو الحسین بن جبیر فی رحلته حوضا، و کأنه أخذ هذه التسمیهٔ مما ورد فی أن المنبر علی الحوض، و ذکر فی طول هذا الرخام و عرضه ما یقرب مما قدمناه فی حدود المسجد النبوی، قال: و ارتفاعه شبر و نصف.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۴

قلت: و لما حفر متولی العمارهٔ فی زماننا أرض المسجد الشریف و سواها بأرض المصلی الشریف وجد هذا الرخام المذکور، و ارتفاعه عن أرض المصلی الشریف نحو ما ذکره ابن النجار و ابن جبیر؛ ثم لما أرادوا تأسیس المنبر الرخام الآتی ذکره حفروا حول الدکهٔ المذکورهٔ فظهر أنها منخفضهٔ عن أرض المصلّی الشریف التی استقر علیها الحال الیوم یسیرا، و خلفها من جههٔ القبلهٔ إفریز نحو

ثلث ذراع، و طولها سبع أذرع، بتقديم السين، و شبر، و هى مجوفة شبيهة بالحوض، فصح ما ذكره ابن جبير فى تسميتها حوضا، و صح أيضا ما سيأتى عنه من أن سعة المنبر خمسة أشبار؛ لأن جوف هذا الحوض الذى وجدناه بما دخل من عمودى المنبر فى أحجاره خمسة أشبار، و قول ابن زبالة أولا- «و ذرع طول المنبر اليوم أربع أذرع» مراده ارتفاعه فى الهواء مع الدرج الست التى زادها مروان؛ فيكون طول الدرج الست ذراعين؛ فتكون كل درجة ثلث ذراع، فيقرب مما قدمه ابن زبالة فى طول درج منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و هو الذى تقتضيه المناسبة.

و نقل الزين المراغى عن ابن زبالة أنه قال: طول منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بما زيد فيه أربعة أذرع، و من أسفل عتبته إلى أعلاه تسعة أذرع و شبر.

قلت: كذا رأيته بخط الزين، و ضبط قوله: «تسعة أذرع» بتقديم التاء الفوقية، و هو غلط فى النسخة التى وقعت له؛ لأن الذى قدمناه عن ابن زبالة إنما هو من أسفل عتبته إلى مؤخره، و قررناه بما تقدم، و إنما قضينا على ذلك بالغلط لأنه حينئذ لا يلتئم أطراف كلامه، و لأنه يقتضى أن يكون ارتفاع المنبر فى الهواء تسعة أذرع، بتقديم التاء، و شبرا، فإذا قام عليه القائم يقرب من سقف المسجد، و يبعد كل البعد كون منبر فى ذلك الزمان ارتفاعه هذا القدر، و أيضا فابن زبالة قد صرح بأن الذى زاده مروان ست درج، فيلزم أن يكون كل درجة ذراعا و شيئا، و هو فى غاية البعد، و ما نقلناه عن ابن زبالة يقرب مما ذكره ابن النجار؛ فإنه قال عقب ما قدمناه عنه فى وصف منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ما لفظه: و طول المنبر اليوم ثلاثة أذرع و شبر و ثلاث أصابع، و الدكة التى عليها من رخام طولها شبر و عقد، و من رأسه- أى المنبر- دون دكته إلى عتبته خمسة أذرع و شبر و أربع أصابع، و قد زيد فيه اليوم عتبتان و جعل عليه باب يفتح يوم الجمعة، انتهى؛ فهو قريب مما ذكره ابن زبالة من أن طول المنبر- يعنى فى الهواء- أربعة أذرع، و امتداده هو خاصة فى الأرض من عتبته إلى مؤخره ستة أذرع، و يوافق أيضا ما ذكره الفقيه أبو الحسين محمد بن جبير من حديث القدر، فإنه قال: رأيت منبر المدينة الشريف فى عام ثمان و سبعين و خمسمائة، و ارتفاعه من الأرض نحو القامة أو أزيد، و سعته خمسة أشبار، و طوله خمس خطوات، و أدراجه ثمانية، و له باب على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة، و طوله- أى الباب- أربعة أشبار و نصف شبر، و هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵

المنبر هو الذى وصفه ابن النجار فيما يظهر؛ لأنه وضع تاريخه سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة، و توفى قبل حريق المسجد سنة ثلاث و أربعين و ستمائة، و كان احتراق المسجد كما سيأتى سنة أربع و خمسين و ستمائة، و فيه احترق هذا المنبر، و فقد الناس بركته.

و قد زاد ابن جبير على ابن النجار فى وصف هذا المنبر فقال: و هو مغشّى بعود الآبنوس، و مقعد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من أعلاه ظاهر قد طبق عليه لوح من الآبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه؛ فيدخل الناس أيديهم إليه و يمسحونه بها تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم، و على رأس رجل المنبر الأيمن حيث يضع الخطيب يده إذا خطب حلقة فضة مجوفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط التى يضعها فى أصبعه إلا أنها أكبر منها، و هى لاعبة تستدير فى موضعها، انتهى.

و الظاهر: أن هذا المنبر غير الذى وصفه ابن زبالة لأنه لم يصفه بذلك، و يوضح ذلك ما ذكره فى الطراز لسند من المالكية حيث قال: إن منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جعل عليه منبر كالغلاف، و جعل فى المنبر الأعلى طاق مما يلى الروضة، فيدخل الناس منها أيديهم يمسحون منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و يتبركون بذلك، انتهى؛ فهذا شىء حدث بعد ابن زبالة.

و قد قال المطرى: حدثنى يعقوب بن أبى بكر من أولاد المجاورين، و كان أبوه أبو بكر فراشا من قوام المسجد، و هو الذى كان حريق المسجد على يده، أن المنبر الذى زاده معاوية و رفع منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم تهافت على طول الزمان، و أن بعض خلفاء بنى العباس جدده، و اتخذ من بقايا أعواد منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمشاطا للتبرك، و عمل المنبر الذى ذكره ابن النجار فيما تقدم.

قال يعقوب: سمعت ذلك من جماعة بالمدينة ممن يوثق بهم، و أن المنبر المحترق هو الذى جدده الخليفة المذكور، و هو الذى أدركه ابن النجار؛ لأن وفاته قبل الحريق.

قلت: و ظاهر كلام ابن عساكر فى تحفته أنه كان قد بقى من المنبر الشريف بقايا فقط إلى احتراق المسجد، و هو من أدرك حريقه، و أورد فى كتابه ما ذكره شيخه ابن النجار، و لفظه: و قد احترقت بقايا منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم القديمة، وفات الزائرين لمس رمانة المنبر التى كان صلّى اللّه عليه و سلّم يضع يده المقدسة المكرمة عليها عند جلوسه عليه، و لمس موضع جلوسه منه بين الخطبتين و قبلهما، و لمس موضع قدميه الشريفتين بركة عامة و نفع عائد، و فيه صلّى اللّه عليه و سلّم عوض من كل ذاهب و درك من كل فائت، انتهى. و هو صريح فى بقاء ما ذكره إلى حين الحريق، و يؤيده ما تقدم عن رحلة ابن جبير و صاحب الطراز، بل ظفرنا بما يشهد لصحة ذلك؛ فإنه لما أراد متولى العمارة تأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره حفروا على الدكة التى تقدم أن المنبر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶

كان عليها فوجدت مجوفة كالحوض، و به عبر ابن جبير عنها، فوجدوا فيما يلى القبلة منها قطعا كثيرة من أخشاب المنبر المحترق- أعنى الذى كان فيه بقايا منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- فوضعها الأقدمون فى جوف ذلك المحل حرصا على البركة، و بنوا فوقها بالآجر بحيث سدوا جوف ذلك الحوض كله، فصار دكة مستوية، و وضعوا المنبر الآتى ذكره عليها، و شاهدت آثار قائمتى المنبر الشريف اللتين كان بأعلاهما رمانتاه قد نحت لهما فى الحجر المحيط بالحوض المذكور على نحو ذراع و ثلث من طرف باطن الحوض المذكور مما يلى القبلة، وسعة الحوض المذكور خمسة أشبار كما ذكره ابن جبير فى سعة المنبر، و عرض جدار الحوض المذكور خلف المنبر نحو نصف ذراع، و قد حرصت على وضع ما وجد من تلك الأخشاب فى محلها، فوضع ما بقى منها فى محله من الحوض المذكور، و بنوا عليه كما سيأتى، و اللّه أعلم.

و لما احترق المنبر المذكور فى جملة الحريق أرسل الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ست و خمسين منبرا له رمانتان من الصندل، فنصب فى موضع منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كما ذكره المطرى فمن بعده، قال: و لم يزل يخطب عليه عشر سنين، فلما كان فى سنة ست و ستين و ستمائة أرسل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى هذا المنبر الموجود اليوم أى: زمن المطرى، فقلع منبر صاحب اليمن، و حمل إلى حاصل الحرم، و نصب هذا المنبر مكانه، و طوله أربع أذرع فى السماء، و من رأسه إلى عتبته سبع أذرع يزيد قليلا، و عدد درجاته تسع بالمقعد.

قال المجد: و له باب بمصراعين، فى كل مصراع رمانة من فضة، و مكتوب على جانبه الأيسر اسم صانعه «أبو بكر بن يوسف النجار» و كان من أكابر الصالحين الأخيار، و هو الذى قدم بالمنبر إلى المدينة، فوضعه فى موضعه، فأحسن وضعه، و أتقن نجارته و صنعته، ثم انقطع فى المدينة.

قال الزين المراغى: و بقى منبر الظاهر بيبرس يخطب عليه من سنة ست و ستين و ستمائة إلى سنة سبع و تسعين و سبعمائة، فكانت مدة الخطبة عليه مائة سنة و اثنتين و ثلاثين سنة، فبدأ فيه أكل الأرضة؛ فأرسل الظاهر برقوق صاحب مصر هذا المنبر الموجود اليوم: أى زمن المراغى، أرسله فى آخر سنة سبع و تسعين و سبعمائة، و قلع منبر الظاهر بيبرس، انتهى.

قلت: و لم يزل هذا المنبر موجودا إلى ما بعد العشرين و ثمان مائة، كما أخبرنى به جماعة من مشايخ الحرم منهم الشيخ صالح المعمر الجمال عبد الله بن قاضى القضاة عبد الرحمن بن صالح، قال: فأرسل سلطان مصر الملك «المؤيد شيخ» هذا المنبر الموجود اليوم عام اثنين و عشرين و ثمان مائة.

ثم رأيت فى كلام الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر أن المنبر الموجود اليوم أرسله المؤيد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷

سنة عشرين و ثمان مائة؛ فهذا هو المعتمد، لكن لم يطلع ابن حجر على ما ذكره المراغى من منبر الظاهر برقوق، و جعل إتيان منبر

المؤيد هذا بدلا عن منبر الظاهر بيبرس، و كلام المراغى أولى بالاعتماد فى ذلك؛ فإنه كان بالمدينة حينئذ، و على هذا فمدة الخطبة على منبر الظاهر برقوق ثلاث أو أربع و عشرون سنة، ثم وضع منبر المؤيد.

و أخبرنى السراج النفطى أنه صنعه أهل الشام، و جاءوا به المؤيد ليجعله بمدرسته المؤيدية، فوجدوا أهل مصر قد صنعوا لها منبرا، فجهز المؤيد منبر أهل الشام إلى المدينة الشريفة، و قال لى الجمال عبد الله بن صالح: شاهدت وضعه موضع المنبر الذى كان قبله.

قلت: و يدل على صحة ذلك ما قدمناه من اختبار ذرع ما بينه و بين المصلى الشريف؛ إذ المنقول أن بينهما أربعة عشر ذراعا و شبرا، و قد اختبرته من ناحية المصلى الشريف إلى ما حاذاه من المنبر فى المغرب فكان كذلك؛ فوضعه من هذه الجهة صحيح لا شك فيه، و أما من جهة القبلة فقد قال المطرى: إن المنبر الذى أدركه بينه و بين الدرابزين الذى فى قبلة الروضة مقدار أربعة أذرع و ربع ذراع، و قد ذكر الزين المراغى فى كتابه ما ذكره المطرى من الذرع، و لم يتعقبه؛ فاقتضى أن المنبر الذى تقدم وضعه فى زمنه وضع موضع المنبر الذى كان فى زمان المطرى، و أقر أيضا قول المطرى فى حدود المسجد أن المنبر لم يغير عن منصبه الأول.

و قد ذكر ابن جماعة أيضا ذرع ما بين المنبر و الدرابزين، و هو يعنى المنبر الموجود زمن المطرى، فقال: إن بينهما ثلاثة أذرع بذراع العمل، و هو أزيد مما ذكره المطرى بربع ذراع راجح؛ لأن ذراع العمل كما تقدم ذراع و نصف، و كأن المطرى يعنى ذراع المدينة اليوم كما يؤخذ من كلام المراغى فيوافق كلام ابن جماعة، و الذى بين هذا المنبر الموجود اليوم و بين الدرابزين المذكور ذراعان و ثلث بذراع العمل، و ذلك ثلاثة أذرع و نصف من الذراع الذى قدمنا أنه المراد عند الإطلاق؛ فيحتمل أن يكون هذا المنبر مقدم الوضع لجهة القبلة على المنبر الذى كان قبله، و هو مقتضى ما نقله الأثبات، لكنى أستبعده للأخبار ممن لقيناه بوضعه موضع ذاك.

ثم تبين عند انكشاف الدكة التى تقدم ذكرها من آثار المنبر المحترق قديما ما علمنا به صواب ما ذكره المطرى و غيره أن هذا المنبر مقدم الوضع على الذى قبله من جهة القبلة بما يقرب من ذراع، و كذا ظهر زيادته من جهة الشام أيضا على الدكة الأصلية المتقدم وصفها بقريب من ذراع، و وجد محرفا عنها من طرفه الشامى نحو المغرب قدر شبر لما فيها من التيامن الذى تقدمت الإشارة إليه فى التنبيه الثالث من الفصل قبله، و كنت قد أيدت وضعه بكونه أقرب إلى ما ورد فيما كان بين المنبر و الجدار القبلى كما سيأتى فانكشف الحق لذى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸

عينين، و الذى لقيناه و أخبر بوضعه موضع المنبر الذى كان قبله هو الجمال بن صالح فى آخر عمره، و كان غير تام الضبط حينئذ، و كنت قد أيدت خبره بأنا قد قدمنا إلى الصندوق الذى فى قبلة المصلى الشريف فى عرض الجدار، و أن المصلى الشريف لم يغير باتفاق، و أن منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان بينه و بين الجدار القبلى ممر الشاة أو ممر الرجل منحرفا، و أقصى ما قيل فيه ذراع و شىء كما قدمناه، فإذا أسقطت قدر ما بين طرف المصلى الشريف و الدرابزين الذى أمامه مما بين المنبر اليوم و الدرابزين المذكور و هو ثلاثة أذرع و نصف بقى ذراع، و هو نحو القدر المنقول فيما بين المنبر القديم و جدار المسجد الشريف، ثم تبين لنا مما سبق فى حدود المسجد النبوى و بانكشاف المرمر الذى فى قبلة المنبر تقدم الدرابزين المذكور عن ابتداء المسجد النبوى بأزيد من ذراع كما قدمناه فى حدود المسجد النبوى؛ فالصواب ما ذكره المطرى و من تبعه.

و طول هذا المنبر فى السماء سوى قبته و قوائمها، بل من الأرض إلى محل الجلوس، ستة أذرع و ثلث، و ارتفاع الخافقتين اللتين يمين المجلس و شماله ذراع و ثلث، و امتداد المنبر فى الأرض من جهة بابه إلى مؤخره ثمانية أذرع و نصف راجحة، و عدد درجه ثمانية، و بعدها مجلس ارتفاعه نحو ذراع و نصف، و قبته مرتفعة، و لها هلال قائم عليها مرتفع أيضا، و ما أظن منبرا وضع قبله فى موضعه أرفع منه، و له باب بصرعتين.

و قد احترق هذا المنبر فى حريق المسجد الثانى الحادث فى رمضان عام ستة و ثمانين و ثمان مائة، فكانت مدة الخطبة عليه نحو سبع و ستين سنة.

و لما نظف أهل المدينة محله جعلوا فی موضعه منبرا من آجر مطلی بالنورة، و استمر يخطب عليه إلى أثناء شهر رجب سنة ثمان و ثمانين، فهدم رابع الشهر المذكور، و حفروا لتأسيس المنبر الرخام الموجود اليوم ظاهر الدكة المتقدم ذكرها، فوجدت على النحو المتقدم، و نقضوا من بعضها قريب القامة فلم يبلغوا نهايتها، و وجدوها محكمة التأسيس فی الأرض، فأعادوها كما كانت، إلا ما كان فوقها من نحو أزيد من نصف ذراع من الآجر، و سوّوا ما وجد مجوفا منها كالحوض بالبناء بعد وضع ما تقدم ذكره مما وجد بمقدمها من بقايا المنبر القديم المحترق فی الحريق الأول بمقدمها أيضا، و كانوا قد سألونی عن ابتداء حد المنبر القديم من جهة القبلة و الروضة فأخبرتهم بذلك، و أن ذلك الحوض و ما به من محل قوائم المنبر الأصلی إمام يقتدی به لموافقته ما ذكره المؤرخون قديما و حديثا، فشرعوا فی وضع رخام المنبر عليها على سمت ما ظهر من الفرضة التی وجدوها فی الحوض المذكور على الاستقامة من غير انحراف، و بينها و بين طرف الدكة الشرقی خمسة أصابع، لما ظهر من أن المنبر الأصلی كان بالحوض المذكور، و مشاهدة محل قوائمه نقرا فی الحجر و بقايا الرصاص

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۹

الذی كانت القوائم مثبتة به، و ما وصفه المؤرخون فی أمر المنبر الأصلی شاهد لذلك، و معلوم أن الحوض الموجود فی باطن تلك الدكة لا يمكن وضع المنبر فيه إلا على الاستقامة، سيما و قد طابقت سعته ما ذكره ابن جبير فی سعة المنبر الأصلی، و إحكام تلك الدكة بحيث إنهم حفروا منها قرب القامة، و لم يدركوا آخرها، و إتقان فرضتی الحوض المذكور بالرصاص، و ترخيم تلك الدكة قديما، كله قاض بجعل السلف لها من أجل وضع المنبر فيها، كما صرح به المؤرخون، و لم يكن السلف مع عظيم إتقانهم يجعلونها لوضع المنبر و يحرفونها عن وضعه؛ لأن وضعها تابع لوضعه إذ جعلت من أجله، و قد كان وضعه مشاهدا لهم؛ لوجود المنبر النبوی بين أظهرهم و إتقانها و ما سبق من المتقدمين فی ذكر ترخيمها شاهد بعملها فی عمارة عمر بن عبد العزيز للمسجد إن لم يكن من زمن معاوية رضی الله عنه عند تحريكه المنبر كما سبق، و لم أرتب عند مشاهدتها فی وضع المنبر بها كذلك، و تيامن حوضها الذی كان المنبر به يسير جدا لا يخرج صدر المستقبل عن القبلة، و قد أشار يحيى فيما قدمناه عنه فی التنبيه الثالث إلى تصويب وضعه، و أيضا فقد يكون النبی صلّى اللّه عليه و سلّم وضعه متيامنا لما أوضحناه فی الرسالة الموسومة بالنصيحة، و المنبر جماد ليس بمصل حتى يحرر أمره فی الاستقبال و يترك ما وجد من حدوده الأصلية المجمع عليها فی الأعصر الماضية المترتب عليها حدود الروضة الشريفة، فشرعوا فی وضع رخام المنبر المذكور على النحو الذی ذكرته، غير أنهم جعلوا جداره من جهة القبلة على الأحجار التی خلف الحوض من جهة القبلة؛ لاقتضاء نظرهم ذلك، و لو كان لی من الأمر شیء ما وافقت عليه.

ثم وقع من بعض ذوی النفوس ما أوضحناه فی الرسالة الموسومة (بالنصيحة الواجبة القبول، فی بيان وضع منبر الرسول) صلّى اللّه عليه و سلّم.

و الحاصل: أنهم نقضوا ما سبق، و زادوا خلف أحجار الحوض المذكور نحو ربع ذراع العمل حتى ساوى ذلك محل المنبر المحترق من جهة القبلة، و حرفوه على تلك الدكة لجهة المغرب أزيد من تحريف المنبر المحترق، و جعلوا هذا المنبر فی محل المحترق من جهة القبلة و مساو لطرفها الشرقی مما يلی القبلة أيضا، و زعموا أنه لا يعول على كلام من قدمناه من الأئمة، و يتحرر مما سبق أنه مقدم على محل المنبر الأصلی لجهة القبلة بعشرين قيراطا من ذراع الحديد، و هو نحو ذراع اليد، و أن المنبر النبوی لم يقع فی محله نغير إلا من تاريخ وضع المنبر المحترق فی زماننا لأنه خفی على واضعه ما فی جوف الدكة المذكورة، و لم يدركه أحد من مؤرخی المدينة، و كان مفرط الطول بحيث كان قاطعا للصف الباقی من الروضة، و قد اقتدی به واضع هذا المنبر لكونه من آبائه، و لم يبال ولی الأمر بتفويته المنقبة العظيمة فی إعادة وضع منبر الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم على ما كان عليه، و هذا المنبر- أعنی الرخام- أقصر من امتداد المنبر المحترق فی الأرض بنحو ثلاثة أرباع ذراع، و عدد درجه مع مجلسه كالمحترق، و محل عود

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۰

المنبر الأصلى منه مما يلى الروضة و هو الذى كان بأعلاه رمانة المنبر النبوى قبل عمود هذا المنبر بأزيد من قيراط، و ذلك على نحو ذراعين و شيء من طرف المنبر المذكور من القبلة.

و قد اشتهر محله من أحجار الدكة المذكورة بسبب تحريف المنبر المذكور بحيث تغيرت حدود الروضة الشريفة، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

### كسوة المنبر

و فى يوم الجمعة يجعل على باب المنبر ستر من حرير أسود مرقوم بحرير أبيض و قد قدمنا أول من كسا المنبر.

و أسند ابن زبالة عن هشام بن عروة أن ابن الزبير كان يلبس منبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم القباطى فسرقت امرأة قبطية فقطعها، و قال ابن النجار: و لم يزل الخلفاء إلى يومنا هذا يرسلون فى كل سنة ثوبا من الحرير الأسود له علم ذهب يكسى به المنبر، قال: و لما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستورا على أبواب الحرم.

### ستور الأبواب كسوة الحجارة

قلت: قد استقر الأمر بعد قتل الخليفة المستعصم على حمل الكسوة من مصر كما قاله الزين المراغى قال: و الأبواب مستقلة اليوم بستور، قال: و إنما يظهرونها فى أوقات المهمات كقدوم أمير المدينة، و ذكر ما سيأتى فى كسوة الحجرة من وقف قرية بمصر على ذلك و على كسوة الكعبة الشريفة؛ فالكعبة تكسى كل عام مرة، و الحجرة و المنبر فى كل ست سنين مرة.

و قال المجد: و المنبر يحمل له فى كل سبعة أعوام أو نحوها من الديار المصرية كسوة معظمة ملوكية يكساها من الجمعة إلى الجمعة، و رايتان سوداوان ينسجان أبدع نسج يرفعان أمام وجه الخطيب فى جانبى المنبر قريبا من الباب.

قلت: فى زماننا تمضى السبع سنين و العشر و أكثر من ذلك و لا تصل كسوة، و الذى يجعل اليوم على المنبر إنما هو الستر المتقدم ذكره مع الرايتين اللتين ذكرهما المجد، و الله أعلم.

## الفصل الخامس فى فضائل المسجد الشريف

### اشارة

قال الله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ [التوبة: ۱۰۸].

### المسجد الذى أسس على التقوى

روينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: دخلت على رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيت لبعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أى المسجدين الذى أسس على التقوى؟ قال:

فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجدكم هذا، لمسجد المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱

و لأحمد و الترمذى من وجه آخر عن أبى سعيد: اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فسألاه عن ذلك، فقال: هو هذا، و فى ذلك- يعنى مسجد قباء- خير كثير، و أخرجه أحمد من وجه آخر

مرفوعا، و فى العتبية عن مالك ما لفظه: و قال: المسجد الذى ذكر الله عز و جل أنه أسس على التقوى من أول يوم الآية هو مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم هذا، أى مسجد المدينة، ثم قال: أين كان يقوم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم؟ أ ليس فى هذا؟ و يأتونه أولئك من هنالك.

و قد قال الله سبحانه و تعالى: وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَ تَرَكُوكَ قائِماً [الجمعة: ۱۱] فإنما هو مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قد قال عمر بن الخطاب: لو لا أنى رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أو سمعته يريد أن يقدم القبلة، و قال عمر بيده هكذا، ما قدمتها، ثم قدمها عمر موضع المقصورة الآن، انتهى.

قال ابن رشد فى بيانه: ما ذهب إليه مالك مروى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذهب قوم إلى أنه مسجد قباء، فاستدلوا بما روى أن الآية لما نزلت قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم خيرا، الحديث، قال: و لا دليل فيه؛ لأن أولئك كانوا فى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم؛ لأنه كان معمورا بالمهاجرين و الأنصار و من سواهم، قال: و استدلال مالك بقول عمر المتقدم ظاهر؛ لأن الله تعالى لما ذكر فيه أنه أسس على التقوى لم يستجز نقض بنائه و تبديل قبلته، إلا بما سمع من رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى ذلك و رآه قد أراد أن يفعله.

قلت: ما ذكره مالك من كون مسجد المدينة هو المراد هو ظاهر ما قدمناه، لكن قوله تعالى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يقضى أنه مسجد قباء؛ لأنه ليس المراد أول أيام الدنيا، بل أول أيام حلوله صلّى اللّه عليه و سلّم بدار الهجرة، و ذلك هو مسجد قباء إلا أن يدعى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شرع فى تأسيس مسجد المدينة أيضا من أول يوم قدومه لها، أو يقال: المراد من أول يوم تأسيسه، و سيأتى فى مسجد قباء أشياء صريحة فى أنه المراد؛ فتعين الجمع بأن كلا منهما يصدق عليه أنه أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه كما هو معلوم، و أنهما المراد من الآية، لكن يشكل عليه كون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أجاب عند السؤال عن ذلك بتعيين مسجد المدينة، و جوابه أن السر فى ذلك أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أراد به رفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء كما هو ظاهر ما فهمه السائل، و تنويها بمزية مسجده الشريف لمزيد فضله، و الله أعلم.

## فضل مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم

و فى الصحيحين حديث أبى هريرة «لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى، و المسجد الحرام، و المسجد الأقصى».

و عند مسلم: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: الكعبة، و مسجدى، و مسجد إيلياء».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲

و عند أبى داود بلفظ: «و مسجدى هذا».

و فى الكبير و الأوسط للطبرانى برجال ثقات عن ابن عمر، و برجال الصحيح عن أبى الجعد الضّمرى «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، و ذكر نحو رواية الصحيحين.

و فى صحيح ابن حبان و مسند أحمد و الأوسط للطبرانى و إسناده حسن من حديث جابر: «خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدى هذا و البيت العتيق».

و هو عند البزار بلفظ: «خير ما ركبت إليه الرواحل مسجد إبراهيم و مسجد محمد صلّى اللّه عليه و سلّم» و رجاله رجال الصحيح إلا عبد الرحمن بن أبى الزناد و قد وثقه غير واحد.

فضل الصلاة فى مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى ما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» هذا لفظ البخارى، زاد مسلم: «فإنى آخر الأنبياء، و إن مسجدى آخر

المساجد».

قلت: يريد آخر مساجد الأنبياء كما نقله المحب الطبرى عن أبى حاتم، و إلا فهو من أول مساجد هذه الأمة، و إذا كانت الألف و اللام هنا لمعهود- و هو مساجد الأنبياء- فالألف و اللام أيضا فى قوله «فيما سواه من المساجد» للعهد، و المراد مساجد الأنبياء؛ فيتحصل من معناه أن الصلاة فى مسجده أفضل من الصلاة فى سائر مساجد الأنبياء بألف صلاة إلا المسجد الحرام؛ فيقتضى ذلك أن تكون الصلاة بمسجده أفضل من ألف صلاة فى بيت المقدس؛ لأنه من جملة مساجد الأنبياء، و لم يستثن، و يدل على ذلك ما رواه البزار عن أبى سعيد قال: ودّع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم رجل فقال له: أين تريد؟ قال: أريد بيت المقدس، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام، و أسنده يحيى بزيادة تسمية الرجل فقال: عن الأرقم أنه تجهز يريد بيت المقدس، فلما فرغ من جهازه جاء إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يودعه، و قال فيه: فجلس الأرقم و لم يخرج، و أسنده ابن النجار عن الأرقم بلفظه: إننى أريد الخروج إلى بيت المقدس، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: و لم؟ قلت: للصلاة فيه، قال: هاهنا أفضل من الصلاة هناك ألف مرة، و رواه الطبرانى برجال ثقات عن الأرقم بلفظ: صلاة هاهنا خير من ألف صلاة ثم.

و قد روى أبو يعلى برجال ثقات عن ميمونة قالت: يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس، قال: أرض المحشر، و أرض المنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة- أى فى غيره من مساجد الأنبياء قبله، و مساجد غير الأنبياء ما عدا المسجدين- لقيام الدليل على ذلك؛ فتكون الصلاة بمسجد المدينة خيرا من ألف ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام و المسجد الأقصى، فأما المسجد الأقصى فإنها أفضل من ألف صلاة فيه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳

فقط، و لا يعلم قدر زيادتها فى الفضل على ذلك إلا الله تعالى، و لمثل هذا تضرب آباط الإبل، و تستحق الرحلة، و لا يعكر على ذلك ما رواه أحمد برجال الصحيح عن أبى هريرة و عائشة قالا: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى» لأن المحفوظ إنما هو استثناء المسجد الحرام، و حديث أبى هريرة فى الصحيح خلا قوله: «إلا المسجد الأقصى» و هو معارض بما تقدم، و لأن الهيثمى أورده فى مجمع الزوائد ثم قال: رواه أحمد، و أعاده بعد هذا بسنده فقال: إلا المسجد الحرام، فاتضح بذلك ما قلناه.

و أما المسجد الحرام فاختلف الناس فى معنى استثنائه، فذهب مالك فى رواية أشهب عنه- و قاله ابن نافع صاحبه و جماعة من أصحابه- إلى أن معنى الاستثناء أن الصلاة فى مسجد الرسول أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بألف صلاة، إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف، و ذهب بعضهم إلى أن الصلاة فى مسجد المدينة أفضل من الصلاة فى مسجد مكة بمائة صلاة، و حمل على ذلك الاستثناء فى الحديث المتقدم، و احتجوا برواية سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى ما سواه» فيأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة، و على غيره بألف، و تعقّب بأن المحفوظ بالإسناد المتقدم «صلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا مسجد الرسول فإنما فضله عليه بمائة صلاة».

قلت: و روى الطبرانى فى الأوسط عن عائشة مرفوعا: «صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى غيره» لكن فيه سويد بن عبد العزيز، قال البخارى: فى حديثه نظر لا يحتمل، و قد صح ما يقتضى رد ما ذهب إليه هؤلاء؛ فقد روى أحمد و البزار و ابن خزيمة برجال الصحيح من طريق حبيب المعلم عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، و صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى هذا» زاد ابن خزيمة: «يعنى فى مسجد المدينة» لكن لفظ البزار: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام فإنه يزيد عليه بمائة» و هى محتملة لأن يكون الضمير فى «فإنه يزيد» لمسجده أو للمسجد الحرام، و قد صحح ابن عبد البر حديث

أحمد، و قال: هو الحجة عند التنازع، نص فى موضع الخلاف، قاطع له عند من ألهم رشده، و لم تمل به العصبية، قال: و لا مطعن فيه إلا لمتعسف لا يعرج على قوله فى حبيب، و قد كان الإمام أحمد يمدحه، و يوثقه، و يثنى عليه، و كان عبد الرحمن بن مهدى يحدث عنه، و لم يرو عنه القطان، و روى عنه أئمة ثقات يقتدى بهم، و منهم من أعله باختلاف على عطاء؛ لأن قوما يروونه عنه عن ابن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴

الزبير، و آخرين يروونه عنه عن ابن عمر، و آخرين عنه عن جابر، و من العلماء من يجعل مثل هذا علة فى الحديث، و ليس كذلك؛ لأنه يمكن أن يكون عن عطاء عنهم، و الواجب أن لا يدفع خبر نقله العدول إلا بحجة.

قال البزار: هذا الحديث قد روى عن عطاء، و اختلف على عطاء فيه، و لا نعلم أحدا قال بأنه يزيد على مسجد المدينة مائة إلا ابن الزبير، و قد تابع حبيبا المعلم الربيع بن صبيح؛ فرواه عن عطاء عن ابن الزبير، و رواه عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء عن ابن عمر، و رواه ابن جريج عن عطاء بن أبى سلمة عن أبى هريرة أو عائشة، و رواه ابن أبى ليلى عن عطاء عن أبى هريرة، انتهى.

و قال الذهبى فى مختصر سنن البيهقى: إسناده صالح، و لم يخرجه أصحاب السنن.

قلت: هذا أمر آخر، و هو أن الحديث المذكور لما اختلف لفظه على وجهين أحدهما ليس نصا فى الدلالة كما قدمناه احتمل أن تكون الرواية فى الواقع به، و من رواه بالوجه الآخر رواه بالمعنى بحسب فهمه، إلا أن وروده من الطرق الأخرى بذلك اللفظ توهن هذا الاحتمال، و على تقدير ثبوته فهو من ابن الزبير، و هو أعرف بفهم مرويه؛ لأن عبد الرزاق روى عن ابن جريج قال: أخبرنى سليمان بن عتيق و عطاء عن ابن الزبير أنهما سمعاه يقول: «صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيه» و يشير إلى مسجد المدينة، و قد قال ابن عبد البر: إن رجال إسناد حديث ابن عمر علماء أجلاء، و رواه ابن وضاح عن ابن الزبير من كلام عمر بن الخطاب بنفسه، قال ابن حزم: و سنده كالشمس فى الصحة، و روى ابن أبى خيثمة عن أبيه حدثنا مسلم عن الحجاج عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال:

الصلاة فى المسجد الحرام تفضل على مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بمائة ضعف، قال: فنظرنا فإذا هى تفضل على سائر المساجد بمائة ألف صلاة، قال ابن عبد البر و ابن حزم: فهذان صحابيان جليلان يقولان بفضل المسجد الحرام على مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و لا مخالف لهما من الصحابة؛ فصار كالإجماع منهم على ذلك.

و فى ابن ماجه من حديث جابر مرفوعا: «صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، و صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» و فى بعض النسخ: «من مائة صلاة فيما سواه» فعلى الأول معناه فيما سواه إلا مسجد المدينة، و على الثانى معناه من مائة صلاة فى مسجد المدينة لما تقدم عن جابر.

قلت: و قد روى يحيى حديث الصحيحين المتقدم عن جبير بن مطعم بلفظ: «إن صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد غير الكعبة» و فى رواية النسائى و غيره «إلا مسجد الكعبة» و لهذا ذهب بعضهم إلى أن المراد من المسجد الحرام

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵

الكعبة، و به قال العمرانى من أصحابنا و غيره، و روى البزار عن عائشة حديث: «أنا خاتم الأنبياء، و مسجدى خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار و تشد إليه الرواحل المسجد الحرام و مسجدى، و صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام».

و روى ابن ماجه مرفوعا برجال ثقات إلا أبا الخطاب الدمشقى فهو مجهول: «صلاة الرجل فى بيته بصلاة، و صلاته فى مسجد القبائل بخمس و عشرين صلاة، و صلاته فى المسجد الذى تجمع فيه بخمس مائة صلاة، و صلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، و صلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة، و صلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة» و هو يقتضى أن الصلاة بمسجد المدينة مساوية لمسجد بيت المقدس، و أنهما معا على النصف من الصلاة بالمسجد الحرام، و هو مخالف لما فى الصحيح، مع أن مفهوم

العدد ليس بحجة؛ فلا ينفى ما ثبت من الزيادة لمسجد المدينة على مسجد بيت المقدس سيما بالطريقة التى قدمناها.

و فى الطبرانى- و هو حسن، و فى بعض رجاله كلام- عن أبى الدرداء مرفوعا: «الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، و الصلاة فى مسجدى بألف صلاة، و الصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة» و رواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحوه، و البزار و حسنه، و قال المجد: أخرجه الترمذى و قال: حسن غريب، قال: و لا نعلم حديثا يشتمل على فضيلة الصلاة بالمساجد الثلاثة خصوصا سواه مما يصح عند الاعتبار معناه.

قلت: لم أره فى الترمذى، و قد ساقه ابن عبد البر محتجا به، و هو غير مانع مما قدمناه من كون الصلاة بمسجد المدينة أفضل من ألف صلاة بمسجد بيت المقدس؛ لأن العدد لا ينفى الزائد، و كذا حديث الأوسط للطبرانى برجال الصحيح عن أبى ذر: تذاكرنا و نحن عند رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أيما أفضل مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أو بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم:

«صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فيه، و لنعم المصلى هو» و قد يقال فى ذلك كما قيل فى نظائره من احتمال أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أخبر أولا ببعض ذلك بحسب ما أوحى إليه، ثم أعلم بالزيادة، و يكون حديث الأقل قبل حديث الأكثر، ثم تفضل الله بالأكثر شيئا بعد شيء، و محصله ما قررناه من الأخذ بالزائد، و يحتمل أن ينزل تلك الأعداد على اختلاف الأحوال؛ فالحسنة بعشر أمثالها إلى غير نهاية.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶

## هل فضل الصلاة فى المساجد الثلاثة يختص بالفرض؟

و نقل الزركشى فى أعلام المساجد عن الكبير للطبرانى بسند فيه مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «صلاة فى مسجدى هذا بعشرة آلاف صلاة، و صلاة فى المسجد الحرام بعشرة أمثالها مائة ألف صلاة، و صلاة الرجل فى بيت المقدس بألف صلاة، و صلاة الرجل فى بيته حيث لا يراه أحد أفضل من ذلك كله».

قلت: و هو ضعيف، و لم يورده الهيثمى فى مجمعه فى فضل الصلاة فى المساجد الثلاث.

و هذه المضاعفة المذكورة فى هذه المساجد لا- تختص بالفريضة، بل تعم الفرض و النفل، كما قال النووى فى شرح مسلم إنه المذهب.

قال الزركشى: و هو لازم تعليل الأصحاب استثناء النفل بمكة فى الأوقات المكروهة بمزيد الفضيلة.

و قال الطحاوى من الحنفية: هو مختص بالفرض، و فعل النوافل بالبيت أفضل، و إليه ذهب ابن أبى زيد من المالكية، و هو المرجح عندهم، و فرق بعضهم بين أن يكون المسجد خاليا أم لا.

فإن قيل: كيف تقولون إن المضاعفة تعم الفرض و النفل و قد تطابقت الأصحاب و نص الحديث الصحيح على أن فعل النافلة فى بيت الإنسان أفضل؟

قلنا: لا يلزم من المضاعفة فى المسجد أن يكون أفضل من البيت كما قاله الزركشى و غيره، و غاية الأمر أن يكون فى المفضول مزية ليست فى الفاضل، و لا يلزم من ذلك جعله أفضل؛ فإن للأفضل مزايا إن كان للمفضول مزية، و لهذا بحث التاج السبكى مع أبيه فى صلاة الظهر بمنى يوم النحر إذا جعلنا منى خارجة عن محل المضاعفة: هل يكون أفضل من صلاتها فى المسجد لأنه صلّى اللّه عليه و سلّم فعلها بمعنى يومئذ أو فى المسجد للمضاعفة؟ فقال والده: بل فى منى و إن لم يحصل بها المضاعفة؛ فإن فى الاقتداء بأفعال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ما يربو على المضاعفة، على أن الحافظ ابن حجر ذكر ما يقتضى إثبات المضاعفة للتنفل فى البيوت بالمدينة و مكة، عملا بعموم قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة» فقال: و قد تقدم النقل عن الطحاوى و غيره أن

ذلك- يعنى التضعيف- مختص بالفرائض؛ لحديث: «أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة» و يمكن أن يقال: لا مانع من إبقاء الحديث على عمومه؛ فتكون النافلة فى بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها فى البيت بغيرهما، و كذا فى المسجدين، و إن كانت فى البيوت أفضل مطلقا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷

## مرجع مضاعفة فضل الصلاة

ثم إن التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب بتلك الأعداد، لا إلى الإجزاء، باتفاق العلماء كما نقله النووى و غيره؛ فلو كانت صلوات فصلى فى أحد المسجدين صلاة لم تجزه إلا عن واحدة، و قد أوهم كلام أبى بكر النقاش فى تفسيره خلاف ذلك؛ فإنه قال: حسبت الصلاة فى المسجد الحرام فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عمر خمسة و خمسين سنة و ستة أشهر و عشرين ليلة، اه. و هذا مع قطع النظر عن التضعيف بالجماعة و السواك و نحوه، لكن هل تجمع التضعيفات أولا؟ محل بحث.

## هل يختص التضعيف بالصلاة؟

قلت: و ينبغى أن لا يختص هذا التضعيف بالصلاة، بل سائر أنواع الطاعات كذلك قياسا على ما ثبت فى الصلاة، كما صرحوا به فى مسجد مكة المشرفة، و صرح به فيما يتعلق بالمدينة صاحب الانتصار أبو سليمان داود من المالكية، ثم رأيته فى كلام الغزالى فى الإحياء كما قدمناه فى فضل الخصائص، و يشهد له ما فى الكبير للطبرانى عن بلال بن الحارث قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان، و جمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان» و نقل المجد عن أبى الفرج الأموى أنه أخرجه بسنده عن ابن عمر.

قلت: و رواه ابن الجوزى فى شرف المصطفى عن ابن عمر أيضا بلفظ: «صيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواها، و صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها».

و روى البيهقى عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «الصلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، و الجمعة فى مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام، و شهر رمضان فى مسجدى هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام» و رواه أيضا عن ابن عمر بنحوه.

و هذه الأحاديث و إن كانت ضعيفة فإذا ضمت إلى ما قدمناه من القياس على الصلاة ثم الاستدلال، و قد قدمنا فى حدود مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم الخلاف المذكور فى المراد بقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «صلاة فى مسجدى هذا»، و ترجيح أن ذلك يتناول ما زيد فيه.

و روى أحمد و الطبرانى فى الأوسط و رجاله ثقات عن أنس بن مالك حديث: «من صلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۸

فى مسجدى أربعين صلاة» زاد الطبرانى: «لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار، و براءة من العذاب، و برئ من النفاق». تقدم هذا الحديث بدون زيادة الطبرانى، و هو عند الترمذى بغير هذا اللفظ.

و روى ابن المنذر و ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إن من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدى فرجل تكتب حسنة و رجل تحط عنه خطيئة».

و قال البيهقى بعد ذكر حديث فضل مسجد قباء ما لفظه: و رواه يوسف بن طهمان عن أبى أمامة بن سهل عن أبيه عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و زاد: «و من خرج على طهر لا يريد إلا مسجدى هذا- يريد مسجد المدينة- ليصلى فيه كانت بمنزلة حجة» و قد أسند

ذلك ابن زبالة و من طريقه ابن النجار عن سهل أيضا، و فى إسناده طهمان أيضا، و هو ضعيف عند البخارى و ابن عدى، و ذكره ابن حبان فى الثقات، و لفظ ابن زبالة: «من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة» و أسند هو و يحيى عن سهل بن سعد حديث: «من دخل مسجدى هذا يتعلم فيه خيرا أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله، و من دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه و هو لغيره» و فى رواية لهما عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه: «من دخل مسجدى هذا لا- يدخله إلا- ليعمل خيرا أو يتعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله، و من دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة من يرى ما يعجبه و هو فى يدى غيره».

و روى ابن ماجه عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله، و من جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» و رواه الطبرانى من حديث سعد مرفوعا بمعناه، إلا أنه قال: «من دخل مسجدى ليتعلم خيرا أو ليعلمه» و رواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ الطبرانى لكن من حديث أبى هريرة.

و أسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم «من دخل مسجدى هذا لصلاة أو لذكر الله أو يتعلم خيرا أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله» و لم يجعل ذلك لمسجد غيره، و عند يحيى أيضا عن كعب أنه قال: «ما من مؤمن يغدو أو يروح إلى المسجد لا يغدو أو لا يروح إلا ليتعلم خيرا أو يعلمه أو يذكر الله أو يذكّر به إلا كان مثله فى كتاب الله كمثل الجهاد فى سبيل الله، و ما من رجل يغدو أو يروح إلى المسجد لا يغدو و لا يروح إلا لأخبار الناس و أحاديثهم إلا كان مثله فى كتاب الله كمثل الرجل يرى الشىء يعجبه و يرى المصلين و ليس منهم، و يرى الذاكرين و ليس منهم»، و عنده أيضا عن أبى سعيد المقبرى عن الثقة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «لا إخال إلا أن لكل رجل منكم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۹

مسجدا فى بيته» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فو الله لو صليتم فى بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم، و لو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سننه، و لو تركتم سننه إذا لضللتم».

و فى الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال فى غزوة خيبر: «من أكل من هذه الشجرة- يعنى: الثوم- فلا يقربن مسجدنا».

قال الكرمانى: قال التيمى: قال بعضهم: النهى إنما هو عن مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم خاصة، من أجل ملائكة الوحى، و الأكثر على أنه عام، انتهى. و قد حكى ابن بطال القول بالاختصاص عن بعض أهل العلم و وهّاه، و الله أعلم.

## الفصل السادس فى فضل المنبر المنيف، و الروضة الشريفة

### اشارة

روينا فى الصحيحين حديث عبد الله بن زيد المازنى رضى الله عنه: «ما بين بيتى و منبرى روضة من رياض الجنة» زاد البخارى من حديث أبى هريرة: «و منبرى على حوضى».

و روى أحمد و أبو يعلى و البزار و فيه على بن زيد و قد وثق عن جابر بن عبد الله مرفوعا:

«ما بين بيتى إلى منبرى روضة من رياض الجنة، و إن منبرى على ترعة من ترع الجنة».

و روى أحمد برجال الصحيح عن سهل بن سعد مرفوعا: «منبرى على ترعة من ترع الجنة» و فيه تفسير الترعة بالباب، و قيل: الترعة الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة، و قيل: الدرجة.

و رواه يحيى عن أبى هريرة و غيره بلفظ: «على رتعة من رتع الجنة» و كذا هو فى رواية لرزين، و ظنه بعضهم تصحيفا فكتب فى هامشه «صوابه ترعة» و ليس كذلك، بل معناه صحيح؛ إذ الرتع الاتساع فى الخصب، و الرّتعة- بسكون التاء و فتحها- الاتساع فى الخصب، و كل مخصب مرتع.

و فى الحديث: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، و روى البزار عن معاذ بن الحارث نحوه.

و فى الكبير للطبرانى من طريق يحيى الحمانى و هو ضعيف عن أبى واقد الليثى مرفوعا:

«قوائم منبرى رواتب فى الجنة» و رواه ابن عساكر و ابن النجار و يحيى عن أم سلمة، و قال المجد: أخرجه عنها النسائى، و فى رواية لابن عساكر: «وضعت منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة».

و أسند يحيى عن أبى المعلى الأنصارى و كانت له صحبة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال و هو على المنبر: «إن قدمى على ترعة من ترع الجنة».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۰

و عن أبى سعيد الخدرى: سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول و هو قائم على منبره: «أنا قائم الساعة على عقر حوضى» و فى رواية له: «إنى على الحوض الآن».

و أسند ابن زبالة عن نافع بن جبير عن أبيه حديث: «أحد شقى المنبر على عقر الحوض، فمن حلف عنده على يمين فاجرة يقتطع بها حق امرئ مسلم فليتبوأ مقعده من النار» قال: و عقر الحوض من حيث يصب الماء فى الحوض.

و فى سنن أبى داود من حديث جابر مرفوعا: «لا يحلف أحد عند منبرى هذا على يمين آثمة و لو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار، أو وجبت له النار»، و رواه ابن خزيمة و ابن حبان و الحاكم و صححوه.

و روى النسائى برجال ثقات عن أبى أمامة بن ثعلبة مرفوعا: «من حلف عند منبرى هذا يمينا كاذبة استحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا».

و فى الأوسط للطبرانى و فيه ابن لهيعة عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا: «منبرى على ترعة من ترع الجنة، و ما بين المنبر و بيت عائشة روضة من رياض الجنة».

و فى الصحيحين حديث ابن عمر: «ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة».

و روى أحمد برجال الصحيح عن أبى هريرة و أبى سعيد حديث: «ما بين بيتى و منبرى روضة من رياض الجنة، و منبرى على حوضى».

و روى البزار برجال ثقات عن سعد بن أبى وقاص حديث: «ما بين بيتى و منبرى، أو قبرى و منبرى، روضة من رياض الجنة» و فى الأوسط للطبرانى و فيه متروك عن أنس بن مالك حديث: «ما بين حجرتى و مصلاى روضة من رياض الجنة» و فى رواية لابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها «ما بين منبرى و المصلى» و فى رواية «ما بين مسجدى إلى المصلى روضة من رياض الجنة» و رواه أبو طاهر بن المخلص فى انتقائه و يحيى فى أخبار المدينة بلفظ: «ما بين بيتى و مصلاى روضة من رياض الجنة» قال جماعة: المراد به مصلى العيد، و قال آخرون: مصلاه الذى يصلى فيه فى المسجد، كذا قاله الخطابى.

قلت: و يؤيد الأول أن فى النسخة التى رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى عقب الحديث المذكور ما لفظه: قال أبى: سمعت غير واحد يقولون: إن سعدا لما سمع هذا الحديث من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بنى داره فيما بين المسجد و المصلى، و كذا ما سيأتى فى مصلى العيد من رواية ابن شبة عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص.

قلت: و هو شاهد لما سيأتى من عموم الروضة لجميع مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و لما زيد فيه من جهة المغرب.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۱

و روى عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند برجال الصحيح إلا أن فيهم فليحا- و قد روى له الجماعة، و قال الحاكم: اتفاق الشيخين عليه يقوى أمره، و قال الساجى: ذكره ابن حبان فى الثقات، و قال الدارقطنى: فليح يختلفون فيه، و قال بعضهم: إنه كثير الخطأ- عن عبد الله بن زيد المازنى قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما بين هذه البيوت- يعنى بيوته- إلى منبرى روضة من رياض الجنة، و المنبر على ترعة من ترع الجنة».

## معنى كون المنبر على الحوض

و قد اختلف فى معنى ذلك؛ فقال الخطابى: معنى قوله: «و منبرى على حوضى» أن قصد منبره و الحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض و يوجب الشرب منه، و هذا قول الباقى، و الثانى: أن منبره الذى كان يقوم عليه صلّى اللّه عليه و سلّم يعيده الله كما يعيد سائر الخلائق، و يكون على حوضه فى ذلك اليوم، و اعتمد ذلك ابن النجار، و حكى ابن عساكر القول بأن المراد منبره بعينه الذى كان فى الدنيا، ثم قال: و هو أظهر، و عليه أكثر الناس، فتبع شيخه ابن النجار فى ذلك، و الثالث أن المراد منبر يخلقه الله تعالى له فى ذلك اليوم، و يجعله على حوضه.

قلت: و يظهر لى معنى رابع، و هو أن البقعة التى عليها المنبر تعاد بعينها فى الجنة، و يعاد منبره ذلك على هيئة تناسب ما فى الجنة؛ فيجعل المنبر عليها عند عقر الحوض، و هو مؤخره، و عن ذلك عبر بترعة من ترع الجنة، و ذكر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ذلك لأمته للترغيب فى العمل فى هذا المحل الشريف ليفضى بصاحبه إلى ذلك، و هذا فى الحقيقة جمع بين القولين الأولين، و سيأتى فى الزيارة ما ذكره ابن عساكر من أن الزائر يأتى المنبر الشريف، و يقف عنده، و يدعو.

## معنى أن الروضة من رياض الجنة

و اختلفوا أيضا فى معنى ما جاء فى الروضة الشريفة، قال الحافظ ابن حجر: محصل ما أول به العلماء ذلك أن تلك البقعة كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة و حصول السعادة بما يحصل فيها من ملازمة حلق الذكر، لا سيما فى عهده صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فيكون مجازا، أو المعنى أن العبادة فيها تؤدى إلى الجنة، فيكون مجازا أيضا، أو هو على ظاهره، و أن المراد أنها روضة حقيقة بأن ينقل ذلك الموضع إلى الجنة؛ ثم قال: و هذه الأقوال على ترتيبها هذا فى القوة، و هو محتمل لتقوية الأول أو الأخير، و الأخير أقواها عندى، و هو الذى ذهب إليه ابن النجار، و نقله البرهان ابن فرحون فى منسكه عن ابن الجوزى و غيره عن مالك، فقال:

و قوله: «ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة» حمله مالك رحمه الله على ظاهره، فنقل عنه ابن الجوزى و غيره أنها روضة من رياض الجنة تنقل إلى الجنة، و أنها ليست كسائر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۲

الأرض تذهب و تفنى، و وافقه على ذلك جماعة من العلماء، انتهى و نقله الحطيب ابن حملة عن الداروردى، و صححه ابن الحاج فى مدخله؛ لأن العلماء فهموا من ذلك مزية عظيمة لهذا المحل.

ثم رأيت فى كلام الحافظ ابن حجر ترجيحه فى موضع آخر، فقال فى الكلام على الحوض: و المراد بتسمية ذلك الموضع روضة أن تلك البقعة تنقل إلى الجنة فتكون روضة من رياضها، أو أنها على المجاز لكون العبادة فيه تؤول إلى دخول العابد روضة الجنة، ثم قال:

و هذا فيه نظر؛ إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة، و الخبر مسوق لمزيد شرف تلك البقعة على غيرها، انتهى.

قلت: و أحسن من ذلك ما ذهب إليه ابن أبى جمرة من الجمع بين هذا و ما قبله، و منه استنبطنا ما قدمناه فى أمر المنبر، فإنه لم يعول على ذكر المعنى الأول و قال بعد ذكر المعنيين الأخيرين: الأظهر- و الله أعلم- الجمع بين الوجهين؛ لأن لكل منهما دليلا يعضده، أما

الدليل على أن العمل فيها يوجب الجنة فلما جاء فى فضل مسجدها من المضاعفة، و لهذه البقعة زيادة على باقى بقعه، و أما الدليل على كونها بعينها فى الجنة فلإخباره صلّى اللّه عليه و سلّم بأن المنبر على الحوض، لم يختلف أحد من العلماء أنه على ظاهره؛ و أنه حق محسوس موجود على حوضه.

قلت: و فيه نظر؛ لما قدمناه.

قال: و قد تقرر فى قواعد الشرع أن البقع المباركة ما فائدة بركتها لنا و الإخبار بذلك إلا تعميرها بالطاعات؛ قال: و يحتمل وجها ثالثا؛ و هو أن تلك البقعة نفسها روضة من رياض الجنة كما أن الحجر الأسود من الجنة؛ فيكون الموضع المذكور روضة من رياض الجنة الآن؛ و يعود روضة فى الجنة كما كان؛ و يكون للعامل بالعمل فيه روضة فى الجنة؛ قال:

و هو الأظهر؛ لعلو مكانته عليه السلام؛ و ليكون بينه و بين الأبوة الإبراهيمية فى هذا شبه، و هو أنه لما خص الخليل بالحجر من الجنة خص الحبيب بالروضة منها.

قلت: و هو من النّفاسة بمكان، و فيه حمل اللفظ على ظاهره، إذ لا مقتضى لصرفه عنه، و لا يقدح فى ذلك كونها تشاهد على نسبة رياض الدنيا فإنه ما دام الإنسان فى هذا العالم لا ينكشف له حقائق ذلك العالم لوجود الحجب الكثيفة و اللّه أعلم.

و تخصيص ما أحاطت به البينية المذكورة بذلك إما تعبد و إما لكثرة تردده صلّى اللّه عليه و سلّم بين بيته و منبره و قرب ذلك من قبره الشريف الذى هو الروضة العظمى كما أشار إليه ابن أبى جمرة أيضا.

و قال الجمال محمد الراسانى الريمى: اتفقوا على أن هذا اللفظ معقول المعنى، مفهوم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۳

الحكمة، و إنما اختلفوا فى ذلك المعنى ما هو، فقيل: اللفظ على حقيقته، و إن ذلك روضة من رياض الجنة بمعنى أنه بعينه نقل من الجنة، أو أنه سينقل إليها، و قيل: مجاز معناه أن العبادة فيه تؤدّى إلى الجنة، أو لما ينزل فيه من الرحمة و حصول المغفرة، كما سمى مجالس الذكر رياض الجنة فى حديث: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» و فى رواية لأبى هريرة:

«قلت: ما رياض الجنة؟ قال: المساجد، قلت: و ما الرتع؟ قال: سبحان اللّه، و الحمد للّه، و لا إله إلا اللّه و اللّه أكبر».

و قال ابن عبد البر: لما كان صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس فى ذلك الموضع و يجلس الناس إليه للتعلم شبّهه بالروضة؛ لكريم ما يجتنى فيه، و أضافها إلى الجنة لأنها تؤول إلى الجنة، كقوله: «الجنة تحت ظلال السيوف» أى أنه عمل يدخل الجنة.

و قال الخطابى: روضة من رياض الجنة بالطاعة فيه، كقوله: «عائد المريض فى مخرفة الجنة» أى يرجى له بذلك مخرفة الجنة؛ فأطلق اسم المسبب على سببه كقوله: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

هذا ما نقله الخطيب ابن حملة من المعانى، ثم تعقب الأخير بأنه لا يبقى حينئذ لهذه الروضة مزية، و قد فهم الناس من ذلك المزية العظيمة التى بسببها فضلها مالك على سائر البقاع.

و قد تعقب الجمال الريمى الخطيب فى ذلك، و قال: أظهر المعانى تضعيف أجر الطاعات، و تعليم الناس وجوه الخير؛ لاتفاق الخطابى و ابن عبد البر عليه، و هما عمدة الأمة فى فقه الحديث، و لأن النظائر تؤيده، و أما المعنيان الآخران فلم يعزهما الخطيب إلى أحد، فدل على ضعفهما، و لم يذكر عياض القول بأن هذا الموضع بعينه نقل من الجنة، و ذكر ما عداه، فدل على شذوذه؛ لأن مثل هذا طريقه التوقيف كما جاء فى الركن و المقام، على أن القول به يؤدى إلى إنكار المحسوسات أو الضروريات، و جواب ما ذكره الخطيب أن المزية ظاهرة، و هو أن العمل فى النظائر المتقدمة يؤدى إلى رياض الجنة، و العمل فى هذا المحل يؤدى إلى روضة أعلى من تلك الرياض.

قلت: إنما حمله على هذا ذهابه إلى أن اسم الروضة يعم جميع مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم، و أنه إذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۴

ثبت لما زيد فيه حكم المضاعفة تعدى ذلك إليه، فاختار كون التسمية بذلك مجازية، و وضع فى ذلك كتابا سماه «دلالات المسترشد، على أن الروضة هى المسجد» و قد صنف الشيخ صفى الدين الكازرونى المدنى مصنفا فى الرد عليه، و قد لخصتهما مع سلوك طريق الإنصاف بينهما فى كتابى الموسوم: «بدفع التعرض و الإنكار، لبسط روضة المختار» و سنذكر الصواب فى ذلك، و استدلاله على ضعف القول بأن ذلك الموضع بعينه نقل من الجنة بأن عياضا لم يذكره عجيب لاحتمال أنه لم يطلع عليه، و قوله: «إن ذلك طريقه التوقيف كما جاء فى الركن» فنقول: أى توقيف أعظم من إخبار الصادق المصدوق بذلك؟ و هو المخبر بأمر الركن و المقام، و الأصل فى الإطلاق الحقيقة، فكيف سلمه فى الركن و المقام و لم يسلمه هنا؟ و الذى فهمه العلماء من الحديث أن هذا الموضع روضة، سواء كان به ذاكرون و مصلون أم لم يكن، بخلاف حلق الذكر مثلا، فإن ذلك يزول عنها بقيامهم، فالروضة ما هم فيه بخلاف هذه، و لهذا فسر الرتع هناك بالذكر، و المراد فى حديث: «الجنة تحت أقدام الأمهات» أن لزوم خدمتهن تؤدى إليها، و قوله: «إن القول بذلك يؤدى إلى ما ذكره» عجيب، و قد قدمنا السبب المانع من شهود ذلك على حقيقته، و أى حسن أحسن من القول بأن ذلك روضة من الجنة أكرم الله به نبيه؟ و يؤيده أحاديث المنبر المتقدمة و ما سيأتى فى أحد و عير؛ إذ لم يقل أحد إن المراد أن المتعبد عند أحد يفضى به ذلك إلى الجنة، و المتعبد عند عير يفضى به ذلك إلى النار، و أما قوله فى بيان المزية: «إن العمل فى ذلك المحل يؤدى إلى روضة أعلى» فليس فى الحديث وصفه بأنه أعلى الرياض، بل أطلق ذلك، فإذا ثبت ذلك لغيره فلا خصوصية، بل قد يقول الذاهب إلى تفضيل مكة: إن العمل فيها يؤدى إلى روضة أعلى و أفضل، و لظهور مزية تلك البقعة على غيرها بذلك استدل به بعض الأئمة على تفضيل المدينة على مكة بإضافة حديث «لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها» و تعقبه ابن حزم بأن جعلها من الجنة إنما هو على سبيل المجاز، إذ لو كانت حقيقة لكانت كما وصف الله الجنة: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى [طه: ۱۱۸] قال: و إنما المراد أن الصلاة فيها تؤدى إلى الجنة كما يقال فى اليوم الطيب: هذا يوم من أيام الجنة.

قلت: لا يلزم من ثبوت عدم الجوع و العرى لمن حل فى الجنة ثبوته لمن حل فى شىء أخرج منها؛ إذ يلزمه أن ينفى بذلك عن حجر المقام كونه من الجنة حقيقة، و لا قائل به، و مسألة عموم الروضة لجميع مسجده صلّى اللّه عليه و سلّم ذات خلاف؛ فقد قال الأقشهرى: سئل أبو جعفر بن نصر الداودى المالكى عن قوله: «ما بين بيتى و منبرى روضة» فقال: هو روضة كله، و نقل الريمى عن الخطيب ابن حملة أنه قال: قوله «ما بين بيتى» مفرد مضاف قد يفيد العموم فى بيوته، ثم ذكر بيان مكان بيوته، ثم قال: و لهذا قال السمعانى فى أماليه: لما فضّل الله مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و شرفه و بارك فى العمل فيه و ضعفه سماه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۵

روضة من رياض الجنة، فتراه جعل المسجد كله روضة، و المشهور أن المراد بيت خاص، و هو بيت عائشة رضى الله عنها؛ للرواية الأخرى «ما بين قبرى و منبرى» قال ابن خزيمة:

أراد بقوله ما بين بيتى الذى أقبر فيه؛ إذ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قبر فى بيته الذى كانت تسكنه عائشة، قال الخطيب: فعلى هذا تسامت- يعنى الروضة- حائط الحجرة من القبلة و الشمال من جهة الحجرة، و لا تزال تقصر إلى جهة المنبر، أو توجد المسامتة مستوية فلينظر، هذا كله كلام الخطيب.

قلت: فتلخص من ذلك ثلاثة آراء: الأول: أنها المسجد الموجود فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، الثانى:

أنها ما سامت المنبر و الحجرة فقط، فتتسع من جهة الحجرة و تضيق من جهة المنبر لما تقدم فى مقداره، و تكون منحرفة الأضلاع لتقدم المنبر فى جهة القبلة و تأخر الحجرة فى جهة الشام، فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعاه على قدر المنبر، الثالث: أنها ما سامت كلا من طرفى الحدين، فتشمل ما سامت المنبر من مقدم المسجد فى جهة القبلة و إن لم يسامت الحجرة، و يشمل ما سامت الحجرة من جهة الشمال، و إن لم يسامت المنبر، فتكون مربعة، و هى الأروقة الثلاثة: رواق المصلى الشريف، و الرواقان بعده، و ذلك هو

مسقف مقدم المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، لأنه قد تحرر لنا فى هذه العمارة التى أدركناها أن صف أسطوان الوفود- و هى التى كانت إلى رحبة المسجد كما سيأتى- واقع خلف الحجرة سواء، حتى إن الأسطوانة التى تلى مربعة القبر فى صفها الداخلة فى الزور بعضها داخل فى جدار الحجرة الشامى كما سيأتى بيانه.

و أما أدلة هذه الأقوال فقد استدل الريمى للأول بأشياء غالبها ضعيف مبناه على أن إطلاق الروضة من قبيل المجاز لما فى ذلك من المضاعفة و نحوه، و أحسنها ما أشار إليه الخطيب ابن حملة و أيده الريمى بأشياء، فقال: قوله «بيتى» من قوله «ما بين بيتى» مفرد مضاف، فيفيد العموم فى سائر بيوته صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد كانت بيوته مطيفة بالمسجد من القبلة و المشرق- و فيه بيت عائشة- و الشام كما سيأتى عن ابن النجار و غيره، و لم يكن منها فى جهة المغرب شىء، فعرف الحد من تلك الجهة بالمنبر الشريف، فإنه كان فى آخر جهة المغرب بينه و بين الجدار يسير؛ لأن آخره من تلك الجهة الأسطوانة التى تلى المنبر، و المنبر على ترعة من ترع الجنة، فقد حدد الروضة بحدود المسجد كلها.

قلت: و هو مفرع على ما ذكره ابن النجار فى تحديد المسجد من جهة المغرب، و قد مشيت عليه فى تواليفى قبل أن أقف على ما قدمته فى حد المسجد، و قد مشى على ذلك الزين المراغى فقال: ينبغى اعتقاد كون الروضة لا تختص بما هو معروف الآن، بل تتسع إلى حد بيوته صلّى اللّه عليه و سلّم من ناحية الشام، و هو آخر المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فيكون كله روضة، و هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۶

إذا فرعنا على المفرد المضاف للعموم، و قد رجحه فى كتب الأصول جماعة، ثم ذكر ما تقدم.

قلت: وفاتهم الجميع الاستدلال بحديث زوائد مسند أحمد المتقدم بلفظ «ما بين هذه البيوت» يعنى بيوته «إلى منبرى روضة من رياض الجنة» و العجب أن المعتنين بأمر الروضة لم يذكروه، مع أن فيه غنية عن التمسك بكون المفرد المضاف يفيد العموم، فقد ناقش الصفى الكازرونى فى ذلك بأشياء: منها أن رواية «ما بين قبرى و منبرى» بينت المراد من البيت المضاف. قلت: ليته قال رواية: «ما بين المنبر و بيت عائشة» لأنه يلزم عليه أن يكون الروضة بعرض القبر فقط، و التخصيص بذلك بعيد، و من قال: «إن المراد من البيت القبر» ليس مراده و الله أعلم إلا أن رواية القبر لعدم إبهامها تعين البيت، و لعله مراد الصفى، و لهذا قال الطبرى: و إذا كان قبره صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيته اتفقت معانى الروايات، و لم يكن بينها خلاف، انتهى، و لك أن تقول: رواية «قبرى» و رواية «حجرة عائشة» من قبيل إفراد فرد من العام، و ذكره بحكم العام، و هو لا يقتضى التخصيص على الأصح، بل يقتضى الاهتمام بشأن ذلك الفرد، على أن القرطبى قال: الرواية الصحيحة «بيتى» و يروى «قبرى» و كأنه بالمعنى، و الله أعلم.

و منها: أن القرافى حمل إطلاق عموم اسم الجنس على ما يقع منه على القليل و الكثير كالماء و المال، بخلاف ما لا يصدق إلا على الواحد كالعبد و البيت و الزوجة فلا يعم، و لهذا لو قال عبدى حر أو امرأتى طالق لا يعم سائر عبيده و نسائه، قال: و لم أره منقولا.

قلت:

قال التاج السبكى: خالف بعض الأئمة فى تعميم اسم الجنس المعرف و المضاف، و الصحيح خلافه، و فصل قوم بين أن يصدق على القليل و الكثير فيعم، أو [لا] فلا، و اختاره ابن دقيق العيد، انتهى.

فقد جعل ما بحثه القرافى وجها ثالثا مفصلا، و ذلك يأبى حمل إطلاق المطلقين عليه، فما بحثه منقول، لكن الصحيح خلافه، و ما استدل به من عدم عموم عبدى حر و امرأتى طالق جوابه من أوجه ذكرناها فى دفع التعرض، و أحسنها ما أشار إليه الأسنوى من أن عدم العموم فى ذلك لكونه من باب الأيمان، و الأيمان يسلك فيها مسلك العرف، انتهى. و نقل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۷

الأزرقى فى نفائسه عن ابن عبد السلام أنه قال: الذى تبين لى طلاق الجميع و عتق الجميع، و فى كتب الحنابلة نص أحمد على أنه لو قال من له زوجتان أو عبيد «زوجتى طالق، أو عبدى حر» و لم ينو معيّنا، وقع الطلاق و العتق على الجميع، تمسكا بالقاعدة المذكورة،

فقد جرى ابن عبد السلام و الحنابلة على مقتضى ذلك؛ فهذه الطرق من أحسن الأدلة، و لكن على شمول الروضة لما بين المنبر و البيوت الشريفة فهو رأى آخر، و قد قدمنا من الحديث ما يصرح به، و يؤيده ما أشار إليه الريمى من أن المقتضى لكون ذلك روضة كثرة تردده صلّى اللّه عليه و سلّم فيه، و كان يصلى قبل تحويل القبلة فى طرفه الذى يلى الشام، و متهجّده كما سيأتى فى جهة المشرق إلى الشام أيضا، و منبره الشريف فى نهاية هذا الموضع المحدود من جهة المغرب، و مصلاه الشريف بمقدمه و به الأساطين الآتية ذوات الفضل.

و أما الرأى الثانى فدليله التمسك بظاهر لفظ البينية الحقيقية، و حمل البيت على حجرة عائشة رضى الله عنها، و يضعفه أن مقدم المصلى الشريف يلزم خروجه عن اسم الروضة حينئذ؛ لخروجه عن موازاة طرفى المنبر و الحجرة، مع أن الظاهر أن معظم السبب فى كون ذلك روضة تشرفه بجبهته الشريفة، على أنى لم أر هذا القول لأحد، و إنما أخذته من تردد الخطيب ابن حملة المتقدم.

و أما الرأى الثالث فهو ظاهر ما عليه غالب العلماء و عامة الناس، و وجهه حمل البيت على ما فى الرواية الأخرى من ذكر حجرة عائشة، و جعل ما تقدم فى أمر خروج مقدم المصلى الشريف دليلا على أن المراد من البينية ما حاذى واحدا من الطرفين، و أن المراد مقدم المسجد المنتهى من جهة مؤخر الحجرة الشريفة لصف أسطوان الوفود كما قدمناه، و فى كلام الأقشهرى إشارة له، و هذا إنما علمناه فى العمارة التى سنذكرها، و لم يكن معلوما قبل ذلك، و لهذا قال المجد فى الباب الأول فى فصل الزيارة من كتابه ما لفظه: ثم يأتى- يعنى الزائر- إلى الروضة المقدسة، و هى ما بين القبر و المنبر طولا، و لم أر من تعرض له عرضا، و الذى عليه غلبة الظنون أنه من المحراب إلى الأسطوانة التى تجاهه، و أنا لا أوافق على ذلك، و قد بينته فى موضعه من هذا الكتاب، و ذكرت أن الظاهر من لفظ الحديث يقتضى أن يكون أكثر من ذلك؛ لأن بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بجميع مرافق الدار كان أكثر من هذا المقدار، انتهى.

و لم يذكر فى الموضع الذى أحال عليه شيئا، و قوله «من المحراب إلى الأسطوانة التى تجاهه» كأنه يريد به الأسطوان المخلق و ما حاذاها؛ فتكون الروضة على ذلك التقدير الرواق الأول منها فقط، و هو غلط؛ لأن الحجرة الشريفة متأخرة عن ذلك لجهة الشام؛ وصف

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۸

الأسطوان المذكور محاذ لطرف جدارها القبلى. و قال ابن جماعة: قد تحرر لى طول الروضة، و لم يتحرر لى عرضها، يريد أن طولها من المنبر إلى الحجرة، و هو كما قال ابن زبالة ثلاثة و خمسون ذراعا و شبرا، و قال فى موضع آخر: أربعة و خمسون ذراعا و سدس.

قلت: و ما ذكره أولا أقرب إلى الصواب كما اختبرناه، فإنى ذرعت بحبل من صفحة المنبر القبلية إلى طرف الحجرة القبلية فكان ثلاثة و خمسين ذراعا.

و ذكر ابن جماعة ذراعا أقل من هذا، و كأنه ذرع على الاستقامة، و لم يعتبر الذرع من الطرفين المذكورين، فقال: و ذرعت ما بين الجدار الذى حول الحجرة الشريفة و بين المنبر فكان أربعا و ثلاثين ذراعا و قيراطا بذراع العمل. قلت: و ذلك نحو اثنين و خمسين ذراعا بذراع اليد الذى قدمنا تحريره، و أما قول من قال: «إن طول الروضة اليوم ينقص عن خمسين ذراعا بثلثى ذراع» فلا وجه له إلا أن يكون اعتبر بذراع اليد المفرط الطول، و الله أعلم.

و أما نهاية الحجرة فلم تكن معلومة لابن جماعة و غيره، و عليها يتوقف بيان العرض، و لهذا قال الريمى: لا ندرى الحجرة فى وسط البناء المحيط بها أم لا؟ و لا ندرى إلى أين ينتهى امتدادها؟ و غالب الناس يعتقدون أن نهايتها فى محاذاة أسطوان على رضى الله عنه، و لهذا جعلوا الدرابزين الذى بين الأساطين ينتهى إلى صفها، و اتخذوا الفرش لذلك فقط، و الصواب ما قدمناه؛ فقد انجلى الأمر و لله الحمد.

## الفصل السابع فى الأساطين المنيفة الأسطوان المخلق

## اشارة

منها الأسطوان الذى هو علم على المصلى الشريف، و يعرف بالمخلق، و قد قدمنا قول ابن زبالة «المخلق نحو من ثلثيها» و قول ابن القاسم «إن المصلى الشريف حيث الأسطوان المخلق» و بينا أن المراد أنها أقرب أسطوان إليه، و أن الجذع الذى كان يخطب إليه صلّى اللّه عليه و سلّم و يتكئ عليه كان هناك، و أن الأسطوان الموجود اليوم متقدم على المحل الأول، و أن المحل الأصلى هو موضع كرسى الشمعة التى عن يمين الإمام الواقف فى المصلى الشريف، فمن أراد التبرك بذلك فليصل هناك.

و روى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد أنه كان يأتى مع سلمة بن الأكوع إلى سبحة الضحى، فيعمد إلى الأسطوان دون المصحف فيصلى قريبا منهما، فأقول: أ لا تصلى هاهنا؟

و أشير له إلى بعض نواحى المسجد، فيقول: إنى رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يتحرى هذا المقام، و هذا الحديث فى الصحيحين، و لفظ البخارى «كنت آتى مع سلمة بن الأكوع، فيصلى عند الأسطوان التى عند المصحف، فقلت: يا أبا سلمة أراك تتحرى الصلاة عند هذه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۳۹

الأسطوانة، قال: فإنى رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يتحرى الصلاة عندها» و لفظ مسلم عن سلمة أنه كان يتحرى موضع المصحف يسبح فيه، و ذكر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يتحرى ذلك، و قد قدمنا فى الكلام على المصلى الشريف ما يبين أن المراد هذه الأسطوانة.

## أسطوان القرعة

و منها أسطوان القرعة، و تعرف بأسطوان عائشة رضى الله عنها، و بالأسطوان المخلق أيضا، و بأسطوان المهاجرين.

روينا فى كتاب ابن زبالة عن إسماعيل بن عبد الله عن أبيه أن عبد الله بن الزبير و مروان بن الحكم و ثالثا كان معهما دخلوا على عائشة رضى الله عنها فتذاكروا المسجد، فقالت عائشة: إنى لأعلم سارية من سوارى المسجد لو يعلم الناس ما فى الصلاة إليها لاضطربوا عليها بالسهمان، فخرج الرجلان و بقى ابن الزبير عند عائشة، فقال الرجلان: ما تخلف إلا ليسألها عن السارية، و لئن سألها لتخبرنه، و لئن أخبرته لا يعلمنا، و إن أخبرته عمد لها إذا خرج فصلى إليها، فاجلس بنا مكانا نراه و لا يرانا، ففعلا، فلم ينشب أن خرج مسرعا فقام إلى هذه السارية فصلى إليها متيامنا إلى الشق الأيمن منها، فعلم أنها هى، و سميت أسطوانة عائشة بذلك، و بلغنا أن الدعاء عندها مستجاب، هذا لفظ ابن زبالة.

و فى الأوسط للطبرانى عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إن فى مسجدى لبقعة قبل هذه الأسطوانة لو يعلم الناس ما صلوا فيها إلا أن تطير لهم قرعة، و عند عائشة جماعة من أبناء الصحابة فقالوا: يا أم المؤمنين و أين هى؟ فاستعجمت عليهم، فمكثوا عندها ساعة ثم خرجوا و ثبت عبد الله بن الزبير فقالوا: إنها ستخبره بذلك المكان، فارقبوه فى المسجد حتى تنظروا حيث يصلى، فخرج بعد ساعة فصلى عند الأسطوانة التى صلى إليها عامر بن عبد الله بن الزبير، فقيل لها: أسطوانة القرعة.

قال عتيق: و هى الأسطوانة التى هى واسطة بين القبر و المنبر: عن يمينها إلى المنبر أسطوانتان، و بينها و بين القبر أسطوانتان، و بينها و بين الرحبة أسطوانتان، و هى واسطة بين ذلك، و هى تسمى أسطوانة القرعة، هذا لفظ الأوسط.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۰

و قال ابن زبالة: حدثنى غير واحد من أهل العلم منهم الزبير بن حبيب أن الأسطوان التى تدعى أسطوان عائشة هى الثالثة من المنبر، و الثالثة من القبر، و الثالثة من القبلة، و الثالثة من الرحبة، أى قبل زيادة الرواقين الآتى ذكرهما المتوسطة للروضة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صلى إليها بضع عشرة المكتوبة ثم تقدم إلى مصلاه الذى وجاه المحراب فى الصف الأوسط، أى الرواق الأوسط، و أن أبا بكر

و عمر و الزبير بن العوام و عامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها، و أن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، و كان يقال لذلك المجلس مجلس المهاجرين، انتهى.

و قد ذكر ابن النجار هذه الرواية عن الزبير بن حبيب، و زاد: و قالت عائشة فيها: لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالسهمان، فسألوها عنها فأبت أن تسميها، فأصغى إليها ابن الزبير فسارّته بشيء، ثم قام فصلى إلى التى يقال لها أسطوان عائشة، قال: فظن من معه أن عائشة أخبرته أنها تلك الأسطوانة، فسميت أسطوان عائشة، قال: و أخبرنى بعض أصحابنا عن زيد بن أسلم قال: رأيت عند تلك الأسطوانة موضع جبهة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم رأيت دونه موضع جبهة أبى بكر، ثم رأيت دون موضع جبهة أبى بكر موضع جبهة عمر، و يقال: الدعاء عندها مستجاب، هذا لفظ رواية ابن النجار عقب ما قدمناه من رواية ابن زبالة. و زاد فيما ذكره ابن زبالة عقب قوله: «إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى إليها المكتوبة بضع عشرة، ثم تقدم إلى مصلاه اليوم» ما لفظه: و كان يجعلها خلف ظهره، قلت: و لم أره فى كلام غيره، و الظاهر أن مراده أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يستند إليها إذا جلس هناك، لا أنه يجعلها خلف ظهره إذا صلى؛ لما ذكره عن زيد بن أسلم من أنه رأى موضع جبهة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عندها، و وصف هذه الأسطوانة بالمخلقة يؤخذ مما تقدم عن ابن زبالة من قول أبى هريرة «و كان مصلاه صلّى اللّه عليه و سلّم الذى يصلى فيه بالناس إلى الشام من مسجده أن تضع موضع الأسطوان المخلقة خلف ظهرك ثم تمشى إلى الشام» إلى آخر ما تقدم قلت: و هذه الأسطوان بصف الأساطين التى خلف الإمام الواقف بالمصلى الشريف، و هى الثالثة من القبلة و كانت الثالثة أيضا من رحبة المسجد كما تقدم، و ذلك قبل أن يزاد فى مسقف مقدم المسجد الرواقان الآتى بيانهما فى رحبته، و بهما صارت خامسة من الرحبة.

## أسطوان التوبة

و منها أسطوان التوبة، و تعرف بأسطوان أبى لبابة بن عبد المنذر أخى بنى عمرو بن عوف الأوسى أحد النقباء، و اسمه رفاعة، و قيل غير ذلك، سميت به لأنه ارتبط إليها حتى أنزل الله توبته كما قدمناه فى غزوة بنى قريظة.

و قال الأقشهرى: اختلف أهل السير و التفسير فى ذنب أبى لبابة، فقال قوم: كان من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۱

الذين تخلفوا عن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى غزوة تبوك، و قال ابن هشام تبعا لابن إسحاق: سببه قضية بنى قريظة و استشارتهم إياه، و أسند يحيى عن عبد الرحمن بن يزيد قصته معهم، و أنهم قالوا له: أ ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، و أشار بيده إلى حلقه، و هو الذبح. و فى رواية أخرى أنه لما جاءهم قام إليه الرجال، و أجهش إليه النساء و الصبيان يبكون فى وجهه، فرق لهم، فكان منه ما تقدم، قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماى حتى علمت أنى خنت الله و رسوله. قال يحيى فى الرواية المتقدمة: فلم يرجع إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و مضى إلى المسجد، و ارتبط إلى جذع فى موضع أسطوانة التوبة، و أنزل الله عز و جل فيه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا- تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال: ۲۷] و فى رواية: فربط نفسه فى السارية، و حلف لا يحل نفسه حتى يحله رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أو تنزل توبته، قال: فجاءت فاطمة رضى الله عنها تحله، فقال: لا، حتى يحلنى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: إنما فاطمة بضعة منى، و فى رواية لابن النجار أن أبا لبابة عاهد الله تعالى أن لا يطأ بنى قريظة أبدا، و قال:

لا يرانى الله فى بلد خنت الله و رسوله فيه أبدا، و أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال لما بلغه خبره- و كان قد استبطأه- «أما لو جاءنى لاستغفرت الله له، فاما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه» فأنزلت توبته و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى بيت أم سلمة، قالت:

فسمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من السحر يضحك، فقلت: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال:

تيب على أبى لبابة، قلت: أ لا أبشره بذلك يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال: فثار الناس إليه ليطلقوه، قال: لا و الله حتى يكون رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم هو الذى يطلقنى بيده، فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.

و روى البيهقى فى الدلائل عن سعيد بن المسيب قصة أبى لبابة فى بنى قريظة، و أنه تخلف فى غزوة تبوك، فلما قفل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم جاءه يسلم عليه، فأعرض عنه، ففزع أبو لبابة، فارتبط بسارية التوبة التى عند باب أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم سبعا بين يوم و ليلة فى حر شديد لا يأكل فيهن و لا يشرب قطرة.

و روى مالك بن أنس عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم أن أبا لبابة ارتبط إليها بسلسلة ربوض، و الربوض: الثقيلة، بضع عشرة ليلة، حتى ذهب سمعه فما يكاد يسمع، و كاد بصره يذهب، و كانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة و إذا أراد أن يذهب لحاجته حتى يفرغ ثم تأتى به فيرده فى الرباط كما كان.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۲

و أورد الزمخشرى قصة أبى لبابة فى تفسيره قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ [الأنفال: ۲۷] الآية، و قال فيها: قال أبو لبابة: فما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله و رسوله، فنزلت أى: الآية المتقدمة، فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد و قال: و الله لا أذوق طعاما و لا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه، ثم تاب الله عليه، و ذكر فى القصة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جاءه فحله فقال:

إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب، و أن أخلع من مالى، فقال عليه السلام: «يجزئك الثلث أن تتصدق به».

و نقل ابن النجار عن إبراهيم بن جعفر أن السارية التى ربط إليها ثمامة بن أثال الحنفى هى السارية التى ارتبط إليها أبو لبابة، و نقل ذلك أيضا عن ابن شبة.

و روى البيهقى عن ابن عباس فى قوله تعالى: وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ [التوبة:

۱۰۲] الآية، قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى غزوة تبوك، فلما حضر رجوع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد، فلما رآهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: من هؤلاء؟ قالوا: هذا أبو لبابة و أصحاب له تخلفوا عنك، الحديث، و فيه توبة الله عليهم و أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أرسل إليهم و أطلقهم.

و روى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله بن المهاجر عن محمد بن كعب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يصلى نوافله إلى أسطوانة التوبة.

و فى رواية له عن عمر بن عبد الله، لم يذكر ابن كعب، أنه قال فى أسطوان التوبة:

كان أكثر نافلة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إليها، و كان إذا صلّى الصبح انصرف إليها، و قد سبق إليها الضعفاء و المساكين و أهل الضر و ضيفان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و المؤلفة قلوبهم و من لا مبيت له إلا فى المسجد، قال: و قد تحلقوا حولها حلقا بعضها دون بعض، فينصرف إليهم من مصلاه من الصبح، فيتلو عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته، و يحدثهم و يحدثونه، حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطّول و الشرف و الغنى فلم يجدوا إليه مجلسا، فتاقت أنفسهم إليه و تاقت نفسه إليهم، فأنزل الله تعالى: وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الكهف: ۲۸] إلى منتهى الآيتين، فلما نزل ذلك فيهم قالوا: يا رسول الله اطردهم عنا، و نكون نحن جلساءك و إخوانك و لا نفارقك، فأنزل الله عز و جل: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الأنعام: ۵۲] إلى منتهى الآيتين.

و فى العتبية عن مالك وصف أسطوان التوبة بالمخلقة، و قد قدمنا فى الكلام على المصلى الشريف ما ذكره ابن زبالة من خلوقها و خلوق غيرها من الأساطين.

و روى ابن زبالة خبر مالك بن أنس المتقدم عن عبد الله بن أبى بكر بنحو ما تقدم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۳

و قال فيه: و هى الأسطوان المخلق نحو من ثلثيها، تدعى أسطوان التوبة، منها حل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أبا لبابة حين نزلت توبته، و بينها و بين القبر أسطوان.

و أسند أيضا عن ابن عمر أنه كان يقول فى الأسطوان التى ارتبط إليها أبو لبابة: هى الثانية من القبر، و هى الثالثة من الرحبة.

قلت: كانت الثلاثة من الرحبة قبل تجدد الأسطوانتين المشار إليهما فى أسطوانة القرعة بسبب تجدد الرواقين الآتى ذكرهما، و هذه الأسطوانة إلى جانب الأسطوانة المتقدم ذكرها من جهة المشرق؛ فهى الرابعة من المنبر، و الثانية من القبر، و الثالثة من القبلة، و الخامسة فى زماننا من رحبة المسجد، و فيها اليوم هيئة محراب من الجص تتميز به عن سائر الأساطين، لكنه أزيل فى الحريق الثانى.

و فهم البدر بن فرحون من رواية ابن عمر المتقدمة أنها التى تلى هذه الأسطوانة فى جهة المشرق، و هى اللاصقة بالشباك اليوم كما سيأتى، فقال: إن أسطوان التوبة هى اللاصقة بالشباك على ما قاله عبد الله بن عمر، و تبعه مالك بن أنس، و ما قيل إنها غيرها فغلط أوجبه أشياء يطول ذكرها، انتهى كلامه.

قلت: بل الصواب ما قدمناه فى بيانها، و منشأ ما فهمه عدّه للأسطوانة اللاصقة بجدار القبر، فحمل قول ابن عمر أنها الثانية من القبر، و قول مالك بينها و بين القبر أسطوان على الأسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم، و قد علم من كلامهم فى أسطوان القرعة أنهم لا يعدون اللاصقة بجدار القبر لما تقدم من قولهم فيها: إنها الثالثة من المنبر و الثالثة من القبر، و لو عدوا اللاصقة بجدار القبر لكانت الرابعة من القبر، و أيضا فاللاصقة بجدار القبر أحدثها عمر بن عبد العزيز، و لم يدرك ذلك ابن عمر، و أوضح من ذلك أن ابن زبالة قال: إن بين أسطوان التوبة و بين جدار القبر الشريف عشرين ذراعا، و قد اعتبرت ذلك من الأسطوانة التى ذكرناها فكان كذلك.

و قال أيضا فيما قدمناه عنه: «إن ذرع ما بين مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بينها سبع عشرة ذراعا» و قد قدمنا فى المصلى الشريف ما يقتضى صحة ذلك عند اختبارنا لما بينهما مع بيان أن المصلى الشريف فى طرف الحفر الذى يلى المغرب، و إن جعل المصلى الشريف على تلك الهيئة حادث، و فى نسخة من ابن زبالة «تسع عشرة ذراعا» بتقديم التاء، فإن صحت فقد علمت أنه لم يكن المصلى الشريف فى عهد ابن زبالة على هذه الهيئات، بل كانت الأرض مستوية، فكأنه اعتبر الذراع من ابتداء طرف المصلى الشريف الغربى، و منه إلى الأسطوان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۴

المذكور تسع عشرة ذراعا بتقديم التاء، و أما ذرع ما بين المصلى الشريف و الأسطوانة التى يعنيها البدر فخمس و عشرون ذراعا، فلا يصح إرادتها بوجه.

و أسند ابن زبالة و يحيى فى بيان معتكف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن ابن عمر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا اعتكف طرح له فراشه و وضع له سرير وراء أسطوانة التوبة».

و روى ابن ماجه عن نافع أن ابن عمر أراه المكان الذى كان يعتكف فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم روى عن نافع عن ابن عمر أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا اعتكف طرح له فراشه و وضع له سرير وراء أسطوانة التوبة». قال البدر بن فرحون: و نقل الطبرانى فى معجمه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن ذلك مما يلى القبلة «يستند إليها».

قلت: و رواه البيهقى بسند حسن، و لفظه أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا اعتكف يطرح له فراشه أو سريره إلى أسطوانة التوبة مما يلى القبلة يستند إليها» و نقل عياض عن ابن المنذر أن مالك بن أنس كان له موضع فى المسجد، قال: و هو مكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و هو المكان الذى كان يوضع فيه فراش رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا اعتكف، كذا قال الأويسى.

## أسطوان السرير

و منها: أسطوان السرير، أسند ابن زبالة و يحيى فى بيان معتكف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عقب ذكر ما تقدم من وضع فراشه و سريره وراء أسطوان التوبة عن محمد بن أيوب أنه «كان للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم سرير من جريد فيه سعفه يوضع بين الأسطوان التى تجاه القبر و بين القناديل، كان يضطجع عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم».

قلت: و هذه الأسطوانة هى اللاصقة بالشباك اليوم فى شرقى أسطوان التوبة و ابن فرحون يجعلها إليها كما تقدم، و يؤيده ما تقدم فى أسطوان التوبة من أن سريره صلّى اللّه عليه و سلّم كان يوضع إليها، إلا أن يجاب بأنه كان يوضع مرة عند هذه و مرة عند تلك، بدليل أنه تقدم فى أسطوان التوبة أن وضع ذلك كان مما يلى القبلة يستند إليها، و ذكر فى هذه أنه «كان يوضع بينها و بين القناديل» و ذلك فى جهة شرقيها.

و قال البدر بن فرحون: روينا بالسند الصحيح إلى ابن عمر رضى اللّه عنهما أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «كان إذا اعتكف يطرح له و سادة، و يوضع له سرير من جريد فيه سعفه، يوضع له فيما بين الأسطوان التى و جاه القبر الشريف و بين القناديل، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يضطجع عليه»

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۵

قال أبو و حرة- بحاء مهملة- السعدى و هو يذكر السرير و يمدح آل الزبير لقرب مجلسهم منه:

و إذا غدا آل الزبير غدا النّدى و إذا انتدى فإليهم ما ينتدى

و إذا هم راحوا فإنهم هم أهل السرير و أهل صدر المسجد

## أسطوان المحرس

و منها: أسطوان المحرس، و يسمى أسطوان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى اللّه عنه.

قال يحيى: حدثنا موسى بن سلمة قال: سألت جعفر بن عبد اللّه بن الحسين عن أسطوان على بن أبى طالب، فقال: إن هذه المحرس، كان على بن أبى طالب يجلس فى صفحتها التى تلى القبر مما يلى باب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، يحرس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال الجمال المطرى و تبعه من بعده: و هو مقابل الخوخة التى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يخرج منها إذا كان فى بيت عائشة إلى الروضة للصلاة، و هى خلف أسطوان التوبة من جهة الشمال.

قلت: هى الأسطوان الذى يصلى عندها أمير المدينة يجعلها خلف ظهره، و لذا قال الأقشهرى: إن أسطوان مصلى على كرم اللّه وجهه اليوم أشهر من أن تخفى على أهل الحرم، و يقصد الأمراء الجلوس و الصلاة عندها إلى اليوم، و ذكر أنه كان يقال لها مجلس القلادة لشرف من كان يجلس فيه، و ذلك إنما هو فى أسطوان الوفود لما سيأتى.

## أسطوان الوفود

و منها: أسطوان الوفود، قال المطرى: هى خلف أسطوان المحرس من جهة الشمال، كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته، و كانت مما يلى رحبة المسجد قبل أن يزاد فى السقف القبلى الرواقان، و كانت تعرف أيضا بمجلس القلادة، يجلس إليها سروات الصحابة و أفاضلهم رضوان اللّه عليهم.

و قال الأقشهرى، و من خطه نقلت: و أما الأسطوان الذى كان يجلس إليها صلّى اللّه عليه و سلّم لوفود العرب إذا جاءته، فقال: إذا عددت الأسطوان التى فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هى الثالثة، انتهى، و كأنه سقط من خطه فاعدد فقال: و قد أخذه من تحفة

ابن عساكر، و قد رأيت فى نسخة معتمدة منها موضع بياض بعد «فقال».

و هذا مطابق لما تقدم عن المطرى؛ لأن الأسطوان التى فيها مقام جبريل هى مربعة القبر كما سيأتى، و بينها و بين أسطوان الوفود المذكور أسطوان.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۶

و قال ابن زبالة: حدثنا غير واحد من أهل العلم منهم عبد العزيز بن محمد أن الأسطوان التى إلى الرحبة التى فى صف أسطوان التوبة بينها و بين أسطوان التوبة مصلى على بن أبى طالب، و أنه المجلس الذى يقال له مجلس القلادة، كان يجلس فيه سراة الناس قديما.

و أورده المجد، و زاد فى آخره: و إنما سمى القلادة لشرف من كان يجلس إليها من بنى هاشم و غيرهم.

## أسطوان مربعة القبر

و منها أسطوان مربعة القبر، و سيأتى أنه يقال له أيضا أسطوان مقام جبريل عليه السلام، و قد تقدم فيما نقله الأقشهرى فى أسطوان الوفود ما يشهد له.

و أسند ابن زبالة و يحيى عن سليمان بن سالم عن مسلم بن أبى مريم و غيره: كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المربعة التى فى القبر، قال سليمان: قال لى مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها؛ فإنها باب فاطمة رضى الله عنها الذى كان على يدخل عليها منه.

قلت: و هى فى حائز عمر بن عبد العزيز عند منحرف الصفة الغربية منه إلى جهة الشمال، فى صف أسطوان الوفود، بينهما الأسطوانة اللاصقة بالشباك التى شرقى أسطوان الوفود، و سيأتى لها مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

و من فضلها ما أسنده يحيى عن أبى الحمراء قال: شهدت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أربعين صباحا يجىء إلى باب على و فاطمة و حسن و حسين حتى يأخذ بعضادتى الباب و يقول: السلام عليكم أهل البيت: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ۳۳] و فى رواية له: رابطت بالمدينة سبعة أشهر كيوم واحد، و كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يأتى باب على كل يوم فيقول: الصلاة، الصلاة، ثلاث مرات إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و قد حرم الناس الصلاة إلى هذه الأسطوان لإدارة الشباك الدائر على الحجرة الشريفة و غلق أبوابه.

## أسطوان التهجد

و منها: أسطوان التهجد، أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يخرج حصيرا كل ليلة إذا انكفت الناس فيطرح وراء بيت على، ثم يصلى صلاة الليل، فرآه رجل فصلى بصلاته، ثم آخر فصلى بصلاته، حتى كثروا، فالتفت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فإذا بهم، تأمر بالحصير فطوى ثم دخل، فلما أصبح جاءوه فقالوا: يا رسول الله، كنت فصلى الليل فنصلى بصلاتك، فقال: إنى خشيت أن ينزل عليكم صلاة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۷

الليل ثم لا- تقوون عليها، قال عيسى بن عبد الله: و ذلك موضع الأسطوان التى على طريق باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مما يلى الزوراء.

قلت: صحّف بعضهم هذه اللفظة فقال: مما يلى الدور، و رأيت بخط الأقشهرى: لعله مما يلى دوره، انتهى. و الظاهر أن الرواية مما يلى الزور- بالزاى- يعنى الموضع المزور فى بناء عمر بن عبد العزيز خلف الحجرة كما سيأتى و الله أعلم.

قال عيسى: و حدثنى سعيد بن عبد الله بن فضيل قال: مر بى محمد بن الحنفية و أنا أصلى إليها، فقال لى: أراك تلزم هذه الأسطوانة، هل جاءك فيها أثر؟ قلت: لا، قال:

فالزمها فإنها كانت مصلّى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم من الليل.

قلت: تقدم فى حدود المسجد النبوى ما يقتضى أن الموضع المذكور كان خارج المسجد تجاه باب جبريل قبل تحويله إلى محله اليوم، و هو موافق لما سيأتى عن المؤرخين فى بيان موضع هذه الأسطوانة، و المعروف من حاله صلّى اللّه عليه و سلّم أن قيامه فى غير رمضان إنما كان فى بيته، و هذا الموضع ليس منه، و فيما سبق مع أحاديث قيام رمضان ما يوهم أن القصة المذكورة كانت فيه، ففى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «اتخذ حجرة، قال:

حسبت أنه قال: من حصير، فى رمضان فصلى فيها ليالى فصلى بصلاته ناس- الحديث» و رواه مسلم عنه بلفظ أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «اتخذ حجرة فى المسجد من حصير، فصلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فيها ليلا، حتى اجتمع إليه ناس، فذكره نحوه» و فى رواية لأبى عوانة عن زيد «اتخذ حجرة من حصير فى المسجد فى رمضان- الحديث». و لعلها القبة التى كان يعتكف صلّى اللّه عليه و سلّم فيها فى رمضان، فقد روى الطبرانى فى الكبير عن أبى ليلى قال: رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم اعتكف فى قبة من خوص، و فى الكبير و الأوسط عن معيقيب قال: «اعتكف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى قبة من خوص بابها من حصير و الناس فى المسجد» و أسند يحيى عن أبى حازم مولى الأنصار قال: «اعتكف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد فى رمضان فى قبة على بابها حصير»، و عن ابن عمر قال: بنى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بيتا من سعف فى المسجد فى آخر شهر رمضان يصلى فيه.

و قال المطرى فى بيان موضع هذه الأسطوانة: هى خلف بيت فاطمة رضى الله عنها، و الواقف إليها يكون باب جبريل المعروف قديما بباب عثمان على يساره، و حولها الدرابزين: أى لاصقا بها يمينا و يسارا، و هو الشباك الدائر على الحجرة الشريفة و على بيت فاطمة رضى الله عنها، و قد كتب فيها بالرخام: هذا متهجّد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قال ابن النجار: هذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة من جهة الشمال، و فيها محراب إذا توجه المصلى إليه كانت يساره إلى باب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل.

قلت: و قد جدد محرابها فى هذه العمارة التى أدركناها أولا، و زيد فى رخامه فوق

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۸

المحراب الأول، و كتبوا فى ذلك بالرخام بروز الأمر بتجديد عمارة الحجرة الشريفة من السلطان الأشرف قايتباى- أعز الله أنصاره!- و أن ذلك على يد الخواجا الجناب الشمسى ابن الزمن، و تاريخ العمارة المذكورة، كل ذلك مكتوب بالرخام فى أعلى محراب الأسطوانة المذكورة، ثم لما جاء الحريق الحادث بعد تمام هذا التأليف أزال ذلك كله، ثم اقتضى رأيهم عند بناء الدعائم التى اتخذوها للقبة المحاذية لأعلى الحجرة و العقود التى خلفها إبدال هذه الأسطوانة بدعامة اتخذوا فيها محرابا.

و هذه الأسطوانة آخر الأساطين التى ذكر لها أهل التاريخ فضلا خاصا، و إلا فجميع سوارى المسجد الشريف لها فضل؛ ففى البخارى من حديث أنس قال: لقد أدركت كبار أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يبتدرون السوارى عند المغرب، قال ابن النجار: فعلى هذا جميع سوارى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يستحب الصلاة عندها؛ لأنه لا يخلو أن كبار الصحابة صلوا إليها، و الله أعلم.

## الفصل الثامن فى الصّفة و أهلها، و تعليق الأقناء لهم بالمسجد

### وصف الصفة و موضعها

قال عياض: الصفة- بضم الصاد و تشديد الفاء- ظلة فى مؤخر مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، يأوى إليها المساكين، و إليها ينسب

أهل الصّفة على أشهر الأقاويل.

و قال الحافظ الذهبى: إن القبلة قبل أن تحوّل كانت فى شمالى المسجد، فلما حوّلت القبلة بقى حائط القبلة الأعلى مكان أهل الصفة.

و قال الحافظ ابن حجر: الصفة مكان فى مؤخر المسجد النبوى مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له و لا أهل، و كانوا يكثرون فيه و يقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر.

و قد سرد أسماءهم أبو نعيم فى الحلية فزادوا على المائة، و قد أخرج أبو نعيم فى الحلية من مرسل الحسن قال: بنيت صفّة فى المسجد لضعفاء المسلمين.

و قال المجد نقلا عن الدارقطنى: الصفة هى ظلة كان المسجد فى مؤخرها، ثم قال المجد: و ذكر ابن جبير فى رحلته عند ذكر قباء قال: و فى آخر القرية تلّ مشرف يعرف بعرفات يدخل إليه على دار الصفة حيث كان عمار و سلمان و أصحابهما المعروفون بأهل الصفة، و كأن هذا و هم، و الله أعلم.

قلت: يظهر من قول عياض فيما قدمناه عنه «على أشهر الأقوال» أن فى ذلك خلافا؛ فيكون ما ذكره ابن جبير أحد الأقوال، لكنه مرجوح أو مؤول بأن من ذكر من أهل الصفة اتخذوا تلك الدار بعد، فاشتهرت بذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۴۹

## أهل الصفة

و قد روى ابن سعد فى مرسل يزيد بن عبد الله بن قسيط: كان أهل الصفة ناسا فقراء لا منازل لهم، فكانوا ينامون فى المسجد لا مأوى لهم غيره.

و روى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال: لما كثرت المهاجرون بالمدينة و لم يكن لهم دار و لا مأوى أنزلهم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد، و سماهم أصحاب الصفة، فكان يجالسهم و يأنس بهم.

و أسند يحيى عن فضالة بن عبيد قال: كنا نصلى مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فيخر قوم من قامتهم من الخصاصة، حتى يقول الأعرابى: مجانين، و هم أهل الصفة، فإذا صلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أتاهم فوقف عليهم، فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فقرا و حاجة.

و فى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن أبى بكر أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء، و أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، و من كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس- الحديث.

و فيه من حديث أبى هريرة قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار و إما كساء قد ربطوه، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، و منها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته.

و فيه من حديث أبى هريرة أيضا أنه كان يقول: و الله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، و إن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، و لقد قعدت يوما فى طريقهم الذى يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا يستتبعنى، فمر و لم يفعل، ثم مر بى أبو القاسم صلّى اللّه عليه و سلّم فتبسم حين رآنى و عرف ما فى نفسى و ما فى وجهى، ثم قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق، فمضى فتبعته، فدخل فاستأذن، فأذن لى، فدخلت فوجدنا لبنا فى قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟

فقالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى، و أهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل و لا مال و لا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، و لم يتناول منها شيئا، و إذا أتته هدية أرسل إليهم و أصاب منها و أشركهم فيها، فساءنى ذلك، فقلت: و ما هذا اللبن فى أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوّى بها،

فلما جاءوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم، و ما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۰

عسى أن يبلغنى من هذا اللبن؟ و لم يكن من طاعة الله و طاعة رسوله بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت، قال: يا أبا هريرة، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فاخذه فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم انتهيت إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم، و قال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا و أنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فما زال يقول اشرب حتى قلت: لا و الذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا، قال: فأرنى، فأعطيته القدح، فحمد الله و سمى و شرب الفضلة.

و قد وقع لأبى هريرة رضى الله عنه قصة أخرى فى تكثير الطعام مع أهل الصفة.

و أخرج ابن حبان من طريق مسلم بن حيان عن أبيه عنه قال: أتت علىّ ثلاثة أيام لم أطعم، فجئت أريد الصفة، فجعلت أسقط، فجعل الصبيان يقولون: خر أبو هريرة، حتى انتهيت إلى الصفة، فوافيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أتى بقصعة من ثريد، فدعا عليها أهل الصفة و هم يأكلون منها، فجعلت أتطاول كى يدعونى، حتى قاموا و ليس فى القصعة إلا شىء فى نواحيها، فجمعه صلّى اللّه عليه و سلّم فصارت لقمة، فوضعها على أصابعه فقال لى: كل باسم الله، فو الذى نفسى بيده ما زلت آكل منه حتى شبعت.

و روى أبو نعيم فى الحلية من حديث معاوية بن الحكم فقال: بينا أنا مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الصفة، فجعل يوجه الرجل مع الرجل من الأنصار، و الرجلين و الثلاثة، حتى بقيت فى أربعة و رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم خامسنا، فقال: انطلقوا بنا، فقال: يا عائشة عشّينا- الحديث.

و روى أيضا من طريق نعيم المجمر عن أبى هريرة: كنت من أهل الصفة، و كنا إذا أمسينا حضرنا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فيأمر كل رجل فينصرف برجل أو أكثر، فيبقى من بقى عشرة أو أقل أو أكثر، فيؤتى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بعشائه فيتعشى معهم، فإذا فرغنا قال: ناموا فى المسجد.

و روى ابن شبة عن طلحة البصرى قال: كان من قدم المدينة فكان له بها عريف نزل على عريفه، و من لم يكن له بها عريف نزل الصفة، فكنت فيمن نزل الصفة، فوافقت رجلين كان يجرى علينا فى كل يوم مدّين من تمر من رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فانصرف رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فناداه رجل من أهل الصفة: يا رسول الله أحرق التمر بطوننا و تحرفت علينا الحرف، فمال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى منبره فحمد الله و أثنى عليه، و ذكر ما لقى من قومه حتى إن كان ليأتى على و على صاحبى بضعة عشر يوما ما لنا طعام إلا البرير، فقدمنا على إخواننا من الأنصار و جل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۱

طعامهم التمر، فواسونا، و لو أجد لكم الخبز و اللحم لأطعمتكم، و لكن لعلكم ستدركون زمانا أو من أدركه منكم يلبسون فيه مثل أستار الكعبة و يغدى و يراح عليكم بالجفان.

## مبدأ تعليق الأقناء

و قال ابن النجار: روى أهل السير أن محمد بن مسلمة رأى أضيافا عند رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد، فقال: أ لا نفرق هذه الأضياف فى دور الأنصار، و نجعل لك فى كل حائط قنوا ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: بلى، فلما جدّ ماله جاء بقنو فجعله فى المسجد بين ساريتين، فجعل الناس يفعلون ذلك، و كان معاذ بن جبل يقوم عليه، و كان يجعل حبلا بين الساريتين ثم تعلّق الأقناء على الحبل، و تجمع العشرين و أكثر فيهش عليهم بعصا من الأقناء فيأكلون حتى يشبعون، ثم

ينصرفون و يأتى غيرهم فيفعل بهم مثل ذلك، فإذا كان الليل فعل لهم مثل ذلك.

قلت: بوّب البخارى للقسمة و تعليق القنو فى المسجد، و لم يذكر فى الباب تصريحا بتعليق القنو، فأشار بذلك إلى ما رواه النسائى عن عوف بن مالك الأشجعى قال: خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و بيده عصا، و قد علق رجل قنو حشف، فجعل يطعن فى ذلك القنو، و يقول: لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا، إن رب هذه الصدقة يأكل حشفا يوم القيامة، و ليس على شرط البخارى، و إن كان إسناده قويا، فأشار إليه بالتبويب و لم يذكره كعادته.

و روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه أن ناسا كانوا يقدمون على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لا شىء لهم، فقالت الأنصار: يا رسول الله، لو عجلناك قنوا من كل حائط لهؤلاء، قال: أجل فافعلوا، ففعلوا، فجرى ذلك إلى اليوم، فهى الأقناء التى تعلق فى المسجد عند جدار النخل فيعطاها المساكين، و كان عليها على عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معاذ بن جبل.

و قال يحيى: حدثنى هرون بن موسى عن غير واحد من أهل المدينة أن الناس أصابتهم فى ثمارهم عاهة من العاهات فى زمن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: ما على أحدكم لو بعث بقنو من نخله للمساكين، فبعث ذلك الناس، و استعمل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم على الأقناء معاذ بن جبل، فكان يمد حبلا بين جذعين و يعلق عليه الأقناء، فرفع الله تلك العاهة، فصارت سنة، و لم تزل الأئمة عليها إلى اليوم.

و روى يحيى أيضا عن عاصم بن سويد قال: سمعت أبى يقول: عويم بن ساعدة أتى بقنو إلى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فأتسى الناس به أهل العالية و أهل السافلة.

و أخرج ثابت فى الدلائل أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «أمر من كل حائط بقنو يعلق فى المسجد» يعنى للمساكين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۲

و فى رواية له: و كان عليها معاذ بن جبل: أى على حفظها، أو على قسمتها، و الله أعلم.

## الفصل التاسع فى الحجرة الشريفة، و بيان إحاطتها بالمسجد الشريف إلا من جهة المغرب

### اشارة

قد تقدم أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لما بنى مسجده الشريف بنى بيتين لزوجتيه عائشة و سودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن و جريد النخل.

قال ابن النجار: و كان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أو ساج، قال: و لما تزوج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم نساءه بنى لهن حجرا، و هى تسعة أبيات، و هى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، انتهى. و مراده بالباب الذى يلى باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الباب الذى فى الجهة المقابلة له من المغرب، و هو المعروف الآن بباب الرحمة، و إنما حملنا كلامه على ذلك لأنه وقع فى كلامه استعمال الباب الذى يليه بمعنى الباب الذى يقابله، و لأنه قال عقبه: قال أهل السير: ضرب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الحجرات ما بينه و بين القبلة و الشرق إلى الشام، و لم يضربها فى غربيه، و كانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من المغرب، و كانت أبوابها شارعة فى المسجد، انتهى.

و كأن الخطيب ابن حملة فهم من هذا اختلافا فى مواضع الحجر، فقال: قيل كانت كلها فى جهة المشرق، و قيل: فى جهات المسجد ما عدا المغرب.

قلت: و يرجح ما قررناه ما رواه ابن الجوزى فى شرف المصطفى بسنده إلى محمد بن عمر قال: سألت مالك بن أبى الرجال: أين كانت منازل أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؟ فأخبرنى عن أبيه عن أمه أنها كانت كلها فى الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى

وجه الإمام فى وجه المنبر هذا أبعدها، و لما توفيت زينب أدخل- أى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- أم سلمة بيتها، انتهى، و وجه المنبر و وجه الإمام يعنى إذا قام على المنبر بجهة الشام فى جهة الباب المعروف الآن بباب الرحمة قبل أن ينقل إلى محله اليوم، و هو يقتضى أنه لم يكن من الحجر شىء فى جهة القبلة، إلا أن تكون الرواية إلى وجه الإمام و فى وجه المنبر فيوافق ما تقدم عن أهل السير.

و أسند ابن زبالة عن محمد بن هلال قال: أدركت بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر مستطيرة فى القبلة و فى المشرق و الشام، ليس فى غربى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۳

المسجد شىء منها، و كان باب عائشة مواجه الشام، و كان بمصراع واحد من عرعر أو ساج.

و أسند يحيى من طريق الواقدى عن عبد اللّه بن يزيد الهذلى قال: رأيت بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت من لبن، و لها حجر من جريد مطرورة بالطين، عددت تسعة أبيات بحجرها، و هى ما بين بيت عائشة إلى الباب الذى يلى باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى منزل أسماء بنت حسن اليوم.

قلت: و قوله «إلى الباب الذى يلى باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم» قد تقدم ما يؤخذ منه أن المراد به باب الرحمة، و قوله «إلى منزل أسماء إلى آخره» يقتضى أن البيوت المذكورة كان بعضها خارجا عن سمت المسجد؛ لأن بيت أسماء المذكور كان فى مقابلة الباب الذى كان يلى باب النساء من شاميه، و يبعد أن يكون المسجد النبوى ممتدا إلى تلك الجهة فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، لكن سيأتى فى بيت فاطمة رضى الله عنها ما يصرح بأن بيتها كان ينتهى إلى الباب المذكور؛ فيحتمل أن المسجد كان ممتدا إليه، و يحتمل أن بعض البيت المذكور لم يكن فى محاذاة المسجد، على أن البخارى روى فى صحيحه حديث «كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد و عنده أزواجه فرجعن، فقال لصفية بنت حيى: لا تعجلى حتى أنصرف معك، و كان بيتها فى دار أسامة، فخرج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم معها- الحديث».

و فى رواية له عن صفية قالت: كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معتكفا، فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت، فانقلبت، فقام معى ليقلبنى، و كان مسكنها فى دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار- الحديث.

و فى رواية له أنها جاءت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم تزوره و هو معتكف فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت تنقلب، فقام معها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حتى إذا بلغ قريبا من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مر بهما رجلان من الأنصار- الحديث، و هو يقتضى أن صفية لم يكن مسكنها فى الحجر المحيطة بالمسجد.

و لم يتعرض ابن شبة لاتخاذ أسامة لدار، و ذكر أن أباه اتخذ دارين إحداهما دخلت فى المسجد لما زيد فيه، و لعلها المرادة و الله أعلم.

و لنرجع إلى بقية ما أسنده يحيى عن عبد الله بن زيد، قال: و رأيت بيت أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و حجرتها من اللبن، فسألت ابن ابنها، فقال: لما غزا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم دومة الجندل بنت حجرتها بلبن، فلما قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم نظر إلى اللبن و دخل عليها أول نسائه، فقال: ما هذا البناء؟ فقالت: أردت يا رسول الله أن أكف أبصار الناس، فقال: يا أم سلمة إن من شر ما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۴

ذهب فيه مال المسلم البنيان، قال الواقدى: فحدثت بهذا الحديث معاذ بن محمد الأنصارى، فقال: سمعت عطاء الخراسانى فى مجلس فيه عمران بن أبى أنس يقول و هو فيما بين القبر و المنبر: أدركت حجرات أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمرنا بهدم حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم. قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول: و الله لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشئ من

المدینة و یقدم قادم من الآفاق فیری ما اکتفی به رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم فی حیاته، و یکون ذلک مما یزهد الناس فی التکاثر و التفاخر فیها، قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراسانی من حدیثه قال عمران بن أبی أنس: کان فیها أربعة أبیات بلبن لها حجر من جرید، و کانت خمسة أبیات من جرید مطینة لا حجر لها علی أبوابها مسوح الشعر، ذرعت الساتر فوجدته ثلاثة أذرع فی ذراع و عظم الذراع، فأما ما ذکرت من کثرة البکاء فلقد رأیتنی فی المسجد و فیه نفر من أبناء أصحاب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أبو سلمة بن عبد الرحمن و أبو أمامة بن سهل و خارجة بن زید و إنهم لیبکون حتی أخضل لحاهم الدمع، و قال یومئذ أبو أمامة: لیتها ترکت حتی ینقص الناس من البنیان و یروا ما رضی الله لنبیه صلّی اللّه علیه و سلّم و مفاتیح خزائن الدنیا بیده.

و روی رزین عن عبد الله بن یزید الهلالی قال: رأیت بیوت أزواج النبی صلّی اللّه علیه و سلّم حین هدمها عمر بن عبد العزیز یدخلها فی المسجد مبنیة باللبن حولها حجر من جرید ممدودة إلا حجرة أم سلمة، و ذکر نحو ما تقدم باختصار.

و قال ابن الجوزی فی الوفاء: قال محمد بن عمر: کانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد و حوله، و کلما أحدث رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم أهلا نزل له حارثة عن منزله حتی صارت منازله کلها لرسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم و أزواجه.

قلت: و ظاهره یخالف ما تقدم من أنه صلّی اللّه علیه و سلّم بنی أولا بیتین لزوجتیه، و أنه لما تزوج نساءه بنی لهن حجرا، و ظاهره أنه کان کلما أحدث زوجة أحدث لها بناء حجرة، فیحمل ما هنا علی أن حارثة کان ینزل له عن مواضع المساکن، و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یبنیها.

و نقل الزرکشی عن الشمس الذهبی أنه قال: لم یبلغنا أنه صلّی اللّه علیه و سلّم بنی له تسعة أبیات حین بنی المسجد، و لا أحسبه فعل ذلک، إنما کان یرید بیتا واحدا حینئذ لسودة أم المؤمنین، ثم لم یحتج إلی بیت آخر حتی بنی لعائشة رضی الله عنها، فی شوال سنة اثنین، فکأنه صلّی اللّه علیه و سلّم بناها فی أوقات مختلفة، انتهی.

و هو مقتضی ما قدمناه، غیر أنه مخالف لما قدمناه فی بیت عائشة رضی الله عنها، لما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۵۵

تقدم أنه بناه مع بناء المسجد، و هو الظاهر؛ لأنها کانت حینئذ زوجته، غیر أنه لم یبن لها فتأهب لذلک بأن بنی لها حجرتها.

و ذکر الأقشهری أن ابن عبد البر روی من طریق الزبیر بن بکار عن عائشة رضی الله عنها خبرا طویلا فی قدومها المدینة قالت فیه: ثم إنا قدمنا المدینة، فنزلت مع آل أبی بکر، و نزل آل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم علیه، و کان رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم یا بنی مسجده و أبیاتا حول المسجد، فأنزل فیها أهله، فمکثنا أیاما، ثم قال أبو بکر: یا رسول الله ما یمنعک أن تبنی بأهلک؟ قال: الصداق، فأعطاه أبو بکر اثنتی عشرة أوقیة و نشا فبعث بها إلینا، و بنی لی رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم فی بیتی هذا الذی أنا فیه، و هو الذی توفی فیه و دفن فیه.

## المشربة

قلت: و لم أر فی کلام المؤرخین من تعرض للمشربة التی اعتزل فیها رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم لما آلی من نسائه شهرا، و مقتضی ذلک أنه لم یکن بابها من بیت واحدة منهن لیتأتی عدم الدخول علیهن، و الذی فی الصحیح قول حفصة: هو ذاقی المشربة، و فی روایة تسمیتها علّیة، و فی روایة غرفة، و قد بوب علیه البخاری باب هجرة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم نساءه فی غیر بیوتهن، و فی روایة «هو فی خزانته فی المشربة» و فی روایة «فإذا رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم فی مشربة یرقی علیها بعجلة» و فی روایة «فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم قاعد علی أسکفة المشربة مدل رجلیه علی نقیر من خشب و هو جذع یرقی علیه رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم و ینحدر».

و قال السهیلی: قال الحسن البصری: کنت أدخل بیوت رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم و أنا غلام مراهق و أنال السقف بیدی، و کان

لكل بيت حجرة، و كانت حجرة من أكسية من خشب عرعر.

و ورد أن بابه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يقرع بالأظافير: أى: لا حلق له.

و قال مالك: كان المسجد يضيق عن أهله، و حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليست من المسجد، و لكن أبوابها شارعة فى المسجد.

و قال ابن سعد: أوصت سودة ببيتها لعائشة رضى الله عنها، و باع أولياء صفية بنت حيى بيتها من معاوية بمائة ألف و ثمانين ألف درهم، و اشترى معاوية من عائشة منزلها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۶

بمائة ألف و ثمانين ألف درهم، و قيل: بمائتى ألف، و شرط لها سكناها حياتها، و حمل إليها المال، فما قامت من مجلسها حتى قسمته، و قيل: بل اشتراه ابن الزبير من عائشة، و بعث إليها خمسة أجمال تحمل المال، و شرط لها سكناها حياتها، ففرقت المال.

و أسند ابن زبالة عن هشام بن عروة قال: إن ابن الزبير ليعتد بمكرمتين ما يعتد أحد بمثلهما: أن عائشة أوصته ببيتها و حجرتها، و أنه اشترى حجرة سودة.

قلت: و هذا يقتضى أن الحجر الشريفة كانت على ملك نسائه صلّى اللّه عليه و سلّم، و يؤيده ما تقدم من تصرف أم سلمة و بنائها لحجرتها فى غيبته صلّى اللّه عليه و سلّم، و يعارضه ما تقدم من أن زينب بنت خزيمة لما توفيت أدخل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أم سلمة بيتها، و قد أضيفت البيوت فى القرآن العظيم مرة إليه صلّى اللّه عليه و سلّم و مرة إليهن، و الظاهر أن الإضافة الأولى هى الحقيقية؛ لما تقدم من أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بناها، و لأنه كان يجب عليه إسكانهن، غير أن لهن فيها بعده حق السكنى لحبسهن لحقه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قال الزبير بن المنير: إن غرض البخارى حيث ترجم بقوله «باب ما جاء فى بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم» و ما نسب من البيوت إليهن و قول الله عز و جل وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَ [الأحزاب: ۳۳] لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ [الأحزاب: ۵۳] أن يبين أن بهذه النسبة تحقيق دوام استحقاقهن البيوت ما بقين؛ لأن نفقتهن و سكناهن من خصائص النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و السر فيه حبسهن عليه، انتهى. و يحتمل أنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان قد ملّك بعضهن بيتها، أو ملكهن كلهن كما ذهب إليه بعضهم.

قال الطبرى: قيل: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ملّك كلا من أزواجه البيت التى هى فيه فسكّن بعده فيهن بذلك التمليك، و قيل: إنما لم ينازعن فى مساكنهن لأن ذلك من جملة مئونتهن التى كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم استثناه لهن مما كان بيده أيام حياته حيث قال: ما تركت بعد نفقة نسائى و مئونة عاملى فهو صدقة، قال الطبرى: و هذا أرجح، و يؤيده أن ورثتهن لم يرثوا عنهن منازلهن، و لو كانت البيوت ملكا لهن لانتقلت إلى ورثتهن، و فى ترك ورثتهن حقوقهم منها دلالة على ذلك، و لهذا زيدت بعدهن فى المسجد لعموم نفعه للمسلمين، انتهى.

و قد يناقش فيما ذكره من عدم إرث ورثتهن لمنازلهن؛ إذ لا يلزم من عدم نقله انتفاءه مع أن فى قصة إدخال بيت حفصة فى المسجد و ما وقع من آل عمر فى أمر طريق بيت حفصة ما يشهد لأن ورثتهن ورثوا ذلك، و يحتمل أن إدخال الحجر فى المسجد كان بعد شرائها من الورثة، و قد تقدم عن ابن سعد ما يشهد لذلك، و قد قال فى طبقاته أيضا:

أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال: مات رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و لم يوص إلا بمسكن أزواجه و أرض، انتهى. و هذا يحتمل الوصية للأزواج بذلك، و يحتمل غيره، و الله أعلم.

و ادعى المهلب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان قد حبس عليهن بيوتهن، ثم استدل به على أن من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۷

حبس دارا جاز له أن يسكن منها فى موضع، و تعقّبه ابن المنير بمنع أصل الدعوى، و قد ترجم ابن شبة لعلم دور أزواج النبى صلّى

اللّه عليه و سلّم بالمدينة، و ذكر عن جماعة منهن اتخاذ دور فى أماكن متفرقة من المدينة، فتلك غير الحجر المذكورة، و الظاهر أن اتخاذهن لذلك كان بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و الله أعلم.

## الفصل العاشر فى حجرة فاطمة بنت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و رضى اللّه عنها

أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه أن بيت فاطمة رضى الله عنها فى الزور الذى فى القبر، بينه و بين بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خوخة.

و أسند عن عمر بن على بن عمر بن على بن الحسين قال: كان بيت فاطمة فى موضع الزور مخرج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و كانت فيه كوة إلى بيت عائشة رضى الله عنها، فكان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قام إلى المخرج اطلع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم، و أن فاطمة رضى الله عنها قالت لعلى: إن ابنى أمسيا عليلين فلو نظرت لنا أدما نستصبح به، فخرج على إلى السوق فاشترى لهم أدما، و جاء به إلى فاطمة فاستصبحت، فدخلت عائشة المخرج فى جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم، و ذكر كلاما وقع بينهما، فلما أصبحوا سألت فاطمة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يسد الكوة، فسدها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم.

و أسند يحيى عقب ذلك حديث عائشة «قلت: يا رسول الله ندخل كنيفك فلا نرى شيئا من الأذى، فقال: الأرض تبلع ما يخرج من الأنبياء من الأذى فلا يرى منه شىء» فأشعر صنيع يحيى أن المراد من المخرج موضع الكنيف، و أفهم ذلك أن المخرج المذكور كان خلف حجرة عائشة رضى الله عنها، بينها و بين بيت فاطمة رضى الله عنها، و ذلك يقتضى أن يكون محله فى الزور، أعنى الموضع المزور شبه المثلث فى بناء عمر بن عبد العزيز فى جهة الشام.

و يشهد لذلك ما أسنده يحيى عن مسلم عن ابن أبى مريم أن عرض بيت فاطمة بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الأسطوانة التى خلف الأسطوان المواجهة الزور، قال: و كان بابه فى المربعة التى فى القبر.

و قد أسند أبو غسان كما قاله ابن شبة عن مسلم بن سالم بن مسلم بن أبى مريم قال:

عرّس على رضى الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الأسطوان التى خلف الأسطوان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۸

المواجهة الزور، و كانت داره فى المربعة التى فى القبر، قال سليمان: و قال مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها؛ فإنه باب فاطمة التى كان على يدخل إليها منه، و قد رأيت حسن بن زيد يصلى إليها.

و قد ذكرنا فى فضل أسطوان مربعة القبر ما ورد من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم «كان يأتى باب على كل يوم» و فى رواية «عند صلاة الصبح» و فى رواية يحيى «إلى باب على و فاطمة و حسن و حسين حتى يأخذ بعضادتى الباب و يقول: السلام عليكم أهل البيت» و فى رواية فيقول «الصلاة الصلاة الصلاة، ثلاث مرات، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» و ذكرنا أيضا أن أسطوان التهجد خلف بيت فاطمة رضى الله عنها.

و روى الطبرانى من حديث أبى ثعلبة: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يثنى بفاطمة، ثم يأتى أزواجه، و فى لفظ: ثم بدأ ببيت فاطمة، ثم يأتى بيوت نسائه.

و أسند يحيى عن محمد بن قيس قال: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إذا قدم من سفر أتى فاطمة فدخل عليها و أطال عندها المكث، فخرج مرة فى سفر و صنعت فاطمة مسكتين من ورق و قلادة و قرطين، و سترت باب البيت لقدوم أبيها و زوجها، فلما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و دخل عليها، و وقف أصحابه على الباب لا يدرون أ يقيمون أم ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قد عرف الغضب فى وجهه، حتى جلس على المنبر، ففطنت فاطمة أنه فعل ذلك لما رأى من المسكتين و القلادة و الستر، فنزعت قرطيها و قلادتها و مسكتيها و نزعت الستر و بعثت به إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و قالت للرسول: قل

له تقرأ عليك ابنتك السلام، و تقول لك:

اجعل هـذا فى سبيل الله، فلما أتاه قال: قد فعلت فداها أبوها، ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد و لا من آل محمد، و لو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء، ثم قام فدخل عليها.

و عن جعفر بن محمـد عن أبيه قـال: قـدم على رسول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم قوم عراة كـانوا غزاة بـالروم، فـدخل على فاطمـة و قد سترت سترا قال: أ يسرك أن يسترك الله يوم القيامة؟

فأعطنيه، فأعطته، فخرج به فشقه لكل إنسان ذراعين فى ذراع.

و عن على رضـى الله عنه قال: زارنا النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم، فبات عندنا و الحسن و الحسين نائمان، و استسقى الحسن، فقام النبى صلّى اللّه عليه و سـلّم إلى قربـة لنا فجعل يعصـرها فى القـدح ثم جعل يصـبه، فتناول الحسـين فمنعه، و بـدأ بالحسن، فقالت فاطمـة: يا رسول الله كأنه أحب إليك، قال:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۵۹

إنما استسقى أول، ثم قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: إنى و إياك و هذا و هذا الرقد يعنى عليا يوم القيامة فى مكان واحد، و عن أبى سعيد الخدرى أيضا مثله.

و عن على قـال: زارنـا رسول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم، فعملنـا له خزيرة، و أهـدت لنـا أم أيمن قعبـا من لبن و صـحفة من تمر، فأكل رسول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم و أكلنا معه، ثم وضّأت رسول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم، فمسح رأسه و جبهته بيده، ثم استقبل القبلة فدعا بما شاء، ثم أكبّ إلى الأرض بدموع غزيرة، يفعل ذلك ثلاث مرات، فتهيبنا رسول الله أن نسأله، فوثب الحسين على ظهر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و بكى، فقال له: بأبى و أمى ما يبكيك؟ قال: يا أبت رأيتك تصنع شيئا ما رأيتك تصنع مثله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سـلّم: يـا بنى سـررت بكم اليوم سـرورا لم أسـرّ بكم مثله قـط، و إن حبيبى جبريـل عليه السـلام أتانى و أخبرنى أنكم قتلى، و أن مصارعكم شتى، فأحزننى ذلك، و دعوت الله تعالى لكم بالخيرة.

و قال ابن النجار: و بيت فاطمة اليوم حوله مقصورة و فيه محراب، و هو خلف حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلت: المقصورة اليوم دائرة عليه و على حجرة عائشـة رضـى الله عنها كما سـيأتى بيانه، و المحراب الـذى ذكره خلف حجرة عائشة من جهة الزور بينه و بينه موضع تحترمه الناس و لا يدوسونه بأرجلهم، يذكر أنه موضع قبر فاطمة رضى الله عنها كما هو أحد الأقوال الآتية فيه، و قـد اقتضـى ما قـدمناه أن بيت فاطمـة رضـى الله عنها كان فيما بين مربعة القبر و أسـطوان التهجد، و أنه عرّس بها إلى الأسـطوان الذى إليه المحراب الموجود اليوم فى بيتها؛ لأن الأسطوان المواجه للزور هو الأسطوان الذى فى صف المربعة اللاصق بالجدار الداخل من الحجرة الشـريفة، كـان بعضه فى حائطهـا الشامى، و أدخل كله فيه فى العمارة التى أدركناها، و خلفه الأسـطوانة التى التقى عنـدها زاويتا الزور، و خلفها الأسطوانة التى إليها المحراب المذكور؛ فيصدق عليها ما تقدم فى كلام ابن شبة نقلا عن رواية أبى غسان من أن عليا رضـى الله عنه عرّس بفاطمة إلى الأسـطوان التى خلف الأسطوان المواجه الزور، لكن قال ابن شبة قبل ذلك ما لفظه: و اتخذ على بن أبى طالب بالمدينة دارين إحداهما دخلت فى مسـجد رسول الله صـلّى اللّه عليه و سلّم، و هى منزل فاطمة بنت رسول الله صلّى اللّه عليه و سـلّم التى كان يسـكن، و موضـعها من المسجد بين دار عثمان بن عفان التى فى شرقى المسجد و بين الباب المواجه دار أسماء بنت حسن بن عبـد الله بن عبيـد الله بن عبـاس فى شـرقى المسـجد، و الأـخرى دار على التى بالبقيع، و هى بأيـدى ولـد على على حوز الصدقة، اه.

و قوله «بين دار عثمان» أى ما يحاذيها، و قوله «و بين الباب المواجه دار أسماء» أى ما

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۰

يحاذيه أيضا، و سيأتى أن هذا الباب كان بعد باب النساء مقابلا لرباط النساء المعروف اليوم برباط السبيل، و هو بعيد من وجوه:

أحدها: ما تقدم فى أسطوان التهجد من أنه كان خلف بيت فاطمة.

الثانى: أنهم متفقون على أن باب جبريل المقابل لدار عثمان كان موجودا فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، فكيف يصح كون دار على فى ذلك الموضع.

الثالث: أن عمر بن الخطاب أول من زاد فى المسجد و أحدث باب النساء، و هو فيما بين باب جبريل و الباب الذى ذكره ابن شبة، و بيت فاطمة إنما أدخله فى المسجد الوليد، و سنذكر ما اتفق عند إدخاله فى زيادة الوليد.

و قد يقال: إن الشارع كان بين المسجد النبوى و بين بيت فاطمة من جهة مؤخره، فيتأتى مع ذلك اتخاذ عمر لباب النساء من غير تعرض لبيت فاطمة، و كذا يقال فى باب جبريل: إنه كان فى محاذاة موضعه اليوم، لكن كان الشارع بينه و بين بيت فاطمة من تلك الجهة. و يؤيد ذلك أنهم لما حفروا للدعامة الغربية التى إليها باب الحجرة الشامى عند بناء القبة و العقود التى حولها بالحجرة الشريفة بعد الحريق الذى أدركناه وجدوا فى محاذاة باب جبريل أمام باب الحجرة المذكور درجا تحت الأرض آخذة لجهة الشام، و قد سبق فى حدود المسجد النبوى ما يقتضى أن جداره فى المشرق كان هناك، فترجح عندى أن تلك الدرج كانت لباب جبريل عليه السلام، و أنه كان هناك قبل تحويله، و اللّه أعلم.

## الفصل الحادى عشر فى الأمر بسدّ الأبواب الشارعة فى المسجد الشريف

و بيان ما استثنى من ذلك.

قال البخارى: باب قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم سدوا الأبواب إلا باب أبى بكر، قاله ابن عباس عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد وصله البخارى فى الصلاة بلفظ سدوا عنى كل خوخة، فكأنه ذكره هنا بالمعنى، ثم أسند البخارى فى الباب حديث أبى سعيد الخدرى قال: خطب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الناس و قال: إن اللّه خيّر عبدا بين الدنيا و بين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند اللّه، قال: فبكى أبو بكر، فتعجبنا لبكائه أن يخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن عبد خيّر، فكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم هو المخير، و كان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: إن أمنّ الناس على فى صحبته و ما له أبو بكر، و لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر، و لكن أخوة الإسلام و مودته، لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۱

و رواه مسلم من طريق مالك بن أنس بنحوه، و قال: لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر.

و الخوخة: طاقة فى الجدار تفتح لأجل الضوء، و لا يشترط علوها، و حيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول إلى مكان مطلوب، و هو المقصود هنا، لهذا أطلق عليها باب، و قيل: لا يطلق عليها باب إلا إذا كانت تغلق.

و فى حديث ابن عباس المشار إليه فى الصلاة أن ذلك فى مرضه صلّى اللّه عليه و سلّم الذى مات فيه، و لمسلم من حديث جندب: سمعت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يقول قبل أن يموت بخمس ليال، و ذكر الحديث.

و روى عبد اللّه بن أحمد برجال ثقات عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: أبو بكر صاحبى و مؤنسى فى الغار، سدوا كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر.

و روى الطبرانى بإسناد حسن عن معاوية رضى اللّه عنه نحوه، و فيه أن ذلك بعد أن صب عليه صلّى اللّه عليه و سلّم من سبع قرب من آبار شتى، و لفظه: انظروا هذه الأبواب الشوارع فى المسجد فسدوها إلا ما كان من باب أبى بكر.

و روى أبو يعلى- و رجاله ثقات- عن عائشة نحوه أيضا.

و فى طبقات ابن سعد: أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخى ثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إن أعظم الناس على منّا فى صحبته و ذات يده أبو بكر، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها فى المسجد إلا باب أبى بكر.

و قال قتيبة بن سعيد: قال الليث بن سعد: قال معاوية بن صالح: فقال ناس: أغلق أبوابنا و ترك باب خليله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: قد بلغنى الذى قلتم فى باب أبى بكر، و إنى أرى على باب أبى بكر نورا، و أرى على ابوابكم ظلمة.

و فيها أيضا: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى الزبير بن موسى عن أبى الحويرث قال: لما أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بالأبواب تسد إلا باب أبى بكر قال عمر: يا رسول الله دعنى افتح كوة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لا.

قال الخطابى و ابن بطال: فى هذا الحديث إشارة قوية إلى استحقاق أبى بكر رضى الله عنه للخلافة، و لا سيما و قد ثبت أن ذلك كان فى آخر حياة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى الوقت الذى أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر.

قال الحافظ ابن حجر: و قد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة، و الأمر بالسد كناية عن طلبها، كأنه قال: لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه فى طلبها،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۲

و إلى هذا جنح ابن حبان، و قوى بعضهم ذلك بأن منزل أب بكر كان بالسّنح من عوالى المدينة فلا يكون له خوخة إلى المسجد.

قال الحافظ ابن حجر: و هذا الاستناد ضعيف؛ لأنه لا يلزم من كون منزله كان بالسّنح أن لا يكون له دار مجاورة للمسجد، و منزله الذى كان بالسنح هو منزل أصهاره من الأنصار، و قد كان له إذ ذاك زوجة أخرى، و هى أسماء بنت عميس، بالاتفاق، و أم رومان على القول بأنها كانت باقية يومئذ، و قد ذكر عمر بن شبة فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة للمسجد، و لم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج إلى شىء يعطيه لبعض من وفد عليه فباعها فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم.

قلت: و سيأتى بقية ما ذكره فى إدخالها فى المسجد فى زيادة عمر رضى الله عنه.

و قال ابن شبة أيضا فى ذكر دور بنى تيم: اتخذ أبو بكر رضى الله عنه دارا فى زقاق البقيع قبالة دار عثمان الصغرى، و اتخذ منزلا آخر أيضا عند المسجد، و هو المنزل الذى قال فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سدوا عنى هذه الأبواب إلا ما كان من باب أبى بكر.

قال أبو غسان: أخبرنى محمد بن إسماعيل بن أبى فديك أن عمه أخبره أن الخوخة الشارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد خوخة أبى بكر الصديق التى قال لها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سدوا عنى هذه الأبواب إلا ما كان من خوخة أبى بكر الصديق، و اتخذ أبو بكر أيضا بيتا بالسنح، اه كلام ابن شبة.

و قال الجمال المطرى: و أما خوخة أبى بكر رضى الله عنه فإن ابن النجار قال: قال أهل السير: إن باب أبى بكر كان عربى المسجد، و نقل أيضا أنه كان قريب المنبر، و لما زادوا فى المسجد إلى حده فى الغرب نقلوا الخوخة و جعلوها فى مثل مكانها أولا، كما نقل باب عثمان إلى موضعه اليوم.

قال المطرى: و باب خوخة أبى بكر اليوم هو باب خزانة لبعض حواصل الحرم، إذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريبا من الباب.

قلت: و هذه الخزانة جعل فى جهتها عند عمارة المدرسة الأشرفية ثلاثة أبواب، و محل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك إذا دخلت من باب السلام، و تعرف قديما بخزانة النورة لوضعها فيها للعمارة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۳

و كلامه فى ذلك يوافق ما ذكره ابن زبالة فإنه قال: و حدثنى محمد بن إسماعيل عن إسحاق بن مسلم أن الخوخة التى إلى جنب باب زياد فى غربى المسجد الشارعة فى رحبة القضاء هى يمنى خوخة أبى بكر، لما زيد فى المسجد نحّيت فجعلت يمناها: أى: فى موازاتها من جهة اليمين، و رحبة القضاء خلف الخوخة المتقدم وصفها من جهة الحصن العتيق المتخذ مدرسة للسلطان الأشرف بعد

الحريق الذى أدركناه.

قال الحافظ ابن حجر: و قد جاء فى سد الأبواب التى حول المسجد أحاديث يخالف ظاهرها ما تقدم: منها حديث سعد بن أبى وقاص قال: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب الشارعة فى المسجد، و ترك باب على، أخرجه أحمد و النسائى و إسناده قوى، و فى رواية للطبرانى فى الأوسط رجالها ثقاة: فقالوا يا رسول الله سددت أبوابنا، فقال: ما أنا سددتها و لكن الله سدها، و عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة فى المسجد، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سدوا هذه الأبواب إلا باب على، فتكلم ناس فى ذلك، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: إنى و الله ما سددت شيئا و لا فتحته، و لكن أمرت بشىء فاتبعته، أخرجه أحمد و النسائى و الحاكم و رجاله ثقات.

قلت: لفظ رواية أحمد: عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أبواب شارعة فى المسجد، قال: فقال يوما: سدوا هذه الأبواب إلا باب على، فتكلم أناس فى ذلك، فقام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فحمد الله و أثنى عليه و قال: أما بعد فإنى قد أمرت بسد هذه الأبواب غير باب على، فقال فيه قائلكم، و إنى و الله ما سددت شيئا و لا فتحته، الحديث.

و عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بأبواب المسجد فسدت إلا باب على، و فى رواية: و أمر بسد أبواب المسجد غير باب على؛ فكان يدخل المسجد و هو جنب ليس له طريق غيره، أخرجهما أحمد و النسائى، و رجالهما ثقات.

و عن جابر بن سمرة قال: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب كلها غير باب على، فربما مر فيه و هو جنب، أخرجه الطبرانى.

و عن ابن عمر: كنا نقول فى زمن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: رسول الله «خير الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر، و لقد أعطى على بن أبى طالب ثلاث خصال لأن يكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم: زوجه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم ابنته و ولدت له، و سد الأبواب إلا بابه فى المسجد، و أعطى له الراية يوم خيبر، أخرجه أحمد، و إسناده حسن.

و أخرج النسائى من طريق العلاء بن عرار- بمهملات- قال: قلت لابن عمر: أخبرنى عن على و عثمان، فذكر الحديث، و فيه: و أما على فلا تسأل عنه أحدا، و انظر إلى منزله من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۴

رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، قد سد أبوابنا فى المسجد و أقر بابه، و رجاله رجال الصحيح، إلا العلاء و قد وثقه يحيى بن معين و غيره.

قال الحافظ ابن حجر: و هذه الأحاديث تقوى بعضها بعضا، و كل طريق منها صالحة للاحتجاج، فضلا عن مجموعها، و قد أورد ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات، و أخرجه من حديث سعد بن أبى وقاص و زيد بن أرقم و ابن عمر مقتصرا على بعض طرقه عنهم، و أعلّه ببعض من تكلم فيه من رواته، و ليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، و أعله أيضا بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة فى باب أبى بكر، و زعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح فى باب أبى بكر.

قال الحافظ ابن حجر: و قد أخطأ فى ذلك خطأ شنيعا؛ فإنه سلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة، مع أن الجمع بين القصتين ممكن.

و قد أشار إلى ذلك البزار فى مسنده فقال: ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان فى قصة على، و ورد من روايات أهل المدينة فى قصة أبى بكر فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دل عليه حديث أبى سعيد الخدرى- يعنى الذى أخرجه الترمذى- أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنبا غيرى و غيرك، و المعنى أن باب على كان إلى جهة المسجد، و لم يكن لبيته باب غيره؛ فلذلك لم يؤمر بسده.

و يؤيد ذلك ما أخرجه إسماعيل القاضى فى أحكام القرآن من طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم

يأذن لأحد أن يمر فى المسجد و هو جنب إلا لعلى بن أبى طالب؛ لأن بيته كان فى المسجد، و محصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مرتين، ففى الأولى استثنى عليا لما ذكره من كون بابه كان إلى المسجد و لم يكن له غيره، و فى الأخرى استثنى أبا بكر، و لكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما فى قصة على على الباب الحقيقى، و ما فى قصة أبى بكر على الباب المجازى، و المراد به الخوخة كما صرح به فى بعض طرقه، و كأنهم لما أمروا بسد الأبواب سدوها و أحدثوا خوخا يستقربون الدخول إلى المسجد منها، فأمروا بعد ذلك بسدها.

فهذه طريقة لا بأس بها فى الجمع بين الحديثين المذكورين؛ و بها جمع بينهما الطحاوى فى مشكل الآثار، و الكلاباذى فى معانى الأخبار، و صرح بأن بيت أبى بكر كان له باب من خارج المسجد و خوخة إلى داخل المسجد، و بيت على لم يكن له باب إلا من داخل المسجد، انتهى ما أورده الحافظ بن حجر فى ذلك.

قلت: و العبارة تحتاج إلى تنقيح؛ لأن ما ذكره بقوله «و محصل الجمع» طريقة أخرى فى الجمع غير الطريقة المتقدمة؛ إذ محصل الطريقة المتقدمة أن البابين بقيا، و أن المأمورين بالسد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۵

هم الذين كان لهم أبواب إلى غير المسجد مع أبواب من المسجد، و أما على فلم يكن بابه إلا من المسجد، و أن الشارع صلّى اللّه عليه و سلّم خصّه بذلك، و جعل طريقه إلى بيته المسجد لما سبق، فباب أبى بكر هو المحتاج إلى الاستثناء، و لذلك اقتصر الأكثر عليه، و من ذكر باب على فإنما أراد بيان أنه لم يسد، و أنه وقع التصريح بإبقائه أيضا، و الطريقة الثانية تعدد الواقعة، و أن قصة على كانت متقدمة على قصة أبى بكر رضى الله عنهما.

و يؤيد ذلك ما أسنده يحيى من طريق ابن زبالة و غيره عن عبد الله بن مسلم الهلالى عن أبيه عن أخيه قال: لما أمر بسد أبوابهم التى فى المسجد خرج حمزة بن عبد المطلب يجر قطيفة له حمراء، و عيناه تذرفان يبكى يقول: يا رسول الله أخرجت عمك و أسكنت ابن عمك، فقال: ما أنا أخرجتك و لا أسكنته، و لكن الله أسكنه، فذكر حمزة رضى الله عنه فى القصة يدل على تقدمها.

و روى البزار و فيه ضعفاء قد وثقوا عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم:

انطلق فمرهم فليسدوا أبوابهم، فانطلقت فقلت لهم، ففعلوا إلا حمزة، فقلت: يا رسول الله قد فعلوا إلا حمزة، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: قل لحمزة فليحول بابه، فقلت: إن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يأمرك أن تحول بابك، فحوله، فرجعت إليه و هو قائم يصلى، فقال: ارجع إلى بيتك.

و روى البزار بإسناد قال الهيثمى: فيه من لم أعرفه، عن على رضى الله عنه قال: أخذ رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بيدى، فقال: إن موسى سأل ربه أن يطهر مسجده بهارون، و إنى سألت ربى أن يطهر مسجدى بك و بذريتك، ثم أرسل إلى أبى بكر أن سد بابك، فاسترجع ثم قال:

سمع و طاعة، فسد بابه، ثم أرسل إلى عمر، ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك، ثم قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «ما أنا سددت أبوابكم و فتحت باب على، و لكن الله فتح باب على و سد أبوابكم».

قلت: ذكر العباس بدل حمزة هنا و فيما سيأتى فيه نظر؛ لأنه يقتضى تأخر ذلك؛ لأنه إنما قدم المدينة عام الفتح.

و أسند ابن زبالة و يحيى من طريقه عن رجل من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: بينما الناس جلوس فى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم إذ خرج مناد فنادى: أيها الناس سدوا أبوابكم، فتحسحس الناس لذلك و لم يقم أحد، ثم خرج الثانية فقال: أيها الناس سدوا أبوابكم، فلم يقم أحد، فقال الناس: ما أراد بهذا؟ فخرج فقال: أيها الناس سدوا أبوابكم قبل أن ينزل العذاب، فخرج الناس مبادرين، و خرج حمزة بن عبد المطلب يجر كساءه حين نادى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۶

سدوا أبوابكم، قال: و لكل رجل منهم باب إلى المسجد أبو بكر و عمر و عثمان و غيرهم، قال: و جاء على حتى قام على رأس رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: ما يقيمك؟ ارجع إلى رحلك، و لم يأمره بالسد، فقالوا: سدّ أبوابنا و ترك باب على و هو أحدثنا، فقال بعضهم: تركه لقرابته، فقالوا: حمزة أقرب فيه، و أخوه من الرضاعة و عمه، و قال بعضهم تركه من أجل ابنته، فبلغ ذلك رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فخرج إليهم بعد ثالثة فحمد الله و أثنى عليه محمرا وجهه- و كان إذا غضب احمر عرق فى وجهه- ثم قال: أما بعد ذلكم فإن الله أوحى إلى موسى أن اتخذ مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا هو و هارون و أبناء هارون شبرا و شبيرا، و إن الله أوحى إلى أن أتخذ مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا أنا و على و أبناء على حسن و حسين، و قد قدمت المدينة، و اتخذت بها مسجدا، و ما أردت التحول إليه حتى أمرت، و ما أعلم إلا- ما علّمت، و ما أصنع إلا- ما أمرت، فخرجت على ناقتى، فلقينى الأنصار يقولون: يا رسول الله انزل علينا، فقلت: خلوا الناقة فإنها مأمورة حتى نزلت حيث بركت، و الله ما أنا سددت الأبواب و ما أنا فتحتها، و ما أنا أسكنت عليا، و لكن الله أسكنه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۲؛ ص۶۶

روى أحمد بإسناد حسن عن سعد بن مالك قال: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب الشارعة فى المسجد، و ترك باب على رضى الله عنه، و رواه أبو يعلى و البزار و الطبرانى فى الأوسط، و زاد: قالوا: يا رسول الله سددت أبوابنا كلها إلا باب على، قال: ما أنا سددت أبوابكم، و لكن الله سدها.

و أسنده يحيى عنه بلفظ: أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بالأبواب فسدت إلا باب على، فقال العباس: يا رسول الله سددت أبوابنا إلا باب على، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: ما أنا سددتها و لا أنا فتحتها.

و عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: سدوا أبواب المسجد إلا باب على، فقال رجل: اترك لى قدر ما أخرج و أدخل، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، قال:

اترك بقدر ما أخرج صدرى يا رسول الله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، و انصرف، قال رجل: فبقدر رأسى يا رسول الله، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، و انصرف واجدا باكيا حزينا، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: لم أومر بذلك، سدوا الأبواب إلا باب على.

و رواه الطبرانى عن جابر مختصرا، و فى ناصح بن عبد الله، و هو متروك، و لفظ الطبرانى: أمر رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب كلها غير باب على رضى الله عنه، فقال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۷

العباس: يا رسول الله اترك لى قدر ما أدخل أنا وحدى و أخرج، فقال: ما أمرت بشىء من ذلك، فسدها كلها غير باب على، قال: و ربما مر و هو جنب.

و أسند ابن زبالة و يحيى من طريقه عن عمرو بن سهل أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بسد الأبواب الشوارع فى المسجد، قال له رجل من أصحابه: يا رسول الله دع لى كوة أنظر إليك منها حين تغدو و حين تروح، فقال: لا و الله و لا مثل ثقب الإبرة.

قلت: و قد اقتضى ذلك المنع من الخوخة أيضا، بل و مما دونها، عند الأمر بسد الأبواب أولا، فإن صح ذلك فيحمل الإذن بعده فى اتخاذ الخوخ، ثم كانت قصة أبى بكر بعد ذلك.

و فى طبقات ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى عبد الرحمن بن الواقفى عن صالح ابن حسان عن أبى البداح بن عاصم بن عدى قال: قال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله ما بالك فتحت أبواب رجال فى المسجد، و ما بالك سددت أبواب رجال فى المسجد؟ فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم: يا عباس ما فتحت عن أمرى و لا سددت عن أمرى، و الله أعلم.

## الفصل الثانى عشر فى زيادة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد

## اشارة

سيأتى فى الفصل الرابع عشر من روايـة البخارى و أبى داود عن ابن عمر أن أبا بكر رضـى الله عنه لم يزد فى مسـجد رسول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم شيئا، و زاد فيه عمر، و سيأتى فى رواية لأبى داود أن سوارى المسجد نخرت فى خلافة أبى بكر، فبناها بجذوع النخل، و هو لا ينافى رواية أنه لم يزد فيه، و قال أهل السـير: لم يزد أبو بكر فى المسـجد شيئا لأنه اشتغل بالفتح، فلما ولى عمر قال: إنى أريد أن أزيد فى المسجد، و لو لا أنى سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول:

«ينبغى أن يزاد المسجد» ما زدت فيه شيئا.

و فى تاريخ اليافعى أن زيادته فيه كانت فى سنة سبع عشرة، و ذكر غيره أنه زاد فى هذه السنة فى المسجد الحرام، و لم يتعرض لتاريخ زيادته فى مسجد المدينة.

و أسـند ابن زبالـة عن أنس قـال: لمـا تـوفى رسـول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم و ولى أبو بكر لم يحول المسـجد، فلمـا ولى عمر جعل أساطينه من لبن، و نزع الخشب، و مـده فى القبلـة، و كان حـد جـدار عمر من القبلـة، على أول أساطين القبلة التى إليها المقصورة: أى التى كانت بين صف الأساطين التى تلى القبلة على الرواق القبلى.

و الذى فى صـحيح البخارى و سـنن أبى داود كما سيأتى أن عمر رضـى الله عنه زاد فى المسـجد، و بناه على بنائه فى عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم باللّبن و الجريد، و أعاد عمده خشبا، و هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۸

مخالف لما فى رواية ابن زبالة من أن عمر جعل أساطينه من لبن، و المعوّل عليه رواية الصحيح.

و روى أحمـد عن نـافع أن عمر رضـى الله عنه زاد فى المسـجد من الأسـطوانة إلى المقصورة، و قال عمر: لو لا أنى سـمعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «ينبغى أن نزيد فى مسجدنا» ما زدت.

و أسـند يحيى عن ابن عمر أن عمر رضـى الله عنهما قال: لو لا أنى سـمعت رسول الله صـلّى اللّه عليه و سـلّم يقول: «ينبغى أن نزيد فى المسجد» ما زدت فى المسجد شيئا.

و فى روايـة له أن ابن عمر قال: إن الناس كثروا فى عهـد عمر، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين لو وسّـعت فى المسـجد، فقال عمر: لو لا أنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «إنى أريد أن أزيد فى قبلة مسجدنا» ما زدت فيه.

و أسـند ابن زبالة عن مسـلم بن حباب أن النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم قال يوما و هو فى مصـلاه فى المسـجد: «لو زدنا فى مسجدنا» و أشار بيده نحو القبلة، فأدخلوا رجلا و أجلسوه فى موضع مصـلى النبى صـلّى اللّه عليه و سلّم، ثم رفعوا يد الرجل و خفضوها حتى رأوا أن ذلك نحو ما رأى النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم رفع يـده، ثم مـدوا مقاطا فوضـعوا طرفه بيـد الرجل، ثم مـدوه، فلم يزالوا يقدمونه و يؤخرونه حتى رأوا أن ذلك فيه بما أشار رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم من الزيادة، فقـدم عمر القبلـة، فكان موضع جـدار عمر فى موضع عيدان المقصورة.

## بين عمر و العباس

و قال ابن سـعد: أنا يزيـد بن هارون، أنا أبو أميـة بن يعلى عن سالم أبى النضـر قال: لما كثر المسـلمون فى عهد عمر رضـى اللّه عنه و ضاق بهم المسجد فاشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب و حجر أمهات المؤمنين، فقال عمر للعباس: يا أبا الفضل، إن مسـجد المسـلمين قـد ضاق بهم، و قد ابتعت ما حوله من المنازل نوسع به على المسـلمين فى مسـجدهم إلا دارك و حجر أمهـات المؤمنين، فأمـا حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، و أما دارك فبعنيها بما شـئت من بيت مال المسـلمين أوسّع بها فى

مسجدهم، فقال العباس: ما كنت لأفعل، قال: فقال له عمر: اختر منى إحدى ثلاث: إما أن تبيعنيها بما شئت من بيت المال، و إما أن أخطك حيث شئت من المدينة و أبنيها لك من بيت مال المسلمين، و إما أن تصدّق بها على المسلمين فتوسع فى مسجدهم، فقال: لا، و لا واحدة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۶۹

منها، فقال عمر: اجعل بينى و بينك من شئت، فقال: أبى بن كعب، فانطلقا إلى أبى فقصّا عليه القصة، فقال أبى: إن شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقالا:

حدّثنا، فقال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: إن اللّه أوحى إلى داود أن ابن لى بيتا أذكر فيه، فخط له هذه الخطة خطة بيت المقدس، فإذا تربيعها بزاوية بيت رجل من بنى إسرائيل، فسأله داود أن يبيعه إياها، فأبى، فحدث داود نفسه أن يأخذه منه، فأوحى الله إليه: أن يا داود أمرتك أن تبنى لى بيتا أذكر فيه، فأردت أن تدخل فى بيتى الغصب، و ليس من شأنى الغصب، و إن عقوبتك ألّا تبنيه، قال: يا رب فمن ولدى، قال: فمن ولدك، فأخذ عمر بمجامع أبى بن كعب فقال: جئتك بشىء فجئت بما هو أشد منه، لتخرجن مما قلت، فجاء يقوده حتى دخل المسجد، فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيهم أبو ذر، فقال أبى: نشدت اللّه رجلا سمع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم يذكر حديث بيت المقدس حين أمر اللّه داود أن يبنيه إلا ذكره، فقال أبو ذر: أنا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قال آخر: أنا سمعته، يعنى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال:

فأرسل أبيا، قال: فأقبل أبى على عمر فقال: يا عمر أ تتهمنى على حديث رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم؟ فقال عمر: و اللّه يا أبا المنذر ما اتهمتك عليه، و لكن أردت أن يكون الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ظاهرا، قال: و قال عمر للعباس: اذهب فلا أعرض لك فى دارك، فقال العباس: أما إذا قلت ذلك فإنى قد تصدقت بها على المسلمين أوسع عليهم فى مسجدهم، فأما و أنت تخاصمنى فلا، قال: فخط له عمر داره التى هى اليوم، و بناها من بيت مال المسلمين.

فى سنن البيهقى قبل كتاب الرجعة عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: لما أراد عمر رضى اللّه عنه أن يزيد فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم وقعت زيادته على دار العباس رضى الله عنه، فأراد عمر أن يدخلها فى المسجد و يعوضه منها، فأبى، و قال: قطيعة رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فاختلفا، فجعل بينهما أبىّ بن كعب رضى اللّه عنه، فأتياه فى منزله، و كان يسمى سيد المسلمين، فأمر لهما بوسادة، فألقيت لهما فجلسا عليها بين يديه، فذكر عمر ما أراد، و ذكر العباس قطيعة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال أبىّ رضى اللّه عنه: إن اللّه عز و جل أمر عبده و نبيه داود أن يا بنى له بيتا، قال: أى رب، و أين هذا البيت؟ قال: حيث ترى الملك شاهرا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۰

سيفه، فرآه على الصخرة، و إذا ما هناك يومئذ أندر لغلام من بنى إسرائيل، فأتاه داود عليه السلام. فقال: إنى قد أمرت أن أبنى هذا المكان بيتا لله تعالى، فقال له الفتى: الله أمرك أن تأخذ منى بغير رضاى؟ قال: لا، فأوحى اللّه إلى داود إنى قد جعلت فى يدك خزائن الأرض فأرضه، فأتاه داود عليه السلام فقال: إنى قد أمرت برضاك، فلك بها قنطار من ذهب، فقال: قد قبلت، فيا داود هى خير أم القنطار؟ فقال: بل هى، قال: فأرضنى، قال: فلك بها ثلاث قناطير، فلم يزل يشدد على داود حتى رضى منه بتسع قناطير، قال العباس رضى اللّه عنه: اللهم لا آخذ لها ثوابا، و قد تصدقت بها على جماعة المسلمين، فقبلها عمر، فأدخلها فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلت: و هذا يفهم أن داود صلوات اللّه و سلامه عليه بنى بين المقدس، و أنه أول من بناه، و الرواية المتقدمة تقتضى أن سليمان صلوات اللّه و سلامه عليه هو الذى بناه، و يؤيده ما روى الطبرانى من حديث رافع بن عميرة مرفوعا قال: قال اللّه عز و جل لداود: ابن لى بيتا فى الأرض، و إن داود- عليه السلام- بنى المسجد، فلما تم السور سقط ثلثاه، فشكا ذلك إلى اللّه تعالى، فأوحى اللّه إليه إنه لا يصلح أن يا بنى لى بيتا، و ذكر قصة غير ما تقدم، فشق ذلك على داود، فأوحى اللّه تعالى إليه: إنى سأقضى بناءه على يد ابنك

سليمان.

و روى النسائى من حديث عمرو بن العاص مرفوعا بإسناد صحيح أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل اللّه تعالى خلالا ثلاثا- الحديث.

و سواء كان البانى له داود أو سليمان عليهما السلام يشكل عليه ما فى الصحيحين عن أبى ذر: سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن أول مسجد وضع على الأرض، فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: و كم بينهما؟ قال: أربعون عاما، و وجه الإشكال كما ذكره ابن الجوزى أن إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة و بينه و بين سليمان أكثر من ألف سنة، و قد مشى ابن حبان على ظاهر الحديث المذكور، فقال: فيه رد على من زعم أن بين داود و إبراهيم ألف سنة، و لو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة، و هذا عين المحال؛ للاتفاق على طول الزمان بين إبراهيم و موسى عليهما السلام، ثم إن نص القرآن أن قصة داود فى قتل طالوت كانت بعد موسى بمدة.

و أجاب ابن الجوزى بأن الإشارة فى حديث الصحيحين إلى أول البناء، و وضع أساس المسجد، و ليس إبراهيم أول من بنى الكعبة، و لا سليمان أول من بنى بيت المقدس؛ فقد روى أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده فى الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس بعد ذلك بأربعين سنة، ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۱

و ذكر ابن هشام فى كتاب التيجان أن آدم عليه السلام لما بنى البيت أمره جبريل عليه السلام بالمسير إلى بيت المقدس و أن يبنيه، فبناه و نسك فيه.

و أجاب بعضهم بأن داود و سليمان عليهما السلام إنما كان لهما من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، و الذى أسسه هو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر.

و يشكل على ذلك ذكر القصة المتقدمة؛ لأنه حينئذ لا يحتاج إلى شراء أرضه، نعم قال الخطابى: يشبه أن يكون المسجد الأقصى وضع قبل داود و سليمان، ثم زادا فيه و وسعاه فأضيف إليهما بناؤه، فيحتمل حينئذ أن القصة المتقدمة وقعت فيما وقع الأمر بزيادته فيه، و يؤيد ذلك ما رواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى يحيى الضرير زيد بن الحسن البصرى حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب أنه قال للعباس رضى اللّه عنهما: إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: نزيد فى المسجد، و دارك قريبة من المسجد، فأعطناها نزيدها فيه، و أقطع لك أوسع منها، قال: لا أفعل، قال: إذا أغلبك عليها، قال: ليس لك ذلك، قال: فأجعل بينى و بينك من يقضى بالحق، قال: و من هو؟

قال: حذيفة بن اليمان، قال: فجاؤوا إلى حذيفة رضى اللّه عنه، فقصوا عليه، فقال حذيفة: عندى فى هذا خبر، قالوا: و ما ذاك؟ قال: إن داود النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أراد أن يزيد فى بيت المقدس، و قد كان بيت قريب من المسجد ليتيم، فطلب إليه فأبى، فأراد أن يأخذه منه، فأوحى اللّه عز و جل إليه إن أنزه البيوت عن الظلم لبيتى، قال: فتركه، فقال له العباس:

فبقى شىء؟ قال: لا، قال: فدخل عمر المسجد فإذا ميزاب للعباس شارع فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يسيل ماء المطر منه، فقال عمر بيده فقلع الميزاب، فقال: هذا الميزاب لا يسيل فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال له العباس: و الذى بعث محمدا بالحق إنه هو الذى وضع هذا الميزاب فى هذا المكان و نزعته أنت يا عمر، فقال عمر رضى اللّه عنه: ضع رجليك على عنقى لترده إلى ما كان، ففعل ذلك العباس، ثم قال العباس رضى اللّه عنه [قد أعطيتك الدار تزيدها] فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فزادها عمر فى المسجد، ثم قطع للعباس دارا أوسع منها بالزوراء، و قال الحاكم: هذا الحديث كتبناه [عن أبى جعفر و أبى على الحافظ] و لم يكتبه إلا بهذا الإسناد، و الشيخان لم يحتجا بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۲

قال: و قد وجدت له شاهدا من حديث أهل الشام، ثم ساقه من طريق شعيب الخراسانى عن عطاء الخراسانى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لما أراد أن يزيد فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم وقعت منازعة على دار العباس، فذكر نحوه.

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن عبد اللّه بن أبى بكر قال: كان للعباس بيت فى قبلة المسجد، و كثر الناس، و ضاق المسجد، فقال عمر للعباس: إنك فى سعة فأعطنى بيتك هذا أوسع به فى المسجد، فأبى العباس ذلك عليه، فقال عمر: إنى أثمنك و أرضيك، قال:

لا أفعل، لقد ركب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على عاتقى و أصلح ميزابه بيده فلا أفعل، قال عمر:

لآخذنه منك، فقال أحدهما لصاحبه: فاجعل بينى و بينك حكما، فجعلا بينهما أبى بن كعب، فأتياه فاستأذنا على الباب، فحبسهما ساعة ثم أذن لهما و قال: إنما حبستكما أنى كنت كما كانت الجارية تغسل رأسى، فقص عليه عمر قصته، ثم قص عباس قصته، فقال: إن عندى علما مما اختلفتما فيه، و لأقضين بينكما بما سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، سمعته يقول: إن داود لما أراد أن يا بنى بيت المقدس و كان بيت ليتيمين من بنى إسرائيل فى قبلة المسجد فأراد منهما البيع فأبيا عليه، فقال: لآخذنه، فأوحى اللّه عز و جل إلى داود: إن أغنى البيوت عن المظلمة بيتى، و قد حرمت عليك بنيان بيت المقدس، قال: فسليمان، فأعطاه سليمان، فقال عمر لأبى: و من لى بأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال هذا؟ فقال أبى لعمر:

أ تظن أنى أكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟ لتخرجن من بيتى، فخرج إلى الأنصار فقال: أيكم سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول كذا و كذا؟ فقال هذا: أنا، و قال هذا: أنا، حتى قال ذلك رجال، فلما علم ذلك عمر قال: أما و اللّه لو لم يكن غيرك لأجزت قولك، و لكنى أردت أن أستثبت.

و فى رواية ليحيى عن أبى الزناد أن عمر بن الخطاب لما زاد فى المسجد دعا من كان له إلى جانبه منزل فقال: اختاروا منى بين ثلاث خصال: إما البيع فأثمن، و إما الهبة فأشكر، و إما الصدقة على مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فأجابه الناس، و كان للعباس دار عن يمين المسجد، فدعاه عمر، فقال: يا أبا الفضل اختر منى بين ثلاث خصال، و ذكر نحو ما تقدم، فقال العباس: ما أجيبك إلى شىء مما دعوتنى إليه، فقال عمر: إذا أهدمها، فقال العباس: مالك ذلك، و ذكر التحاكم إلى أبى، و قصة بيت المقدس مع مخالفة فى ذكر قصته لبعض ما تقدم.

و فى رواية له عن ابن عمر أن عمر رضى اللّه عنه كلّم العباس فى داره، و كانت فى ما بين موضع الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم، قطيعة كان قطع له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فكلمه عمر رضى اللّه عنه يدخلها فى المسجد، و أعطاه بها ثمنا حسنا، و قال: يا أبا الفضل إن الناس قد شكوا ضيق مسجدهم، و أحبوا الاتساع، فأبى العباس أن يبيعه، فقال عمر:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ۲، ص: ۷۳

أنا أعطيك خيرا منها فى أى نواحى المدينة شئت، فأبى العباس ذلك، فقال عمر: فتصدق على الناس، فأبى فقال عمر: لآخذنه، فقال العباس: ليس ذلك لك، قال عمر: اجعل بينى و بينك رجلا، فجعلا أبى بن كعب، فأتياه فحبسهما ساعة ثم أذن لهما ثم قال: إن جاريتى كانت تغسل رأسى، فأيكما يستعدى على صاحبه؟ فقال عمر: أنا، جعلناك حكما بيننا، و ما رأيت من أمر لزمنا، فقال أبى: ما تقول يا أبا الفضل؟ قال: أقول ذلك، فذهب عمر يتكلم، فقال أبى: تكلم يا أبا الفضل، دعه يا ابن الخطاب يتكلم لمكانه من نبى الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فتكلم العباس فقال: هذه خطة خطها لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و ابتنيتها و بناها رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم معى، و هو و اللّه شد هذا الميزاب الذى يصب فى المسجد، و ذكر القصة أيضا، و أن العباس قال: أما إذ قضيت به لى فهو صدقة على المسلمين أما و اللّه يا عمر لقد هدمت الميزاب و ما شددته إلا و رجلاى على عاتقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال عمر: فو الله لا تشده إلا و رجلاك على عاتقى، قال: ثم هدم الدار و وسع فى المسجد و غيّر جذوعا كانت على عهد رسول اللّه صلّى

اللّه عليه و سلّم كان أسفلها قد أكلته الأرضة.

و قد أورد رزين فى كتابه خبر ابن عمر المتقدم، و لفظه: عن نافع عن ابن عمر قال:

إن الناس كثروا فى عهد عمر رضى اللّه عنه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين لو وسّعت لنا فى المسجد، فزاد فيه عمر، فكلم عمر العباس فى داره، و كانت لاصقة بالمسجد، و قال له:

أعطيك خيرا منها و تصدق بها على الناس، فأبى العباس، و قال: خطها لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و وضع ميزابها بيده، فقال عمر: فإنى آخذها، قال العباس: ليس لك ذلك، فجعلا بينهما أبيا، فحجبهما ساعة ثم أذن لهما فقصا عليه خبرهما، فقال: إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: لما أراد داود عليه السلام أن يا بنى بيت المقدس كان ليتيمين من بنى إسرائيل بيت فى الموضع الذى خط أن يا بنى المسجد عليه، فقال لهما: بيعاه منى و رغبهما فى الثمن، فباعاه ثم قالا له: الذى أخذت منا خير أم الذى أعطيتنا؟ قال الذى أخذت، قالا: فإنا لا نجيز البيع، فزادهما حتى كان ذلك منهما و منه سبع مرات، فقال: أزيدكما كذا و كذا على أن لا تسألانى، فقالا له: نبيعك بحكمنا و لا نسألك، قال: افعلا، فطلبا منه مالا كثيرا، فتعاظم ذلك داود، فأوحى اللّه سبحانه و تعالى إلى داود: إن كنت إنما تعطيهما من مالك فأنت أعلم، و إن كنت إنما تعطيهما من رزقنا فأعطهما حتى يرضيا فإن أغنى البيوت عن مظلمة بيتى، و قد حرمت عليك بناءه، فقال داود: يا رب فأعطه سليمان، فقضى به أبى للعباس.

فقال العباس: أما إذ قضيت لى به فهو صدقة على المسلمين، فذهب عمر فهدم الميزاب

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۴

فأسف العباس لما وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بيده، و قال: و اللّه لقد وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و إن رجليه لعلى عاتقى، فقال عمر للعباس: و اللّه لتردنه و رجلاك على عاتقى، فرده، ثم قال عمر للعباس: اهدم الآن بيدك.

و قد روى أن نزع الميزاب كان قبل ذلك لأجل أنه كان يسكب الماء داخل المسجد للزوقه به، انتهى لفظ رواية رزين.

و روى يحيى بسند جيد عن سفيان ابن عيينة عن موسى بن أبى عيسى قال: كان فى دار العباس ميزاب يصب فى المسجد، فجاء عمر فقلعه، فقال العباس: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى وضعه بيده، فقال عمر للعباس: لا يكن لك سلّم إلا ظهرى حتى ترده مكانه.

و روى ابن إسحاق عن أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن عبد اللّه بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة و قد كان ذبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صب فيه ماء من دم الفرخين، فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع فطرح ثيابه، ثم لبس غيرها، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال:

و اللّه إنه الموضع الذى وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيه، ففعل ذلك العباس.

و رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث هشام بن سعد عن عبيد اللّه بن عباس أخى عبد اللّه فذكره، و كذا رواه ابن سعد، و قال ابن أبى حاتم: إنه سأل أباه عنه، و قال: هو خطأ، و أخرجه ابن سعد من طريق موسى بن عبيدة عن يعقوب أن عمر خرج فى يوم جمعة، فذكره بنحوه.

و روى يحيى عن أبى مصعب الزهرى الفقيه قال: حدثنا يوسف بن الماجشون عن الثقة أنه كان فى دار مروان ميزاب يصب على الناس إذا خرجوا من المسجد فى المطر، و كانت دار مروان للعباس بن عبد المطلب، فأمر عمر بن الخطاب بذلك الميزاب فنزع، فجاءه العباس ابن عبد المطلب فقال: أما و اللّه لوضعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بيده، قال: فأعاده عمر حيث كان، و قال: و اللّه لا تعيده إلا و أنت على رقبتى، فأعاده العباس يومئذ على رقبة عمر.

قلت: و هذه الدار بقية من التى وقع النزاع المتقدم فيها، و نسبتها إلى مروان لما سيأتى أنها دخلت فى داره، و روى أنها مربدها، فكأن هذا الميزاب كان فى تلك البقية، فيجمع بين الروايات بأنه كان للدار المذكورة ميزابان: ميزاب يصب فى المسجد، و ميزاب يصب فى

الطريق، و اتفق فى كل منهما قصة، و يؤيد ذلك ما رواه يحيى فى زيادة عثمان رضى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۵

عنه عن الأعمش قال: بنى عباس بن عبد المطلب داره التى إلى جنب المسجد، فجعل يرتجز يقول:

بنيتها باللبن و الحجاره و الخشبات فوقها مطاره

يا ربنا بارك لأهل الداره

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: اللهم بارك فى هذه الداره، قال: و جعل العباس ميزابها لاصقا بباب المسجد يصب عليه، فطرحه عمر بن الخطاب، فقال عباس: أما و اللّه ما شده إلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و إنه لعلى منكبى، فقال له عمر: لا جرم و اللّه لا تشده إلا و أنت على منكبى، فشده عمر، و ابتاع عثمان بن عفان تلك الدار فزادها فى المسجد إلا ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر ذراعا، فقال: لا أدرى كان ابتاع البقية أم لا؟

قلت: فالذى يظهر أن العباس أبقى لنفسه بقية الدار بعد أخذ ما احتيج إلى زيادته منها، و أنه كان فى تلك البقية ميزاب، فلما أحدث عمر الباب الذى عند دار مروان كما سيأتى صار الميزاب يصب على الباب فى طريق المسجد، ثم اشترى عثمان من تلك البقية ما احتاج إلى إدخاله فى زيادته.

و روى ابن أبى الدنيا قصة دار العباس هذه مطولة، و قال: إن العباس قال لعمر: أما و اللّه ما شده إلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا معه، حملنى و اللّه على عاتقه حين شده، قال: و بعض الناس يقول: بل العباس حمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال محمد بن عقبة- يعنى رواية-: ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ليضع قدميه على رقبة أبيه أو عمه، و لكنه حمل العباس على عاتقه، و قول يحيى فى رواية ابن عمر المتقدمة «و كانت- يعنى دار العباس- فيما بين الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم» أى و الباب الذى يلى دار مروان لدخول بعضها فى دار مروان. قال الزين المراغى: و سيأتى بيان المربعة، أى فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و قد ذكر هناك تبعا للمطرى أنها الأسطوانة التى فى وصف الأساطين التى تلى القبلة، و قد رفع أسفلها مربعا قدر الجلسة.

قلت: و التى تليها مربعة أيضا، و هى التى تلى دار مروان؛ فهى المراد هنا كما قدمنا الإشارة إليه فى تحديد المسجد النبوى، و هى الخامسة من المنبر فى جهة المغرب، فيكون ابتداء زيادة عمر رضى اللّه عنه من جهة المغرب من الأسطوانة المذكورة، خلاف قول المطرى و المراغى إن المربعة التى ذكراها قبل هذه منتهى زيادة عمر رضى اللّه عنه، و كيف يكون منتهى زيادته مع كونها مبتدأ دار العباس التى هى أول الزيادة؟ و أيضا فذرع ما بين الأسطوان التى ذكراها و الحجرة الشريفة نحو تسعين ذراعا، و قد قال يحيى فى رواية ابن عمر أيضا «إن المسجد كان طوله أى من القبلة إلى الشام على عهد عمر رضى اللّه عنه أربعين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۶

و مائة ذراع و عرضه عشرون و مائة، و طول السقف أى ما بينه و بين الأرض أحد عشر ذراعا» انتهى. و كيف يصح أن يكون الأسطوان المذكور نهاية زيادته؟ بل ابتداء زيادته من الأسطوان التى تليها، فيكون زيادته بعد الأسطوان المذكورة فى جهة المغرب عشرين ذراعا، لما قدمناه من رواية أن المسجد كان عرضه مائة ذراع فزيادته عشرون، و ذلك نحو أسطوانين، فيكون نهاية المسجد فى زمنه من تلك الجهة الأسطوانة السابعة من غربى المنبر، و من المشرق الحجرة الشريفة، لأنه لم يزد فى تلك الجهة شيئا، و من القبلة صف الأساطين التى تلى القبلة، و كانت إليها المقصورة الآتى ذكرها، و قد احترقت، و من بقاياها خشبة فى سفل الأسطوان التى فى هذا الصف عن يسار مستقبل المحراب العثمانى، مثبتة تلك الخشبة فى الأسطوان المذكور مما يلى الأرض، و قد زالت فى الحريق الثانى؛ فزيادة عمر رضى اللّه عنه من جهة القبلة الرواق المتوسط بين الروضة و رواق القبلة، و ذلك نحو عشرة أذرع، و أما الشام فيستفاد من كون المسجد كان طوله فى زمنه أربعين و مائة ذراع، و أن منها فى جهة القبلة نحو عشرة أذرع أنه يمتد فى زمنه بعد

الحجرين المتقدم ذكرهما فى حدود المسجد الأصلى اللذين فى صحنه نحو ستين ذراعا؛ لأنا قدمنا أن من مقدم المسجد الأصلى إليها نحو السبعين فقط.

و بقى أمر آخر لم أر من نبه عليه، و هو أن حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان بعضها فى جهة الشام كما تقدم، و مقتضى ما قدمناه من رواية ابن سعد- و هو ظاهر ما سيأتى فى زيادة الوليد- أن عمر رضى اللّه عنه لم يدخل منها شيئا فى المسجد، و إنما أدخلها الوليد، فكأن عمر ترك ما كان منها فى جهة الشام قائما على حاله، و صار المسجد حواليها.

و قال السيد القرافى فى ذيله: و اشترى عمر أيضا نصف موضع كان خطه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لجعفر بن أبى طالب و هو بالحبشة دارا بمائة ألف فزاده فى المسجد.

قلت: سيأتى من رواية يحيى أن الذى شرى ذلك عثمان رضى اللّه عنه، كذا فى النسخة التى رواها ابن ابنه الحسن بن محمد عنه، ثم رأيت فى النسخة التى رواها ابنه طاهر عنه ما ذكره القرافى، و لم يذكر ابن زبالة و يحيى و غيرهما إدخال عمر دار أبى بكر رضى اللّه عنه فى المسجد، و يتعين أن يكون عمر هو الذى أدخلها؛ لما سبق فى الفصل قبله من أن باب خوختها كان غربى المسجد، و أن الخوخة المجعولة فى محاذاتها عند إدخال الدار هى الخوخة الموجودة اليوم غربى المسجد، و هذا لا خلاف فيه عند المؤرخين، و لهذا قال ابن النجار نقلا- عن أهل السير: كانت خوخة أبى بكر فى غربى المسجد، فعلمنا بذلك أن دار أبى بكر كانت فى غربى المسجد، و أن عمر رضى اللّه عنه أدخلها، لكن قال الحافظ ابن حجر:

إن ابن شبة ذكر فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۷

المسجد كانت ملاصقة للمسجد، و لم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج إلى شىء يعطيه لبعض من وفد عليه، فباعها، فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم، فلم تزل بيدها إلى أن أرادوا توسيع المسجد فى خلافة عثمان، فطلبوها منها ليوسعوا بها المسجد، فامتنعت و قالت: كيف بطريقى إلى المسجد؟ فقيل لها: نعطيك دارا أوسع منها و نجعل لك طريقا مثلها، فسلّمت و رضيت.

قلت: هذه القصة إنما ذكرها ابن شبة فى دار حفصة التى فى قبلة المسجد، و ذكر معها شراءها لدار أبى بكر المذكورة بصيغة تقتضى التضعيف، و اقتضى ذلك أن دار أبى بكر كانت فى قبلة المسجد على تلك الرواية الضعيفة، و أن طريق آل عمر اليوم منها، فنسب إليه الحافظ ابن حجر الجزم به، و ليس الأمر كذلك كما سنوضحه إن شاء اللّه تعالى فى الفصل الرابع عشر.

و قال يحيى فى روايته المتقدمة: و جعل أساطينه من جذوع نخل و سقفه بالجريد ذراعين فوق المسجد سترة حائطه ثلاثة أذرع، و عبر ابن النجار عن ذلك بقوله: و سقفه جريد ذراعان، و بنى فوق ظهره سترة ثلاثة أذرع، انتهى. و الذى يظهر أن فى عبارة يحيى خللا، و تبعه عليه ابن النجار، و أن المراد ما ذكره رزين فى هذه الرواية بعينها، فإنه قال فيها:

و جعل عمر سترة المسجد فوقه ذراعين أو ثلاثة، فكأن لفظ «أو» سقط قبل قوله ثلاثة أذرع.

و قال يحيى و رزين عقب ذلك: و كان بنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة، زاد يحيى:

و كان لبنه ضربه بالبقيع، و جعل له ستة أبواب: بابين عن يمين القبلة، و بابين عن يسارها، و بابين خلف القبلة، و لم يغير باب عاتكة- أى المعروف بباب الرحمة- و لا الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و هو فتح الباب الذى عند القبر، فهذان البابان من الشق الأيسر: أى المشرق، و فتح الباب الذى عند دار مروان بن الحكم، و فتح بابين من مؤخر المسجد، انتهى.

و قوله: «إنه لم يغير باب عاتكة، و لا الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم» مسلم فى الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. قال المراغى تبعا للمطرى: و هو باب جبريل؛ لأنه لم يزد فى جهة المشرق شيئا، و أما باب عاتكة ففيه نظر؛ لأنه زاد من جهة المغرب كما تقدم، فالمراد بكونه لم يغير أنه أخره فى محاذاة الباب الأول، و هذه الرواية تقتضى أن الباب المعروف اليوم بباب النساء لم يكن موجودا فى زمن عمر رضى اللّه عنه؛ لأن المستفاد مما ذكره أن الباب الذى زاده فى جهة المشرق جعله عند

القبر، و لعله تصحيف؛ لأنه إذا لم يزد من جهة المشرق شيئا كيف يحدث بابا عند القبر و يترك الجهة التى زادها من جهة الشام بغير باب؟ و المنقول كما سيأتى أن إحداث الباب الذى عند القبر إنما هو فى زيادة الوليد، و سيأتى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۸

فى سبب تسميته باب النساء أن عمر رضى اللّه عنه قال حين بنى المسجد: هذا باب النساء، كما رواه يحيى؛ فتبين أن باب النساء هو الباب الباقى فى جهة المشرق على عهد عمر رضى الله عنه، و أنه الذى أحدثه، و سيأتى فى زيادة عثمان عند ذكر اقتصاره على الأبواب التى جعلها عمر ما هو كالصريح فى ذلك، و اللّه أعلم.

و فى البخارى تعليقا عن أبى سعيد قال: أمر عمر ببناء المسجد، و قال: أكنّ الناس من المطر، و إياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس.

و روى ابن شبة و يحيى من طريق عبد العزيز بن عمران عن مليح بن سليمان عن ابن أبى عمرة قال: زاد عمر بن الخطاب فى المسجد من شاميه، ثم قال: لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، زاد يحيى: و جاء اللّه بعامر، و عبد العزيز هو ابن أبى ثابت، تركوه، كانت كتبه قد احترقت فحدّث من حفظه فاشتد غلطه.

و روى يحيى من طريق ابن زبالة و هو ضعيف: حدثنى محمد بن إسماعيل عن ابن أبى ذئب قال: قال عمر بن الخطاب: لو مد مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى ذى الحليفة لكان منه، و رواه ابن شبة من طريق أبى غسان المدنى بدل ابن زبالة، و على كل حال هو معضل.

و روى ابن شبة و يحيى و الديلمى فى مسند الفردوس بسند فيه متروك عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: لو بنى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدى، و كان أبو هريرة يقول: لو مد هذا المسجد إلى باب دارى ما عدوت أن أصلى فيه، ثم قال يحيى:

و حدثنا هارون بن موسى نبأ عمر بن أبى بكر الموصلى عن ثقات من علمائه قالوا: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: هذا مسجدى، و ما زيد فيه فهو منه، و لو بلغ بمسجدى صنعاء كان مسجدى.

قلت: و هو منقطع، لكن اجتماع هذه الروايات تقوى ما قدمناه فى آخر الفصل الثانى عن مالك رحمه اللّه من أن المضاعفة الواردة فى المسجد النبوى تعم ما زيد فيه، و اللّه أعلم.

## الفصل الثالث عشر فى البطيحاء التى بناها عمر رضى اللّه عنه بناحية المسجد، و منعه من إنشاد الشعر و رفع الصوت فيه، و ما جاء فى ذلك

روى ابن شبة و يحيى بسند جيد عن سالم بن عبد اللّه أن عمر- يعنى ابن الخطاب- اتخذ

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۷۹

مكانا إلى جانب المسجد يقال له «البطيحاء» و قال: من أراد أن يلغط أو يرفع صوتا أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج إليه، و لفظ يحيى: أن عمر بن الخطاب بنى فى ناحية المسجد رحبة تدعى البطيحاء، ثم قال: من أراد أن يلغظ أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج إلى هذه الرحبة، زاد ابن شبة عقيب روايته من طريق محمد بن يحيى: قال محمد: و قد دخلت تلك البطيحاء فى المسجد فيما زيد فيه بعد عمر رضى الله عنه.

و ذكر ابن شبة فى موضع آخر ما يبين أن البطيحاء كانت فى جهة شرقى المسجد مما يلى مؤخره زمن عمر رضى الله عنه، فإنه قال: اتخذ خالد بن الوليد داره التى كانت بالبطيحاء، إلى آخر ما سيأتى عنه، مع بيان أنها الرباط المعروف اليوم برباط السبيل فى شرقى المسجد.

و روى ابن شبة أيضا بسند جيد عن ابن عمر أن عمر رضى الله عنه كان إذا خرج من الصلاة نادى فى المسجد: إياكم و اللغط، و

يقول: ارتفعوا فى أعلى المسجد.

و رواه يحيى بلفظ: كان إذا خرج إلى الصلاة.

و روى ابن شبة بسند جيد إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عمر رضى الله عنه سمع ناسا من التجار يذكرون تجارتهم و الدنيا فى المسجد، فقال: إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله، فإذا ذكرتم تجاراتكم و دنياكم فاخرجوا إلى البقيع.

و روى أيضا عن شيخه سليمان بن داود قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه سمع صوت رجل فى المسجد، فقال: أ تدرى أين أنت؟

كأنه كره الصوت.

و عن عبد الرحمن بن حاطب قال: كان بين عثمان و طلحة تلاح فى مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم، فبلغ عمر رضى اللّه عنه، فأتاهم و قد ذهب عثمان و بقى طلحة، فقال: أ فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تقولان الهجر و ما لا يصلح من القول؟ قال: فجثا طلحة على ركبتيه و قال:

إنى و اللّه لأنا المظلوم المشتوم، فقال: أ فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تقولان الهجر و ما لا يصلح من القول؟ ما أنت منى بناج، فقال: الله اللّه يا أمير المؤمنين، فو اللّه إنى أنا المظلوم المشتوم، فقالت أم سلمة من حجرتها: و اللّه إن طلحة لهو المظلوم المشتوم، قال: فكف عمر رضى اللّه عنه.

و عن السائب بن يزيد قال: كنت مضطجعا فى المسجد، فحصبنى رجل، فرفعت رأسى، فإذا عمر رضى اللّه عنه فقال: اذهب فأتنى بهذين الرجلين، فجئت بهما، فقال:

من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد ما فارقتمانى حتى أوجعكما جلدا، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟!

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۰

و عن طارق بن شهاب أن عمر رضى اللّه عنه أتى برجل فى المسجد و قد أخذ فى شىء، فقال: أخرجاه من المسجد فاضرباه، أو اضربوه.

و روى يحيى عن نافع أن عمر بينما هو فى المسجد عشاء إذ سمع ضحك رجل، فأرسل إليه فقال: من أنت؟ فقال: أنا رجل من ثقيف، فقال: أ من أهل البلد أنت؟ فقال:

بل من أهل الطائف، فتوعده فقال: لو كنت من أهل البلد لنكّلت بك، إن مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات.

و عن ابن سيرين أن ابن مسعود سمع رجلا يرفع صوته فى المسجد، فسبه، فقيل له:

ما كنت فحّاشا، فقال: أمرنا بهذا.

و روى ابن زبالة و يحيى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب مر بحسان بن ثابت و هو ينشد فى المسجد، فلحظ إليه، فقال حسان: قد كنت أنشد و فيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبى هريرة فقال: أنشدك الله هل سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول «أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس» قال: اللهم نعم، و قد رواه البخارى فى الصحيح بنحوه، و فى رواية ليحيى عقب قوله: «قد كنت أنشد فيه من هو خير منك» فانصرف عمر و قد عرف أنه يريد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و فى رواية ذكرها الحافظ ابن حجر فقال: كنت أنشد فيه و فيه من هو خير منك، و فى الترمذى من طريق أبى الزناد عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ينصب لحسان منبرا فى المسجد، فيقوم عليه يهجو الكفار.

و أما ما رواه ابن خزيمة فى صحيحه و الترمذى و حسنه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم عن تناشد الأشعار فى المساجد، قال الحافظ ابن حجر: صحيح إلى عمرو، فمن يصحح نسخته يصححه، و فى هذا المعنى

عدة أحاديث، لكن فى أسانيدها مقال، و الجمع بينها و بين ما تقدم أن يحمل النهى على تناشد أشعار الجاهلية و المبطلين، و هو مراد عمر بقوله: من أراد أن ينشد شعرا فليخرج إلى هذه، يعنى البطيحاء، و المأذون فيه ما سلّم من ذلك، و قيل: المنهى عنه ما إذا كان غالبا على المسجد حتى يتشاغل به من فيه، و أبعد بعضهم فأعمل أحاديث النهى، و ادعى نسخ الإذن، و لم يوافق على ذلك. و روى ابن زبالة عن على بن زيد بن جدعان قال: أنشد كعب بن زهير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد أبياتا:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۱

## الفصل الرابع عشر فى زيادة عثمان بن عفان رضى اللّه عنه

روينا فى صحيح البخارى و سنن أبى داود عن نافع أن عبد الله- يعنى ابن عمر- أخبره أن المسجد كان على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مبنيا باللبن، و سقفه الجريد، و عمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، و زاد فيه عمر و بناه على بنائه فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم باللبن و الجريد، و أعاد عمده خشبا، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة، و بنى جداره بالحجارة المنقوشة و القصّة، و جعل عمده من حجارة منقوشة، و سقفه بالساج.

و روى أبو داود أيضا- و سكت عليه- عن عطية عن ابن عمر رضى اللّه عنهما قال:

إن مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كانت سواريه على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها نخرت فى خلافة أبى بكر رضى اللّه عنه فبناها بجذوع النخل و بجريد النخل، ثم إنها نخرّت فى خلافة عثمان رضى اللّه عنه فبناها بالآجر، فلم تزل ثابتة حتى الآن، هكذا رأيته فى أصول متعددة معتمدة من السنن، و أورده المجد بلفظ: ثم إنها نخرت فى خلافة عمر- بدل أبى بكر- و لم أره فى شىء من النسخ.

و فى هذا الخبر ما يقتضى أن السبب فى بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التى هى السوارى نخرت، و أن عثمان بناها بالآجر لا الحجر، فلعل البعض كان فى زمنه مبنيا بالآجر و هو بعيد، و ما تقدم من رواية الصحيح أصح.

و فى صحيح مسلم عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد، فكره الناس ذلك، و أحبوا أن يدعه على هيئته، فقال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: من بنى «مسجدا لله» بنى اللّه له فى الجنة مثله.

و فيه و فى البخارى عن عبيد اللّه الخولانى أنه سمع عثمان عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول: إنكم قد أكثرتم، و إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: من بنى مسجدا لله عز و جل، الحديث.

و قوله فى الرواية الأولى إن عثمان أراد بناء المسجد يبين أن المراد من قوله حين بناء المسجد حين أراد بناءه، إلا أن يكون ذلك قد تكرر من عثمان لتكرر كلامهم قبل البناء و بعده، و هو الأقرب، و قوله «و أحبوا أن يدعه على هيئته» أى بجذوع النخل و اللبن كما فعل عمر رضى اللّه عنه لموافقته لفعله صلّى اللّه عليه و سلّم، و لهذا قال البغوى فى شرح السنة: لعل الذى كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة، لا مجرد توسيعه، اه. و يؤيده ما سيأتى من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۲

أن الناس شكوا إليه ضيق المسجد؛ فقوله: «لما أراد عثمان بناء المسجد» أى: على الهيئة التى بناه عليها، و يؤخذ من هذا إطلاق البناء المرغّب فيه فى حق من جدد و وسع؛ لأن عثمان لم يبن المسجد كله إنشاء، و قوله «إنكم أكثرتم» أى: الكلام بالإنكار و نحوه.

و روى يحيى عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب قال: لما ولى عثمان بن عفان سنة أربع و عشرين كلمه الناس أن يزيد فى مسجدهم، و شكوا إليه ضيقه يوم الجمعة، حتى إنهم ليصلون فى الرحاب، فشاور فيه عثمان أهل الرأى من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و

سلّم، فأجمعوا على أن يهدمه و يزيد فيه، فصلى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنى قد أردت أن أهدم مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أزيد فيه، و أشهد لسمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: من بنى للّه مسجدا بنى اللّه له بيتا فى الجنة، و قد كان لى فيه سلف و إمام سبقنى و تقدمنى عمر بن الخطاب، كان قد زاد فيه و بناه، و قد شاورت أهل الرأى من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فأجمعوا على هدمه و بنائه و توسيعه، فحسّن الناس يومئذ ذلك و دعوا له، فأصبح فدعا العمال و باشر ذلك بنفسه، و كان رجلا يصوم الدهر و يصلى الليل، و كان لا يخرج من المسجد، و أمر بالقصّة المنخولة تعمل ببطن نخل، و كان أول عمله فى شهر ربيع الأول من سنة تسع و عشرين، و فرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر.

قلت: قوله أولا «لما ولى عثمان سنة أربع و عشرين» إلى قوله «فأصبح و دعا العمال» يفهم أنه فى تلك السنة، و قوله أخيرا «و كان أول عمله إلى آخره» يأباه، و ما ذكره أخيرا هو الصواب المذكور فى كلام غيره؛ فيحمل ما ذكره أولا على أنه لم يشرع فى المشاورة و العمارة عقب كلام الناس له، بل استمر تلك السنين، و ربما تكرر الكلام فخطبهم فى السنة التى وقعت فيها العمارة.

و قد روى رزين الخبر المذكور عن المطلب المذكور بلفظ: لما ولى عثمان و كان سنة أربع من خلافته كلمه الناس أن يزيد فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و شكوا إليه ضيقه، فشاور عثمان أهل الرأى، فأشاروا عليه بذلك، و ذكر نحو ما تقدم، و ينبغى حمله أيضا على أن الكلام وقع من الناس سنة أربع من خلافته و تأخرت العمارة إلى سنة تسع و عشرين- بتقديم المثناة الفوقية على السين- و إلا فهو مخالف لما تقدم؛ لأن عثمان رضى اللّه عنه ولى غرة المحرم افتتاح سنة أربع و عشرين، فسنة أربع من خلافته هى سنة سبع و عشرين- بتقديم السين على الموحدة- و الأول هو الأصح؛ فقد روى يحيى و ابن زبالة أن عثمان زاد فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين، و عثمان قتل فى ذى الحجة سنة خمس و ثلاثين.

و قال الحافظ ابن حجر: كان بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين على المشهور، و قيل: فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۳

آخر سنة من خلافته؛ ففى كتاب السير عن الحارث بن مسلم عن ابن وهب: أخبرنى مالك أن كعب الأحبار كان يقول عند بنيان عثمان المسجد: لوددت أن هذا المسجد لا ينجز؛ فإنه إذا فرغ من بنيانه قتل عثمان، قال مالك: فكان كذلك.

قال الحافظ ابن حجر: و يمكن الجمع بأن الأول كان تاريخ ابتدائه، و الثانى تاريخ انتهائه.

قلت: قد تقدم ما يردّ هذا الجمع، و أن الفراغ منه كان فى سنة ثلاثين، لكن يمكن أن عثمان رضى اللّه عنه أحدث فيه عمارة أخرى آخر سنة من خلافته و قد وصل ابن شبة ما نقله مالك عن كعب؛ فروى بسنده من طريق الأعمش عن أبى صالح قال: قال كعب و مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يا بنى: و اللّه لوددت أنه لا يفرغ من برج إلا سقط برج، فقيل له: يا أبا إسحاق أ ما كنت تحدثنا أن صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام، قال: بلى، و أنا أقول ذلك الآن، و لكن فتنة نزلت من السماء ليس بينها و بين أن تقع إلا شبر، و لو فرغ من بناء هذا المسجد وقعت، و ذلك عند قتل هذا الشيخ عثمان بن عفان، فقال رجل: و هل قاتله إلا كقاتل عمر، قال: بل مائة ألف أو يزيدون، ثم يحل القتل ما بين عدن أبين إلى دروب الروم.

و روى يحيى عن أفلح بن حميد عن أبيه قال: لما أراد عثمان أن يكلم الناس على المنبر و يشاورهم قال له مروان بن الحكم: فداك أبى و أمى، هذا أمر خير لو فعلته و لم تذكر لهم، فقال: و يحك! إنى أكره أن يروا أنى أستبد عليهم بالأمور، قال مروان: فهل رأيت عمر حيث بناه و زاد فيه ذكر ذلك لهم؟ قال: اسكت، إن عمر اشتد عليهم فخافوه، حتى لو أدخلهم فى جحر ضب دخلوا، و إنى لنت لهم حتى أصبحت أخشاهم، قال مروان بن الحكم: فداك أبى و أمى لا يسمع هذا منك فيجترأ عليك.

و عن عبد الرحمن بن سفينة قال: رأيت القصّة تحمل إلى عثمان و هو يا بنى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من بطن نخل، رأيته يقوم على رجليه و العمال يعملون فيه حتى تأتى الصلاة فيصلى بهم، و ربما نام ثم رجع، و ربما نام فى المسجد.

و عن خارجة بن زيد قال: هدم عثمان بن عفان المسجد و زاد فى قبلته، و لم يزد فى شرقيه، و زاد فى غربيه قدر أسطوان، و بناه بالحجارة المنقوشة و القصة و عسب النخل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۴

و الجريد، و بيضه بالقصة، و قدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل، و جعل فيه طيقان مما يلى المشرق و المغرب، و ذلك قبل أن يقتل بأربع سنين، و زاد فيه إلى الشام خمسين ذراعا.

و عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبيه قال: زاد عثمان فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين فزاد من القبلة، فوضع جداره على حد المقصورة اليوم، و زاد فيه من المغرب أسطوانا بعد المربعة، و زاد فيه من الشام خمسين ذراعا، و لم يزد من المشرق شيئا، و زعم المطرى و تبعه المراغى أن المراد بهذه المربعة المربعة المتقدم وصفها فى تحديد المسجد النبوى فى زيادة عمر رضى اللّه عنه، و هى الأولى من المربعتين اللتين يليان القبلة فى صف الأسطوان الرابع من المنبر فى جهة المغرب، و جعلا نهاية زيادة عثمان إلى الأسطوانة التى تليها فى المغرب المقابلة للطراز المتقدم وصفه، فقالا: أراد بالمربعة الأسطوانة التى تليها فى المغرب التى فى القبلة التى رفع أسفلها مربعا قدر الجلسة، و هى منتهى زيادة عثمان من المغرب، و قبالة الأسطوانة التى زادها عثمان فى الحائط القبلى طرازا آخر من العصابة السفلى إلى سقف المسجد، و هو حد زيادة عثمان، انتهى.

و محصله أن زيادة عثمان هى الرواق الكائن بين الأسطوانتين المذكورتين، و لم أر من سبقهما لذلك، و قد قدمنا فى تحديد المسجد النبوى ما يقتضى أن الطراز المذكور فى موازاة حد المسجد النبوى على الراجح، و أن زيادة عمر و عثمان رضى اللّه عنهما من بعد ذلك فى جهة المغرب، و أن عمر رضى اللّه عنه جعل المشرق إلى المغرب مائة و عشرين ذراعا، و أن من المربعة التى ذكرا أنها نهاية زيادته إلى الحجرة الشريفة ينقص عن تسعين ذراعا، و إلى محاذاة الطراز نحو المائة؛ فيبقى لعمر فى جهة المغرب بعد الطراز رواقان آخران؛ فيكون نهاية المسجد فى زمنه الأسطوانة السابعة من المنبر، و فى صف السابعة من المنبر أسطوان أسفله مربع لكنه ليس مرتفعا عن الأرض بقدر الجلسة، بل تربيعه على وجه الأرض، و قد زال تربيعه فى العمارة الحادثة بعد الحريق الثانى، و ليس هو فى صف الأساطين التى تلى القبلة، بل فى صف الأساطين التى خلف محراب الحنفية؛ فالظاهر أن هذه المربعة هى المرادة هنا؛ فيكون لعثمان رضى اللّه عنه فى جهة المغرب الرواق الذى بعدها؛ فيكون نهاية المسجد فى زمانه الأسطوانة الثامنة من المنبر فى جهة المغرب، و يدل على صحة ذلك ما سيأتى أن الوليد زاد بعد عثمان رضى اللّه عنه فى جهة المغرب أسطوانين، و لم يزد أحد بعد الوليد فى جهة المغرب شيئا، و الباقى من الأسطوانة الثامنة من المنبر أسطوانتان فقط فى جهة المغرب، فهما زيادة الوليد، و هناك أسطوان مربعة مرتفعة قدر الجلسة أيضا أمام الأسطوانة بوجاه الداخل من باب السلام، الظاهر أنها جعلت علامة لنهاية زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و ابتداء زيادة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۵

الوليد، و إن قلنا بأن نهاية المسجد النبوى المربعة الأولى التى تلى القبلة كما سبقت الإشارة إليه فحينئذ يكون لعمر رضى الله عنه منها إلى جهة المغرب أسطوانتان فيكون نهاية زيادة الأسطوانة السادسة من المنبر، و فى صفها أسطوان مربع قدر الجلسة أيضا أمام الأسطوانة المثمنة اليوم، و تكون زيادة عثمان رضى اللّه عنه إلى الأسطوانة التى بعدها فى جهة المغرب و هى السابعة، و تبقى للوليد منها إلى جدار المسجد ثلاثة أساطين، و سيأتى فى عمارته رواية تقتضى ذلك، على أن الذى أفهمه من كلام متقدمى المؤرخين كما قدمناه فى حدود المسجد أن المربعة حيث أطلقت فى جهة المغرب فالمراد بها الأسطوانة المقابلة لمربعة القبر فى جهة المغرب عند ركن صحن المسجد قبل زيادة الرواقين الآتى بيانهما، و هى المثمنة اليوم، و فى ركنى الصحن الشاميين أسطوانتان على هيأتها أيضا، و تثمينها حادث كما تقدم بيانه، و يعبرون عنها بالمربعة الغربية، و هى السادسة من المنبر؛ فيترجح بذلك أنها نهاية زيادة عمر و ابتداء زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و لو كان كما زعم المطرى و من تبعه لكان بعد نهاية زيادة عثمان رضى اللّه عنه فى المغرب خمس

أساطين، فيكون كلها للوليد، و لا قائل بذلك، و فيما قدمناه فى تحديد المسجد النبوى كفاية فى رد ما قالاه.

و روى يحيى عن عبد اللّه بن عطية بن عبد اللّه بن أنيس قال: بنى عثمان المسجد بالحجارة المنقوشة و القصة، و جعل عمده حجارة منقوشة، و بها عمد الحديد فيها الرصاص، و سقفه ساجا، و جعل طوله ستين و مائة ذراع، و عرضه خمسين و مائة ذراع، و جعل أبوابه ست أبواب على ما كان على عهد عمر رضى اللّه عنه: باب عاتكة، أى المعروف بباب الرحمة، و الباب الذى يليه أى يقرب من محاذاته فى المشرق، و هو باب النساء، و باب مروان: أى المعروف بباب السلام، و الباب الذى يقال له باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أى المعروف بباب جبريل، و بابين فى مؤخر المسجد.

قلت: قوله: «و جعل طوله ستين و مائة ذراع» مخالف لما تقدم من كونه زاد فيه من جهة الشام خمسين ذراعا؛ لأنه قد تقدم أن عمر رضى اللّه عنه جعل طول المسجد أربعين و مائة ذراع، فلو زاد فيه عثمان خمسين ذراعا لكان طوله فى زمنه تسعين و مائة ذراع، على أن الأقرب أن طوله فى زمن عثمان كان ستين و مائة ذراع، لما سيأتى فى الزيادة بعده. و قوله «و عرضه خمسين و مائة ذراع» مخالف لما تقدم من كونه لم يزد من جهة المغرب سوى أسطوانة واحدة، و لم يزد فى جهة المشرق شيئا، بل هذه الرواية خطأ؛ للاتفاق على أن عثمان رضى اللّه عنه لم يزد من جهة المشرق شيئا؛ فيكون نهايته فى زمنه الحجرة الشريفة، و ذرع المسجد اليوم من جداره الغربى إلى جدار الحجرة الشريفة لا- يبلغ خمسين و مائة ذراع، بل ينقص عن ذلك أكثر من سبعة أذرع، ثم تبقى زيادة الوليد من جهة المغرب، و هى متفق

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۶

عليها أيضا؛ فالصواب أنه لم يزد من المغرب سوى أسطوانة، و أن عرض المسجد فى زمنه نحو مائة و ثلاثين ذراعا، و اللّه أعلم.

و روى يحيى كما فى النسخة التى رواها ابنه عن أبى الحسن المدائنى أنه قال فى حديث ساقه: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خط لجعفر بن أبى طالب دارا و هو بأرض الحبشة، فاشترى عثمان نصفها بمائة ألف، فزادها فى المسجد.

قلت: تقدم فى زيادة عمر رضى الله عنه نقل مثل ذلك عن فعل عمر رضى اللّه عنه؛ فيحتمل أن كلا منهما شرى نصف ذلك و أدخله مرتبا، و اللّه أعلم.

و روى ابن زبالة عن عبد اللّه بن عمر بن حفص قال: مدّ عمر بن الخطاب جدار القبلة إلى الأساطين التى إليها المقصورة اليوم، ثم زاد عثمان بن عفان حتى بلغ جداره اليوم، قال: فسمعت أبى يقول: لما احتيج إلى بيت حفصة قالت: فكيف بطريقى إلى المسجد؟ فقال لها: نعطيك أوسع من بيتك، و نجعل لك طريقا مثل طريقك، فأعطاها دار عبيد اللّه بن عمر، و كانت مربدا.

قلت: و هذه العبارة محتملة لأن القائل «نعطيك إلى آخره» عمر أو عثمان رضى الله عنهما، و يرجح الثانى أنه أورده فى سياق زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و أنه روى عقبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن عمر قدم جدار القبلة إلى المقصورة، ثم قدمه عثمان إلى موضعه اليوم، و أخل بقية دار العباس بن عبد المطلب مما يلى القبلة و الشام و المغرب، و أدخل بعض بيوت حفصة بنت عمر مما يلى القبلة، فقام المسجد على تلك الحال حتى زاد فيه الوليد.

قلت: تقدم فى زيادة عمر رضى اللّه عنه أن الحافظ ابن حجر نقل عن ابن شبة أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى المسجد اشترتها حفصة أم المؤمنين، فلم تزل فى يدها إلى أن أرادوا توسيع المسجد فى خلافة عثمان، فطلبوها منها ليوسع بها فى المسجد، فامتنعت و قالت: كيف بطريقى إلى المسجد؟ فقيل لها: نعطيك دارا أوسع منها و نجعل لك طريقا مثلها، فسلمت وضيت، و الذى ذكره ابن شبة فى علم دور أزواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ما سنذكره عنه فى الدور التى كانت حول المسجد من أن حفصة اتخذت دارها التى فى قبلة المسجد لها خوخة فى المسجد، فورثها عبد اللّه بن عمران و ذكر ما سيأتى فى أصل هذه الدار من كونها كانت مربدا كما سيأتى، ثم ذكر لحفصة دارا أخرى، ثم قال:

و أخبرنى مخبر قال: كان بيت أبى بكر الذى أذن له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى إبقاء خوخته بيد عبد اللّه بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۷

عمر، و هو البيت الذى على يمينك إذا دخلت دار عبد اللّه من الخوخة التى فى المسجد، فتلقاك هناك خوخة فى جوف الخوخة التى هى الطريق المبوب، فتلك الخوخة خوخة أبى بكر، قال: و كانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبى بكر، و الدار الذى ذكرت فوق هذه الشارعة على باب دار عبد اللّه إلى جنب دار هشام، فباع أبو بكر رضى اللّه عنه ذلك المسكن و تلك الدار من حفصة بأربعة آلاف درهم، و نقدها عنها عثمان بن عفان، و إنما باع ذلك أبو بكر لناس قدموا عليه من بنى تميم فسألوه.

ثم قال ابن شبة: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد اللّه بن عمر بن حفص قال: سمعت أبى يقول: لما احتيج إلى بيت حفصة قالت: و كيف طريقى فى المسجد؟ فقيل لها: نعطيك أوسع من بيتك و نجعل لك طريقا مثل طريقك، فأعطاها دار عبد اللّه بن عمر، و كانت مربدا، انتهى. و الذى يقتضيه قوله «و أخبرنى مخبر» تضعيف هذه الرواية.

و قد روى فى ذكر دور بنى تيم كما قدمناه أن دار أبى بكر المذكورة كانت شارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد، و قد صدّر كلامه بأن أصل دار حفصة إنما هو المربد، و ختم كلامه بذلك. و قوله «لما احتيج إلى بيت حفصة» المراد به سكنها، هو الذى كان شارعا فى المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم كما سيأتى بيانه، و اللّه أعلم.

و تقدم فى زيادة عمر رضى اللّه عنه ما رواه يحيى من أن عثمان رضى اللّه عنه شرى دار العباس فزادها فى المسجد إلا ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر ذراعا، فقال الراوى: لا أدرى أ كان ابتاع البقية أم لا، و حملناه على أن المراد بدار العباس ما بقى منها بعد ما زاده عثمان رضى اللّه عنه، و الظاهر أن تلك البقية هى التى دخلت فى دار مروان. و قد ذكر ابن زبالة و يحيى و ابن النجار اتخاذ مروان لداره عقب ذكر زيادة عثمان رضى اللّه عنه؛ فيحتمل أنه اتخذها فى حال زيادة عثمان رضى اللّه عنه أو بعده، و هو الظاهر؛ لأنهم ذكروا أنه اتخذ لها خوخة فى المسجد من جهة القبلة، ثم قال: أخشى أن أمنعها، فجعل لها بابا عن يمينك حين تدخل، ثم جعل الباب الثالث الذى على باب المسجد، كما سيأتى، و اللّه أعلم.

## الفصل الخامس عشر فى المقصورة التى اتخذها عثمان رضى اللّه عنه فى المسجد و ما كان من أمرها بعده

روى ابن زبالة و ابن شبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن أول من عمل المقصورة بلبن عثمان بن عفان، و أنه كانت فيه كوى ينظر الناس منها إلى الإمام، و أن عمر بن عبد العزيز هو الذى جعلها من ساج حين بنى المسجد.

و روى الأول أيضا عن عيسى بن محمد بن السائب و محمد بن عمرو بن مسلم بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۸

السائب ابن خباب و عمر بن عثمان بن عبد الرحمن أن عثمان بن عفان أول من وضع المقصورة من لبن، و استعمل عليها السائب بن خباب، و كان رزقه دينارين فى كل شهر، فتوفى عن ثلاثة رجال: مسلم، و بكير، و عبد الرحمن، فتواسوا فى الديا نارين، فجريا فى الديوان على ثلاثة منهم إلى اليوم، قال ابن زبالة: و قال مالك بن أنس: لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب عمل عثمان مقصورة من لبن، فقام يصلى فيها للناس خوفا من الذى أصاب عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، و كانت صغيرة.

و روى يحيى هذا كله فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه، ثم روى فى زيادة الوليد عن عبد الحكم بن عبد اللّه بن حنطب قال: أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان بن الحكم، بناها بالحجارة المنقوشة، و جعل لها كوى، و كان بعث ساعيا إلى تهامة، فظلم رجلا يقال له دب، فجاء دب إلى مروان، فقام حيث يريد أن يقوم مروان، حتى إذا أراد أن يكبر ضربه بسكين فلم يصنع شيئا، فأخذه مروان فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال:

بعثت عاملا- فأخذ ذودى بمرة، و تركنى و عيالى لا- يجد شيئا، فقلت: أذهب إلى الذى بعثك فاقتله؛ فهو أصل هذا، فجاء ما ترى، فحبسه مروان حينا فى السجن، ثم أمر به فاغتيل سرا، فكانت المقصورة.

و رواه ابن شبة بنحوه، إلا أنه سمى الرجل فى موضع دبا، و فى آخر ذبابا، و قال:

بعثت عاملك، فأخذ منى بقرة، فتركنى و عيالى لا نجد شيئا، و أنا امرؤ خبيث النفس، فقلت: أذهب إلى الذى بعثه فأقتله فهو أصل هذا، فجاء ما ترى، فحبسه مروان فى الحبس حينا، ثم أمر به فاغتيل سرا، و عمل المقصورة.

قلت: و جزم بذلك فى العتبية فيما حكاه ابن رشد فى بيانه، فقال فى كتاب الصلاة:

مسألة قال مالك: أول من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليمانى، قال: فجعل مقصورة من طين، و جعل فيها تشبيكا، انتهى. قال ابن رشد فى شرح ذلك: وجه قوله هذا الإعلام بأن المقصورة محدثة لم تكن على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و لا على عهد الخلفاء بعده، و إنما أحدثها الأمراء للخوف على أنفسهم، فاتخاذها فى الجوامع مكروه انتهى.

و فى شرح مسلم للنووى أن أول من اتخذ المقصورة فى المسجد معاوية رضى اللّه عنه حين ضربه الخارجى، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۸۹

و أفهم كلام ابن زبالة أنها كانت فى زمن عمر بن عبد العزيز مرتفعة عن أرض المسجد؛ لأنه ذكر فى زيادة المهدى أنه أمر بالمقصورة فهدمت و خفضت إلى مستوى المسجد، و كانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد، فأوطأها مع المسجد، و كأن المراغى فهم أن المراد بذلك سقف المقصورة لا أرضها، فإنه قال فى زيادة المهدى: و خفض سقف المقصورة، و كانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطئوها المسجد، انتهى.

و رأيت لفظة «سقف» ملحقة بخطه، و الظاهر أن ذلك هو المراد، و ذكر المطرى ما يقتضى أن المهدى جعلها من خشب على الرواق القبلى بأجمعه، و هو مراد ابن جبير بقوله فى رحلته- بعد أن ذكر أن فى الجهة القبلية من المسجد خمس بلاطات- يعنى أروقة، قال: و البلاط المتصل بالقبلة من الخمس المذكورة تحويه مقصورة تكنفه طولا من غرب إلى شرق، و المحراب فيها، انتهى.

و قد احترقت هذه المقصورة فى حريق المسجد الأول، و اللّه أعلم.

## الفصل السادس عشر فى زيادة الوليد بن عبد الملك على يد عمر بن عبد العزيز

نقل رزين أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان رضى اللّه عنه لم يزد فيه على و لا معاوية رضى اللّه عنهما، و لا يزيد و لا مروان، و لا ابنه عبد الملك شيئا، حتى كان الوليد بن عبد الملك- و كان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة و مكة- بعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال و قال له: من باعك فأعطه ثمنه، و من أبى فاهدم عليه و أعطه المال، فإن أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء، انتهى.

و قال ابن زبالة: حدثنى عبد العزيز بن محمد عن بعض أهل العلم قال: قدم الوليد بن عبد الملك حاجا، فبينا هو يخطب الناس على منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذ حانت منه التفاتة فإذا بحسن بن حسن بن على بن أبى طالب فى بيت فاطمة فى يده مرآة ينظر فيها، فلما نزل أرسل إلى عمر بن عبد العزيز فقال: لا أرى هذا قد بقى بعد، اشتر هذه المواضع، و أدخل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد، و اسدده.

و روى يحيى من طريق ابن زبالة و غيره عن عبد العزيز بن محمد بنحوه.

و روى أيضا عن موسى بن جعفر بن أبى كثير قال: بينما الوليد يخطب على المنبر إذ انكشفت الكلة عن بيت فاطمة عليها السلام، و إذا حسن بن حسن يسرّح لحيته، و هو يخطب على المنبر، فلما نزل أمر بهدم بيت فاطمة رضى اللّه عنها.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۰

قال يحيى: و حدثنى عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن حسن بن حسن بن على رضى اللّه عنهما مثله، و زاد فيه أن حسن بن حسن و فاطمة بنت الحسين أبوا أن يخرجوا منه، فأرسل إليهم الوليد بن عبد الملك: إن لم تخرجوا منه هدمته عليكم، فأبوا أن يخرجوا، فأمر بهدمه عليهم و هما فيه و ولدهما، فنزع أساس البيت و هم فيه، فلما نزع أساس البيت قالوا لهم: إن لم تخرجوا قوّضناه عليكم، فخرجوا

منه حتى أتوا دار على نهارا.

و روى ابن زبالة عن منصور مولى الحسن بن على قال: كان الوليد بن عبد الملك يبعث كل عام رجلا إلى المدينة يأتيه بأخبار الناس و ما يحدث بها، قال: فأتاه فى عام من ذلك، فسأله، فقال: لقد رأيت أمرا لا و اللّه ما لك معه سلطان و لا رأيت مثله قط، قال: و ما هو؟ قال: كنت فى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فإذا منزل عليه كلة؛ فلما أقيمت الصلاة رفعت الكلة و صلى صاحبه فيه بصلاة الإمام هو و من معه، ثم أرخيت الكلة، و أتى بالغداء فتغدى هو و أصحابه، فلما أقيمت الصلاة فعل مل ذلك، و إذا هو يأخذ المرآة و الكحل و أنا أنظر، فسألت، فقيل: إن هذا حسن بن حسن، قال: ويحك! فما أصنع هو بيته و بيت أمه، فما الحيلة فى ذلك؟ قال: تزيد فى المسجد و تدخل هذا البيت فيه، قال: فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بالزيادة فى المسجد و يشترى هذا المنزل، قال: فعرض عليهم أن يبتاع منهم فأبوا، و قال حسن: و اللّه لا نأكل له ثمنا أبدا، قال: و أعطاهم به سبعة آلاف دينار أو ثمانية، فأبوا، فكتب إلى الوليد بن عبد الملك فى ذلك، فأمره بهدمه و إدخاله، و طرح الثمن فى بيت المال، ففعل، و انتقلت منه فاطمة بنت حسين بن على إلى موضع دارها بالحرة فابتنتها.

قلت: و سيأتى بقية هذا الخبر فى ذكر بئرها، إن شاء اللّه تعالى.

قال ابن زبالة: و حدثنى غير واحد من أهل العلم منهم: إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه عن عبد الرحمن بن حميد، و محمد بن إسماعيل عن محمد بن عمار عن جده، و محمد بن عبد اللّه عن عبيد اللّه بن عمر، و عبد اللّه بن عمر بن حفص و عبد العزيز بن محمد عن عبيد اللّه ابن عمر بن حفص، و سليمان بن محمد بن أبى سبرة و محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، و بعضهم يزيد على بعض، أن عمر بن عبد العزيز لما جاءه كتاب الوليد بهدم المسجد و الزيادة فيه بعث إلى رجال من آل عمر، فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أبتاع بيت حفصة، و كان عن يمين الخوخة: أى خوخة آل عمر، و كان بينه و بين منزل عائشة الذى فيه قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم طريق، و كانتا يتهاديان الكلام و هما فى منزليهما من قرب ما بينهما، فلما دعاهم قال: إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن أبتاع هذا المنزل و أدخله فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۱

المسجد، قالوا: ما نبيعه بشىء، قال: إذا أدخله فى المسجد، قالوا: أنت و ذاك، أنت و ذاك، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها، فهدم البيت و أعطاهم الطريق و وسعها لهم حتى انتهى بها إلى الأسطوان، و كانت قبل ذلك ضيقة قدر ما يمر الرجل منحرفا.

قال عبد العزيز بن محمد: فكنت أسمع عبيد اللّه بن عمر يقول: لا أخرجنى اللّه من الدنيا حتى أراها قد سدت، إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: لا يلقى الصور الصور.

قلت: و سنورد بقية هذا الخبر.

و روى يحيى فى قصة هذه الدار عن مالك بن أنس فى جملة خبر أن الحجاج قال لعبيد اللّه ابن عبد اللّه بن عمر: يعنى منزل حفصة، قال: لا و اللّه ما كنت لآخذ لبيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ثمنا أبدا، قال: إذا و اللّه أهدمه، قال: و اللّه لا تهدمه إلا على ظهرى، فأمر الحجاج صائحا صاح الناس بالعتل و المساحى و الفوس، فقام عبد اللّه فدخل بيت حفصة، و جاء الغوغاء بالعتل و الفوس، فأمرهم الحجاج بهدمه، فصعدوا ليهدموه و عبيد الله فيه، فجاءت بنو عدى إلى عبيد اللّه فقالوا له: ما أضعفك! هو يتأسف على قتل أبيك و يزع عن قتلك، فأخرجوه، فهدمه الحجاج، و كتب إلى الوليد يعلمه ما صنع، و امتناع عبيد الله من الثمن، فكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره يعرض على عبيد اللّه الثمن، فإن أبى جعل له مكرمة بدله فى المسجد، فجعل له عمر الخوخة التى فى قبلة المسجد التى إلى دار حفصة اليوم، و هو يقتضى أن الذى هدم دار حفصة هو الحجاج.

و عن جعفر بن وردان عن أبيه قال: لما استعمل الوليد عمر بن عبد العزيز على المدينة أمره بالزيادة فى المسجد و بنيانه و اشتراء ما حوله من المشرق و المغرب و الشام، فلما خلص إلى القبلة قال له عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عمر: لست أبيع هذا، هو من حق حفصة، و

قد كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يسكنها، فقال له عمر: ما أنا بتاركك أو أدخلها المسجد، فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر: أجعل لكم فى المسجد بابا تدخلون منه، و أعطيكم دار الدقيق مكان هذا الطريق، و ما بقى من الدار فهو لكم، ففعلوا، و أخرج بابهم فى المسجد و هو الخوخة التى فى المسجد تخرج فى دار حفصة بنت عمر، و أعطاهم دار الدقيق، و قدّم الجدار فى موضعه اليوم، و زاد فى المشرق ما بين الأسطوان المربعة إلى جدار المسجد اليوم، و معه عشرة أساطين من مربعة القبر إلى الرحبة إلى الشام، و مده فى المغرب أسطوانين، و أدخل فيه حجرات أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التى كان يقال لها القرائن اللاتى يقول فيهن أبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۲

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا بقيع المصلّى أو كعهدى القرائن

و قد سمعنا من يقول: القرائن كانت جنابذ ثلاثا لعبد الرحمن بن عوف، انتهى.

قلت: و أخبار المؤرخين متطابقة على أن حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أدخلت فى المسجد بأمر الوليد، و قد قدمنا فى الفصل التاسع قول عطاء الخراسانى: أدركت حجرات أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بإدخال حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم، قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول: و اللّه لوددت أنهم تركوها على حالها، لكن نقل الزين المراغى عن السهيلى أنه نقل أن الحجر و البيوت خلطت بالمسجد فى زمن عبد الملك بن مروان، قال: و يرده تصريح رزين و غيره بضد ذلك.

قلت: و لعل مراد من نسب ذلك إلى عبد الملك أنه جعلها للمسلمين يصلون فيها لضيق المسجد من غير هدم لها، و قد كان الناس يصلون فيها قبل إدخالها فى المسجد فى يوم الجمعة، فقد نقل مالك رحمه اللّه عن الثقة عنده أن الناس كانوا يدخلون حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلون فيها يوم الجمعة بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان المسجد يضيق عن أهله، قال:

و حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليست من المسجد، و لكن أبوابها شارعة فى المسجد، انتهى.

و أما بقية خبر ابن زبالة المتقدم فقد قال عقب ذلك: ثم سام عمر بن عبد العزيز بنى عبد الرحمن بن عوف بدارهم، فأبوا، فهدمها عليهم و أدخلها فى المسجد، قال عبد الرحمن بن حميد: فذهب لنا متاع فى هدمهم، و أدخل حجرات أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مما يلى المشرق و من الشام، و أخل القرائن دور عبد الرحمن بن عوف و أدخل دار عبد اللّه بن مسعود التى يقال لها دار القراء، و أبيات هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، و أدخل فيه من المغرب دارا كانت لطلحة بن عبيد الله، و دارا كانت لأبى سبرة بن أبى رهم كانت فى موضع المربعة التى فى غربى المسجد، و دارا لعمار بن ياسر كانت إلى جنب دار أبى سبرة، و بعض دار العباس بن عبد المطلب، فأعلم ما دخل منها فى المسجد، فجعل منابر سواريها التى تلى السقف أعظم من غيرها من سوارى المسجد، و أدخل دارا كانت لمخارق مولى العباس بن عبد المطلب.

قلت: قوله «و أدخل إلى آخره» و إن كان مبنيا لما لم يسم فاعله، لكن إيراده هنا يقتضى أن ذلك كله فى زيادة الوليد المذكورة، و فيه نظر؛ لما تقدم من أن عثمان رضى اللّه عنه زاد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۳

فى المسجد أسطوانا بعد المربعة، فيكون زيادة الوليد بعد ذلك فى جهة المغرب، فلا يصح إدخاله لدار أبى سبرة؛ لقوله إنها كانت فى موضع المربعة، إلا أن يريد بالمربعة هنا الأسطوانة التى عن يمينك إذا دخلت من الباب الذى يلى دار مروان، و هو باب السلام، و هى الثانية من الباب المذكور، فإنها أول زيادة الوليد؛ لقوله فى رواية يحيى المتقدمة «و مده فى المغرب أسطوانين» لكن قال ابن شبة نقلا عن ابن أبى يحيى: إنه كانت لأبى سبرة بن أبى رهم دار موضعها عند الأسطوان المربعة التى فى المسجد اليمانية الغربية، و كانت جديدة، و كانت هناك دار لعمار بن ياسر، فأدخلتا فى المسجد، انتهى. و هو ظاهر فى أن المراد بالمربعة الأسطوان المثمنة اليوم التى

قدمنا وصفها فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه، و قوله «و بعض دار العباس بن عبد المطلب» ظاهر أيضا فى أن الوليد أدخل من دار العباس شيئا، و لعله مما كان بقى منها و أدخله مروان فى داره، فيستفاد منه أن الوليد أدخل بعض دار مروان و هو ظاهر؛ لما قدمناه من أن دار مروان كانت ملاصقة للمسجد فى جهة المغرب و لها خوخة فيه، و لا شك أنه اتخذها قبل زيادة الوليد، فإن وفاة مروان كانت فى سنة خمس و ستين بعد أن أقام فى الخلافة عشرة أشهر.

و لنرجع إلى تكميل خبر ابن زبالة المتقدم، قال: قالوا: و كتب الوليد بن عبد الملك إلى ملك الروم «إنا نريد أن نعمر مسجد نبينا الأعظم، فأعنّا فيه بعمال و فسيفساء»، قالوا:

فبعث إليه بأحمال من فسيفساء و بضعة و عشرين عاملا، و قال بعضهم: بعشرة عمال، و قال:

قد بعثت إليك بعشرة يعدلون مائة، و بثمانين ألف دينار عونا له.

قلت: روى ذلك يحيى أيضا، و ذكر فى رواية أخرى عن قدامة بن موسى أن ملك الروم، بعث إليه بأربعين. يعنى عاملا سمن الروم، و بأربعين من القبط، و بأربعين ألف مثقال ذهب. و فى رواية لرزين: فبعث إليه ثلاثين عاملا، و أربعين من الروم، و مثلهم من القبط، و بثمانين ألف مثقال، و بأحمال من الفسيفساء، و بأحمال من سلاسل القناديل، انتهى.

و لنرجع إلى تكميل خبر ابن زبالة له أيضا، قال عقب ما تقدم: و بعث بهذه السلاسل التى فيها القناديل، قالوا: و هدمه عمر بن عبد العزيز سنة إحدى و تسعين- أى بتقديم التاء الفوقية على السين- و بناه بالحجارة المنقوشة المطابقة و قصّة بطن نخل، و عمله بالفسيفساء و المرمر، و عمل سقفه بالساج و ماء الذهب، و هدم حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فأدخلها فى المسجد، و نقل لبن المسجد و لبن الحجرات فبنى به داره التى بالحرة فهو فيها اليوم له بياض على اللبن، قال: فبينما أولئك العمال يعملون فى المسجد إذ خلا لهم المسجد فقال بعض أولئك العمال من الروم: ألا أبول على قبر نبيهم، فتهيأ لذلك فنهاه أصحابه، فلما همّ أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۴

يفعل اقتلع فألقى على رأسه، فانتثر دماغه، فأسلم بعض أولئك النصارى، و عمل أحد أولئك الروم على رأس خمس طاقات فى جدار القبلة فى صحن المسجد صورة خنزير، فظهر عليه عمر بن عبد العزيز فامر به فضربت عنقه، و قال بعض أولئك العمال الذين عملوا الفسيفساء: إنا عملناه على ما وجدنا من صور شجر الجنة و قصورها، انتهى خبر ابن زبالة.

و فى خبر يحيى المتقدم عن قدامة بن موسى أن عمر بن عبد العزيز أخمر النورة التى تعمل بها الفسيفساء سنة، و حملوا القصة من بطن نخل منخولة، و عمل الأساس بالحجارة و الجدار بالحجارة المطابقة و القصة، و جعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد و الرصاص، و كان طوله مائتى ذراع و عرضه فى مقدمته مائتين و فى مؤخره ثمانين و مائة، و هو من قبل كان مقدمه أعرض، انتهى.

و ما ذكره فى ذرع عرض المسجد غير صحيح؛ لما سيأتى عن ابن زبالة فى الفصل الحادى و الثلاثين أنه ذكر فى موضع آخر أن عرض المسجد من مقدمه فى زمنه مائة و خمسة و ستون ذراعا، و عرضه من مؤخره مائة و ثلاثون ذراعا، و سيأتى أيضا أن الذى حررناه أن عرضه اليوم من مقدمه فى جهة القبلة مائة ذراع و سبعة و ستون ذراعا و نصف، و أن عرضه من مؤخره فى جهة الشام مائة و خمسة و ثلاثون ذراعا، و لا شك أن المسجد لم ينقص من عرضه شىء، فهذا الذرع المذكور فى هذه الرواية غير صحيح، و قد نقله ابن النجار عن أهل السير، و تعقبه المطرى بنحو ما ذكرناه.

و روى ابن زبالة عن محمد بن عمار عن جده قال: لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش و الأنصار و العرب و الموالى فقال لهم:

تعالوا أحضروا بنيان قبلتكم، لا تقولوا غير عمر قبلتنا، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا، فكانت زيادة الوليد بن عبد الملك من المشرق إلى المغرب ستة أساطين، و زاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر أربع عشر أسطوانا منها عشر فى الرحبة و

أربع فى السقائف الأولى التى كانت قبل، و زاد من الأسطوان التى دون المربعة إلى المشرق أربع أساطين فى السقائف، فدخل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى المسجد، و بقى ثلاث أساطين فى السقائف.

قلت: فاستفدنا من ذلك أن الستة أساطين التى زادها فى المشرق و المغرب ليس منها فى جهة المغرب سوى اثنتين، و أن أربعة منها فى جهة المشرق؛ فيكون ابتداء زيادته فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۵

المشرق من الأسطوان الاصق اليوم بالشباك الدائر حول الحجرة الشريفة على ما قدمناه فى تحديد المسجد النبوى، و ذلك هو المراد بقوله «من الأسطوان التى دون المربعة إلى المشرق» و قوله «و بقى ثلاث أساطين» أى من الأربعة المذكورة «فى السقائف» أى المسقف الشرقى كما هو اليوم، لكن فى رواية يحيى المتقدمة أنه زاد فى المشرق ما بين الأسطوان المربعة أى مربعة القبر إلى جدار المسجد يعنى الشرقى؛ فعلى هذا يكون له فى المشرق ثلاثة أساطين فقط؛ فيحتمل أن يكون له فى المغرب ثلاث أيضا، و قوله «و زاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر- إلى آخره» معناه أنه لما أحدث المسقف الشرقى جعل ابتداءه مما يلى رحبة المسجد مربعة القبر، و جعل فى صفها إلى جهة الشام أربع عشر أسطوانا منها عشر فى الرحبة و أربع فى السقائف التى كانت قبل: أى فى المسقف الشامى، فيكون قد صيّر المسقف الشامى رحبة، و جعل المسقف الشامى بعد أربع عشر أسطوانا، فهذا معنى زيادته لهذا العدد.

و يستفاد منه: أن جدار المسجد من جهة الشام فى زمنه كان بعد ثمان عشرة أسطوانة، من مربعة القبر؛ لأنك إذا ضممت أربع أساطين للسقائف التى أحدثها بدل الأولى إلى الأربع عشرة المذكورة بلغ ذلك، فيكون محل الجدار المذكور قريبا مما يوازى الأسطوان التى قبل المسقف الشامى بأسطوان فيما يليه من الرحبة، و ذلك موافق لما تقدم من أنه جعل طوله- يعنى من القبلة إلى الشام- مائتى ذراع، فيتحرر من ذلك أن زيادته من جهة الشام على ما ذكر من الذرع فى زمن عثمان رضى اللّه عنه أربعون ذراعا، و يحتمل أن يكون معنى قوله «و زاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر أربع عشرة أسطوانة» أن المسجد ينتهى فى جهة الشام فى زمنه بعد أربع عشرة أسطوانا من المربعة إلى جهة الشام؛ فيكون الجدار الشامى فى موازاة الأسطوانة الخامسة من طرف الدكاك التى هى المسقف الشامى، و هناك أسطوان فى الصف الأوسط من المسقف الشرقى مربع أسفله قدر الجلسة؛ فعلى هذا يكون علامة لذلك، لكنه مخالف لما تقدم من أنه جعل طوله مائتى ذراع، بل يكون طوله على هذا التقدير نحو مائة و ستين ذراعا، و ذلك هو ما تقدم فى طوله زمن عثمان رضى اللّه عنه، فيكون هذا الاحتمال مردودا، و لكن سيأتى فى زيادة المهدى ما يقتضيه، و اللّه أعلم.

و روى يحيى عن محمد بن إسماعيل بن أبى فديك عمن يثق به من مشايخ البلد أن عمر بن عبد العزيز أمر حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة اثنين يصليان إليها و قدر مجلس اثنين يتساندان إليها.

و عن صالح بن كيسان قال: لما جاء كتاب الوليد من دمشق لهدم المسجد سار خمس عشرة، فجرد فى ذلك عمر بن عبد العزيز، قال صالح: و استعملنى على هدمه و بنائه،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۶

فهدمناه بعمال المدينة فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد، و قال ابن زبالة فيما رواه عن محمد بن عمار عن جده: و كان فى موضع الجنائز- أى شرقى المسجد فى زمان الوليد بن عبد الملك- نخلتان إذا أتى بالموتى وضعوا عندهما فيصلى عليهم، فأراد عمر بن عبد العزيز قطعهما حين ولى عمل المسجد للوليد بن عبد الملك، و ذلك فى سنة ثمان و ثمانين، فاقتتلت فيهما بنو النجار من الأنصار، فابتاعهما عمر بن عبد العزيز فقطعهما.

قلت: و لا ينافى ذلك ما تقدم من أن عمر هدم المسجد فى سنة إحدى و تسعين، لجواز أن يكون ولايته لذلك سنة ثمان و ثمانين، و استمر فى تحصيل الأهبة و شراء الأماكن و تخمير النورة إلى سنة إحدى و تسعين.

و فيما رواه يحيى عن حفص بن مروان عن أبيه أن عمر مكث فى بنائه ثلاث سنين.

قلت: فعلى هذا يكون قد فرغ منه فى آخر سنة ثلاث و تسعين، و هى السنة التى عزل فيها عمر عن المدينة، و فيه رد لقول من زعم أن هدمه كان فى سنة ثلاث و تسعين، لكن فى رواية لابن زبالة ما يقتضى أن البداءة فى هدم المسجد و عمارته كانت فى سنة ثمان و ثمانين؛ فإنه قال فيها: و ابتدأ عمر بن عبد العزيز بناء المسجد سنة ثمان و ثمانين، و فرغ سنة إحدى و تسعين، و فيها حج الوليد.

قال: و لما فرغ عمر بن عبد العزيز من بنيان المسجد أرسل إلى أبان بن عثمان، فحمل فى كساء خز حتى انتهى به إليه، فقال: أين هذا البناء من بنيانكم؟ فقال: بنيناه بناء المساجد و بنيتموه بناء الكنائس، قال: و قال الوليد حين رأى خوخة آل عمر: صانعتهم لمكان الخوخة، هكذا فى النسخة التى وقعت لنا، و لعلها لمكان الخؤلة؛ لأن المطرى قال: إن الوليد قال له: صانعت أخوالك، و قد كانت أم عمر بن عبد العزيز منهم.

و روى يحيى عن جعفر بن وردان عن أبيه ما يقتضى أن المخاطب لأبان بن عثمان هو الوليد؛ فإنه قال: فلما قدم الوليد حاجا جعل يطوف فى المسجد و ينظر إليه و يصيح بعمر:

هاهنا، و معه أبان بن عثمان، فلم استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان و قال: أين بناؤنا من بنائكم؟ قال أبان: إنا بنيناه بناء المساجد و بنيتموه بناء الكنائس.

قلت: و كان قد اعتنى عمر بتحسينه؛ فقد روى يحيى عن النضر بن أنس قال: كان عمر ابن عبد العزيز إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن عملها نفّله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۷

عمر ثلاثين درهما، و ذكر هو و ابن زبالة ما كان فيه من الكتابات داخله و خارجه و على أبوابه فتركناه لزواله.

و روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه قال: و لما قدم الوليد بن عبد الملك المدينة حاجا بعد فراغ عمر بن عبد العزيز من المسجد جعل يطوف فى المسجد و ينظر إلى بنيانه، فقال لعمر بن عبد العزيز حين رأى سقف المقصورة: أ لا عملت السقف كله مثل هذا، قال: إذا يا أمير المؤمنين تعظم النفقة جدا، قال: و إن، قال: و كان نفقته فى ذلك أربعين ألف دينار.

و روى ابن النجار هذا الخبر عن أهل السير بهذا اللفظ، إلا أنه قال: فقال: يا أمير المؤمنين إذا تعظم النفقة جدا، قال: و إن، قال: أ تدرى كم أنفقت على عمل جدار القبلة و ما بين السقفين؟ قال: و كم، قال: خمسة و أربعون ألف دينار، و قال بعضهم: أربعون ألف دينار، قال: و اللّه لكأنك أنفقتها من مالك، و قيل: كانت النفقة فى ذلك أربعين ألف مثقال، انتهى.

و ذكر يحيى رواية ابن زبالة المتقدمة من غير طريقه، و قال عقب قوله: «و كانت النفقة فى ذلك أربعين ألف دينار» قال: ثم انتهى إلى القبر فقال ابن الوليد لعمر بن عبد العزيز:

من هذا فى القبر؟ قال: رسول اللّه و أبو بكر و عمر، قال: فأين أمير المؤمنين عثمان؟ قال:

فأعرض عنه، فألح عليه، فقال: دفن فى حال تشاغل من الناس و قد أسىء أدبك.

و روى ذلك ابن زبالة أيضا، و زاد فقال: و سمعت بعض أهل العلم يقول: السائل بكار بن عبد الملك، و كان ضعيفا.

و قال ابن شبة: حدثنا أيوب بن عمر بن أبى عمرو، قال: أخبرنى موسى بن عبد العزيز قال: قال عمر بن عبد العزيز لى: اتكأ الوليد على يدى حين قدم المدينة، فجعل يطوف المسجد ينظر إلى بنائه، ثم أتى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فوقف عليه، ثم أقبل على فقال: أ معه أبو بكر و عمر؟ قلت: نعم، قال: فأين أمير المؤمنين عثمان؟ قال: فالله أعلم إنى لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجهما، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الناس كانوا حين قتل عثمان فى فتنة و شغل فذاك الذى منعهم من أن يدفنوه معهم، فسكت.

و روى يحيى أنه جعل المقصورة من ساج، قال: و كانت قبل من حجارة، و أن الواقدى قال: حدثنى عبد الله بن يزيد قال: كان عمل القبط مقدم المسجد، و كانت الروم تعمل ما خرج من السقف جوانبه و مؤخره، فسمعت سعيد بن المسيب يقول: عمل هؤلاء أحكم،

يعنى القبط.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۸

## الفصل السابع عشر فيما اتخذه عمر فى المسجد فى زيادة الوليد من المحراب و الشّرفات و المنائر، و اتخاذ الحرس، و منعهم من الصلاة على الجنائز فيه

### أول من أحدث المحراب و الشرفات

أسند يحيى عن عبد المهيمن بن عباس عن أبيه قال: مات عثمان و ليس فى المسجد شرفات و لا محراب، فأول من أحدث المحراب و الشرفات عمر بن عبد العزيز، و عن القاسم و سالم أنهما نظرا إلى شرفات المسجد فقالا: إنها من زينة المسجد، و أسند أيضا من طريق ابن زبالة و رأيته فيه أن عمر بن عبد العزيز هو الذى عمل الرصاص على طنف المسجد و الميازيب التى من الرصاص، فلم يبق من الميازيب التى عمل عمر بن عبد العزيز غير ميزابين: أحدهما فى موضع الجنائز، و الآخر على الباب الذى يدخل منه أهل السوق الذى يقال له باب عاتكة، و لم يكن للمسجد شرفات حتى عملها عبد الواحد بن عبد الله النصرى، و هو وال على المدينة، سنة أربع و مائة، انتهى.

فهذا يقتضى أن عمر بن عبد العزيز لم يحدث الشرفات فى زيادة الوليد، بل و لا فى زمن خلافته بعده، لأن وفاته كانت فى رجب سنة إحدى و مائة.

و فى سنن البيهقى عن أنس عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «ابنوا المساجد و اتخذوها جماء» و عن ابن عمر: نهانا- أو نهينا- أن نصلى فى مسجد مشرف.

قال أبو عبيد: الجم التى لا شرف لها، حكاه فى شرح المهذب.

قال الزين المراغى: و ليس للمسجد شرفات منذ حريقه، و قد جددت له شرفات سنة سبع و ستين و سبعمائة فى أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر، انتهى.

و المراد بالشرفات المذكورة ما على ما أحاط بجدرات صحن المسجد من جوانبه الأربعة، و بينها فرج شبه طاقات الشباك، و هى المرادة فيما حكاه البدر بن فرحون عن القاضى فخر الدين بن مسكين الفقيه الشافعى أنه كان يجلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس فيصلى الضحى، و أنه رأى الناس يرتقبون بصلاتهم الشيخ أبا عبد اللّه بن فرحون ولد البدر، قال:

و كان يقوم إذا وصلت الشمس فى الحائط الغربى إلى تحت الشبابيك الصغار، قال:

فاجتمعت به، و كنت به جاهلا، فقلت له: رأيتك تقوم للضحى قبل وقتها، و قد نهى النبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۹۹

صلّى اللّه عليه و سلّم عنها حتى ترتفع الشمس و تبيض، فالتفت إلىّ و قال: بعد اليوم نؤخر كما قلت، و سكت عنى.

قلت: و إنما ذكرت ذلك لأن كثيرا من الناس اليوم يشرعون فى الصلاة عند وقوع الشمس على رءوس الشراريف، و ذلك قبل ارتفاع الشمس كرمح، و اللّه أعلم.

المنارات التى عملها عمر بن عبد العزيز

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن محمد بن عمار عن جده، قال: جعل عمر بن عبد العزيز لمسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حين بناه أربع منارات فى كل زاوية منه منارة.

قال كثير بن حفص: و كانت المنارة الرابعة مطلة على دار مروان، فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن، فأطل عليه، فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت إلى ظهر المسجد، و بابها على باب المسجد، و فى نسخة يحيى «و بابها على المسجد مما يلى دار مروان

من قبل المسجد».

قلت: فكان المسجد بعد ذلك له ثلاث منارات فقط، و هو المراد من قول ابن زبالة فى موضع آخر: و لمسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاث منارات طول كل منارة ستون ذراعا، و قال فى موضع آخر: و طول المنارة الشرقية اليمانية فى السماء خمس و خمسون ذراعا، و المنارة الشرقية الشامية خمس و خمسون، و المنارة الغربية الشامية ثلاث و خمسون، و عرض المنارات ثمان أذرع فى ثمان أذرع، اه.

و ذكر ابن جبير فى رحلته ما يقتضى أن المنارتين الشاميتين كانتا صغيرتين، بخلاف الشرقية اليمانية، فإنه قال: و للمسجد المبارك ثلاث صوامع إحداها فى الركن الشرقى المتصل بالقبلة، و الاثنتان فى ركنى الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين، و الصومعة الأولى المذكورة على هيئة الصوامع.

قلت: فكأن الشاميتين غيرتا بعد ابن جبير؛ فإنهما اليوم على هيئة الشرقية اليمانية المعروفة اليوم بالرئيسية؛ لاختصاص الرئيس بها، و كان طول المنارة الرئيسية فى زماننا أولا من رأس هلالها إلى أسفلها خارج المسجد بالبلاط سبعة و سبعين ذراعا، بتقديم السين، ثم سقط منها نحو ثلثها بسبب الصاعقة التى نشأ عنها حريق المسجد الثانى كما سيأتى، فاقتضى الحال هدم جميعها، ثم أعيدت فكان طولها اليوم أزيد من مائة ذراع، فصارت أطول المنارات، ثم ظهر منها خلل بعد، فبعث السلطان الأشرف الشجاعى شاهين الجمالى و أمره بهدمها، فهدمها غير محكم، فحفر أساسها إلى الملك، و أعادها متقنة جدا فى عرض جدارها الشرقى من موضع الجنائز شرقى المسجد، و زاد فى ارتفاعها أيضا حتى بلغ زيادة عن مائة و عشرين ذراعا، و طول المنارة الشرقية الشامية و هى المعروفة بالسنجارية تسعة- بتقديم التاء

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۰

على السين- و سبعون ذراعا، و طول الشامية الغربية المعروفة بالخشبية اثنان و سبعون ذراعا- بتقديم السين فيهما- كل ذلك من أعلى الهلال إلى الأرض الخارجة عن المسجد، و به يعلم أن المنارات التى كانت فى زمن ابن زبالة ليست هى الموجودة اليوم.

قال المطرى: و لم يزل المسجد على ثلاث منارات إلى أن جددت المنارة الرابعة، و ذكر فى موضع آخر تجديدها، فقال بعد ذكر خوخة مروان المتقدم ذكرها فى ركن المسجد الغربى: إنه شاهد الخوخة المذكورة عند بناء المنارة الكبيرة المتجددة فى سنة ست و سبعمائة، أمر بإنشائها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون.

قال المطرى: و كان باب الخوخة عليها، و هو من ساج، فلم يبل إلى هذا التاريخ، كان مروان يدخل من داره إلى المسجد منها، و قد انسدت- يعنى الخوخة- بحائط المنارة الغربى اه.

قلت: و قد ذكر البدر بن فرحون بناء هذه المنارة فإنه أدرك ذلك، و ذكر أنه لم يوجد عند الحفر أثر لما ذكر من وجود منارة قبلها، فقال ما ملخصه؛ إنه لما حج سلار و بيبرس كلمهما شيخ الخدام شبل الدولة كافور المظفرى المعروف بالحريرى فى بناء المنارة التى بباب السلام اليوم، فأنعما، ثم خشى أنهما يشتغلان عن ذلك و يستثقلان النفقة، فقال: أنا لا أطلب منكم مالا، عندى من قناديل الذهب و الفضة ما يقوم بها و زيادة، فأنعما له بإرسال الصناع، و أمر بالحفر لها فى مكانها اليوم، فلم ينزلوا إلا قليلا إذ وجدوا باب مروان ابن الحكم أسفل من أرض المسجد بقدر قامة، ثم وجدوا تحصيب المسجد فى أيام مروان بالرمل الأسود يشبه أن يكون من جبل سلع، ثم نزلوا فى الأساس حتى بلغوا الماء، ثم أمر الحريرى من كان بالمدينة يتعانى البناية كالشيخ إبراهيم البنا و الشيخ على الفراش الحجار و غيرهما ممن ليس له فى البناية كبير قدم، فدكوا الأساس، فلما حضر الصناع فى الموسم قال مقدمهم للشيخ: لا تبنى حتى تنقض ذلك، فإنّا لا نأمن عاقبته، فامتنع الشيخ، فرجع إلى مصر من حينه، فقال الشيخ لمن كان معه من المعلمين: اعملوا أنتم، فعملوها على ما هى عليه اليوم، و عمّ نفعها؛ لأنها متوسطة المدينة حتى إن رئيس المؤذنين محمد بن إبراهيم قال لى: لو تركت لى هذه المأذنة لكفيت المدينة، و هو حق؛ فإن امتداد المدينة و قوة عمارتها من جهة المغرب، يعنى فى محاذاة المنارة المذكورة.

قال: و كان بعض المؤرخين يذكر أنه كان هناك مأذنة مشرفة على دار مروان، فهدمها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۱

غيرة على أهله من مؤذنيها، فلم يوجد لذلك صحة و لا أثر البتة، انتهى ما ذكره ابن فرحون.

قلت: و جواب ما ذكره أخيرا أن تلك المنارة تحتمل أن تكون على باب المسجد و سطحه مما يلى دار مروان، و ليس لها فى الأرض أساس، و يدل على ذلك قوله فى الرواية المتقدمة:

و بابها على المسجد، أو على باب المسجد؛ فلا يلزم من عدم وجود أثرها عند الحفر عدم وجودها أصلا و رأسا فى تلك الجهة، و لم يتعرضوا لذرع هذه المنارة، و كانت أطول منارات المسجد. و قد ذرعتا من أعلى هلالها إلى الأرض، فكان ذلك خمسة و تسعين ذراعا- بتقديم التاء على السين- لكن صارت المنارة الرئيسية المجددة بعد الحريق أطول منها كما سبق، و الله أعلم.

و يظهر من سياق ما تقدم أن أول جعل المنارات فى المسجد كان فى زيادة الوليد، و يشهد لذلك ما رواه ابن إسحاق و أبو داود و البيهقى أن امرأة من بنى النجار قالت: كان بيتى من أطول بيت حول المسجد، و كان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة، فيأتى بسحر، فيجلس على البيت لينظر إلى الفجر، فإذا رآه تمطى، ثم قال: اللهم إنى أحمدك و أستعينك على قريش أن يقيموا دينك، قالت: ثم يؤذن.

و روى خالد بن عمرو عن أبى برزة الأسلمى قال: من السنة الأذان فى المنارة و الإقامة فى المسجد.

و روى غيره أن الأذان فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان على أسطوانة فى دار عبد اللّه بن عمر التى فى قبلة المسجد.

قال ابن زبالة: حدثنى محمد بن إسماعيل و غيره قال: كان فى دار عبد اللّه بن عمر أسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب، و الأسطوان مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار، و هى فى منزل عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عمر.

قلت: و الظاهر أنها المرادة بقوله فى الرواية المتقدمة فى قصة الخوخة التى جعلت بدل طريق بيت حفصة: و وسعها لهم حتى انتهى بها إلى الأسطوان.

و قال الأقشهرى، و من خطه نقلت: عن عبد العزيز بن عمران قال: كان فى دار عبد اللّه ابن عمر أسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها، و هى مربعة قائمة إلى اليوم. قال الأقشهرى: و هى باقية إلى يومنا هذا، قال، يعنى عبد العزيز: و كان يقال لها المطمار.

و أسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمران عن قدامة العمرى عن نافع عن ابن عمر، قال: كان بلال يؤذن على منارة فى دارة حفصة ابنة عمر التى تلى المسجد، قال: و كان يرقى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۲

على أقتاب فيها، و الأسطوان فى البيت الذى كان بيد عبيد اللّه بن عمر الذى يقال له بيت عبد الله بن عمر، و قد كانت خارجة من مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لم تكن فيه، و ليست فيه اليوم، و الظاهر أنه تجوّز فى تسمية الأسطوان منارة، و عبد العزيز بن عمران كان كثير الغلط؛ لأن كتبه احترقت؛ فكان يروى من حفظه، فتركوه، ثم الظاهر أن عمر و عثمان رضى اللّه عنهما لم يتخذا فى المسجد منارة، و إلا لنقل.

## عثمان أول من خلق المسجد و رزق المؤذنين

و روى يحيى عن جابر بن عبد اللّه قال: كان أول من خلّق المسجد، و رزق المؤذنين، و جلس على الدرجة الثالثة من المنبر بعد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عثمان رضى اللّه عنه.

## اتخاذ حرس للمسجد

و روى ابن زبالة عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبد العزيز استأجر حرسا للمسجد لا يحترف فيه أحد.

و عن كثير بن زيد قال: نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلّى على الجنائز فيه.

و عن عثمان بن أبى الوليد عن عروة بن الزبير أنه قال له: تضربون الناس فى الصلاة فى المسجد على الجنائز؟ قال: قلت: نعم، قال: أما إن أبا بكر قد صلى عليه فى المسجد.

قلت: و ذكر يحيى ما يقتضى أن الحرس كانوا قبل زمن عمر بن عبد العزيز يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز فى المسجد؛ فإنه روى عن ابن أبى ذئب عن المقبرى أنه رأى حرس مروان بن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أن يصلوا فيه على الجنائز.

قلت: و أما ما كان من ذلك فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم فقد روى ابن شبة عن صحابى سقط اسمه من النسخة التى وقفت عليها حديثا محصله أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما قدم المدينة كان إذا احتضر الميت آذنوه فحضره و استغفر له، حتى إذا قبض انصرف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و من معه، و ربما قعد و من معه فربما طال حبس ذلك على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال: فلما خشينا مشقة ذلك عليه قال بعض القوم لبعض: لو كنا لا نؤذن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأحد حتى يقبض، فإذا قبض آذناه، فلم يكن عليه فى ذلك مشقة و لا حبس، ففعلنا ذلك، و كنا نؤذنه بالميت بعد أن يموت فيأتيه فيصلى عليه، فربما انصرف، و ربما مكث حتى يدفن، فكنا على ذلك حينا، فقلنا: لو لم نشخص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و حملنا جنائزنا إليه حتى يصلى عليها عند بيته كان ذلك أرفق به، ففعلنا، فكان ذلك الأمر إلى اليوم.

## الصلاة على الجنائز فى المساجد

و عن ابن شهاب قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا هلك الهالك شهده يصلى عليه حيث

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۳

يدفن، فلما ثقل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و بدّن نقل إليه المؤمنون موتاهم فصلى عليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على الجنائز عند بيته فى موضع الجنائز اليوم، و لم يزل ذلك جاريا.

قال ابن شبة: و حدثنى محمد بن يحيى قال: حدثنى من أثق به أنه كان فى موضع الجنائز نخلتان إذا أتى بالموتى وضعوا عندهما فصلى عليهم، فأراد عمر بن عبد العزيز حين بنى المسجد قطعهما، فاقتتلت فيهما بنو النجار، فابتاعهما عمر فقطعهما.

و فى صحيح البخارى من حديث ابن عمر فى قصة اليهوديين «فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد» فدل ذلك على أن الموضع المذكور كان معروفا بذلك.

و فى صحيح مسلم من حديث عائشة أنها أمرت أن يمر بجنازة ابن أبى وقاص فى المسجد فتصلى عليه، فأنكر الناس ذلك عليها، فقالت: ما أسرع ما نسى الناس! ما صلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على سهيل بن البيضاء إلا فى المسجد، و فى رواية لها: و اللّه لقد صلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على ابنى بيضاء فى المسجد سهيل و أخيه.

قلت: و يفهم منه أن ذلك نادر، و أن الكثير من فعله صلّى اللّه عليه و سلّم ما تقدمت الإشارة إليه.

و روى يحيى بسند جيد عن عبد اللّه بن عمر أنه صلّى على عمر بن الخطاب فى المسجد، و فى رواية أخرى له عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عمر بن الخطاب صلى على أبى بكر فى المسجد، و أن صهيبا صلّى على عمر بن الخطاب فى المسجد، و بين فى رواية أخرى أن ذلك كان عند المنبر، و قد روى ذلك ابن أبى شيبة، و قال فى رواية: وضعت الجنازة فى المسجد تجاه المنبر.

قال الحافظ ابن حجر: و هذا يقتضى الإجماع على جواز ذلك، و قد تقررت المذاهب فى ذلك.

و قال ابن النجار عقب ذكر ما تقدم عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك: و السنة فى الجنائز باقية إلى يومنا هذا، إلا فى حق العلويين و من أراد الأمراء من الأعيان و غيرهم، و الباقون يصلّى عليهم خلف الحائط الشرقى من المسجد، إذا وقف الإمام على الجنائز هناك كان

النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن يمينه. انتهى.

## الشيعة غير الأشراف

قلت: و قد انتسخ ما ذكره ابن النجار، و صار يصلى على الجنائز كلها فى المسجد، و يخص الأعيان بالصلاة عليهم بالروضة الشريفة بين القبر و المنبر، و غيرهم يصلى عليه أمام الروضة بعد أن يوقف بالجنازة بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمام الوجه الشريف إلى عام اثنين و أربعين و ثمانمائة فى دولة السلطان الظاهر جقمق، فوردت مراسيمه على شيخ الحرم فارس بالأمر بمنع جنائز الشيعة من المسجد، فمنع المنسوبون للشيعة من إدخال جنائزهم إلى المسجد إلا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۴

الأشراف العلويين، و جرى الأمر على ذلك إلى يومنا هذا، لا يدخل المسجد إلا جنائز الأشراف و أهل السنة، و حاول بعض أهل المدينة إدخال بعض الشيعة غير الأشراف فقام فى ذلك بعض أمراء الترك و منع منه، و كان صاحبنا العلامة أحد شيوخ المالكية الشيخ شهاب الدين أحمد بن يونس القسنطينى ينكر الصلاة على الموتى بالروضة الشريفة و مقدم المسجد؛ لكون رجلى الميت تصيران إلى جهة الرأس الشريف، حتى إنه أوصى أن يصلّى عليه خارج المسجد فى موضع الجنائز، و أكثر قبل وفاته من الاستفتاء فى ذلك، و أرانى خطوط جماعة من علماء الشام و غيرها من الشافعية و غيرهم يتضمن موافقته على ذلك، و فى كلام بعض الشافعية: ينبغى أن تكون الصلاة بالمسجد خلف الحجرة الشريفة أو شرقيها، و التمس منى الكتابة فى ذلك، فكتبت بما حاصله أن الله تعالى قد أوجب على هذه الأمة تعظيم نبيها صلّى اللّه عليه و سلّم و توقيره و سلوك الأدب التام معه، و لا شك أن الميت إذا وضع فى مقدم الروضة أو المسجد كما يوضع اليوم و إن لم تكن رجلاه فى محاذاة الرأس الشريف حقيقة؛ لأن الرأس الشريف فى محاذاة صف أسطوان التوبة و المخلقة: أى حذاء الأسطوانات التى تكون خلف المصلى على الميت، لكن تكون رجلاه فى محاذاة الجهة المذكورة، و قد تصدق المحاذاة مع البعد، و لو رأينا شخصا اضطجع بذلك المحل من الروضة و جعل رجليه لتلك الجهة الشريفة لأنكرنا ذلك عليه، و ما ننكره على الأحياء لا ينبغى أن نفعله بالأموات، و قد تأملت كتب المذاهب الأربعة فلم أر فيها تعرضا لذكر السنة فى جهة رجلى الميت، بل ذكر الشافعية فيما إذا حضرت جنائز و صلّى عليها الإمام دفعة وجهين: أصحهما وضع الجميع صفا بين يدى الإمام فى جهة القبلة، زاد أبو زرعة العراقى فى شرح البهجة: و الأولى جعلها عن يمينه، و الثانى يوضع الجميع صفا واحدا رأس كل إنسان عند رجل الآخر، و يجعل الإمام جميعهم عن يمينه، و يقف فى محاذاة الأخير، هذا إذا اتحد النوع، فإن اختلف النوع تعين الوجه الأول، ذكره فى أصل الروضة، و يؤخذ منه استحباب جعل رجلى كل ميت عن يمين الإمام على الوجه الثانى، و إلا فلا يكون الجميع صفا عن يمينه، و أما على الوجه الأول فيؤخذ ذلك أيضا مما تقدم عن أبى زرعة، و لعل مأخذه فيه ما ذكر فى الثانى، و إذا ثبت ذلك فى الجماعة فالواحد كذلك؛ فيكون الأولى جعل رجليه عن يمين الإمام، و لكن الذى عليه الناس جعلهما على يساره.

و رأيت فى كتب المالكية ما يقتضى أن ذلك هو الأولى، و أن الناس مضوا على ذلك.

و قد ظهر لى أن السر فى ذلك أن السلف- كما يؤخذ مما قدمناه- إنما كانوا يصلون على الجنائز خارج المسجد فى شرقيه فى الموضع المعروف بذلك، و الواقف هناك يكون القبر الشريف عن يمينه، فرأوا- و اللّه أعلم- أن الأدب جعل الرجلين عن يسار الإمام صرفا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۵

لهما عن تلك الجهة الشريفة، ثم توارثوا ذلك، و استمر العمل عليه، فلما ترك ذلك وصلوا على الجنائز فى المسجد مشوا على ما اعتادوه من جعل رجلى الميت عن يسار الإمام مع الغافلة عن ذلك، و إذا لم تثبت سنة فى جعل رجلى الميت عن يسار الإمام فينبغى جعلهما عن يمينه فى هذا المحل الشريف، استعمالا لكمال الأدب.

و قد قال لى الشيخ فتح الدين بن تقى الدين الكازرونى- و كان يعد من فضلاء الشافعية- و قد ذاكرته بذلك: إذا أنا مت فليجعل رجلاى عن يمين الإمام، ففعل به ذلك رحمة الله، على أن الموضع الذى يلى الأرجل الشريفة من المسجد هو من موضع الجنائز فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم فيما يظهر، و يدل عليه ما اتفق لبنى النجار لما أراد عمر بن عبد العزيز قطع النخلتين عند عمارته للمسجد؛ فلو صلّى فيه اليوم على من يدخل به المسجد من الجنائز لكان أولى؛ فإنه يتأتى فيه كون الرجلين عن يسار الإمام و الرأس فى جهة الأرجل الشريفة، و يكون أفضل لما جرت به العادة من الخروج بالميت من باب جبريل، و أوفق لفعل السلف فى الصلاة على موتاهم هناك، و لم يوافق على شىء من ذلك المتمسكون بالعادات، و قد ذكرت نص ما أجبت به فى ذلك مبسوطا استطرادا فى كتابى «دفع التعرض و الإنكار، لبسط روضة المختار» و اللّه أعلم.

## الفصل الثامن عشر فى زيادة المهدى

نقل ابن زبالة و يحيى أن المسجد لم يزل على حالة ما زاد فيه الوليد إلى أن هم أبو جعفر المنصور بالزيادة فيه، ثم توفى و لم يزد فيه، حتى زاد فيه المهدى، لكن ذكر يحيى فى حكاية ما كان مكتوبا فى جدار القبلة ما لفظه: ثم إلى جنب هذا الكتاب- أى ما كتب فى زمن المهدى- كتاب كتب فى ولاية أبى العباس، يعنى السفاح، وصل هذا الكتاب أى كتاب المهدى إليه، و هو: أمر عبد اللّه عبد اللّه أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد و تزيينه و توسعته مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، ابتغاء رضوان اللّه و ثواب الله، و إن الله عنده ثواب الدنيا و الآخرة، و كان اللّه سميعا بصيرا، انتهى.

و هو يقتضى أن أبا العباس السفاح- و هو أول خلفاء بنى العباس- زاد فى المسجد أول ولايته، و ولايته سنة اثنتين و ثلاثين، و وفاته سنة ست و ثلاثين و مائة، و سنشير إلى محمل ذلك آخر الفصل.

و لفظ ما نقله ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم- منهم عبد العزيز بن محمد و محمد ابن إسماعيل- قالوا: لم يزل المسجد على حال ما زاد فيه الوليد بن عبد الملك حتى ولى أبو جعفر عبد الله- يعنى المنصور بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس- فهمّ بالزيادة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۶

و أراده، و شاور فيه، و كتب إليه الحسن بن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز، و يقول: إن زيد فى المسجد من ناحيته الشرقية توسط قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد، فكتب إليه أبو جعفر: إنى قد عرفت الذى أردت، فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضى اللّه عنه، فتوفى أبو جعفر و لم يزد فيه شيئا، ثم حج المهدى- يعنى ابن أبى جعفر- سنة ستين و مائة، فقدم المدينة منصرفه عن الحج، فاستعمل عليها جعفر بن سليمان سنة إحدى و ستين و مائة، و أمر بالزيادة فيه، و ولّى بناءه عبد اللّه بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز و عبد الملك ابن شبيب الغسانى، فمات ابن عاصم، فولى مكانه عبد اللّه بن موسى الحمصى، و زاد فيه مائة ذراع من ناحية الشام، و لم يزد فى القبلة و لا فى المشرق و المغرب شيئا، و ذلك عشر أساطين فى صحن المسجد إلى سقائف النساء، و خمسا سقائف النساء الشامية.

و روى يحيى ذلك من طريق ابن زبالة و غيره، و قال فى رواية له عقب قوله و استعمل عليها جعفر بن سليمان بن على بن عبد اللّه بن عباس: و أمره بالزيادة فى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ولاه بناءه هو و عبد اللّه بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان و عبد الملك بن شبيب الغسانى من أهل الشام، فزيد فى المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم، و كانت زيادته مائة ذراع، و لم يزد فيه من المشرق و لا المغرب و لا القبلة شيئا.

قلت: ما رويناه من أنه زاد فى مؤخر المسجد مائة ذراع يخالفه ما تقدم فى زيادة الوليد أنه جعل طوله مائتى ذراع؛ لأنه يقتضى أن يكون طول المسجد بعد زيادة المهدى ثلاثمائة ذراع، و طول المسجد اليوم على ما صرح به ابن زبالة مائتا ذراع و أربعون ذراعا، و قد

اختبرته فزاد على ذلك ثلاثة عشر ذراعا كما سيأتى، و مع ذلك فهو مؤيد لما قدمناه من الاحتمال المتبادر إلى الفهم فى الرواية المتقدمة فى زيادة الوليد المقتضى لأن نهاية المسجد من جهة الشام فى زمنه كانت بعد أربع عشر أسطوانة من مربعة القبر، و منها إلى آخر المسجد أربع و عشرون أسطوانة فإذا أسقطنا من ذلك أربع عشرة للوليد بقى عشرة أساطين و قدرها نحو مائة ذراع، و هذا معنى قوله فى الرواية المتقدمة «و ذلك عشر أساطين فى صحن المسجد إلى سقائف النساء» أى إلى آخر سقائف النساء، و هى المسقف الشامى، و قوله «و خمس فى السقائف» أى من العشرة المذكورة، مع أنه يقتضى أن المهدى جعل المسقف المذكور خمس أساطين، و هذا كان فى ذلك الزمان كما سنوضحه، و هو اليوم أربع فقط، و قد قدمنا ترجيح أن المراد مما ذكر فى زيادة الوليد أنه جعل أربع فقط، و قد قدمنا ترجيح طأن المراد مما ذكر فى زيادة الولدى أنه جعل أربع عشرة أسطوانة فى الرحبة بما فيها من أربع أساطين فى السقائف التى كانت أولا، و أنه جعل السقائف الشامية فى زمنه بعد الأربع عشرة المذكورة؛ لموافقة ما ذكره فى ذرع المسجد فى زمنه و لما ذكر فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه من أنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۰۷

جعل المسجد مائة و ستين ذراعا، فإن ذلك يقتضى أن يكون نهايته فى جهة الشام يقرب من أربعة عشر أسطوانة من المربعة المذكورة، فيتحصل من ذلك أن زيادة الوليد على ما ذكر فى زيادة عثمان رضى اللّه عنه أربعون ذراعا، و أن زيادة المهدى نحو خمسة و خمسين ذراعا فقط؛ فيكون للمهدى نحو ستة أساطين فى مؤخر المسجد، لكن سيأتى فى ذكر أبواب المسجد ما يقتضى أن الباب الذى كان يواجه دار خالد بن الوليد كان مكتوبا عليه: زيادة المهدى، و كذا الباب الذى بعده فى الشام عليه ما يقتضى ذلك، و كذا البابان المقابلان لهما فى جهة المغرب، دون ما قبل ذلك من الأبواب، و ذلك يقتضى ترجيح رواية أنه زاد فى المسجد مائة ذراع، و قد رأيت فى المسقف الشرقى أسطوانة هى التاسعة من جدار المسجد الشامى مربع أسفلها مرتفع عن الأرض بقدر الجلسة، و هى محاذية لما وصفوه من الباب المقابل لدار خالد بن الوليد، فإن صحت هذه الرواية فهى علامة على ابتداء زيادة المهدى، و اللّه أعلم.

و قال ابن زبالة و يحيى فى روايتهما المتقدمة أيضا: و كان- يعنى المهدى- قبل بنيانه قد أمر به، فقدّروا ما حوله، فابتيع، و كان مما أدخل فى المسجد من الور دار مليكة.

قال ابن زبالة: و أخبرنى إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه قال: كانت دار مليكة لعبد الرحمن بن عوف، و إنما سميت دار مليكة لأن عبد الرحمن أنزلها مليكة ابنة خارجة بن سنان، فغلب عليها اسمها، ثم باعها بنو عبد الرحمن بن عوف من عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، فباعها عبد اللّه حين بناء المسجد، فأدخل بعضها فى المسجد، و بعضها فى رحبة المسارب، و بعضها فى الطريق، قالوا: و أدخل دار شرحبيل بن حسنة و كانت صدقة، فابتاعوا دورا و منازل فأوقفوها صدقة و بقيت منها بقية، فابتاعها منهم يحيى بن خالد بن برمك فدخلت فى الحش حش طلحة.

قلت: و قد ذكر ابن شبة دار مليكة و قال: فباعها عبد اللّه من معاوية رضى اللّه عنه، فصارت فى الصوافى؛ فأدخلها المهدى فى المسجد، و ذكر دار شرحبيل هذه فى ترجمة علم دور أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالمدينة: أى غير الحجر، فقال: قال أبو غسان: اتخذت أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى اللّه عنها الدار التى يقال لها دار آل شرحبيل، فوهبتها لشرحبيل بن حسنة، فلم تزل لبنيه حتى باعوا صدرها من المهدى فزادها فى مؤخر مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم سنة إحدى و ستين و مائة، ثم ذكر ما سنورده فى ذكر الدور المطيفة بالمسجد.

و قال ابن زبالة عقب ما تقدم: و أدخل بقية دار عبد اللّه بن مسعود التى يقال لها دار القراء، و دار المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة.

قلت: ذكر ابن شبة هذه الدار فى دور بنى زهرة، فقال: و اتخذ مخرمة بن أهيب بن نوفل دارا، و هى فى زاوية المسجد عند المنارة

الشرقیة الیمانیة، فاشتری المهدی بعضها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۰۸

فأدخله فی رحبة المسجد القصیا و فی الطریق، و بیعت بقیتها فصارت لرجل من آل مطرف ثم صارت لبعض بنی برمک ثم صارت صافیة الیوم، انتهی.

و قوله «المنارة الشرقیة الیمانیة» تحریف و الصواب الشامیة.

قال ابن زبالة و یحیی عقب ما تقدم: و فرغ من بنیان المسجد سنة خمس و ستین و مائة، و قد کان هم بسد خوخة آل عمر، و أمر بالمقصورة فهدمت و خفضت إلی مستوی المسجد، و کانت مرتفعة ذراعین عن وجه المسجد، فأوطأها مع المسجد، فکلمه آل عمر فی خوختهم حتی کثر الکلام بینهم، فأذن لهم ففتحوها و خفضوها فی الأرض شبه السرب؛ فصارت فی المسجد أی: خارج المقصورة علیها شباک حدید، و زاد فی المسجد لتلک الخوخة ثلاث درجات؛ فهی علی ذلک إلی الیوم.

و یؤخذ مما ذکره ابن زبالة من الکتابة علی أبواب المسجد فی زمن المهدی أنه زخرفه بالفسیفساء کما فعل الولید، و یشهد لذلک بقیة من الفسیفساء کانت فیما زاده فی مؤخر المسجد عند المنارة الغربیة الشامیة، و فیما یقرب منها من الحائط الغربی، و لم أر فی کلام أحد من مؤرخی المدینة أن المسجد الشریف زید فیه بعد المهدی، لکن قال الزین المراغی ما لفظه:

و قیل: إن المأمون زاد فیه، و أتقن بنیانه أیضا فی سنة اثنتین و مائتین.

قال السهیلی: و هو علی حاله، و رزین ینکر ذلک، و یمکن الجمع بأنه جدده و لم یزد، انتهی.

قلت: و لم أر فی کلام رزین تعرضا لحکایة ذلک حتی ینکره، و هذا بعید جدّا؛ لأن من أدرک زمن المأمون من مؤرخی المدینة لم یتعرض لشیء من ذلک، نعم رأیت فی المعارف لابن قتیبة بعد ذکر زیادة المهدی ما لفظه: و زاد فیه المأمون زیادة کثیرة و وسعه، و قرأت علی موضع زیادة المأمون: أمر عبد اللّه بعمارة مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم سنة اثنتین و مائتین، و ذکر أشیاء من الأمر بالعدل و تقوی الله، و هذا لا دلالة فیه علی زیادة المأمون فی المسجد لاحتمال أنه وقع فی زمنه عمارة من غیر أن یزید فیه، علی أن فی کلام یحیی و غیره فی حکایة ما کان مکتوبا فی المسجد ما یدل علی کتابة مثل ذلک لمن تجددت ولایته من الخلفاء فقط، و اللّه أعلم.

## الفصل التاسع عشر فیما کانت علیه الحجرة الشریفة الحاویة للقبور المنیفة فی مبدأ الأمر

### اشارة

قد قدمنا أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لما بنی المسجد بنی بیتین لزوجتیه عائشة و سودة رضی اللّه عنهما علی نعت بناء المسجد من لبن و جرید النخل، قال ابن النجار: و کان لبیت عائشة رضی الله عنها مصراع واحد من عرعر أو ساج، و تقدم أیضا فی الفصل التاسع عن جماعة ممن أدرک

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۰۹

بیوت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لما أدخلت فی المسجد أنها کانت من جرید مستورة بمسوح الشعر، و أن عمران بن أبی أنس قال: کان فیها أربعة أبیات بلبن لها حجر من جرید، الخبر المتقدم.

### أول من بنی جدارا علی بیت عائشة

قلت: و کان بیت عائشة رضی اللّه عنها أحد الأربعة المذکورة. لکن سیأتی من روایة ابن سعد أنه لم یکن علیه حائط زمن النبی صلّی

اللّه عليه و سلّم، و أن أول من بنى عليه جدارا عمر بن الخطاب، و ليحمل على أن حجرة الجريد التى كانت مضافة له، أبدلها عمر بجدار، جمعا بين الروايات، و تقدم أيضا قول عبد اللّه بن يزيد الهذلى: و رأيت حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين هدمها عمر بن عبد العزيز مبنية باللبن حولها حجر من جريد ممدودة، إلا حجرة أم سلمة، و قول الحسن البصرى: كنت أدخل بيوت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا غلام مراهق، و أنال السقف بيدى، و كان لكل بيت حجرة، و كانت حجره من أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر.

قلت: و الظاهر أن ما يستر به الحجر المذكورة هو المراد فى حديث كشفه صلّى اللّه عليه و سلّم لسجف حجرته، كما فى الصحيح، و السجف لغة: الستر.

و فى التحفة لابن عساكر عن داود بن قيس أنه قال: أظن عرض البيت من الحجرة إلى باب البيت نحو من ست أو سبع أذرع، و أظن سمكه بين الثمان و التسع نحو ذلك، و وقفت عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب، و هو صريح فى أن الباب كان فى جهة المغرب، و سيأتى ما يؤيده.

و كذا ما روى فى الصحيح من كشفه صلّى اللّه عليه و سلّم سجف الباب فى مرضه و أبو بكر رضى الله عنه يؤم الناس، و ترجيل عائشة رضى اللّه عنها شعره و هو فى معتكفه و هى فى بيتها كما تقدم فى حديث: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا اعتكف يدنى إلى رأسه فأرجله، و فى رواية النسائى: يأتينى و هو معتكف فى المسجد، فيتكئ على عتبة باب حجرتى، فأغسل رأسه و أنا فى حجرتى و سائره فى المسجد، لكن سبق أيضا ما يقتضى أن الباب كان مستقبل الشام، و هو ضعيف أو مؤول، أما ضعفه فلما تقدم من أن بيت فاطمة رضى اللّه عنها كان ملاصقا له من جهة الشام و أن مربعة القبر كانت باب على، و يحتمل أن بعضه من جهة الشام كان ملاصقا بيت فاطمة دون بعضه، فيتأتى ذلك، و يدل له ما قدمناه فى بيت فاطمة رضى الله عنها من أن الموضع المزور فى بناء عمر بن عبد العزيز كان مخرجا للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أما تأويله فبأحد أمرين كما أشار إليه الزين المراغى: أحدهما حمله على أنه باب شرعته عائشة رضى الله عنها لما ضربت حائطا بينها و بين القبور المقدسة بعد دفن عمر رضى اللّه عنه، لا أنه الباب

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۰

الذى كان فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، و فيه بعد؛ لأنه سيأتى ما يؤخذ منه أن الحائط الذى ضربته كان فى جهة المشرق، ثانيهما لأنه كان له بابان؛ إذ لا مانع من ذلك، و هذا محمل ما رواه ابن عساكر عن محمد بن أبى فديك عن محمد بن هلال أنه رأى حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من جريد مستورة بمسوح الشعر، فسألته عن بيت عائشة، فقال: كان بابه من جهة الشام، قلت: مصراعا كان أو مصراعين؟ قال: كان باب واحد، قلت: من أى شىء كان؟ قال: من عرعر أو ساج، و هذا مستند ابن عساكر فى قوله: و باب البيت شامى، و لم يكن على الباب غلق مدة حياة عائشة، اه.

ثم ظفرت فى طبقات ابن سعد بما يصرح بأن الحجرة الشريفة كان لها بابان؛ فإنه روى من طرق أنهم صلوا على النبى «بحجرته، و روى فى أثناء ذلك عن أبى عسيم قال: لما قبض رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قالوا: كيف نصلى عليه؟ قالوا: ادخلوا من ذا الباب أرسالا أرسالا فصلوا عليه، و اخرجوا من الباب الآخر، و اللّه أعلم.

و كان بيت حفصة بنت عمر رضى اللّه عنها ملاصقا لبيت عائشة رضى اللّه عنها من جهة القبلة.

و نقل ابن زبالة فيما رواه عن عبد الرحمن بن حميد و عبيد اللّه بن عمر بن حفص و أبى سبرة و غيرهم أنه كان بين بيت حفصة و بين منزل عائشة الذى فيه قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم طريق، و كانتا يتهاديان الكلام و هما فى منزليهما، من قرب ما بينهما، و كان بيت حفصة عن يمين الخوخة.

قلت: فهو موقف الزائرين اليوم داخل المقصورة و خارجها، كما ذكره المطرى، و تقدم فى حدود المسجد النبوى أن جدار الحجرة مما يلى المسجد كان فى حد القناديل التى بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر، و بين الأساطين المقابلة لها، و هى التى إليها المقصورة

الدائرة على الحجرة من جهة المغرب، و أن المسجد زيد فيه من تلك الجهة شيء من الحجرة، و أن الظاهر أن ما ترك في المسجد من الحجرة كان من مرافقها كالدهليز للباب، و أن ما بنى عليه من ذلك هو صفة بيت عائشة رضى اللّه عنها التى وقع الدفن بها.

هذا ما تحصل لى من كلام متقدمى المؤرخين، خلاف ما اقتضاه كلام متأخريهم، من أن جدار الحجرة الذى [فى] جوف الحائر الدائر عليها اليوم هو جدارها الأول، و إليه ينتهى حد المسجد، و أن جدار الحائر الذى جعله عمر بن عبد العزيز إنما جعله فيما يلى الحجرة من المسجد، و قد قدمنا من كلام ابن زبالة و المحاسبى نقلا عن مالك ما يرد ذلك، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۱

## الفصل العشرون فيما حدث من عمارة الحجرة بعد ذلك، و الحائر الذى أدير عليها

روى ابن زبالة عن عائشة رضى اللّه عنها أنها قالت: ما زلت أضع خمارى و أتفضل فى ثيابى حتى دفن عمر؛ فلم أزل متحفظة فى ثيابى حتى بنيت بينى و بين القبور جدارا.

و عن المطلب قال: كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم، و كانت فى الجدار كوة فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوت فسدت.

و قال ابن سعد فى طبقاته: أخبرنى موسى بن داود قال: سمعت مالك بن أنس يقول:

قسم بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، و قسم كان تكون فيه عائشة و بينهما حائط؛ فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا، فلما دفن عمر لم تدخله إلا و هى جامعة عليها ثيابها.

و قال ابن سعد أيضا: أخبرنا يحيى بن عباد قال: حدثنا حماد بن زيد قال: سمعت عمرو بن دينار و عبيد اللّه بن أبى يزيد قالا: لم يكن على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حائط، و كان أول من بنى عليه جدارا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

قال عبيد اللّه بن أبى يزيد: كان جداره قصيرا، ثم بناه عبد اللّه بن الزبير.

و قال الأقشهرى: قال أبو زيد بن شبة: قال أبو غسان بن يحيى بن على بن عبد الحميد و كان عالما بأخبار المدينة و من بيت كتابة و علم-: لم يزل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى دفن فيه هو و أبو بكر و عمر رضى اللّه عنهما ظاهرا حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظار المزور الذى هو عليه اليوم حين بنى المسجد فى خلافة الوليد بن عبد الملك، و إنما جعله مزورا كراهة أن يشبه تربيعه تربيع الكعبة، و أن يتخذ قبلة فيصلى إليه.

قال أبو زيد: قال أبو غسان: و قد سمعت غير واحد من أهل العلم يزعم أن عمر بنى البيت غير بنائه الذى كان عليه، و سمعت من يقول: بنى على بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاثة أجدر، فدور القبر ثلاثة أجدر: جدار بناء بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و جدار البيت الذى يزعم أنه بنى عليه يعنى عمر بن عبد العزيز، و جدار الحظار الظاهر، انتهى ما نقله الأقشهرى.

قلت: و لم يوجد على الحجرة الشريفة عند انكشافها فى العمارة التى أدركناها غير جدار واحد جوف الحظار الظاهر.

و قال ابن سعد: أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى المكى قال: حدثنا مسلم بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۲

خالد قال: حدثنى إبراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمى عن أبيه قال: انهدم الجدار الذى على قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى زمان عمر بن عبد العزيز، فأمر بعمارته، قال: فإنه لجالس و هو يا بنى إذ قال لعلى بن حسين: قم يا على فقمّ البيت، يعنى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فقام إليه القاسم ابن محمد قال: و أنا أصلحك اللّه، قال: نعم و أنت فقم؛ ثم قال له سالم بن عبد اللّه: و أنا أصلحك اللّه، قال: اجلسوا جميعا، و قم يا مزاحم، فقمّه، فقام مزاحم فقمه، قال مسلم: و قد أثبت لى بالمدينة أن البيت الذى فيه قبر

النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بیت عائشة، و أن بابه و باب حجرته تجاه الشام. و أن البیت کما هو سقفه علی حاله، و أن فی البیت جرة و خلق رخالة، انتهی.

و روی ابن زبالة و یحیی من طریقه عن غیر واحد منهم إبراهیم بن محمد بن عبد العزیز الزهری عن أبیه قال: جاف بیت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم من شرقیه، فجاء عمر بن عبد العزیز و معه عبد اللّه بن عبید اللّه بن عبد اللّه بن عمر، فأمر ابن وردان أن یکشف عن الأساس، فبینا هو یکشفه إلی أن رفع یده و تنحّی واجما، فقام عمر بن عبد العزیز فزعا، فقال عبد اللّه ابن عبید الله: أیها الأمیر لا یروعنّک فتانک قدما جدک عمر بن الخطاب ضاق البیت عنه فحفر له فی الأساس، فقال: یا ابن وردان غطّ ما رأیت، ففعل.

و روی أیضا عن المطلب أنه لما سقط الجدار من شق الجنائز أمر عمر بقباطیّ فخیطت، ثم ستر بها، و أمر أبا حفصة مولی عائشة و ناسا معه فبنوا الجدار، فجعلوا فیه کوة، فلما فرغوا منه و رفعوه دخل مزاحم مولی عمر فقمّ ما سقط علی القبر من التراب و الطین، و نزع القباطی، و کان عمر یقول: لأن أکون ولیت ما ولی مزاحم من قمّ القبور أحب إلی من أن یکون لی من الدنیا کذا و کذا، و ذکر مرغوبا من الدنیا.

و روی یحیی من طریقه أیضا عن عبد اللّه بن محمد بن عقیل قال: کنت أخرج کل لیلة من آخر اللیل حتی آتی المسجد، فأبدأ بالنبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فأسلم علیه، ثم آتی مصلای فأجلس به حتی أصلی الصبح، فخرجت فی لیلة مطیرة حتی إذا کنت عند دار المغیرة بن شعبة لقیتنی رائحة لا و اللّه ما وجدت مثلها قط، فجئت المسجد فبدأت بقبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فإذا جداره قد انهدم، فدخلت فسلمت علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و مکثت فیه ملیا، و ذکر صفة القبور کما سیأتی عنه، قال: فلم ألبث أن سمعت الحس، فإذا عمر بن عبد العزیز قد أخبر فجاء، فأمر به فستر بالقباطی، فلما أصبح دعا وردان البناء فقال له: ادخل فدخل فکشف فقال: لا بد لی

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۱۳

من رجل یناولنی، فکشف عمر بن عبد العزیز ساقیه یرید یدخل، فکشف القاسم بن محمد، فکشف سالم بن عبد الله، فقال عمر: مالکم؟ فقالوا: ندخل و الله معک، قال:

فلبث عمر هنیهة ثم قال: و اللّه لا نؤذیهم بکثرتنا الیوم، ادخل یا مزاحم فناوله، فقال عمر: یا مزاحم کیف تری قبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم؟ قال: متطأطئا، قال: فکیف تری قبر الرجلین؟

قال: مرتفعین. قال: أشهد أنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و رواه رزین عن عبد اللّه المذکور باختصار، و خالف سیاق یحیی فی وصف القبور کما سیأتی التنبیه علیه، و قال فیه: فأخبرت بذلک عمر، فجاء فأمر به فستر بالقباطی، و ذکره بنحوه.

و فی العتبیة: قال مالک: انهدم حائط بیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم الذی فیه قبره، فخرج عمر بن عبد العزیز و اجتمعت رجالات قریش، فأمر عمر بن عبد العزیز فستر بثوب، فلما رأی ذلک عمر بن عبد العزیز من اجتماعهم أمر مزاحما أن یدخل لیخرج ما کان فیه، فدخل فقمّ ما کان فیه من لبن أو طین، و أصلح فی القبر شیئا کان أصابه حین انهدم الحائط، ثم خرج و ستر القبر ثم بنی، انتهی.

و روی البخاری فی الصحیح من حدیث هشام بن عروة عن أبیه، قال: لما سقط عنهم الحائط زمان الولید بن عبد الملک أخذوا فی بنائه، فبدت لهم قدم، ففزعوا و ظنوا أنها قدم النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فما وجدوا أحدا یعلم ذلک، حتی قال لهم عروة: لا و الله ما هی قدم النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و ما هی إلا قدم عمر.

و یستفاد مما تقدم أن السبب فی هذا البناء سقوط الجدار المذکور بنفسه، و لعله بسبب المطر المشار إلیه فی الروایة المتقدمة.

و یخالفه ما رواه أبو بکر الآجری من طریق شعیب بن إسحاق عن هشام بن عروة قال:

أخبرنی أبی قال: کان الناس یصلون إلی القبر، فأمر به عمر ابن عبد العزیز فرفع حتی لا یصل إلیه أحد، فلما هدم بدت قدم بساق و

ركبة، ففزع عمر بن عبد العزيز، فأتاه عروة فقال: ساق عمر و ركبته! فسرّى عن عمر بن عبد العزيز.

و من طريق مالك بن مغول عن رجاء بن حيوة قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز، و كان قد اشترى حجر أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، أن اهدمها و وسع بها المسجد، فقعد عمر فى ناحية، ثم أمر بهدمها، فما رأيت باكيا أكثر من يومه، ثم بناها كما أراد، فلما أن بنى البيت على القبر و هدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة، و كان الرمل الذى عليها قد انهار، ففزع عمر بن عبد العزيز، و أراد أن يقوم فيسويها بنفسه، فقلت له:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۴

أصلحك اللّه! إنك إن قمت قام الناس معك، فلو أمرت رجلا أن يصلحها، و رجوت أن يأمرنى بذلك، فقال: يا مزاحم- يعنى مولاه- قم فأصلحها.

و نقل الأقشهرى عن الرشيد أبى المظفر الكازرونى شارح المصابيح أنه قال: سألت جمعا من العلماء عن سبب ستر القبور عن أعين الناس: أى باتخاذ جدار لا باب له، فذكر بعضهم أنه لما مات الحسن بن على أوصى أن تحمل جنازته و يحضر بها قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم يرفع و يقبر فى البقيع، فلما أراد الحسين أن يجيز وصيته ظن طائفة أنه يدفن فى الحضرة، فمنعوه و قاتلوه، فلما كان عبد الملك أو غيره سدوا و ستروا.

و قال أبو غسان فيما حكام الأقشهرى: أخبرنى الثقة عن عبد الرحمن بن مهدى عن منصور بن ربيعة عن عثمان بن عروة قال: قال عروة: نازلت عمر بن عبد العزيز فى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن لا يجعل فى المسجد أشد المنازلة، فأبى، و قال: كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه، قال: فقلت: فإن كان لا بد فاجعل له حوجوا (أى: و هو الموضع المزور خلف الحجرة).

و روى ابن زبالة عن محمد بن هلال و عن غير واحد من أهل العلم أن بيت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم الذى فيه قبره صلّى اللّه عليه و سلّم الذى فيه قبره، و هو بيت عائشة الذى كانت تسكن، و أنه مربع مبنى بحجارة سود و قصة الذى يلى القبلة منه أطوله، و الشرقى و الغربى سواء، و الشامى أنقصها، و باب البيت مما يلى الشام، و هو مسدود بحجارة سود و قصة، ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر، و عمر بن عبد العزيز زوّاه لأن يتخذه الناس قبلة تخص فيه الصلاة من بين مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذلك أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «قاتل اللّه اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» و قال: «اللهم لا تجعل قبرى و ثنا يعبد- الحديث» قالوا: و البناء الذى حول البيت بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بينه و بين البناء الظاهر اليوم مما يلى المشرق ذراعان، و مما يلى المغرب ذراع، و مما يلى القبلة شبر، و مما يلى الشام فضاء كله، و فى الفضاء الذى يلى الشام مركن مكسور و مكيل خشب، قال عبد العزيز بن محمد: يقال إن البنائين نسوه هناك، انتهى.

و روى يحيى عن أبى غسان محمد بن يحيى قال: سمعت من يقول فى الحظار الذى على قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مركن و خشبة و حديدة مسندة، قال محمد بن يحيى: و قال عبد الرحمن بن أبى الزناد: هو مركن تركه العمال هناك، و قال محمد بن يحيى- يعنى أبا غسان- فأما أنا فإنى أطلعت فى الحظار فلم أر شيئا، فزعم لى زاعم أنه قد رأى ثم المركن و شيئا موضوعا مع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۵

المركن، و أما أنا فلم أره، و لم أعلم أحدا يدرى من أخذه، و لم أر للبيت الذى فى الحظار بابا و لا موضع بابه، و قد أخبرنى ابن أبى فديك أنه رأى باب بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مما يلى الشام، انتهى. و قد حكى الأقشهرى عن أبى غسان أيضا نحو ذلك.

قلت: و لم نر للبيت عند انكشافه فى العمارة التى أدركناها بابا و لا موضع باب، و لم يوجد فى الفضاء الذى يلى الشام من الحظار المذكور مركن و لا غيره مما ذكر، و سيأتى فى الفصل الثالث و العشرين أن ابن عاث ذكر أنهم وجدوا عند عمارة حائط سقط بالحجرة قعبا انكسر عند سقوط الحائط، و أنه حمل إلى بغداد، فإن صح فلعله المراد، و فيما قدمناه إشعار بأن موضع القبور الشريفة كان مسقفا تحت سقف المسجد كما سيأتى التصريح به، و لهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظار الظاهر و الحجرة، و لم

یروا جوف الحجرة، و یدل له ما سیأتی عن أبی الجزاء قال: قحط أهل المدینة قحطا شدیدا، فشکوا إلی عائشة، فقالت: فانظروا قبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فاجعلوا منه کوة إلی السماء حتی لا یکون بینه و بین السماء سقف، ففعلوا، فمطروا، الخبر الآتی، لکن سیأتی فی الفصل الرابع و العشرین عن ابن رشد أنه قال فی بیانه: إن الثقة أخبرنی أنه لا سقف له فی زمنه تحت سقف المسجد، و کنت أظن أن ذلک بعد حریق المسجد، فإن کلام المؤرخین الآتی متطابق علی أنه لا سقف للحجرة بعد الحریق إلا سقف المسجد، ثم تبین أن زمن ابن رشد کان قبل الحریق بمدة مدیدة؛ لأن وفاته سنة عشرین و خمسمائة، ثم اطلعنا فی العمارة التی أدرکناها علی وجود سقف جعل بعد الحریق و علی آثار السقف الذی کان قبله کما سیأتی بیانه، و اللّه أعلم.

## الفصل الحادی و العشرون فیما روی من الاختلاف فی صفة القبور الشریفة، بالحجرة المنیفة

### اشارة

و ما جاء من أنه بقی بها موضع قبر، و أن عیسی بن مریم علیه السلام یدفن بها، و ما جاء فی تنزل الملائکة حافین بالقبر الشریف، و تعظیمه و الاستسقاء به.

اعلم أن ابن عساکر ذکر فی تحفته الاختلاف فی صفة القبور الشریفة، فذکر فی ذلک سبع روایات، و سبقه إلی ذلک شیخه ابن النجار، لکنه ذکر ستا فقط.

### روایة نافع فی وضع القبور

الأولی: ما رواه عن نافع بن أبی نعیم أن صفة قبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و قبر أبی بکر و قبر عمر، قبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أمامها إلی القبلة مقدما، ثم قبر أبی بکر حذاء منکبی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و قبر عمر حذاء منکبی أبی بکر، و هذه صفته:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۱۶

النبی صلّی اللّه علیه و سلم أبو بکر رضی اللّه عنه عمر رضی اللّه عنه قلت: و هذه الروایة هی التی علیها الأکثر و نقل الزین المراغی أن رزینا و یحیی جزما بها، و هو کذلک فی کلام رزین، و رواها عن عبد اللّه بن محمد بن عقیل فقال عقب خبره المتقدم فی قصة سقوط جدار الحجرة: و رأیت القبور، فإذا قبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم من أمام، و قبر أبی بکر خلفه، و قبر عمر خلف قبر أبی بکر، و رأس أبی بکر عند منکبی رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم، و رأس عمر عند منکبی أبی بکر، و أما یحیی فلم أر فی کلامه الجزم بذلک، بل رأیته حکی اختلاف الروایات کغیره، و لفظه فی حکایة هذه الروایة: حدثنا هارون بن موسی قال: سمعت أبی یذکر عن نافع بن أبی نعیم و غیره من المشایخ ممن له سنّ و ثقة أن صفة قبر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و ذکر ما تقدم، و رأیت فی نسخة من کتاب یحیی تصویر القبور الشریفة علی هذه الصفة، و قال: إنها صفة القبور الشریفة فیما وصف بعض أهل الحدیث عن عروة بن الزبیر عن عائشة رضی اللّه عنها، ثم ذکر ما سیأتی فی الصفة السادسة.

و روی ابن سعد فی طبقاته فی ذکر أبی بکر رضی اللّه عنه من طریق الواقدی عن أبی بکر ابن عبد اللّه بن أبی سبرة عن عمر بن عبد اللّه بن عروة أنه سمع عروة و القاسم بن محمد یقولان: أوصی أبو بکر عائشة أن یدفن إلی جنب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فلما توفی حفر له، و جعل رأسه عند کتفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و ألصق اللحد بقبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فقبر هناک.

ثم روی من طریق الواقدی أیضا عن ربیعة بن عثمان عن عامر بن عبد اللّه بن الزبیر قال: رأس أبی بکر عند کتفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و رأس عمر عند حقوی أبی بکر.

قلت: و فى هذه مخالفة يسيرة لما تقدم بالنسبة إلى عمر رضى اللّه عنه.

### رواية القاسم بن محمد

الثانية: روى أبو داود و الحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال:
دخلت على عائشة رضى اللّه عنها فقلت لها: يا أمة اكشفى لى عن قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و صاحبيه، فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مشرفة و لا لاطية، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء. زاد الحاكم: فرأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مقدما، و أبا بكر رأسه بين كتفى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و عمر رأسه عند رجلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. قال ابن عساكر: و هذه صفته.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۷
النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه قلت: و قد صحح الحاكم إسناد هذه الرواية، و اللّه أعلم.

### رواية عثمان بن نسطاس

الثالثة: ما رواه الزبير بن بكار عن ابن زبالة قال: حدثنى إسحاق بن عيسى عن عثمان بن نسطاس قال: رأيت قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما هدم عمر بن عبد العزيز عنه البيت مرتفعا نحوا من أربع أصابع عليه حصباء إلى الحمرة ما هى، و رأيت قبر أبى بكر وراء قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأيت قبر عمر أسفل منه، و صوّره لنا كما صوره له عثمان.
قلت: و لم يكن فى النسخة التى وقفت عليها من ابن زبالة تصوير، و صوّر ذلك ابن عساكر هذا:
النبى صلّى اللّه عليه و سلم أبو بكر رضى اللّه عنه عمر رضى اللّه عنه قلت: و ابن زبالة ضعيف، و إسحاق بن عيسى هو ابن بنت داود بن أبى هند، صدوق يخطئ، و عثمان بن نسطاس عن عثيم مصغر بن نسطاس بكسر النون المدنى أخو عبيد مولى آل كثير بن الصلت، مقبول حيث يتابع، و إلا فليّن الحديث. و قد ذكر الحافظ بن حجر أن أبا بكر الآجرى روى هذا الخبر فى كتاب صفة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من طريق إسحاق بن عيسى المذكور عن ابن نسطاس، و ليس فيه ذكر تصوير، و لم يذكر الحافظ ابن حجر الواسطة بين الآجرى و إسحاق بن عيسى، و هذه الرواية مع ما فيها من الضعف قابلة للتأويل بردها إلى الرواية التى قبلها، و إن كان التصوير يأباه؛ لجواز حمله على التقريب، و اللّه أعلم.

### رواية المنكدر بن محمد

الرابعة: روى ابن زبالة عن المنكدر بن محمد عن أبيه قال: قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هكذا، و قبر أبى بكر خلفه، و قبر عمر خلفه عند رجلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و صوره ابن عساكر هكذا:
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۸
النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه قلت: و يمكن رد هذه الرواية مع ضعفها إلى الثانية؛ لأن قوله «و أبو بكر خلفه» صادق بأن يكون رأسه عند منكبى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

### رواية عمرة عن عائشة

الخامسة: روى يحيى بإسناد فيه إسماعيل بن عبد اللّه بن أبى أويس عن أبيه- و إسماعيل صدوق، لكن أخطأ فى أحاديث من قبل حفظه، و أبوه صدوق يهم، و بقية رجاله ثقات- عن عمرة عن عائشة رضى اللّه عنها وصفت لنا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قبر أبى بكر و قبر عمر، و هذه القبور فى سهوة فى بيت عائشة، رأس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مما يلى المغرب، و قبر أبى بكر رأسه عند

رجلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و قبر عمر خلف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و بقى موضع قبر، و هذه صفة قبورهم على ما وصف ابن أبى أويس عن يحيى بن سعيد و عبد اللّه بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة، و لم يصور يحيى لذلك شيئا.

و روى ابن زبالة نحو ذلك و قد ذكره من طريق ابن عساكر، ثم قال: و هذه صفته:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه قلت: و يردها ما روى من أن رجلى عمر رضى اللّه عنه ضاق عنها الحائط فحفر لهما فى الأساس.

و فى الصحيح كما سبق قول عروة «ما هى إلا قدم عمر».

## رواية أخرى عن القاسم بن محمد

السادسة: روى ابن زبالة عن القاسم بن محمد قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه أرينى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و صاحبيه، فكشفت لى عن قبورهم، فإذا هى لا مرتفعة و لا لاطية، مبطوحة ببطحاء حمراء من بطحاء العرصة، فإذا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمامهما، و رجلا أبى بكر عند رأس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأس عمر عند رجليه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۱۹

قال ابن عساكر: و هذه صفتها:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه قلت: و هذه الرواية مع ضعفها معارضة بما تقدم فى الرواية الثانية عن القاسم بن محمد المذكور، و تلك أصح، و ما سيأتى فى صفة الحجرة الشريفة يأبى ذلك أيضا، و قد رأيتها فى نسخة من كتاب يحيى رواه ابنه طاهر عنه على هذه الصورة:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم عمر رضى اللّه عنه أبو بكر رضى اللّه عنه و قال: إنها عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى اللّه عنها، ثم قال ابن فراس أحد رواة النسخة المذكورة عن طاهر بن يحيى: سألت طاهر بن يحيى أن يصور لى بخطه صفة قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قبر أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما، فصور لى بيده هذه الصورة، انتهى.

## رواية عبد اللّه بن محمد بن عقيل

السابعة: ما روى يحيى من طريق ابن زبالة فى الخبر المتقدم فى الفصل قبله فى قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة فى تلك الليلة المطيرة عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل، قال عقب قوله فيما تقدم: «فدخلت فسلمت على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و مكثت فيه مليا، و رأيت القبور فإذا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و قبر أبى بكر عند رجليه، و قبر عمر عند رجلى أبى بكر، و عليهما حصىّ من حصباء العرصة» قال ابن عساكر: و هذه صفته:

النبى صلّى اللّه عليه و سلم أبو بكر رضى اللّه عنه عمر رضى اللّه عنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۰

قلت: و هذه الرواية نقلها رزين عن عبد اللّه بن عقيل، و ساقها باللفظ السابق، إلا أنه قال: و رأيت القبور، فإذا قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من أمام، و ذكر ما قدمنا عنه فى الرواية الأولى، و هو مخالف لما فى هذه الرواية، و هو أولى بالاعتماد؛ لأن هذه الرواية ضعيفة مع بعدها مما سيأتى فى وصف الحجرة الشريفة، سيما على ما سبق من قسم عائشة رضى الله عنها الحجرة باثنين، و لها شاهد لكنه ضعيف أيضا، و هو ما فى طبقات ابن سعد عن مالك بن إسماعيل- أظنه مولى لآل الزبير- قال: دخلت مع مصعب بن الزبير البيت الذى فيه يعنى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما، فرأيت قبورهم مستطيلة، انتهى.

و فى رواية للآجرى ما يوهم صفة ثامنة؛ فإنه ذكر عقب الخبر المتقدم عن رجاء بن حيوة فى إدخال الحجرة فى المسجد ما لفظه: قال

رجاء: فكان قبر أبى بكر وسطه، و لم يذكر فيه عمر رضى اللّه عنه، فإن الضمير فى قوله «وسطه» إن كان للبيت فواضح، و إن كان للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم فهذه صفة أخرى، لكن ينبغى تأويلها أيضا على التجوز فى لفظ الوسط ليوافق رواية غيره.

و أما ما أخرجه أبو يعلى عن عائشة: أبو بكر عن يمينه، و عمر عن يساره؛ فسنده ضعيف أيضا، و يمكن تأويله كما قاله الحافظ ابن حجر.

و حينئذ فلم يبق إلا الروايتان الأوليان فهما اللتان يتردد بينهما فى الترجيح، و الأولى هى المشهورة، و مقتضى تصحيح الحاكم لإسناد الثانية ترجيحها، و هى أصح الروايات، و قد اشتملت على أن القبور لم تكن مسنّمة و قد قال يحيى: حدثنى هارون بن موسى- قلت: و لا بأس به- قال: حدثنى غير واحد من مشايخ أهل المدينة أن صفات القبور الشريفة مسطوحة عليها بطحاء من بطحاء العرصة حمراء.

و روى ابن زبالة من طريق عمرة عن عائشة قالت: ربّع قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و جعل رأسه مما يلى المغرب.

و أما ما فى صحيح البخارى عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مسنما، زاد أبو نعيم فى المستخرج: و قبر أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما كذلك، و رواه ابن سعد عنه بلفظ: رأيت قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أبى بكر و عمر مسنّمة، فلا يعارض ما قدمناه؛ لأن سفيان ولد فى زمان معاوية فلم ير القبر الشريف إلا فى آخر الأمر، فيحتمل- كما قال البيهقى- أن القبر لم يكن فى الأول مسنما، ثم سنم لما سقط عن الجدار؛ فقد روى يحيى عن عبد الله ابن الحسين قال: رأيت قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مسنما فى زمن الوليد بن هشام. و فى رواية أخرى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۱

عنه أن القبر جثوة مرتفعة مسنّمة غير شديدة الارتفاع، عليها قزع من حصىّ و تربة طيبها اللّه عز و جل. و روى ابن سعد من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان نبيث قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شبرا.

و يؤيد التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد أنه أمر بقبر فسوى ثم قال:

سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأمر بتسويتها.

## بقى بعدها موضع قبر

و قد تقدم فى الرواية الرابعة أنه بقى بعد القبور الشريفة موضع قبر، و يؤيده ما روى أن عائشة رضى اللّه عنها أرسلت إلى عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت: أن هلم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و إلى أخويك، فقال: ما كنت مضيقا عليك بيتك، الخبر الآتى فى ذكر قبره، و كذلك ما سيأتى فى إذنها للحسن أن يدفن عندها، و منع بنى أمية له. و كذلك ما فى صحيح البخارى عن هشام بن عروة أن عائشة أوصت عبد اللّه بن الزبير: لا تدفننى معهم:

أى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و صاحبيه، و ادفنى مع صواحبى بالبقيع لا أزكى به أبدا. و قد أخرجه الإسماعيلى و زاد فيه: و كان فى بيتها موضع قبر، و لكن فى الصحيح أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لما أرسل إلى عائشة فسألها أن يدفن مع صاحبيه قالت: كنت أريده لنفسى فلأوثرنه اليوم على نفسى.

قال الحافظ ابن حجر: فكأن اجتهادها فى ذلك تغيّر، أو لما قالت ذلك لعمر كان قبل أن يقع لها قصة الجمل، فاستحيت بعد ذلك و إن كانت زوجته صلّى اللّه عليه و سلّم فى الدنيا و الآخرة كما قاله عمار أحد من حاربها، انتهى.

و قال ابن التين: كلامها فى قصة عمر يدل على أنه لم يبق ما يسع إلا موضع قبر واحد، فهو يغاير قولها «لا تدفننى عندهم» فإنه يشعر بموضع للدفن، و الجمع بينهما أنها كانت تظن أولا أنه لا يسع إلا قبرا واحدا، فلما دفن [عمر] ظهر لها أن هناك وسعا لقبر آخر، أو أن الذى آثرته به المكان الذى دفن فيه من وراء قبر أبيها بقرب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذلك لا ينفى وجود مكان آخر فى الحجرة.

و روى يحيى بسنده إلى عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد اللّه بن سلام عن أبيه عن جده قال: يدفن عيسى بن مريم مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و صاحبيه، و يكون قبره الرابع.

و فى سنن الترمذى من طريق أبى مودود عن عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد اللّه بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب فى التوراة صفة محمد و عيسى ابن مريم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۲

يدفن معه، قال: فقال أبو مودود: و قد بقى فى البيت موضع قبر، قال الترمذى: هذا حديث غريب، و فى بعض النسخ: حسن غريب، هكذا قال عثمان بن الضحاك، و المعروف الضحاك بن عثمان المدنى، انتهى كلام الترمذى.

و فى رواية للطبرانى عن عبد الله بن سلام قال: يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و أبى بكر و عمر؛ فيكون قبرا رابعا، و هو من رواية عثمان بن الضحاك، و قد وثقه ابن حبان و ضعفه أبو داود.

و ذكر الزين المراغى أن ابن الجوزى روى فى المنتظم عن عبد اللّه بن عمر أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم قال: ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض، فيتزوج و يولد له، فيمكث خمسا و أربعين سنة، ثم يموت فيدفن معى فى قبرى، فأقوم أنا و عيسى بن مريم من قبر واحد بين أبى بكر و عمر.

و قال ابن النجار: قال أهل السير: و فى البيت موضع قبر فى السهوة الشرقية، قال سعيد بن المسيب: فيه يدفن عيسى بن مريم.

و السهوة: بيت صغير منحدر فى الأرض قليلا- شبيه بالمخدع و الخزانة، و قيل: هو كالصفة يكون بين يدى البيت، و قيل: هو شبيه بالرف و الطاق يوضع فيه الشيء، و لعل المراد بذلك الموضع الذى ضربت عليه عائشة جدارا و سكنت به كما سبق.

## الملائكة يحفون بالقبر

و سنذكر فيما استقر عليه بناء الحجرة أنه عقد على نحو ثلثها الشرقى عقد، فصار ذلك المحل مميزا عن بقية البيت، و كان قبله فى البناء ما يشهد لجدار آخر من الشام إلى القبلة فى تلك الجهة، فلعله الموضع المذكور.

و روى يحيى و ابن النجار عن كعب الأحبار قال: ما من فجر يطلع إلا- نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم، و يصلون على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، حتى إذا أمسوا عرجوا، و هبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة، صلّى اللّه عليه و سلّم.

و فى صحيح الدارمى نحوه من رواية عائشة رضى اللّه عنها، و قال فيه: سبعون ألفا بالليل و سبعون ألفا بالنهار، ذكره فى باب ما أكرم اللّه به نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم بعد موته، رواه البيهقى فى شعبه.

## لا ينبغى رفع الصوت فى المسجد

و قد تقدم قول عمر رضى اللّه عنه «إن مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات» و قال أبو بكر رضى الله عنه: لا ينبغى رفع الصوت على نبى حيا و لا ميتا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۳

و روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن أبى حازم و نوفل بن عمارة قالوا: إن كانت عائشة تسمع صوت الوتد يوتد و المسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بمسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فترسل إليهم لا يؤذوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قالوا: و ما عمل على مصراعى داره إلا بالمناصع، توقيا لذلك.

و فى الوفاء لابن الجوزى من طريق أبى محمد الدارمى بسنده عن أبى الجوزاء.

### سنة أهل المدينة فى أعوام الجدب

قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة رضى اللّه عنها فقالت:

فانظروا قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب و سمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق.

قال الزين المراغى: و اعلم أن فتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن، يفتحون كوة فى سفل قبة الحجرة: أى القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة، و إن كان السقف حائلا بين القبر الشريف و بين السماء.

قلت: و سنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة، و الاجتماع هناك، و اللّه أعلم.

## الفصل الثانى و العشرون فيما ذكروه من صفة الحجرة الشريفة، و الحائز المخمس الدائر عليها، و بيان ما شاهدناه مما يخالف ذلك

قال الأقشهرى، فيما رواه من طريق ابن شبة: قال أبو غسان- يعنى محمد بن يحيى-:

و أما الحظار الظاهر و البيت الذى فيه فإنى اطلعت فيه من بين سقفى المسجد حتى عاينت ذلك الحظار الذى على البيت و ما فيه، و صورته و ما فيه، و ذرعته على ما فيه من الذرع، و ذلك حين انكسر خشب سقف المسجد فكشف السقف من تلك الناحية لعمارته، و أبو البحترى بن وهب بن رشد يومئذ على المدينة، و ذلك فى جمادى الأولى من سنة ثلاث و تسعين و مائة.

و قال أبو زيد- يعنى ابن شبة- فهذه صورته، ثم صورها الأقشهرى فى كتابه المسمى «بمنسك القاصد الزائر» بهذه الصورة:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۴

و فى هذا التصوير و ما ذكر فيه من الذّرع مخالفة لما تقدم عن نقل ابن زبالة حيث قال.

و البناء الذى حول البيت بينه و بين البناء الظاهر اليوم مما يلى المشرق ذراعان، و التصوير المذكور قد اشتمل على أن الفرجة المذكورة ثلاثة أذرع، و يستفاد من التصوير أيضا أن الفرجة بينهما فى جهة القبلة مختلفة، فبعضها دون الذراع و هو الشبر المشار إليه فى كلام ابن زبالة، و بعضها ذراع.

و سنذكر أن ما شاهدناه فى صورة الحجرة الشريفة عند انكشافها أقرب إلى التصوير المذكور مما ذكره ابن زبالة، و أن الحال شاهد بأنه وقع فى بنائها الداخل تغيير؛ فلم يبق على الصورة المذكورة.

و قد أدرك ابن زبالة عمارة أبى البحترى التى كشف فيها سقف المسجد مما يلى الحجرة الشريفة، و ذكرها فى كتابه فقال: و كان أبو البحترى- إذ كان واليا على المدينة لهارون أمير المؤمنين- كشف سقف المسجد فى سنة ثلاث و تسعين و مائة، فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة، فأدخل مكانها خشبا صحاحا اه.

و كأنه لم يشاهد ذلك كما شاهده أبو غسان، و عبارة يحيى فى ذكر هذه العمارة: و قد كان خشب من خشب المسجد فوق القبر مما يليه انكسر فى ولاية أبى البحترى، فأمر بكشف السقف، و ذكر ما تقدم عن ابن زبالة، على أن ابن زبالة و يحيى أشارا فى كتابيهما إلى تصوير الحجرة و الحائز الدائر عليها، لكن الصورة ساقطة من النسخة التى وقعت لنا.

و قد صور ذلك ابن النجار فى كتابه، و أظنه أخذه من نسخة وقعت له من ابن زبالة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۵

مشتملة على تلك الصورة، و تبعه عليها ابن عساكر فى «تحفة الزائر» و المرافى فى تاريخه، و هى بعيدة مما وجدنا عليه صورة الحجرة الشريفة؛ فلنبدأ بتصويره، ثم تصوير الصورة التى شاهدناها، ثم الصورة التى استقر بناء الحجرة الشريفة عليها، و قد تبعت فى حكاية تصوير ابن النجار ما صنعه المراغى؛ فإنى نقلته من خطه، فقال: و جعل عمر بنيان الحجرة الشريفة على خمس زوايا لئلا يستقيم لأحد

استقبالها بالصلاة؛ لتحذيره صلّى اللّه عليه و سلّم من ذلك، و هذه صورتها و صورة الحائز حولها كما ضبطه ابن النجار، و اللّه أعلم.

و هذا التصوير ينافى ما تقدم من رواية ابن زبالة و غيره أن البيت مربع مبنى بحجارة سود و قصّة.

ثم بنى عليه عمر بن عبد العزيز هذا البناء الظاهر المخمس؛ لأنه صوّر فيه البيت مخمسا أيضا كما ترى، و هو خلاف الذى شاهدناه عند انكشافه فى العمارة التى أدركناها، فرأيناه مربعا مبنيا بالأحجار السود المنحوتة لونها يقرب من لون أحجار الكعبة الشريفة، و لها من الهيبة و الأنس ما لا يدرك إلا بالذوق، و لم نجد بين الجدار الخارج و الداخل من جهة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۶

المغرب فضاء أصلا، و لا مغرز إبرة، و لم نجد للبيت الداخل بابا أصلا، و لا موضع باب، لا فى الجهة الشامية و لا فى غيرها، و وجدنا الفضاء الذى خلف البيت الشريف من جهة الشام، بينه و بين البناء الظاهر، شكله مثلث، و مساحته نحو ثمانية أذرع بذراع اليد المتقدم تحريره، و ذلك من جدار البيت الشامى إلى زاوية البناء الظاهر المقابلة له، و هى الزاوية الشمالية التى ينحرف عنها صفحتا الشكل المثلث المذكور، و هناك أسطوانة ملاصقة لجدار البيت الشامى فى صف أسطوانة مربعة القبر و أسطوانة الوفود، و بعض الأسطوانة المذكورة داخل فى الجدار المذكور، و قد طوق على أعاليها بأطواق من الحديد، و أدعمت بجذع من جذوع النخل رأسه فى أعاليها و رأسه الآخر فى زاوية البناء الظاهر الشمالية المتقدم ذكرها، و الظاهر أن ذلك جعل بعد الحريق لتشقق الأسطوانة المذكورة و تأثير النار فيها، و هى الأسطوانة التى تقدم ذكرها فى التصوير الأول المأخوذ من كلام ابن شبة عند نهاية جدار البيت الشامى، مما يلى المشرق، لكنا لم نجدها كذلك، بل قريبة من وسط الجدار الشامى، غير أن متولى العمارة و من كان معه أخبرونى أنهم وجدوا عند نقض جدار البيت الشامى من داخله رأس جدار فى محاذاة الأسطوانة المذكورة يشهد الحال أنه كان آخذا من الشام إلى ما يحاذيه من القبلى، فكأنه كان نهاية الحجرة الشريفة من جهة المشرق، و كأنه لما انهدم زيد فيها ذلك القدر، قالوا: و لا يخفى على الناظر أن بقية الجدار الشامى مما يلى المشرق لم يبن مع الجانب الآخر منه، بل هى ملصقة إلى رأس الجدار المذكور بحيث لم يدخل أحجار أحدهما فى الآخر، و لا هى مرتبطة كما هو عادة البناء الواحد، و رأيت أنا ما يقابل هذا الجانب من الجدار القبلى مما يلى المشرق؛ فرأيت ما يشهد بإحداث بنائه بحيث إنه مبنى بالحجارة غير الوجوه كنسبة الجدار الشرقى، بخلاف بقية جدارات الحجرة الشريفة فإنها كلها من داخلها و خارجها مبنية بالحجارة الوجوه المنحوتة، و إنما لم أشاهد ما قدمته مما حكى لى فى أمر الجدار الشامى لأنى اجتنبت حضور الهدم احتياطا لنفسى، و ظهر بذلك أن البيت الشريف كان من جهة المشرق على ما صوره ابن شبة، ثم حدث ذلك بعده، و لم ينبه عليه أحد من المؤرخين، و يحتمل أن ذلك الجدار هو الذى أحدثته عائشة رضى اللّه عنها بينها و بين القبور الشريفة؛ فقد تقدم عن ابن سعد روايته عن مالك بن أنس قال: قسم بيت عائشة باثنين، قسم كان فيه القبر، و قسم كان تكون فيه عائشة و بينهما حائط.

قلت: فهذا الاحتمال هو الذى يترجح عندى، و اللّه أعلم.

و وجد بين جدار البيت الشرقى و بين الجدار الظاهر الشرقى فضاء مختلف كالزقاق الرقيق، فعند ابتدائه من جهة الشام نحو ذراع اليد يمر فيه الرجل منحرفا، فإذا قرب من جهة القبلة تضاعف بحيث لا يمر فيه إلا الصغير منحرفا، و سعته هناك نحو ثلث الذراع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۷

و قد نقل ابن شبة أنه كان ثلاثة أذرع؛ فهذا مؤيد لما قدمناه من حدوث التغيير فى الجدار الشرقى الداخل، و رؤيته تقضى بذلك دون بقية الجدران.

و وجدنا بين جدار البيت القبلى و الجدار الظاهر القبلى فضاء مختلفا أيضا كالزقاق الرقيق؛ فأوله من جهة الشرق نحو ذراع اليد، فإذا قرب من الوجه الشريف تضايق بحيث يصير نحو شبر ثم أقل من ذلك إلى ملتقى الحائطين فى جهة المغرب، و هذا الفضاء لا يمكن المرور فيه؛ لأن الأسطوانة التى فى البناء الظاهر عند مواجهة مواقف الزائر لسيدنا عمر رضى اللّه عنه بعضها بارز فى الفضاء المذكور، و

فى محاذاتها بناء بنحو عرضها قد سدّ ما بين الجدارين من الفضاء، و كأنه جعل لإدعام الجدار من أجل الانشقاق الآتى ذكره، أو لمنع المرور هناك، جزى اللّه فاعله خيرا!

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۸

و أما طول جدران الحائز الظاهر من كل زاوية إلى الأخرى من خارجه فطول الجدار القبلى من زاويته التى تلى القبلة من المغرب إلى زاويته التى تلى المشرق سبعة عشر ذراعا، بتقديم السين، ينقص يسيرا، و ذلك موافق لما تقدم فى تصوير ابن النجار. و طول الجدار الغربى من القبلة إلى طرف مقام جبريل ستة عشر ذراعا و نحو نصف ذراع، و منعطف مقام جبريل هناك الشام، و ذرع منعطفه ذراعان و نصف ذراع، و جملة ذلك تسعة عشر ذراعا؛ فهو المراد مما تقدم فى تصوير ابن النجار، لكنه يوهم أن وجه مقام جبريل غير داخل فى التسعة عشر ذراعا التى ذكرها للجدار الغربى، و ليس كذلك. و طول الجدار المنعطف من مقام جبريل إلى الزاوية الشمالية اثنا عشر ذراعا و نصف ذراع راجح. و طول الجدار الشرقى من القبلة إلى الزاوية التى ينحرف منه إلى جهة الشمال اثنا عشر ذراعا و نصف ذراع راجح.

و طول الجدار المنعطف من الجدار المذكور عند الزاوية المذكورة إلى الزاوية الشمالية نحو أربعة عشر ذراعا، و فيما ذكرناه من الذرع فى الثلاثة الجدر الأخيرة مخالفة لما تقدم فى تصوير ابن النجار و من تبعه.

و أما طول الحائز الظاهر فى السماء فثلاثة عشر ذراعا و ثلث ذراع، و يرجح من بعض الجوانب يسيرا، و عرض منقبته ذراع و ربع ثمن.

و نقل الأقشهرى أن ابن شبة نقل عن أبى غسان أن طول الحظار الذى على البيت- يعنى الحائز المذكور- من جهة ارتفاعه ثلاثة عشر ذراعا غير سدس.

قلت: و قد رأيت بأعلاه سترة من آجر قدر نصف ذراع يشهد الحال أنها محدثة لإحداث السقف الآتى ذكره للحجرة الشريفة بعد حريق المسجد الأول؛ فلا مخالفة بين ما وجدناه و بين ما ذكره أبو غسان.

و أما ارتفاع الجدار الداخل فى السماء فقسته من خارجه من جهة الشام فكان خمسة عشر ذراعا، و ارتفاع تلك الأرض التى فى شامى الحجرة بين الجدارين على أرض الحجرة ذراع و نحو ربع ذراع، و مع ذلك فالحائز الخارج أرجح من الداخل بيسير أو مساوله، و سبب ذلك علو الأرض الخارجة عن هذا الحائز على الأرض الداخلة بين الحائزين بأرجح من ذراع و نصف، مع أن الأرض الداخلة بين الحائزين من جهة الشام التى هى كهيئة المثلث وجدت مجدولة بالحجارة و القصة بحيث لم يتأت لهم حفر أساس فيها، و لله الحمد على ذلك.

و أما ما تقدم فيما نقلناه من خط المراغى- و هو موجود فى كلام ابن النجار و ابن عساكر- من أن طول حيطان الحائز الخارج فى السماء ثلاثة و عشرون ذراعا، فهذا مخالف لما شاهدناه و لما قدمناه عن أبى غسان، و كأنهم أرادوا بهذا ذرع ما بين الأرض المحيطة بالحجرة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۲۹

و بين سقف المسجد، و هذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقا، بل فوقه شباك من خشب متصل ذلك الشباك بسقف المسجد كما يظهر عند رفع الكسوة، و كأن ابن النجار توهم أن الحائط المذكور متصل بالسقف؛ لأنه قال: و بنى عمر ابن عبد العزيز على حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حائزا من سقف المسجد إلى الأرض، و صارت الحجرة فى وسطه و هو على دورانها.

و ينبغى حمل كلامه على أن المراد أنه بناه من سقف المسجد إلى الأرض بما جعل عليه من الشباك، و كذلك يحمل ما ذكره فى ذرع؛ لأن الشباك المذكور له ذكر فى كلامه، فإنه ذكر ما سيأتى من أن الجمال الأصفهانى جدد تأزير الحجرة بالرخام، ثم قال: و عمل لها مشبكا من خشب الصندل و الآبنوس، و أداره حولها مما يلى السقف: أى على رأس الجدار المذكور.

قلت: و لعله أول من أحدث هذا الشباك؛ لأنه ذكر له فى كلام متقدمى المؤرخين، و اللّه أعلم.

و قال ابن النجار: و اعلم أن على حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أى على سقفها ثوبا مشمعا مثل الخيمة، و فوقه سقف المسجد، و فيه- أى فيما تحت المشمع المذكور- خوخة عليها ممرق أى طابق مقفول، و فوق الخوخة فى سقف السطح خوخة أخرى فوق تلك الخوخة، و عليها ممرق مقفول أيضا، و بين سقف المسجد و بين سقف السطح أى السقف الثانى لسطح المسجد فراغ نحو الذراعين.

قلت: أما الممرق الذى ذكره فى سقف المسجد الذى يلى الحجرة الشريفة فقد أدركناه موجودا عليه قفل من حديد و مشمع جدده متولى العمارة التى أدركناها إلى أن احترق المسجد فى زماننا، و عملت القبة التى جعلت بدلا عن القبة الزرقاء.

و أما الممرق الذى ذكره فى سقف الحجرة تحت المشمع الذى أشار إليه فهذا كان قبل حريق المسجد الأول، و لم يوجد فى السقف الذى عمل بدله بعد الحريق ممرق، نعم وجد عليه ستارة من المحابس اليمنية مبطنة، و سنذكر وصفه إن شاء اللّه تعالى عند ذكر العمارة المتجددة فى زماننا، على أن الذى يقتضيه كلام المطرى و من بعده أنه ليس ثم غير طابق واحد فى سقف المسجد، فإنه قال: و على سقف الحجرة بين السقفين- أى سقفى المسجد- ألواح، و قد سمّر بعضها على بعض، و سمر عليها ثوب مشمع، و فيها طابق مقفل، إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بين الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز.

قلت: و ليس ما ذكره فى وصف هذا الطابق بصحيح؛ لأن النزول منه يكون على وسط الحجرة سواء كما شاهدناه، مع أن المطرى و من تبعه اتفق كلامهم كما سيأتى على أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۰

سقف الحجرة بعد الحريق إنما هو سقف المسجد، و هو خلاف ما وجدنا الأمر عليه أيضا، و اللّه أعلم.

## الفصل الثالث و العشرون فى عمارة اتفقت بالحجرة الشريفة على ما نقله الأقشهرى عن ابن عاث، و ما وقع من الدخول إليها عند الحاجة له و تأزيرها بالرخام

قال الأقشهرى، و من خطة نقلت ما لفظه: أخبرنا الشيخ الراوية أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصارى الشاطبى قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد اللّه القضاعى الحافظ قال: حدثنا صاحبنا الرحال أبو عمر أحمد بن أبى محمد هارون بن عاث النفرى قال: حدثت بالمدينة الشريفة، أو قال بمدينة السلام، بأنهم سمعوا منذ سنين قريبا من الأربعين هدة فى الروضة الشريفة أى الحجرة فإنه يعبر عنها بذلك، فكتب فى ذلك إلى الخليفة، فاستشار الفقهاء، فأفتوا أن يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد، فاختاروا لذلك بدرا الضعيف، و هو شيخ فاضل يقوم بالليل و يصوم النهار، و هو من فتيان بنى العباس، فدلى حتى دخل الروضة أى الحجرة، فوجد الحائط الغربى قد سقط، و هو حائط دون الحائط الظاهر، فصنع له لبن من تراب المسجد، فبناه و أعاده على هيئته كما كان، و وجد هناك قعبا من خشب قد أصابه وقوع الحائط فكسره، فحمل إلى بغداد مع شىء من تراب الحائط، و كان يوم وصول ذلك بغداد يوما مشهودا تجمع لاستقباله الناس، و ازدحموا على رؤيته، و عطلت الصناعات و البيع، و كانت رحلة ابن عاث سنة ثلاث عشرة و ستمائة، و قد قال «قريبا من أربعين سنة» فيكون ذلك سنة سبعين و خمسمائة أو ما دون ذلك، و هكذا ذكره فى رحلته و منها نقلته، و يكون ذلك فى دولة المستضىء باللّه بن المستنجد باللّه، انتهى كلام الأقشهرى.

و لعل هذا الحائط المنهدم فى هذه العمارة إنما هو الشرقى من الجدار الداخل، و أطلق عليه اسم الغربى بالنظر إلى الجدار الخارج الذى يليه، فتكون هذه الواقعة هى التى اتفق فيها بناء الجدار المتقدم وصفه، و وقع فيها تقديمه عن محله الأول، و أبقوا رأسه كما تقدمت الإشارة إليه، و هو إنما بنى بالحجر، و لا يتأتى هناك بناء باللبن إلا فى السترة التى جعلت على رأس الجدار، فلعله أراد باللبن المتخذ من تراب المسجد هذا، لكن فى كلام ابن النجار و نقله من بعده و أقره، ما يقتضى أنه لم يقع دخول إلى الحجرة الشريفة من سنة أربع و خمسين و خمسمائة إلى زمانه، و قد توفى سنة ثلاث و أربعين و ستمائة، فإنه قال فى كتابه «الدرة الثمينة» ما لفظه: و اعلم أن فى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة سمعوا صوت هدة فى الحجرة، و كان الأمير قاسم بن مهنى الحسينى، فأخبروه بالحال، فقال:

ينبغى أن ينزل شخص إلى هناك ليبصر ما هذه الهدة، فافتكروا فى شخص يصلح لذلك، فلم يجدوا لذلك إلا عمر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۱

النسائى شيخ شيوخ الصوفى بالموصل، و كان مجاورا بالمدينة، فذكروا ذلك له، فذكر أن به فتقا و الريح و البول يحوجه إلى دخول الغائط مرارا، فالزموه، فقال: أمهلونى حتى أروض نفسى، و قيل: إنه امتنع من الأكل و الشرب و سأل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إمساك المرض عنه بقدر ما يبصر و يخرج، ثم إنهم أنزلوه فى الحبال من الخوخة إلى الحظير الذى بناه عمر، و دخل منه إلى الحجرة و معه شمعة يستضىء بها فرأى شيئا من طين السقف قد وقع على القبور، فأزاله و كنس التراب بلحيته، و قيل: إنه كان مليح الشيبة، و أمسك اللّه تعالى ذلك الداء قدر ما خرج من الموضع و عاد إليه، و هذا ما سمعته من أفواه جماعة، و اللّه أعلم بحقيقة الحال فى ذلك.

و عبارة المراغى تبعا للمطرى فى النقل عن ابن النجار: فأنزلوه بالحبال من بين السقفين من الطابق المذكور، و نزل بين حائط النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بين الحائز و معه شمعة يستضىء بها، و مشى إلى باب البيت، و دخل من الباب إلى القبور المقدسة، فرأى شيئا من الردم، إما من السقف أو من الحيطان إلى آخره.

قلت: و هذا لا يطابق ما ذكره ابن النجار و عليه رتب المراغى إشكاله الآتى بيانه.

ثم قال ابن النجار: و فى شهر ربيع الآخر من سنة أربع و خمسين و خمسمائة فى أيام قاسم أيضا وجدوا من الحجرة رائحة منكرة، و كثر ذلك حتى ذكروه للأمير، فأمرهم بالنزول إلى هناك، فنزل بيان الأسود الخصى أحد خدام الحجرة، و معه الصفى الموصلى متولى عمارة المسجد، و نزل معهما هارون الشادى الصوفى بعد أن سأل الأمير فى ذلك، و بذل له جملة من المال، فلما نزلوا وجدوا هرا قد هبط و مات و جيف، فأخرجوه، و كان فى الحائز بين الحجرة و المسجد.

و قال المراغى و غيره فى النقل عن ابن النجار: فوجدوا هرا قد سقط من الشباك الذى فى أعلى الحائز، و وقع بين الحائز و بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قال ابن النجار: و كان نزولهم يوم السبت الحادى عشر من ربيع الآخر، و من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم ينزل أحد إلى هناك، فاعلم ذلك، انتهى.

فهذا يخالف ما نقله الأقشهرى عن ابن عاث؛ لاقتضائه أن تلك الواقعة فى سنة سبعين و خمسمائة أو ما قاربها، و الظاهر أن القضية واحدة، و لم نجد من دونها فنقل كل منهما بحسب ما بلغه.

و قال الزين المراغى عقب ذكره للواقعة الأولى التى حكاها ابن النجار المتضمنة للدخول إلى القبور الشريفة ما لفظه: و ينبغى تأمل هذا النقل؛ لأن الوصول إلى القبور الشريفة متعذر، إن كان الجدار الذى أحدثته عائشة المتقدم ذكره باقيا، فإن جاء نقل بإزالته و بإمكان الاستطراق معه من باب أو نحوه فهو واضح، و إلا ففيه نظر.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۲

قلت: نظره إنما يتوجه على ما قدمه من أن النزول كان إلى ما بين الحائطين و أنه مشى إلى باب البيت، و ليس فى كلام ابن النجار تعرض لشىء من ذلك، بل مقتضى ما قدمناه عنه- من أن الحجرة الشريفة بها ممرق، و بسقف المسجد مثله- أن النزول إنما هو من العلو إلى سقف الحجرة، ثم منه إليها؛ فلا نظر، على أن الجدار الذى أشار إليه و أن عائشة بنته و لم نجد له أثرا إلا ما تقدمت الإشارة إليه من رأس جدار الحائط الشامى مقتض لأنه كان هناك جدار من الشام إلى القبلة، و كذلك الباب لم نجد له أثرا كما قدمناه.

و أما تأزير الحجرة بالرخام فليس له ذكر فى كلام ابن زبالة، و له ذكر فى كلام يحيى؛ فإنه روى ما حاصله أن بيت فاطمة الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين و زوجها حسن بن حسن و هدموا البيت بعث حسن بن حسن ابنه جعفرا، و كان أسنّ ولده، فقال له: اذهب و لا تبرحن حتى يبنوا فتنظر الحجر الذى من صفته كذا و كذا هل يدخلونه فى بنيانهم، فلم يزل يرصدهم حتى رفعوا الأساس و

أخرجوا الحجر، فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره، فخر ساجدا و قال: ذلك حجر كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى إليه إذا دخل إلى فاطمة، أو كانت فاطمة تصلى إليه، الشك من يحيى.

و قال على بن موسى الرضى: ولدت فاطمة عليها السلام الحسن و الحسين على ذلك الحجر.

قال يحيى: و رأيت الحسين بن عبد اللّه بن عبد اللّه بن الحسين و لم أر فينا رجلا أفضل منه إذا اشتكى شيئا من جسده كشف الحصى عن الحجر فيمسح به ذلك الموضع، و لم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمّر الصانع المسجد ففقدناه عند ما أزر القبر بالرخام، و كان الحجر لاصقا بجدار القبر قريبا من المربعة.

قال بعض رواة كتاب يحيى: الصانع هذا هو إسحاق بن سلمة، كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة و مكة.

قلت: و كانت خلافة المتوكل سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين، و توفى فى شوال سنة سبع و أربعين، و كان هذا مأخذ بن النجار فى قوله إن المتوكل فى خلافته أمر إسحاق بن سلمة و كأن على عمارة الحرمين من قبله أن يؤزّر الحجرة بالرخام ففعل.

ثم فى خلافة المقتفى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة جده جمال الدين وزير بنى زنكى، و جعل الرخام حولها قامة و بسطة.

قلت: و لم يذكر أحد من المؤرخين تجديدا لهذا الرخام بعد ذلك، و قد جدده فى زماننا متولى العمارة الآتى ذكرها الجناب الشمس المحسنى الخواجكى بن الزمن بأمر المقام الشريف السلطانى قايتباى عز نصره، و وجد فى الصفحة القبلية عند ابتدائها من جهة المغرب فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۳

اللوح السماقى اللون الثانى فى تلك الجهة من الألواح الملونة التى يحيط بها الرخام الأبيض البارز قطعة أوسع من الديا نار ملصقة فى ظاهر اللوح المذكور بالجص، فأشيع أنها جوهرة نفيسة ذات لمعان، ثم إن متولى العمارة أرانيها فإذا هى حجر عسلى اللون يميل حمرته إلى الصفرة، قال: و أظنه حجر اليرقان، و قد خشى عليه متولى العمارة إن أعيد لصقا كهيئته الأولى، فأمر بنقر الرخامة المذكورة و تنزيله فيها، ففعلوا ذلك، و أعادوا تلك الرخامة إلى محلها.

و لم أر من نبه على ابتداء حدوث الرخام الذى حول الحجرة الشريفة بالأرض و الظاهر أنه حدث عند حدوث تأزيرها بالرخام؛ لما تقدم من كلام يحيى فى أمر الحجر الذى كان يتبرك به من أن الحسين بن عبد اللّه كان يكشف عنه الحصى، و أنه لم يدخل فى البناء، و أنه فقده عند تأزير الحجرة بالرخام، فدل ذلك على أنه رخم الأرض أيضا، و إلا لما استتر الحجر المذكور.

و أما ترخيم المصلّى الشريف فلا أدرى متى زمن حدوثه، و له ذكر فى رحلة ابن جبير.

و أما الرخام الذى بالمحراب العثمانى و ما حوله فالقديم منه- أعنى بعد الحريق الأول- ترخيم المحراب و شىء يسير عن جنبتيه، و فى دولة السلطان الملك الظاهر جقمق فى أول عشر الستين و ثمانمائة أمر بعمل الوزرة التى فى الجدار القبلى، فاتصل ذلك بترخيم المحراب المذكور، و قد جدد غالب ذلك فى العمارة التى أدركناها أيضا، و أبدل الطراز الأول الذى كان بأعلى الوزرة و كان محمرا بماء الذهب الطراز الموجود اليوم، ثم زال ذلك كله فى حريق المسجد الثانى، ثم أعيد مع زيادة فيه مما يلى المنارة الرئيسية، و مع ترخم ما حول الحجرة الشريفة و تأزيرها بالرخام، و مع ما سبق من عمل محراب المصلى الشريف و ترخيمه، و رخموا أيضا الدعائم المواجهة للوجه الشريف التى أحدثوها عند عمارة القبة الثانية من داخل المقصورة و خارجها، و جميع ما يوجد من الرخام بالمسجد اليوم من عمل سلطان زماننا الأشرف قايتباى، أعز اللّه أنصاره، و ضاعف اقتداره! و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۲؛ ص۱۳۳

## الفصل الرابع و العشرون فى الصندوق الذى فى جهة الرأس الشريف، و المسماة الفضة المواجه للوجه الشريف، و مقام جبريل من الحجرة الشريفة، و كسوتها، و تخليقها

## اشارة

أما الصندوق فلم أعلم ابتداء حدوثه، و كذلك القائم المحلّى فوقه، إلا أنه قد ظهر لنا فى هذه العمارة التى أدركناها أنه كان موجودا قبل حريق المسجد الأول؛ لأن متولى العمارة كان قد قلعه لاقتضاء رأيه قلع حلية الفضة التى كانت على القائم الخشب الذى فوق الصندوق ليحكم صوغها، و زاد ذلك فضة و تمويها بالذهب، و أصلح حلية الصندوق أيضا،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۴

و كان ذلك سببا لإصلاح أصل الأسطوانة التى كان بها، فلما قلعوا الصندوق المذكور ظهر فيه قوائم صندوق عتيق، و فى تلك القوائم أثر الحريق، و كأنهم جددوا عليه صندوقا، و جعلوا ذلك المحترق فى جوفه، و قد أعيد كذلك.

و قد ذكر المجد الشيرازى هذا الصندوق و القائم فقال: و فى الصفحة الغربية من الحجرة الشريفة صندوق آبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها، هو قبالة رأس النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و فيه أسطوان، و فوق الصندوق قائم من خشب مجدد، و أما الصندوق فطوله خمسة أشبار و عرضه ثلاثة أشبار و ارتفاعه فى الهواء أربعة أشبار.

قلت: و قد ظفرت بذلك كله فى كلام ابن جبير فى رحلته، غير ما يتعلق بالقائم المذكور، و من ذلك أخذ المجد وصف القائم بكونه مجددا، و كانت رحلة ابن جبير عام ثمانين و خمسمائة، فاستفدنا بذلك وجود ذلك الصندوق قبل الحريق فى ذلك الزمان، و ما ذكره من أن الصندوق المذكور قبالة الرأس الشريف فيه تجوّز؛ لأنه قد ظهر لنا فى هذه العمارة أنه فى محاذاة الجدار الداخل القبلى، و سيأتى أن الوجه الشريف إلى الجدار؛ فالرأس الشريف متأخر عن الصندوق المذكور يسيرا.

و مستند المجد و غيره فى هذا الإطلاق ما روى جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضى اللّه عنه عن أبيه عن جده أنه كان إذا جاء يسلم على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وقف عند الأسطوانة التى تلى الروضة، ثم يسلم، ثم يقول: هاهنا رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و المراد به ما قدمناه، و اللّه أعلم.

و ذرع الصندوق المذكور فى الارتفاع ذراع و نصف و ربع بذراع اليد، و أعلى القائم فوقه محاذ لرأس الوزرة الرخام، و طول القائم المذكور ثلاثة أذرع، و هو خمس صفحات ألصق بعضها على بعض و جعلت محيطة بما ظهر من الأسطوانة التى الصندوق بأصلها فوقه؛ فإن بعض الأسطوانة فى البناء الملاصق لها من الحائز المذكور و لو أحاطت الصفحات بجميع الأسطوانة لكانت أكثر من خمس، و لكانت شكلها مثمنا، و هو مختم بالخشب الأسود الهندى، معصب بصفائح الفضة المموهة طولا و عرضا بأحسن صناعة، و صفائحه الطولية من الفضة أربع، و المقاطعة لها من جهة العرض خمس، و فى رأسه من أعلاه حلية رقيقة كالزيق، وزنة ما عليه من الفضة زيادة على ألفى قفلة، و أخذوا لأجل تمويهه من حاصل المسجد أربعين مثقالا من الذهب كما أخبرنى به متولى العمارة.

و أما الصندوق فلم يغير، كله مغشى بالفضة، و قد احترق فى حريق المسجد الثانى، و وجدوا حليته من الفضة، فجددوا صندوقا فى محله و جعلوا موضع القائم الذى كان فوقه رخاما كتوبا فيه البسملة و الصلاة و التسليم على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و الترضى عن أصحابه و غير ذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۵

و أما المسمار المواجه للوجه الشريف فقد تقدم أن بينه و بين أول الصفحة الغربية من المغرب خمسة أذرع، و قد اعتبرت ذلك فنقص يسيرا نحو سدس ذراع، و كأنه لاختلاف الأذرعة، و لم أعلم ابتداء حدوث التعليم بهذا المسمار أيضا، و المذكور فى كلام المتقدمين إنما هو التعريف بأن يجعل القنديل على رأسه، لكن قال المطرى: إن ما ذكر من القيام تحت القنديل تجاه الحجرة الشريفة للسلام كان قبل احتراق المسجد الشريف؛ فإنه لم يكن يقابل وجه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلا قنديل واحد؛ و لما جدد جعل هناك عدة قناديل، و إنما علامة الوقوف تجاه الوجه الكريم اليوم مسمار فضة فى رخامة حمراء، انتهى. و هو يوم حدوث التعليم به بعد الحريق، و لأن ابن جبير ذكره فى رحلته و هو أقدم من ابن النجار فقال عند وصف الحجرة الشريفة: و فى الصفحة القبلية أمام وجه النبى صلّى

اللّه عليه و سلّم مسمار فضة هو أمام الوجه الكريم، فتقف الناس أمامه للسلام، انتهى. و أيضا فقد روى ابن الجوزى فى «مثير الغرام الساكن» أن ابن أبى مليكة كان يقول: من أحب أن يقوم و جاه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه، ثم قال ابن الجوزى: و ثم ما هو أوضح علما من القنديل، و هو مسمار من صفر فى حائط الحجرة، إذا حاذاه القائم كان القنديل فوق رأسه، انتهى.

و قال يحيى فى كتابه: كان بن أبى مليكة يقول: إذا جعلت القنديل على رأسك و المرمرة المدخولة فى جدار القبر قبالة وجهك استقبلت وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

قلت: و كأن هذا المسمار فى موضع تلك المرمرة، و لهذا قال ابن النجار: إن اليوم هناك علامة واضحة، و هى مسمار من فضة فى حائط حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، إذا قابله الإنسان كان القنديل على رأسه، فيقابل وجه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، انتهى.

و لم أر لهذا المسمار ذكرا فى كلام من صنّف فى المناسك قبل ابن جماعة، و الذى فى مناسك ابن الصلاح أخذا من الإحياء ذكر القنديل، و جعله حذار رأس الزائر، و نقله عن ابن أبى مليكة، و اقتضى كلامه أن الواقف هناك يكون بينه و بين السارية التى عند رأس القبر عند زاويته الغربية و هى أسطوان الصندوق نحو أربعة أذرع؛ فهو قريب مما تقدم فى التعليم بالمسمار المذكور، و إن لم يصرح به، لكن قال الأقشهرى و من خطه نقلت: أخبرنا الإمام العالم رضى الدين أبو أحمد إبراهيم بن محمد بن أبى بكر إمام مقام إبراهيم الخليل بمكة توفى فى تاسع شهر ربيع الأول من عام اثنين و عشرين و سبعمائة و الشيخ الوزير أبو عبد اللّه محمد بن أبى بكر محمد بن عيسى المومنانى قالا: أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح السهروردى قال: ثم يأتى الزائر الصريح المقدس فيستدبر القبلة و يستقبل جداره نحو ثلاثة أذرع أو أربعة أذرع من الجدار و جاه المسمار الذى فى الجدار القبلى من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۶

الحجرة المشرفة، هذا ما نقلته من خط الأقشهرى بحروفه، و لم أره فى كلام ابن الصلاح، و الذى نقله ابن عساكر فى تحفته عن ابن الصلاح و هو من تلامذته إنما هو ما قدمناه، و روايته عن إبراهيم الطبرى عن ابن الصلاح تخليط؛ فإن وفاة ابن الصلاح فى سنة ثلاث و أربعين و ستمائة، و الذى أدركه إنما هو والد إبراهيم المذكور، و هو المعروف بالرضى الطبرى، فإن مولد الوالد المذكور سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة، فإنما أدرك من زمن ابن الصلاح عشر سنين، فكيف يكون ولده راويا عن ابن الصلاح بلا واسطة؟

و قال الأقشهرى عقب ما تقدم عنه: و قد سقط هذا المسمار سنة عشرين و سبعمائة، و لم يردّ إلى موضعه إلا فى رجب عام أربع و عشرين و سبعمائة.

قلت: و قد أخرج فى هذه العمارة من موضعه عند ترخيم جدار الحجرة الشريفة، ثم أعيد فى محله الأول بعينه فى الرخامة الحمراء التى كان بها، ثم سقط من محله فى الحريق الثانى، و جدد مسمار آخر فى محله، و لا يختلف أحد ممن أدركناه بالمدينة الشريفة فى أن ذلك الموضع تجاه الوجه الشريف، و هو الذى يقتضيه الحال عند مشاهدة الحجرة الشريفة من داخلها، غير أنى رأيت فى كلام يحيى ما يوهم خلاف ذلك، فإنه ذكر أن الموضع الذى يواجه الوجه الشريف هو ما بين الأسطوانة المتوسطة فى قبلة جدار قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، بين هذا الموضع و بين الأسطوان شبران و ثلاث أصابع متفرجة من الحفيرة إلى الوسطى، و إن كل من أدركه من أهل بيته كانوا إذا وقفوا للسلام على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وقفوا قريبا من هذا الموضع، و كانت ثم علامة قد تعلموا بها حفيرة و لم تزل ثمّ منذ علمت إلى أن عمر الصانع المسجد فى ولاية أمير المؤمنين المتوكل فإنه أزر القبر بالرخام فذهبت العلامة منذ ذلك. و قال: إن موسى بن جعفر قال: من وقف فى هذا الموضع منحرفا واضعا شق وجهه الأيمن استقبل وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان على بن الحسين يقف ثم، انتهى.

قلت: الأسطوانة الوسطى التى يشير إليها هى البارزة فى الصفحة القبلية من جدار القبر، يقف قربها المسلم على عمر رضى اللّه عنه، و بينها و بين المسمار المذكور نحو ثلاث أذرع أو أزيد، و قد قال: إن الموضع الذى ذكره بينه و بين الأسطوانة المذكورة شبران و ثلاثة

أصابع، فيكون بعيدا من المسمار المذكور بنحو الذراعين و قد شاهدنا الأسطوانة المذكورة من داخل الحجرة فرأيناها قريبة من نهايتها، بحيث إن من دفن هناك و وجهه فى محاذاة الموضع الذى ذكره يحيى كانت رجلاه فى جدار الحجرة الشرقى كما نقل ذلك فى دفن عمر رضى اللّه عنه، فيبعد كل البعد كون الوجه الشريف فى محاذاة ذلك الموضع، على أن ما نقله عن موسى بن جعفر يقتضى أن استقبال الوجه الشريف للواقف فى الموضع الذى ذكره إنما يكون مع الانحراف و وضع شق الوجه الأيمن يعنى على جدار القبر، و على هذا فيستقبل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۷

الزائر جهة المغرب حتى يحصل ذلك، و ذلك لأن الحائط القبلى منحرف كما أشرنا إليه فى التصوير المتقدم، فلا يقتضى ذلك أن المستقبل للمحل الذى عينه من غير وضع وجهه يكون مقابلا للوجه الشريف، و إنما يسامت الواقف الوجه الشريف إذا حاذى المسمار المتقدم وصفه، و كأن يحيى يرى أن الزائر يلصق خده بجدار القبر على الهيئة السابقة، فيصير محل المسمار المذكور أمامه، و لذلك أورد عقب ما تقدم عنه قصة أبى أيوب الأنصارى الآتى ذكرها فى التزامه القبر.

و اعلم أن تشبيك باب المقصورة التى حدثت إدارتها على ما حول الحجرة الشريفة قد يمنع من مشاهدة المسمار المذكور إلا لمن يتأمل ذلك من تشبيكه، و ذلك يشغل قلب الزائر، و قد تحرر لنا أن ما يقابله من ذلك هو الصرعة الثانية من باب المقصورة القبلى الذى على يمين مستقبل القبر الشريف، فمن حاذى هذه الصرعة كان محاذيا لذلك، و هذا المسمار مموّه بالذهب رأسه مستدير، و قد أحدث متولى العمارة مسمارا آخر رأسه فضة، لكنه فى أول هذه الصفحة القبلية مما يلى المغرب قريبا من جهة الصندوق المتقدم وصفه، و رأس هذا المسمار مكوكب كالقبة، فلا يشتبه بالمسمار المتقدم، و أحدث أيضا مسمارين آخرين فى ابتداء الصفحة الغربية مما يلى القبلة قريبا من مساره المتقدم، و ما علمت السبب فى إحداث ذلك، و قد زالت هذه المسامير الثلاثة المحدثة بالحريق الثانى.

و أما الموضع المعروف بمقام جبريل عند مربعة القبر فقد تقدم أنه كان هناك مسمار فى منحرف المربعة إلى الزاوية الشمالية من الحجرة علامة عليه، فلم نجده هناك، و سألت عنه الخدام و المرخمين فقالوا: إنهم لم يجدوا هناك شيئا، و تسمية ذلك الموضع بمقام جبريل تقدم مستنده فى الكلام على أسطول مربعة القبر، و لم أدر لم سمى بذلك، إلا أن ابن جبير ذكر هذا المحل من الحجرة الشريفة، و قال: و عليه ستر مسبل يقال: إنه كان مهبط جبريل عليه السلام، انتهى. لكن ترجم ابن شبة فى كتابه لمقام جبريل ثم قال: قال أبو غسان: علامة مقام جبريل عليه السلام التى يعرف بها اليوم أنك تخرج من الباب الذى يقال له باب آل عثمان، فترى على يمينك إذا خرجت من ذلك الباب على ثلاثة أذرع و شبر و هو من الأرض على نحو من ذراع و شبر حجرا أكبر من الحجارة التى بها جدار المسجد، قال: فكان مالك بن أنس يقول، و سقط ما بعد ذلك من كتاب ابن شبة فلم أدر ما هو، لكن يستفاد من ذلك حكاية خلاف فى مقام جبريل: هل هو داخل المسجد عند المربعة المذكورة أو خارجه عند باب آل عثمان و هو المعروف اليوم بباب جبريل؟ و لعل ذلك سبب تسمية الباب المذكور بذلك، كما ستأتى الإشارة إليه.

و قال ابن زبالة: أخاف المسجد من شرقيه فى سلطان محمد بن عبد اللّه بن سليمان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۸

الربعى من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب من ناحية موضع الجنائز، فأمر به فبنى، و تعلم مقام جبريل عليه السلام بحجر و نقش فيه خاتم سليمان و مشق لأن يعرف به مقام جبريل، و مقام جبريل يمناه داخل فى المسجد، فبلغ ذلك مالك بن أنس، فتكلم فيه و أنكره و عابه، فغير و جعل مكانه حجر طويل مصمت لا علم فيه مخالف لحجارة المسجد، انتهى؛ فيحتمل أن يريد بقوله «و مقام جبريل يمناه داخل المسجد» الموضع المتقدم ذكره من الحجرة الشريفة، و يحتمل أن يريد أن الباب قد قدم عن محله الأول فى محاذاته، فصار مقام جبريل داخل المسجد فى محاذاة ذلك، و يرجح هذا أن الظاهر أن الأصل فى مقام جبريل ما قدمناه فى غزة بنى

قريظة من رواية صاحب الاكتفاء أن جبريل عليه السلام أتى فى ذلك اليوم على فرس عليه اللأمة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز، و إن على وجه جبريل لأثر الغبار، اه؛ فلذلك سمى الباب المذكور بباب جبريل؛ إذ لم يكن حينئذ للمسجد باب فى ناحية الجنائز غيره.

و فى رواية البيهقى عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عندنا، فسلم علينا رجل و نحن فى البيت، فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فزعا، فقمت فى أثره، فإذا بدحية الكلبى، فقال: هذا جبريل عليه السلام يأمرنى أن أذهب إلى بنى قريظة، و اللّه أعلم.

## كسوة الحجرة النبوية

و أما كسوة الحجرة الشريفة فقد ذكر ابن النجار ما قدمناه فى تأزير الحجرة الشريفة بالرخام و عمل الجواد الأصبهانى فى الشباك المتخذ من خشب الصندل المتقدم وصفه على جدارها، ثم قال: و لم تزل الحجرة الشريفة على ذلك حتى عمل لها الحسين بن أبى الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك المصريين ستارة من الديبقى الأبيض، و عليها الطروز و الجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر و الأحمر، و نيطها و أدار عليها زنارا من الحرير الأحمر، و الزنار مكتوب عليه سورة (يس) بأسرها، و قيل: إنه غرم على هذه الستارة مبلغا عظيما من المال، و أراد تعليقها على الحجرة، فمنعه قاسم بن مهنى أمير المدينة و قال: حتى تتأذن الإمام المستضىء بأمر الله.

فبعث إلى العراق يستأذن فى تعليقها، فجاءه الإذن فى ذلك، فعلقها نحو العامين، ثم جاءت من الخليفة ستارة من الإبريسم البنفسجى عليها الطرز و الجامات البيض المرقومة و على دوران جاماتها مكتوب بالرقم: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و على، و على طرازها اسم الإمام المستضىء بأمر الله، فشيلت تلك و نفذت إلى مشهد على بن أبى طالب بالكوفة، و علقت هذه عوضها، فلما ولى الإمام الناصر لدين اللّه نفذ ستارة أخرى من الإبريسم الأسود، و طرزها و جاماتها من الإبريسم الأبيض، فعلقت فوق تلك، فلما حجت الجهة أم الخليفة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۳۹

و عادت إلى العراق عملت ستارة من الإبريسم الأسود أيضا على شكل المذكورة و نفذتها فعلقت على هذه، ففى يومنا هذا على الحجرة ثلاث ستائر بعضهن على بعض، انتهى.

و هو يقتضى أن ابن أبى الهيجاء أول من كسا الحجرة فى خلافة المستضىء بأمر الله، و كانت خلافته فى سنة ست و ستين و خمسمائة، و مات سنة خمس و سبعين و خمسمائة، و فى كلام رزين ما يقتضى مخالفته؛ فإنه قال فى ضمن كلام نقله عن محمد بن إسماعيل ما لفظه:

فلما كانت ولاية هارون أمير المؤمنين و قدمت معه الخيزران أمرت بتخليق مسجد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم و تخليق القبر و كسته الزنانير و شبائك الحرير، انتهى.

و قد رأيت فى العتبية ما يصلح أن يكون مستندا فى أصل الكسوة، فإنه قال فى أوائلها: قيل لمالك: قلت إنه ينبغى أن ينظر فى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كيف يكسون سقفه، فقيل:

يجعل عليه خيش، فقال: و ما يعجبنى الخيش، و إنه ينبغى أن ينظر فيه، انتهى.

قال ابن رشد فى بيانه: كره مالك كشف سقف قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأى من صونه أن يكون مغطّى، و لم ير أن يكتفى من ذلك بالخيش، و كأنه ذهب إلى أن يغطى بتغطية البيوت المسكونة، و لقد أخبرنى من أثق به أنه لا سقف له اليوم تحت سقف المسجد، انتهى.

و قد يضم إلى ذلك أنه إنما جاز كسوة الكعبة لما فيه من التعظيم، و نحن مأمورون بتعظيم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و تعظيم قبره

من تعظيمه، و هذا أولى بالجواز مما سيأتى عن السبكى فى مسألة القناديل من الذهب حيث سلك بها هذا المسلك، و ليس فى كلام ابن زبالة و يحيى تعرض لأمر كسوة الحجرة، و لعله لأنها إنما حدثت بعدهما، مع أن ابن زبالة ذكر ما قدمناه فى كسوة المنبر الشريف و جعل الستور على الأبواب، و نقل أن كسوة الكعبة كان يؤتى بها المدينة قبل أن تصل إلى مكة، فتنشر فى مؤخر المسجد، ثم يخرج بها إلى مكة، و لم يذكر للحجرة كسوة.

ثم ذكر تخليق الحجرة و المسجد فقال: و قدمت الخيزران أم موسى أمير المؤمنين المدينة فى سنة سبعين و مائة، فأمرت بمسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فخلّق، و ولى ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها، فقام إليها إبراهيم بن الفضل بن عبيد اللّه بن سليمان مولى هشام بن إسماعيل فقال: هل لكم أن تسبقوا من بعدكم و أن تفعلوا ما لم يفعل من كان قبلكم؟ قالت له مؤنسة: و ما ذلك؟ قال: تخلّقون القبر كله، ففعلوا، و إنما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل، و أشار عليهم فزادوا فى خلوق أسطوان التوبة و الأسطوان التى هى علم عند مصلّى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما، و زادوا فى الخلوق فى أعلاهما، انتهى و لو كان لكسوة الحجرة وجود فى زمانه لتعرض له.

و اعلم أن فى عشر الستين و سبعمائة فى دولة السلطان الصالح إسماعيل بن الملك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۰

الناصر محمد بن قلاون اشترى قرية من بيت مال المسلمين بمصر، و وقفها على كسوة الكعبة المشرفة فى كل سنة، و على كسوة الحجرة المقدسة و المنبر الشريف فى كل خمس سنين مرة، هكذا ذكره التقى الفاسى فى شفاء الغرام.

و ذكره الزين المراغى إلا أنه قال فى الوقف على كسوة الحجرة: فى كل ست سنين مرة، تعمل من الديباج الأسود المرقوم بالحرير الأبيض، و لها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائر عليها، إلا كسوة المنبر فإنها بتقصيص أبيض.

قلت: و ما ذكراه من المدة المذكورة بالنسبة إلى الحجرة كأنه كان معمولا به فى زمانهما، و أما فى زماننا فيمضى عشر سنين و نحوها و لا تعمل، نعم كلما ولى ملك بمصر فإنه يعتنى بإرسال كسوة.

و ذكر الحافظ ابن حجر فى الكلام على كسوة الكعبة أن الصالح هذا اشترى حصة من بلد يقال لهل سندبيس، اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال، و وقفها على هذه الجهة، و لم يتعرض لكسوة الحجرة، فلعل الثلث الثالث الذى لم يذكره يتعلق بكسوة الحجرة لما قدمناه، و يحتمل أن ما يرد من الكسوة من جهة الملوك، لا من وقف، و عادتهم إذا وردت كسوة جديدة قسم شيخ الخدام الكسوة العتيقة على الخدام و من يراه من غيرهم، و يحمل إلى السلطان بمصر منها جانبا، و حكم بيع كسوة الحجرة كحكم بيع كسوة الكعبة، و قد اختلف العلماء فى ذلك قديما، و فى المسألة عندنا و جهان.

و قال الحافظ صلاح الدين خليل العلائى: إنه لا يتردد فى جواز ذلك الآن؛ لأن وقف الإمام للضيعة المتقدمة على الكسوة كان بعد استقرار هذه العادة و العلم بها، فينزل لفظ الواقف عليها، انتهى، و اللّه أعلم.

## الفصل الخامس و العشرون فى قناديل الذهب و الفضة التى تعلق حول الحجرة الشريفة، و غيرها من معاليقها

### القناديل

اعلم أنى لم أر فى كلام أحد ذكر ابتداء حدوث ذلك، إلا أن ابن النجار قال ما لفظه:

و فى سقف المسجد الذى بين القبلة و الحجرة على رأس الزوار إذا وقفوا معلّق نيف و أربعون قنديلا كبارا و صغارا من الفضة المنقوشة و الساذجة، و فيه اثنان بلور، و واحد ذهب، و فيها قمر من فضة مغموس فى الذهب، و هذه تنفذ من البلدان من الملوك و أرباب الحشمة و الأموال، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۱

قلت: و استمر عمل الملوك و أرباب الحشمة إلى زماننا هذا على الإهداء إلى الحجرة الشريفة قناديل الذهب و الفضة.

و رأيت بحط شيخنا العلامة ناصر الدين العثمانى أشياء نقلها من خط قاضى طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح يتضمن ما كان يرد فى كل سنة من ذلك؛ فذكر فى سنة خمسة عشر قنديلا، و فى أخرى ثلاثة عشر، و فى أخرى عشرة، و فى أخرى إحدى و عشرين.

قلت: و فى زماننا هذا يرد فى غالب السنين ما يزيد على العشرين، و لا ضابط لذلك؛ فإنه يرد من نذور من ناس مختلفين، و كأن هذه القناديل كانت إذا كثرت رفعوا بعضها و وضعوه بالحاصل الذى فى وسط المسجد، فاجتمع فيه شىء كثير فاتفق على ما ذكره الحافظ ابن حجر فى سنة إحدى عشرة و ثمانمائة أن فوض السلطان الناصر فرج لحسن بن عجلان سلطنة الحجاز، فاتفق موت ثابت بن نغير، و قرر حسن مكانه أخاه عجلان ابن نغير المنصورى، فثار عليهم جماز بن هبة بن جماز الجمازى الذى كان أمير المدينة، و أرسل إلى الخدام بالمدينة يستدعيهم، فامتنعوا من الحضور إليه، فدخل المسجد الشريف، و أخذ ستارتى باب الحجرة، و طلب من الخدام تسعة آلاف درهم على أن لا يتعرض لحاصل الحرم، فامتنعوا، فضرب شيخهم، و كسر قفل الحاصل، هكذا رأيته فى «أنباء الغمر» للحافظ ابن حجر.

و الذى رأيته فى محضر عليه خطوط غالب أعيان المدينة الشريفة ما حاصله: أن جماز بن هبة المذكور كان أمير المدينة، فبرزت المراسيم الشريفة بتولية ثابت بن نغير إمرة المدينة و أن يكون النظر فى جميع الحجاز لحسن بن عجلان، و لم يصل الخبر بذلك إلا بعد وفاة ثابت بن نغير، فأظهر جماز بن هبة الخلاف و العصيان و جمع جموعا من المفسدين و أباح نهب بعض بيوت المدينة، ثم حضر مع جماعة إلى المسجد الشريف، و أهان من حضر معه من القضاة و المشايخ و شيخ الخدام باليد و اللسان، و شهر سيفه عليهم، و كسر باب القبة حاصل الحرم الشريف، و أخذ جميع ما فيها من قناديل الذهب و الفضة التى تحمل على تعاقب السنين من سائر الآفاق تقربا إلى اللّه و رسوله و أشياء نفيسة و ختمات شريفة و زيت المصابيح و شموع التراويح و أكفان و دراهم يوارى بها البطحاء، و قطع مكاتيب الأوقاف و غسلها، و قصد الحجرة الشريفة، و أحضر السلم لإنزال كسوة الضريح الشريف و القناديل المعلقة حوله، فلم يقدّر له ذلك و منعه اللّه منه، و أخذ ستر أبواب الحجرة الشريفة من خزانة الخدام، و تعطل فى ذلك اليوم و ليلته و الذى يليها المسجد الشريف من الأذان و الإقامة و الجماعة، و أخذ جماعته و أقاربه فى نهب بيوت الناس و مصادرتهم، و أخذ جمال السوانى، و ارتحل هاربا عقب ذلك، و لما اتصل بحسن بن عجلان ما فوض إليه من أمر الحجاز استدعى بعجلان بن نغير و أقامه فى إمرة المدينة، و عرفه ما برزت به المراسيم أولا فى ولاية أخيه، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۲

و ذكر الحافظ ابن حجر أنه أخذ من الحاصل المذكور إحدى عشر خوشخانا و صندوقين كبيرين و صندوقا صغيرا بما فى ذلك من المال و خمسة آلاف شقة من البطاين، و صادر بعض الخدام، و نزح عنها؛ فدخل عجلان بن نغير و معه آل منصور فنودى بالأمان، ثم قدم عقبه أحمد بن حسن بن عجلان و معه عسكر، يعنى من مكة.

قلت: و رأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين المراغى قائمة ذكر أنه نقلها من خط قاضى طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح صورتها: الذى كان فى القبة، و أخذه جماز بن هبة، هو من القناديل الفضة ثلاثة و عشرون قنطارا و ثلث قنطار، غير الذى فى الرفوف، و الصندوقين الذهب، ثم ذكر تفصيل ذلك فى ثمان عشرة وزنة، ثم كتب ما صورته:

خوشخانة مختومة لم تفتح، و الظاهر أنها ذهب، وزنة القناديل التى فى الرفوف أربع قناطير إلا ثلث، و تسع قناديل ذهب بالعدد فى صندوق، و صندوق صغير مقفول، انتهى.

و بلغنا أنه دفن غالب ذلك، ثم أخذه اللّه أخذا وبيلا فقتل هو و من اطلع معه على دفن ذلك، فلم يعلم مكانه إلى اليوم.

و قد ذكر الحافظ ابن حجر قتله فى سنة اثنتى عشرة و ثمانمائة فقال: و فيها قتل جماز بن هبة ابن جماز بن منصور الحسينى أمير

المدينة، و قد كان أخذ حاصل المدينة و نزح عنها، فلم يمهل و قتل فى حرب جرت بينه و بين أعدائه، انتهى.

قلت: إنما بيتته بعض عرب مطير فاغتاله و هو نائم.

و رأيت فى القائمة المتقدم ذكرها التى نقلها شيخنا المتقدم ذكره ما صورته: وزن ما فى الحجرة من قناديل الذهب تسع قناطير، و ورد بعد ذلك من أم السلطان قنديل زنته ألف مثقال، و ورد من أخت السلطان قنديل زنته ألف و خمسمائة، و أربع قناديل كبار فى الواحد منهم أربعة صغار، و فى الثانى اثنان صغار، و فى الثالث عدة قناديل معفوسة، و فى الرابع قنديل، زنة الجميع ثلاثة آلاف و سبعمائة و عشرون مثقالا، و على يد الطواشى صندل قنديلين صغار، و معلق بعد ذلك عدة قناديل لم تكتب، انتهى.

و الظاهر أنه سقط بعد قوله «من قناديل الذهب» لفظ «و الفضة» و فى هذه القائمة أيضا أن بالقبة- يعنى قصة جماز المتقدمة- من قناديل الفضة مائة رطل و سبعة عشر رطلا وضعها بيسق بيده، انتهى.

ثم إن الأمير غرير بن هيازع بن هبة الحسينى الجمازى أخذ جانبا من الحاصل المذكور فى سنة أربع و عشرين و ثمانمائة، زاعما أنه على سبيل القرض، و امتحن بعض قضاة المدينة لسبب ذلك، ثم حمل غرير المذكور إلى القاهرة محتفظا به، و مات بها مسجونا.

و لم تزل هذه القناديل فى زيادة حتى عدا عليها فى ليلة السابع و العشرين من ذى الحجة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۳

سنة ستين و ثمانمائة برغوث بن بتير بن جريس الحسينى؛ فدخل الدار المعروفة بدار الشباك بجانب باب الرحمة ليلا، و لم يكن بها ساكن، و تسوّر جدار المسجد، و دخل بين سقفى المسجد الشريف من شباك هناك، و مشى حتى بلغ ما يحاذى سقف الحجرة الشريفة، فأخذ من تلك القناديل شيئا كثيرا، و كأنه تردد لذلك المرة بعد الأخرى، و لم يشعر أهل المسجد و نظاره بشىء من ذلك، غير أن أمة لبعض جيران الدار المذكورة رأت من سطح دارهم شخصين فى أعلى دار الشباك يتعاطيان شيئا له حجم كبير و صوت صليل، فلما أصبحت أخبرت بواب المسجد فلم يعبأ بذلك لخلو تلك الدار، و بعد ذلك الأمر عن الأفكار، و لكن اللّه أراد هتك المذكور و حلول النقمة به، فأنهى بعض الناس إلى أمير المدينة أن المذكور معه شىء كثير من المال غير معهود، فأمسكه الأمير و ضيّق عليه بالسجن، فانخلس ليلا، ثم شاع بالمدينة بيع شبابيك من الفضة و الذهب، فكثر القال و القيل، ثم فى شهر ربيع الأول من سنة إحدى و ستين استفاض أن برغوثا بالينبع و معه قطع من ذهب القناديل، فافتقد النظار الحجرة الشريفة، فرأوا أكثر القناديل مأخوذا، فعلموا الحال، لكن لم يعلموا الكيفية، و اتهمت ابنة السراج النفطى بممالأة برغوث على ذلك و أنه إنما تسور من بيت أبيها لكونه متصلا بالمسجد فى قبلته، و أظهر اللّه براءتها بعد ذلك، و كان بالمدينة إذ ذاك زين الدين استدار الصحبة فعقد مجلسا لذلك، و اجتمع أعيان أهل المدينة، و كتبوا إلى أمير الينبع بالقبض على برغوث و إرساله، فقبض عليه، فاعترف أنه فعل ذلك هو و دبوس بن سعد الحسينى الطفيلى، و جعل أن دخوله من بيت المرأة المتقدم ذكرها، و أن بعض الخدام اطأه على ذلك، ثم أظهر اللّه الحق، و أن دخوله إنما كان من دار الشباك، و أن شريكه المعين له على ذلك دبوس المذكور، و لم ير أمير ينبع إرساله إلى المدينة، بل تركه عنده منتظرا الأوامر السلطانية، ثم إن أمير المدينة أمسك دبوسا و بعض أقاربه، فأنكر هو، و أقر عليه بعض جماعته و أحضروا جانبا من الذهب و الفضة، ثم هرب برغوث من الحبس بالينبع، ثم ساقه اللّه إلى المدينة، فلما وصل دلّ عليه أميرها، فأمسكه و حبسه مع دبوس و ذويه، فهربوا، ثم أظفر اللّه بهم، و لم يغب منهم إلا- دبوس، و برزت المراسيم بقتل من تجرأ على هذه العظيمة، فقتل أمير المدينة برغوثا و آخر معه من أقاربه يسمى ركابا، و صلبهما، ثم ظفر بدبوس و قتله أيضا.

و أخبرت عن برغوث أنه قال: كنت كلما توجهت فى حال هربى لغير جهة المدينة كأنى أجد من يصدنى عن ذلك، و إذا قصدت جهة المدينة تيسرت لى و كأن شخصا يقودنى إليها حتى دخلتها.

و أما عدة القناديل الموجودة فى زماننا هذا بالحجرة الشريفة فقد ضبطت فى أول سنة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۴

إحدى و ثمانين و ثمانمائة بأمر السلطان الأشرف لشيخ الحرم الأمير انيال و القضاى الزكوى؛ فكان عدة معاليق الذهب ثمانية عشر قنديلا و بعض قنديل، و أربع مشنات، و مغرافان، و سواران، و زنة ذلك سبعة آلاف قفلة و ستمائة و خمسة و ثلاثون، من ذلك قنديل كبير فى جهة الوجه الشريف زنته أربعة آلاف و ستمائة قفلة، أهداه سلطان الكلرجه شهاب الدين أحمد، و عدة معاليق الفظة ثلاثمائة قنديل و أربعة و أربعون قنديلا، و ثرية كبيرة، زنة ذلك ستة و أربعون ألف و أربعمائة و خمسة و ثلاثون قفلة، و كانت ضبطت قبل ذلك فى سنة اثنتين و ستين و ثمانمائة على يد الأمير بردبك التاجى فتحرر من النظر بين المقدارين أن الزائد على ما ضبط فى التاريخ المتقدم من الذهب ألف قفلة و مائة و خمسة و خمسون، و من الفضة ثلاثة عشر ألف قفلة و سبعمائة و خمسة و ثمانون قفلة، فذلك القدر هو الوارد من عام ثلاث و ستين إلى آخر عام تسع و سبعين، و هناك من المعاليق أيضا غير ما تقدم قنديل من بلور بتابوت من فضة، و قناديل نحاس أربعة، و فولاذ واحد مكفّت بالذهب مشبك مكتوب عليه أن الناصر محمد بن قلاوون علقه من يده إلى عام حجه، ثم ورد فى سنة ثمانين فى مشيخة الشيخ انيال و لم يدخل فى الجملة المتقدمة قنديلان من الذهب زنتهما مائة و خمسة و عشرون قفلة، و من الفضة اثنان و ثلاثون قنديلا زنتها ألف و مائتان و خمسة و سبعون قفلة، و فى سنة إحدى و ثمانين قنديل ذهب زنته مائة و اثنان و أربعون قفلة، و أربعة و عشرون قنديلا من الفضة زنتها تسعمائة و خمسون قفلة، و فى سنة اثنين و ثمانين من الفضة أحد و ثلاثون قنديلا زنتها ألف و خمسمائة و خمسون قفلة، و لم يرد شىء من الذهب، و فى سنة ثلاث و ثمانين من الذهب قنديل واحد زنته عشرون قفلة، و من الفضة خمسة و عشرون قنديلا زنتها ألف و مائة و خمسة و ثلاثون قفلة، و فى سنة أربع و ثمانين من الفضة تسعة عشر قنديلا زنتها سبعمائة و خمسة و أربعون قفلة، و لم يرد شىء من الذهب؛ فجملة ما ورد فى ولاية الأمير انيال فى المدة المذكورة من الذهب أربعة قناديل جملة زنتها مائتان و سبعة و ثمانون قفلة، و من الفضة مائة قنديل و تسعة و عشرون قنديلا جملة زنتها خمسة آلاف و ستمائة و خمسة و خمسون قفلة، و لما شرعوا فى عمارة الحجرة الشريفة الآتى ذكرها فى سنة إحدى و ثمانين و ثمانمائة رفعوا جمع المعاليق التى كانت حولها، و وضعت بالقبة التى بصحن المسجد بأمر متولى العمارة الجناب الشمسى، و لم يزل بها إلى تاريخه، و لم يكن اليوم حول الحجرة الشريفة من المعاليق إلا ما تجدد فى آخر سنة إحدى و ثمانين إلى آخر سنة أربع و ثمانين، ثم حسّن متولى العمارة للسلطان صرف ذلك فى مصالح المسجد و المدينة الشريفة، فحمل بعضه من الحاصل المذكور إلى مصر قبيل الحريق الثانى، ثم وجدوا ما سقط لسبب الحريق من القناديل التى كانت معلقة بحالها، ثم صرف متولى العمارة بعض ذلك فى تذهيب السقف المعادة بعد الحريق، ثم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۵

وضع بهذه القبة ما تجمد من مصاريف حب السماط المجدد، فاجتمع بها نحو ثلاثة عشر ألف دينار، فاتفق أن أمير المدينة حسن بن زبيرى المنصورى حضر بجماعة مع الاستعداد بالأسلحة و السيوف المسلولة؛ فدخل المسجد الشريف على تلك الحالة وقت الظهر من سادس ربيع الأول عام أحد و تسعمائة، و أمر خازندار الحرم الشريف بإحضار مفاتيح الحاصل المذكور، فامتنع من ذلك، فضربه ضربا مبرحا، ثم عمد إلى باب الحاصل المذكور و أحضر فأسا و كسره و أخذ جميع ما فيه من النقد و القناديل و السبائك، فحمل منه ثلاثة أحمال على فرسين و بغل و غرائر تسع على ظهور الحمالين، ثم ذهب إلى حصنه و أحضر الصياغ و سبك تلك القناديل، و ذكر أنه صنع ذلك رغبة عن إمرة المدينة؛ لأن ولايته كانت بطريق النيابة عن السيد الشريف محمد بن بركات لتفويض السلطان الأشرف إليه أمر الحجاز و أن المشار إليه صار يأخذ حصته مما يحمل له من الإقطاع و من الصدقات، و عطل عليه أهل مصر بعض إقطاعه، فحمله ذلك على ما سبق.

## حكم معاليق المسجد النبوى

أما حكم هذه المعاليق و نحوها من تحلية الصندوق المتقدم ذكره و القائم الذى بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة و تحليتها، و قد

تكلم السبكى فى حكم قناديل الكعبة و حليتها و القناديل التى حول الحجرة الشريفة، و ألّف فى ذلك كتابا سماه «تنزل السكينة، على قناديل المدينة» فأورد حديث البخارى و غيره فى كنز الكعبة و ما تضمنه من إقرار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم له بمحله، ثم أبى بكر بعده، و رجوع عمر رضى اللّه عنه لذلك لما ذكره به ابن شبة، و قال:

هما المرآن يقتدى بهما، قال: فهذا الحديث عمدة فى مال الكعبة، و هو ما يهدى إليها أو ما ينذر لها و ما يوجد فيها من الأموال.

قال ابن بطال: أراد عمر إنفاقه فى منافع المسلمين، ثم لما ذكر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يتعرض له أمسك، و إنما ترك ذلك و اللّه أعلم لأن ما جعل فى الكعبة و سبّل لها يجرى مجرى الأوقاف؛ فلا يجوز تغييره عن وجهه، و فى ذلك تعظيم للإسلام و ترهيب للعدو.

قلت: قد تعقب ذلك الحافظ ابن حجر باحتمال أن يكون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إنما تركه رعاية لقلوب قريش، كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، و يؤيده ما وقع عند مسلم فى بعض طرق حديث عائشة رضى اللّه عنه و لفظه «لو لا أن قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله، و لجعلت بابها بالأرض» الحديث، فهذا التعليل هو المعتمد.

قلت: لكن قد يقال: حيث تركه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لهذه العلة ثم تركه أبو بكر ثم عمر بعد الهم به و رجوعه عن ذلك ثم من بعده فهو إجماع على تركه؛ فلا نتعرض له؛ لما يترتب عليه من الشناعة و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۶

قال السبكى: و لا يغلط فى أن ذلك يصرف إلى فقراء الحرم، فإنما يكون ذلك إذا كان الإهداء إلى الحرم أو إلى مكة، أما إذا كان للكعبة نفسها فلا يصرف إلا إليها، كأن تعرض لها عمارة فحينئذ ينظر: فإن كانت تلك الأموال قد أرصدت لذلك صرفت فيه، و إلا فيختص بها الوجه الذى أرصد له، فالمرصد للبخور مثلا لا يصرف للسترة.

قال: و أما القناديل التى فيها و الصفائح التى عليها فلا يصرف منها شىء، بل تبقى على حالها، و قول عمر «لقد هممت ألّا أدع فيها صفرا و لا بيضا» محتمل للنوعين، و لم ينقل إلينا صفتها التى كانت ذلك الوقت، و من قال أول من ذهّب البيت فى الإسلام الوليد لا ينفى أن يكون البيت ذهّب فى الجاهلية و بقى إلى عهد عمر.

قلت: قد نقل التقى الفاسى عن خط الحافظ رشيد الدين بن المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبحى ما لفظه: و فيها- أى سنة خمس و ستين- استتم ابن الزبير بناء الكعبة، و يقال: إنه بناها بالرصاص المذوب المخلوط بالورس، و جعل على الكعبة و أساطينها صفائح الذهب و مفاتحها ذهبا، اه. فإن صح فهو أولى ما يحتج به.

ثم نقل السبكى عن الرافعى أنه قال: لا يجوز تحلية الكعبة بالذهب و الفضة و تعليق قناديلها. ثم نقل أن فى تحلية الكعبة و المساجد بالذهب و الفضة و تعليق قناديلها وجهين مرويين فى الحاوى و غيره: أحدهما: الجواز، تعظيما كما فى المصحف، و كما يجوز ستر الكعبة بالديباج، و أظهرهما المنع؛ إذ لم ينقل ذلك عن فعل السلف، ثم استشكل كلام الرافعى فقال: و أما التسوية بين الكعبة و المساجد فلا ينبغى؛ لأن للكعبة من التعظيم ما ليس للمساجد، بدليل جواز سترها بالحرير إجماعا، و فى ستر المساجد به خلاف، فحكاية الخلاف فيها مشكل، و ترجيح المنع أشكل، و كيف و قد فعل ذلك فى صدر هذه الأمة، و قد تولى عمر بن عبد العزيز عمارة مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن الوليد و ذهّب سقفه بأمره من غير مراجعة، بل لما ولى الخلافة بعد ذلك أراد أن يزيل ما فى جامع بنى أمية من الذهب فقيل له: إنه لا يتحصل منه شىء يقوم بأجرة حكّه، فتركه. و الصفائح التى على الكعبة يتحصّل منها شىء كثير، فلو كان فعلها حراما لأزالها فى خلافته، فلما تركها و معه جميع من يحج كل عام وجب القطع بجوازها، و هذا فى تحلية الكعبة بالصفائح، و لا منع من جريان الخلاف فى التمويه لإزالة المالية، و لا من إجراء الخلاف فى سائر المساجد تمويها و تحلية، على أن القاضى حسين جزم بحل تحلية المسجد بالقناديل من الذهب و نحوها، و أن حكمها حكم الحلى المباح، و هذا أرجح مما قال الرافعى؛ لأنه ليس على تحريمهما دليل، و الحرام من الذهب إنما هو استعمال الذكور له، و الأكل و الشرب و نحوهما، و ليس

فى تحلية المسجد بالقناديل و نحوها شىء من ذلك، لكن لا أقول إنه ينتهى إلى حد القربة فى سائر المساجد،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۷

و تعليل الرافعى لما قاله بأن ذلك لم ينقل عن فعل السلف عجيب؛ إذ لا يقتضى ذلك التحريم، و من حرّم اتخاذ الآنية و هو الأصح فإنما حرمه لأن النفس تدعو إلى الاستعمال المحرّم، و ذلك إذا كانت له، و أما إذا جعلها للمسجد فلا تدعو النفس لذلك، فكيف يحرم و هى لا تسمى أوانى؟

قال: و رأيت الحنابلة قالوا بتحريمها للمسجد، و جعلوها من الأوانى أو مقيسة عليها، و ليس بصحيح، و من يقول بجواز التحلية و القناديل فى سائر المساجد فلا شك أنه يقول بها فى المساجد الثلاثة بطريق الأولى، و من منع فلم يصرح فى المساجد الثلاثة بشىء، لكن عموم كلامهم يشملها، و ينبغى ترتيب الخلاف: ففى المساجد غير الثلاثة وجهان أصحهما الجواز، و مسجد بيت المقدس أولى بالجواز، و المسجدان مسجد مكة و مسجد المدينة أولى منه، ثم المسجدان على الخلاف فى تفضيلهما، و قد يقال إن مسجد المدينة أولى لمجاورة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قصد تعظيمه بما فى مسجده من ذلك، هذا كله بحث، و المنقول ما تقدم.

و هذا فى الاتخاذ من غير وقف، فإن وقف المتخذ من ذلك فقد قطع القاضى حسين و الرافعى بأنه لا زكاة فيه، و قد رجح الرافعى فيها التحريم، فكيف يرجح ذلك؟ إذ مقتضاه صحة وقفها، فلعل مراد الرافعى إذا وقفت على قصد صحيح و إذا فرعنا على صحة وقفها.

قال: و هذا حكم المساجد فى ذلك، و أما الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها أمر معتاد من زمان، و لا شك أنها أولى بذلك من غيرها، و الذين ذكروا الخلاف فى المساجد لم يذكروها، و كم من عالم و صالح قد أتى للزيارة و لم يحصل من أحد إنكار لذلك.

فهذا وحده كاف فى جواز ذلك مع ما تقدم، و استقراء الأدلة فلم يوجد فيها ما يدل على المنع. قال: فنحن نقطع بالجواز، و الحجرة الشريفة هى بيت عائشة و ما حوله، و أشار إلى بيان أن ما حوله إما منه أو من بقية الحجر المدخلة فى المسجد.

قال: و المدفن الشريف بالحجرة له شرف على جميع المساجد و على الكعبة؛ فلا يلزم من المنع فى المساجد و الكعبة المنع هنا.

قال: و لم نر أحدا قال بالمنع هنا، فما وقف من ذلك إكراما لذلك المكان صح وقفه، و إن اقتصر على إهدائه صح أيضا كالمهدى للكعبة، و كذلك المنذور له، و قد يزاد هنا فيقال:

إنه مستحق للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حى، و إنما يحكم بانقطاع ملكه بموته عما كان فى ملكه و جعله صدقة بعده.

و أما هذا النوع فلا يمتنع ملكه له، و هو الذى فى أذهان كثير من الناس حيث يقولون: هذا للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

ثم أورد ما رواه يحيى بن الحسين بسنده من الخبر الآتى فى إجمار المسجد عن عبد اللّه بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۸

محمد بن عمار عن أبيه عن جده قال: أتى عمر بن الخطاب بمجمرة من فضة فيها تماثيل، فدفعها إلى سعد أحد المؤذنين، و قال: أجمر بها فى الجمعة و فى شهر رمضان، فكان سعد يجمر بها بين يدى عمر بن الخطاب، الخبر الآتى.

ثم قال: عبد الله بن محمد بن عمار بن سعد القرظ ضعفه ابن معين، و كذا الراوى عنه، و محمد بن عمار حسن له الترمذى، فلو سلم ممن دونه كان جيدا، و مقتضى اشتراط الفقهاء الاحتواء فى المجمرة عدم تحريم هذا الصنيع، لكن العرف دال على عد ذلك استعمالا، فإما أن يكون الحديث ضعيفا، و إما أن يكون احتمل ذلك لأجل المسجد تعظيما له، فتكون القناديل بطريق الأولى؛ إذ لا استعمال فيها.

قال: و لا يجوز صرف شىء من قناديل الحجرة فى عمارتها، و لا فى عمارة المسجد؛ لأنها إنما أعدت للبقاء، و ليس قصد بها جهات إلا ذلك، سواء وقفها أو اقتصر على إهدائها.

قال: و قد سئلت عن جواز بيعها لعمارة المسجد النبوى، فأنكرته و استقبحته، و كيف يبلغ ملوك الأرض أنا بعنا قناديل نبينا لعمارة حرمه و نحن نفديه بأنفسنا فضلا عن أموالنا؟

و ما برحت الملوك يفتخرون بعمارته.

قلت: و قد تعقبه جماعة، و المحل قابل للمناقشة، و ليس ذلك من غرضنا، غير أنا نقول: ستر الكعبة بالديباج قام عليه الإجماع، و أما التحلية بما ذكر فلم يثبت عن من يحتج بفعله، و ترك عمر بن عبد العزيز يحتمل أعذارا ليس هذا محل بيانها.

و قد نقل الشيخ الموفق الإجماع على تحريم استعمال أوانى الذهب، و القناديل من الأوانى بلا شك، و استعمال كل شيء بحسبه؛ فاستعمال ما ذكر بتعليقه للزينة، و قد سلم تحريم اتخاذ الأبنية منها أيضا.

و قد ذكر الجمال الكازرونى المدنى أشياء أيّد بها كلام السبكى: منها أن اللّه تعالى قال:

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ [النور: ۳۶] قال: و هى بيوت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، قاله مجاهد، و معنى ترفع تعظم و يرفع شأنها و تزين، و تزيينها تعليق قناديل الذهب فيها، و تطهر من الأنجاس و الأقذار و تطيب.

قلت: قوله «و من تعظيمها تعليق ذلك فيها» هو محل النزاع؛ لأن من حرم ذلك لا يسلمه، و اللّه أعلم.

و منها: أنه روى عن عثمان تعليق قناديل الذهب بالمسجد النبوى.

قلت: و لعله من اختلاف أعدائه عليه، و لم أره مسطورا فى تأليف، و لو كان له أصل لذكره مؤرخو المدينة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۴۹

و منها: أن عمر بن عبد العزيز فعله فى بنيانه للوليد و لم ينكر عليه.

قلت: و لم أره فى تأليف أيضا.

و منها: أنه روى أن سليمان بن داود عليه السلام بنى مسجد بيت المقدس، و بالغ فى زينته و تعليق القناديل فيه، و شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ.

قلت: لم ينقل تعليق داود عليه السلام لقناديل الذهب به، و لو صح ذلك فالناسخ فى شرعنا تحريم الآنية، و هذا آنية، و ما تقدم عن السبكى فى كونه ليس بانية ممنوع.

و منها: ما رواه الثعلبى فى حديث إتيان المساجد يوم القيامة، و فيه «و أئمتها يسوقونها، و عمارها و مزينوها و محلوها متعلقون بها» الحديث.

قلت: أخذ ذلك من رواية القرطبى عن الثعلبى، كما رأيته فى بعض النسخ، و قد راجعت القرطبى أيضا فى ذلك فرأيته روى الحديث المذكور من طريق الثعلبى، و ليس فيه «و مزينوها و محلوها» بل لفظه «و عمارها متعلقون بها».

و منها: ما رواه سعيد بن ربان- بالموحدة المشددة- قال: حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن أبى هند قال: حمل تميم يعنى الدارى من الشام إلى المدينة قناديل و زيتا و مقطا و قنديلا أو قنديلين من الذهب، فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة، فأمر غلاما يقال له أبو البراد، فقام فبسط المقط و علق القناديل، و صب فيها الماء و الزيت، و جعل فيها الفتل، فلما غربت الشمس أمر البراد فأسرجها، و خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى المسجد، فإذا هو بها تزهر، فقال: من فعل هذا؟ قالوا: تميم الدارى يا رسول الله، فقال: نورت الإسلام، و حليت مسجده، نور اللّه عليك فى الدنيا و الآخرة!- الحديث.

قلت: قد أخذ ذلك من تفسير القرطبى، كما رأيته فى بعض النسخ، و فى بعضها إسقاط عروة للقرطبى، و قد راجعت تفسير القرطبى فرأيته أورد الحديث المذكور بحروفه، و ليس فيه قوله «و قنديلا أو قنديلين من الذهب» و لا قوله «و حليت مسجده».

و منها: ما روى أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لما دخل الشام تلقاه معاوية بعساكر و جنود كثيرة و خيول مسومة و أسلحة مخوصة بالذهب و الفضة و لبوس الحرير و الديباج و زينة حسنة كزينة فارس و الروم، فقال عمر: ما هذا يا معاوية؟ و ما هذه الزينة و الفخار؟

لقد أتيت أمرا إمرا و ارتقيت مرتقى صعبا، فقال: يا أمير المؤمنين هذا غيظ كفارنا، و مقهرة لأعدائنا، و إن فرائصهم لترتعد، و إن قوائمهم لتخور من ذلك، و إنا لنجد بذلك المظهر عليهم و الذلة و الصغار فيهم، و أشربوا فى قلوبهم الرعب حين يرون مساجدنا محلاة بالذهب و سقوفها منقطة بقناديل الذهب- الخبر، و فيه أن عمر سكت عنه.

قلت: الخبر ذكره المؤرخون، و مثله لا تقوم الحجة به، و لم أر فيه الزيادة المتعلقة بتحلية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۰

المساجد، و قد رأيت فى بعض النسخ نسبة ذلك للذهبى فى تاريخ الإسلام، و أسقط العزو فى نسخة أخرى، فليراجع ذلك من تاريخ الإسلام، فإن لم يكن فيه هذه الزيادة فالذى يظهر لى أن بعض المتعصبين ألحق هذه الأشياء فى الروايات المتقدمة ليتم بها الاستدلال، فإن المسألة وقع فيها تعصبات، و كأن الجمال الكازرونى إنما أراد إفادة أصل وضع القناديل، و ذكر ما يشعر بهذا الأمر، فلما رأى ذلك المتعصب أن الاستدلال لا يتم إلا بذلك ألحقه، و لم يشعر أنه لو كان ذلك موجودا لم يكن فيه حجة لعدم اتصال السند الصحيح فى ذلك.

و من تأمل سيرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أحواله لم يخف عليه أن كل ذلك لم يكن يعجبه فى حياته، هذا الذى أعتقده، و اللّه أعلم.

## الفصل السادس و العشرون فى الحريق الأول القديم المستولى على تلك الزخارف المحدثة بالحجرة الشريفة و المسجد و سقفهما، و ما أعيد من ذلك، و ما تجدد من توسعة المسقف القبلى بزيادة الرواقين فيه، و غير ذلك

### سبب الحريق و تاريخه

قال المؤرخون: احترق المسجد النبوى ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة أربع و خمسين و ستمائة فى أول الليل، و نقل أبو شامة أن ابتداء حرقه كان من زاويته الغربية من الشمال، و سبب ذلك- كما ذكره أكثرهم- أن أبا بكر بن أوحد الفراش أحد القوّام بالمسجد الشريف دخل إلى حاصل المسجد هناك و معه نار، فغافل عنها إلى أن علقت فى بعض الآلات التى كانت فى الحاصل، و أعجزه طفيها، ثم احترق الفراش المذكور و الحاصل و جميع ما فيه.

و قد صنف القطب القسطلانى فى ذلك و فى النار المتقدم ذكرها فى الفصل الثالث من الباب الثانى و هى نار الحجاز التى ظهرت بالمدينة الشريفة فى ذلك العام كتابا سماه «عروة التوثيق، فى النار و الحريق» ذكر فيه بدائع من حكم اللّه تعالى فى حدوث ذلك، و قد كان القطب بمكة حين وقع ذلك، و قد نبه فيه على ما يوافق ما قدمناه عن المؤرخين.

فقال: كتب إلى الصادق فى الخبر، و شافهنى من شاهد الأثر، أن السبب فى حريق المسجد الشريف دخول أحد قومة المسجد فى المخزن الذى فى الجانب الغربى من آخر باب المسجد لاستخراج قناديل لمنائر المسجد، فاستخرج منها ما احتاج إليه، ثم ترك الضوء الذى كان فى يده على قفص من أقفاص القناديل و فيه مشاق، فاشتعل فيه، و بادر لأن يطفأه فغلبه و علق بحصر و بسط و أقفاص و قصب كان فى المخزن، ثم تزايد الالتهاب و تضاعف إلى أن علا إلى سقف المسجد، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۱

و فى العبر للذهبى أن حرقه كان من مسرجة القوّام.

قال المؤرخون: ثم دبت النار فى السقف بسرعة آخذة قبله، و أعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة فاجتمع معه غالب أهل المدينة فلم يقدروا على قطعها، و ما كان إلا أقل من القليل حتى استولى الحريق على جميع سقف المسجد الشريف و احترق جميعه حتى لم تبق خشبة واحدة.

قلت: لعل مرادهم لم تبق خشبة كاملة؛ لما قدمناه من مشاهدة بقايا خشب كثير عند إخراج الهدم الذى كان بالحجرة.

قال القطب القسطلانى: و تلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوى و الأبواب و الخزائن و الشبابيك و المقصير و الصناديق و ما اشتملت عليه من كتب و كسوة الحجرة و كان عليها إحدى عشرة ستارة.

## حكمة اللّه فى الحريق

ثم ذكر القطب حكما لذلك و أسرارا، لكون تلك الزخارف لم ترضه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ككون القلوب لما لاحظت المساجد الثاثة بعين التعظيم و لا يجوز فى ذلك أن تنزل فوق قدرها، بل لا بد أن يعتقد أن صفة قهره تعالى و عظمته مستولية على الجميع؛ فهو الواحد القهار، فوقع الحريق فى الكعبة و بيت المقدس قديما، ثم وقع بهذا المسجد فى هذا الزمان عقب ظهور المعجزة العظيمة فى ظهور نار الحجاز التى أخبر بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و حماية جيرانه منها لما التجئوا إليه و انطفائها عند الوصول إلى حرمه كما سبق، و ربما خطر ببال العوام أن حبس النار عنهم ببركة الجوار موجب لحبسها عنهم فى الآخرة، فاقتضى الحال التبيين بذلك.

و نظم الأقشهرى أبياتا مضمونها أن تسليط النار كان على تلك الزخارف المنهى عنها، و أن ما كان حقا فيبقى، و ما كان زورا فبالنار يحرق، قال: و أنشدنى الحافظ الصالح الشيخ إبراهيم بن محمد الكنانى رئيس المؤذنين هو و أبوه قال: وجد بعد الحريق فى بعض جدران المسجد بيتان و هما:

لم يحترق حرم النبىّ لريبة يخشى عليه و ما به من عار

لكنه أيدى الروافض لامست تلك الرسوم فطهّرت بالنار

قلت: و أوردهما المجد بلفظ:

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه و لا دهاه العار

لكنما أيدى الروافض لامست ذاك الجناب فطهرته النار

و أورد بعدهما بيتين آخرين هما:

قل للروافض بالمدينة ما بكم لقيادكم للذم كل سفيه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۲

ما أصبح الحرم الشريف محرّقا إلا لسبكم الصحابة فيه

قلت: و هذا لأن الاستيلاء على المسجد و المدينة كان فى ذلك الزمان للشيعة و كان القاضى و الخطيب منهم، حتى ذكر ابن فرحون أن أهل السنة لم يكن أحد منهم يتظاهر بقراءة كتب أهل السنة.

قال المؤرخون: و لم يسلم سوى القبة التى أحدثها الناصر لدين اللّه لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثمانى و عدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت- يعنى تلك الصناديق- بعد الثلاثمائة، و هى باقية إلى اليوم، يعنى فى زمانهم، و ذلك لكون القبة المذكورة بوسط صحن المسجد و ببركة المصحف الشريف العثمانى.

و كانت عمارة القبة المذكورة- على ما ذكره ابن فرحون- سنة ست و سبعين و خمسمائة.

قالوا: و بقيت سوارى المسجد قائمة كأنها جذوع النخل إذا هبت الرياح تتمايل، و ذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت، و وقع السقف الذى كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فوقعا جميعا فى الحجرة الشريفة و على القبور المقدسة. و عبارة الذهبى و تبعه التقى السبكى: فوقع بعض سقف الحجرة، و كل ذلك قبل أن ينام الناس، و أصبحوا يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة، و كتب بذلك للخليفة المستعصم باللّه أبى أحمد عبد اللّه بن المستنصر باللّه فى شهر رمضان، فوصلت الآلات صحبة الصناع مع ركب العراق فى الموسم، و ابتدئ بالعمارة أول سنة خمس و خمسين و ستمائة.

## الشروع فى العمارة بعد الحريق

قال المطرى: و لما شرعوا فى العمارة قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور الشريفة فلم يجسروا على ذلك، و اتفق رأى صاحب المدينة يومئذ- و هو الأمير منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنى الحسينى- و رأى أكابر أهل الحرم الشريف من المجاورين و الخدام أن يطالع الإمام المستعصم بذلك ليفعل ما يصل به أمره، فأرسلوا بذلك، و انتظروا الجواب، فلم يصل إليهم جواب لاشتغال الخليفة و أهل دولته بإزعاج التتار لهم، و استيلائهم على أعمال بغداد فى تلك السنة، فتركوا الردم على ما كان عليه، و لم ينزل أحد هناك، و لم يتعرضوا له و لا حركوه.

و عبارة المجد الشيرازى: فتركوا الردم على ما كان عليه، و لم يجسر أحد على التعرض لهذه العظيمة التى دون مرامها تزل الأقدام، و لا يتأتى من كل أحد بادئ بدئه الدخول فيه و الإقدام.

قلت: و قد كنت فى تعجب عظيم من أهل ذلك الزمان فى تركهم لذلك، و ألفت كتابا سميته «الوفا، بما يجب لحضرة المصطفى» بينت فيه أن الواجب فى سلوك الأدب مع هذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۳

النبى العظيم و القيام بما وجب على الأمة من تعظيمه و تعظيم قبره الشريف هو إزالة ذلك عنه و قمّه من حجرته الشريفة، حتى اتفقت العمارة الآتى بيانها، و لم يكن تأليفى السابق سببا فى شىء من ذلك كما سيأتى بيانه، حتى إنى لم أطلع عليه متولى العمارة إلا بعد هدمه لشىء من جدار الحجرة، فلما نقبوا الجدار الظاهر شاهدت بين الجدارين فى الفضاء الذى خلف الحجرة أمرا مهولا من الهدم الذى خص ذلك الموضع، فإنه كما سيأتى كان فيه نحو القامة، فعلمت أن أهل ذلك الزمان لم يتركوه إلا لعلمهم بأن إزالته لا تتأتى إلا- بانتهاك الحرمة، فتوقفوا فى ذلك، فجزاهم اللّه تعالى خيرا، و ما كنت أعتقد إلا- أنه أمر خفيف يتأتى قمّه مع رعاية الأدب، فوجدته أمرا مهولا معظمه ردم سقف المسجد الأعلى و ما بين السقفين من البناء الذى على رءوس السوارى و غير ذلك، و لذلك استخرت اللّه تعالى فى عدم حضور ذلك عند إخراجه، و وقفت بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و سألت منه المدد فى أن يوفقنى اللّه تعالى لما يرضيه فى ذلك، فحفظنى اللّه من حضور ذلك.

و قال المطرى عقب قوله و لم يتعرضوا له و لا- حركوه: إنهم أعادوا سقفا فوقه على رءوس السوارى التى حول الحجرة الشريفة؛ فإن الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز حول بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بين هذه السوارى التى حول بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يبلغ به السقف.

قلت: تبع المطرى على ذلك من جاء بعده، فتوافقوا على أنهم لم يجعلوا للحجرة بعد الحريق سقفا؛ لأن السقف الذى على رءوس السوارى هو سقف المسجد، فاقتضى ذلك أنهم جعلوا سقف المسجد سقف الحجرة، و ذكروا أنهم أداروا الشباك على رأس جدار عمر بن عبد العزيز حتى بلغوا به سقف المسجد؛ و أول شىء ابتدءوا به من سقف المسجد ما حاذى الحجرة الشريفة منه، و فيه مخالفة لما شاهدناه فى العمارة الآتى بيانها، فإنهم وجدوا عليها سقفا مربعا على جدارها الداخل، و يتصل بالخارج من المشرق و المغرب، و هو دوين رأس الجدار الخارج بنحو شبر، ثم تبين عند كشفه آثار السقف المنهدم و أن أخشابه كانت فى الجدار الداخل، و لم يعيدوا هذا السقف المجدد موضع الأول؛ لأنه لا- يتأتى إلا بهدم سترته و إصلاح أماكن لرؤوس الخشب، فتركوا ذلك تأدبا و احتراما، و وضعوا ذلك السقف على أعلى سترة الجدار، و بنوا فوقه سترة لطيفة، و جعلوا على ذلك السقف ستارة من المحابس اليمنية المبطنة بقماش أزرق مربوطة بمقط فى الشباك الذى بأعلى الحائز الظاهر، و ليس ذلك السقف مطينا، و هو سقف محكم من ألواح ثخينة جدا من الساج الهندى، و سمروا بعضها إلى بعض على قوائم من خشب، و جعلوه أربع قطع كل قطعة كالباب العظيم، و جعلوا عند ملتقى كل قطعتين من تلك القطع مقصاة من حديد، و كلّبوا بعضها إلى بعض تكليبا محكما، و جعلوا تحت ثلاث جزم من الساج الهندى تحمله، و أوصلوا أطراف تلك الألواح بالجدار

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۴

الظاهر كما تقدم، و لم يجعلوا فى تلك الألواح دهانا و لا نقوشا و لا كتابة، غير أن النجار الذى صنع السقف المذكور كتب اسمه على طرفه نقرا، و كذلك سقف المسجد المحاذى للحجرة الشريفة مما يلى هذا السقف جميعه من الساج النقى ليس عليه دهان و لا نقوش و فى وسطه طابق عليه قفل فوقه أنطاع و مشمع، و لم يزل موجودا إلى أن عملت القبة الثانية بعد الحريق الثانى، و جعلوا على جدار الحجرة الداخل من جهة الشام ألواحا من رأس الجدار إلى سقف المسجد.

و العجب أنهم عند رفع هذا السقف وجدوا جزمتين من الأخشاب التى تحته قد تأكلتا و لم يبق إلا جزمة واحدة، و مع ذلك كانت كافية فى حمله، فجزى اللّه تعالى أهل ذلك الزمان خيرا، و الظاهر أن ذلك فعل عند إعادة سقف المسجد الذى ذكره المطرى.

و لنرجع إلى ما ذكره عقب ما تقدم عنه، قال: و سقفوا فى هذه السنة- و هى سنة خمس و خمسين- الحجرة الشريفة و ما حولها إلى الحائط القبلى و إلى الحائط الشرقى إلى باب جبريل عليه السلام المعروف قديما بباب عثمان، و من جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر الشريف.

ثم دخلت سنة ست و خمسين و ستمائة فكان فى المحرم منها واقعة بغداد و استيلاء التتار عليها و قتلهم الخليفة المذكور مع أهلها.

قلت: و هى من أعظم الوقائع، و قد ذكرتها فى كتابى «الوفا» و أشرت إليها فى الفصل الثالث من الباب الثانى عند ذكر نار الحجاز، و ذكرت ما أفاده الذهبى من استيلاء الحريق على بغداد أيضا حتى تربة الخلفاء، و كانوا فى العام قبله قد أشرفوا على الغرق، فسبحان الملك العظيم.

قال المطرى عقب ما تقدم: فوصلت الآلات من مصر، و كان المتولى عليها حينئذ الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين أيبك الصالحى، و وصل أيضا آلات و أخشاب من صاحب اليمن يومئذ و هو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور عمر ابن على بن رسول، فعملوا إلى باب السلام المعروف قديما بباب مروان، ثم عزل صاحب مصر المذكور- يعنى فى آخر سنة سبع و خمسين فى ذى القعدة منها- و تولى مكانه مملوك أبيه الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى، و اسمه الحقيقى محمود بن ممدود، و أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، و أبوه ابن عمه أسر عند غلبة التتار، فبيع بدمشق، ثم انتقل بالبيع إلى مصر، و تملك فى سنة ثمان و خمسين.

قلت: إنما ولى فى يوم السبت ثامن عشر ذى القعدة من سنة سبع، و فى شهر رمضان من سنة ثمان كانت وقعت عين جالوت التى أعز اللّه فيها الإسلام و أهله على يديه، و لم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۵

يستكمل فى ملكه السنة بكمالها، بل قتل بعد الوقعة بشهر و هو داخل إلى مصر، فكان العمل بالمسجد الشريف تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديما بباب عاتكة، و من باب جبريل إلى باب النساء المعروف قديما بباب ريطة ابنة أبى العباس السفاح، و تولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى، و يعرف بالبندقدارى، فعمل فى أيامه باقى سقف المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالى المسجد، ثم إلى باب النساء، و كمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفا فوق سقف.

قلت: و ذكر المؤرخون أن الظاهر ركن الدين المذكور لما ولى حصل منه الاهتمام بذلك؛ فجهز الأخشاب و الحديد و الرصاص، و من الصناع ثلاثة و خمسين صانعا و ما يمونهم، و أنفق عليهم قبل سفرهم، و أرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحى و غيره، ثم صار يمدهم بما يحتاجون إليه من الآلات و النفقات، ثم لم يزل المسجد على ذلك حتى جددوا السقف الشرقى و السقف الغربى- أى الذى عن يمين صحن المسجد و شماله- فى سنتى خمس و ست و سبعمائة فى أوائل دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى، فجعلا سقفا واحدا نسبة السقف الشمالى أى سقف الدكاك فإنه جعل فى عمارة الملك الظاهر كذلك.

ثم فى سنة تسع و عشرين و سبعمائة أمر السلطان الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين فى المسقف القبلى متصلين بمؤخره، فاتسع مسقفه بهما و عم نفعهما.

قلت: ثم حصل فيهما خلل فجددهما الملك الأشرف برسباى فى ذى القعدة سنة إحدى و ثلاثين و ثمانمائة على يد مقبل القديدى من مال جوالى قبرص، على ما أخبرنى به بعض مشايخ الحرم، و رأيته مكتوبا كذلك باللوح التى كانت بظاهر العقود من المسقف القبلى مما يلى رحبة المسجد، و هو سقف واحد فى موازاة سقف المسجد الأسفل، و لذلك صار سقف مقدم المسجد القديم مرتفعا من أعلاه على هذين الرواقين و غيرهما من بقية المسجد، و له باب يدخل إليه من بين السقفين شارع فى مبدأ الرواقين المذكورين مما يلى المشرق، و جدد الأشرف المذكور أيضا شيئا من السقف الشامى مما يلى المنارة السنجارية، ثم حصل خلل فى سقف الروضة الشريفة و غيرها من سقف المسجد فى دولة الظاهر جقمق فجدد ذلك فى سنة ثلاث و خمسين و ثمانمائة و ما قبلها على يد الأمير بردبك الناصر المعمار و غيره.

ثم فى دولة مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى أدام اللّه تعالى تأييده و نصره أنهى إليه احتياج سقوف المسجد الشريف للعمارة فبرز أمره الشريف بذلك كما ستأتى الإشارة إليه للجناب الخواجكى الشمسى شمس الدين بن الزمن أعزه اللّه بعز طاعته، فحضر لذلك فى أثناء سنة تسع و سبعين صحبة أمير جدة و رتب أمر العمارة و سافر صحبته أيضا، فهدموا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۶

عقود المسجد التى تلى رحبته من جهة المشرق و سقف الرواق الذى كان عليها؛ لاقتضاء نظرهم ذلك، و نقضوا بعض أساطينه فوجد بعضها لا رصاص فيه، و بعضها فيه رصاص، ثم أعادوا ذلك فى سنتهم، و هدموا أيضا جانبا من سور المسجد الشريف مما يلى المشرق من جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية من باب سلّمها، و هو الباب الثانى جوف بابها الظاهر، إلى ما يوازى حرف الدكاك من القبلة، و ذلك آخر المسقف الشامى، و مقدار ذلك سبعة و عشرون ذراعا بذراع اليد المتقدم وصفه، هدموا ذلك من أعلاه إلى أسفله، و بلغوا به دك الأس القديم، و ظهر فى أصل جدار المنارة المذكورة انشقاق و كانت تضطرب عند الهدم بحيث خشى سقوطها، فسكبوا فى ذلك الشق كثيرا من الجص المذاب حتى امتلأ، و كان ما هدموه من سور المسجد و عقوده مبنيا بالجص السكب، فذكر مهندس العمارة أن الجدار إنما اختل لأن السباخ له تأثير فى إذابة الجص، و اقتضى رأيه أن يؤسسه بالطين و النورة المخلوطة بناعم الحصباء، ففعلوا ذلك فى الجدار المذكور كله و فى العقود المذكورة أيضا، و كحلوا أطراف وجوه الأحجار بالجص من داخل المسجد و خارجه، و رفعوا السقف الكائن أمام المنارة المذكورة إلى جنب ما هدموه من الجدار المذكور، و أعادوا ذلك من سنتهم أيضا. ثم اتفقت أمور اقتضت تأخير العمارة، فتعطلت فى سنة ثمانين. ثم ورد الخواجا الشمسى ابن الزمن إلى المدينة الشريفة صحبة أمير جدة فى جمادى الأولى سنة إحدى و ثمانين و أقام لمباشرة العمارة بنفسه، فرفعوا سقف الروضة الأعلى و ما اتصل به مما حول القبة الزرقاء الآتى ذكر عملها بأعلى الحجرة الشريفة فى سقف المسجد الأعلى، و رفعوا أيضا شيئا مما يلى ذلك من جهة ما يوازى غربى المنبر الشريف لتكسر كثير من أخشابه، و كان ذلك السقف مع بقية سقف مقدم المسجد على عبارات من خشب موضوعة على أبنية فوق رءوس السوارى بعرض تلك السوارى، كما أن السقف الأسفل المشاهد مما يلى المسجد موضوع على عبارات كذلك فوق رءوس السوارى، فاقتضى رأى متولى العمارة إبدال تلك الأخشاب بعقود من آجر كهيئة القناطر التى حول رحبة المسجد، و رأى أن ذلك أبقى و أحكم من الأخشاب، مع أن عبارات السقف الأسفل كما قدمناه على رءوس السوارى بأصل تلك العقود، و لكنه رأى الإحكام فى ذلك، ففعله فى القطعة التى رفعها من السقف المذكور فقط، و وضع أخشاب ذلك السقف على تلك القناطر، فارتفع بسببه ذلك المكان من السقف الأعلى على بقية ما حوله منه، و صار الماشى بين السقفين فى تلك الجهة يمشى منتصبا أو منحنيا قليلا و كان لا يتأتى قبل ذلك المشى هناك إلا مع انحناء كثير، و تلك القناطر موضوعة على ما يحاذى صف الأساطين التى هى قبلة الروضة و المصلى الشريف من أولها و من جهة المشرق إلى الأسطوانة التى تلى المنبر من جهة المغرب و على

ما يحاذى الصف الثانى و هو صف أسطوان عائشة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۷

رضى اللّه عنها فى موازاة الصف المتقدم ذكره من المشرق إلى المغرب، و على ما يوازى الصف الثالث و هو صف أسطوان المحرس من المشرق إلى المغرب أيضا، و أما ما يوازى صف أسطوان الوفود فقد كان عليه بناء حائط حاجز لما بين السقف الأسفل و الأعلى فيه باب يدخل منه إلى ما بين السقفين، فهدموا ذلك الحائط، و أحكموا بناءه، و جعلوا أطراف الخشب عليه أيضا، فهذه الثلاثة الأروقة هى التى ارتفع سقفها الأعلى على ما حوله من الأساطين اللاصقة بالمقصورة إلى الأساطين التى تلى المنبر و صار سقف الرواقين اللذين بين الروضة و الجدار القبلى مع سقف ما يحاذى الحجرة الشريفة إلى الجدار الشرقى و سقف ما كان غربى المنبر من مقدم المسجد كله منخفض عن ذلك.

و وجدوا أخشابا كثيرة متفرقة نحو الأربعين من السقف الأعلى أيضا قد تكسرت، فزرقوا بدلها، و وضعوا إلى جانب بعضها أخشابا مزرقة، و سمروها من غير كشف للسقف، و قلعوا السقف الأسفل الذى بالرواق الشرقى مما يلى الأرجل الشريفة، و جانبا من سقف رواق باب جبريل إلى باب النساء، و سقف الرواق الأوسط الذى يلى الرواق الذى سبقت عمارتهم إياه فى العام الماضى، و أعادوا ذلك، و قلعوا السقف الأسفل المحاذى لموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف و كان من أقدم السقف، و مع ذلك تعبوا فى قلعه أكثر من غيره لإتقانه و إحكامه فإنه من عمل الأقدمين، و أظنهم وجدوا اسم الظاهر بيبرس عليه، ثم أعادوه و أصلحوا شيئا فى المسقف الشامى و غيره، و جددوا أيضا دهان بعض السقف التى حول الحجرة داخل المقصورة التى تعرف اليوم بالحجرة من غير قلع لتلك السقف. ثم احترق ذلك كله فى جملة حريق المسجد الثانى الآتى ذكره فى الفصل التاسع و العشرين، و جعلوا سقف المسجد عند إعادته سقفا واحدا جميعه كما سيأتى.

## الفصل السابع و العشرون فى اتخاذ القبة الزرقاء التى جعلت على ما يحاذى سقف الحجرة الشريفة بأعلى سقف المسجد، تمييزا لها، و إبدالها بالقبة الخضراء و المقصورة الدائرة بالحجرة الشريفة

### القبة الزرقاء

أما القبة المذكورة فاعلم أنه لم يكن قبل حريق المسجد الشريف الأول و ما بعده على الحجرة الشريفة قبة، بل كان حول ما يوازى حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى سطح المسجد حظير مقدار نصف قامة مبنيا بالآجر تمييزا للحجرة الشريفة عن بقية سطح المسجد، كما ذكره ابن النجار و غيره، و اتمر ذلك إلى سنة ثمان و سبعين و ستمائة فى أيام الملك المنصور قلاوون الصالحى، فعملت تلك القبة، و هى مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها بأخشاب أقيمت على رءوس

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۸

السوارى، و سمر عليها ألواح من خشب، و من فوقها ألواح الرصاص، و فيها طاقة إذا أبصر الشخص منها رأى سقف المسجد الأسفل الذى فيه الطابق، و عليه المشمع المتقدم ذكره، و حول هذه القبة على سقف المسجد ألواح رصاص مفروشة فيما قرب منها، و يحيط به و بالقبة درابزين من الخشب جعل مكان الحظير الآجر، و تحته أيضا بين السقفين شباك خشب يحكيه محيط بالسقف الذى فيه الطابق، و عليه المشمع المتقدم ذكره، و لم أر فى كلام مؤرخى المدينة تعرض لمن تولى عمل هذه القبة.

و رأيت فى «الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء و الرواة بأعلى الصعيد» فى ترجمة الكمال أحمد بن البرهان عبد القوى الربعى ناظر قوص أنه بنى على الضريح النبوى هذه القبة المذكورة، قال: و قصد خيرا و تحصيل ثواب، و قال بعضهم: أساء الأدب بعلو النجارين و دق الحطب، قال: و فى تلك السنة وقع بينه و بين بعض الولاة كلام، فوصل مرسوم بضرب الكمال، فضرب، فكان من يقول إنه أساء الأدب [يقول:] إن هذا مجازاة له، و صادره الأمير علم الدين الشجاعى، و خرب داره، و أخذ رخامها و خزائنها، و يقال: إنهم

بالمدرسة المنصورية اه.

و يؤيد ما نقله عن بعضهم ما رواه أبو داود فى سننه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم «خرج فرأى قبة مشرفة، فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه: هذه لفلان، رجل من الأنصار، قال: فسكت و حملها فى نفسه، حتى إذا جاء صاحبها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم سلم عليه فى الناس فأعرض عنه، صنع ذلك مرارا، حتى عرف الرجل الغضب فيه و الإعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه، فقال: و اللّه إنى لأنكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قالوا: خرج فرأى قبتك، قال: فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سوّاها بالأرض، فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ذات يوم، فلم يرها، قال: ما فعلت القبة؟ قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: أما إنّ كلّ بناء وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا» أى: إلا ما لا بد منه.

وجد جدّدت هذه القبة فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فاختلت الألواح الرصاص عن وضعها، فخشوا من كثرة الأمطار، فجددت و أحكمت فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد فى سنة خمس و ستين و سبعمائة، قاله الزين المراغى.

و قد ظهر فى بعض أخشابها خلل فى سنة إحدى و ثمانين و ثمانمائة فعضّدها متولى العمارة الشمس بن الزمن بأخشاب سمرت معها، و قلع ما حولها من ألواح الرصاص التى على أعلى السطح بينها و بين الدرابزين المتقدم ذكره، فوجدوا تحت ذلك أخشابا قد تأكلت من طول الزمان و نداوة مياه الأمطار فأصلحوا ذلك و أعادوه بعد أن أضافوا إليه كثيرا من الرصاص من حاصل المسجد و مما أحضر من مصر، و جددوا الدرابزين المحيط بها أيضا،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۵۹

و قد كانت مياه الأمطار تتسرّب من بين تلك الألواح و تصل إلى سقف الحجرة الشريفة، فإن آثار المياه قد وجدت هناك، و أثّرت فى الشباك الذى بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز بحيث تأكل بعضه، فأصلحه متولى العمارة أيضا، و أثّرت الأمطار أيضا فى الستارة التى على سقف الحجرة الشريفة بحيث تأكل بعضها، ثم احترق ذلك كله فى حريق المسجد الثانى، فاقتضى رأيهم تأسيس القبة البيضاء الموجودة اليوم على دعائم بأرض المسجد و عقود من الآجر، و جعلوا تلك الدعائم فى موازاة الأساطين التى كان بينها درابزين المقصورة الآتى وصفها، و زادوا من جهة الشام دعائم بعضها عند المثلث الذى بالحجرة الشريفة من بناء عمر بن عبد العزيز، و زادوا هناك أسطوانا، و عند التأسيس لذلك وجدوا عند صفحة المثلث الشرقية قبرا بدا لحده و بعض عظامه، و إن صح القول بدفن فاطمة رضى اللّه عنها فى بيتها كما ستأتى الإشارة إليه فهو قبرها، و أبدلوا بعض الأساطين بدعائم، و أضافوا إلى بعضها أسطوانة أخرى، و قرنوا بينهما ليتأتى لهم العقد عليها، و حصل فيما بين جدار المسجد الشرقى و بين تلك الدعائم ضيق لاتحاد بعض تلك الدعائم هناك، فخرجوا بجدار المسجد الشرقى فى البلاط الذى يلى الجدار المذكور نحو ذراع و نصف، فإنهم هدموا ذلك الجدار، و أعادوه إلى باب جبريل عليه السلام، و لم ينقلوا باب جبريل عن محله.

ثم إن القبة المذكورة تشققت من أعاليها و لم ينفع الترميم فيها، ففوّض السلطان للشجاعى شاهين الجمالى النظر فى أمرها و أمر المنارة الرئيسية أيضا عند توليته شيخ الحرم الشريف، فاقتضى رأيه بعد مراجعة أهل الخبرة هدم أعالى المنارة المذكورة و اختصار قليل منها، فاتخذ أخشابا فى طاقاتها و جعل عليها سقفا يمنع ما يسقط عند الهدم للحجرة الشريفة، ثم هدم أعاليها و أعاد بناءها أحكم من البناء الأول، بحيث حمل لها الجبس الأبيض من مصر و جعله فى بنائها، فجاءت محسنة محكمة، و أزيل ذلك السقف عند تمامها، و ذلك فى عام اثنتين و تسعين و ثمانمائة.

## المقصورة الدائرة على الحجرة

و أما المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة بين الأساطين حول جدار الحجرة الظاهر و حول بيت فاطمة رضى اللّه عنها فقد أحدثها

السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، و ذلك أنه لما حج سنة سبع و ستين و ستمائة أراد أن يجعل على الحجرة الشريفة درابزينا من خشب- و هو المقصورة المذكورة- فقاس ما حول الحجرة الشريفة بيده و قدره بحبال و حملها معه، و عمل الدرابزين، و أرسله فى سنة ثمان و ستين، و أداره عليها، و عمل له ثلاثة أبواب قبليا و شرقيا و غربيا، و نصبه بين الأساطين التى تلى الحجرة إلا من ناحية الشام فإنه زاد فيه إلى متهجّد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۰

ثم زيد لهذه المقصورة باب رابع أحدث عند زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما فى سنة تسع و عشرين و سبعمائة، و هو من جهة الشمال فى رحبة المسجد، و كان عليه قبل الحريق الأول سقف مرتفع يحيط به رفرف، ثم أحدث هذا الباب، و أمامه من جهة رحبة المسجد سقف لطيف أيضا نحو ستة أذرع دوين السقف المتقدم و جعل له رفرف أيضا يمنع الشمس، و بسط تحته الرخام الملون شبه الرخام الذى تقدم ذكره حول حائز عمر بن عبد العزيز بالأرض داخل هذه المقصورة، و ذلك فى دولة الظاهر جقمق سنة ثلاث و خمسين و ثمانمائة.

قال الزين المراغى: و اعلم أن الذى عمله الملك الظاهر- أى ركن الدين- من الدرابزين نحو القامتين، فلما كان فى سنة أربع و تسعين و ستمائة زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا شباكا دائرا عليه، و رفعه حتى وصله سقف المسجد، انتهى.

و قد جدد متولى العمارة المتقدم ذكره بعض هذه المقصورة أيضا مما يلى الروضة الشريفة فى العمارة الأولى، ثم احترقت فى الحريق الثانى، فجعلوا بدلها شبابيك من النحاس فى جهة القبلة، و على أعلاها شبكة من شريط النحاس كالزرد، بين أخشاب متصلة بالعقود المحيطة بالحجرة الشريفة، و جعلوا لبقيتها من جهة الشام و ما اتصل بها من المشرق و المغرب مشبكا من الحديد المشاجر، و بأعلاه شريط النحاس أيضا، و أحدثوا مشبكا من الحديد المشاجر أيضا لم يكن قبل ذلك، جعلوه فاصلا بين الرحبة التى خلف مثلث الحجرة الشريفة و بينها، و بها بعض المثلث المذكور، و به بابان أحدهما عن يمين المثلث، و الآخر عن يساره، و صار هذا المشبك متوسطا بين مشبك الحجرة الشامى و ما يقابله. و قد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة، و أبوابها بأبواب الحجرة، و ما يعلق بسقفها بقناديل الحجرة كما تقدم فى عبارة السبكى.

و فى كلام البدر ابن فرحون ما يقتضى أنه كان ثمّ مقصورة متصلة بهذه المقصورة من جهة المغرب، ثم أزيلت، و لفظه: و قد تساهل من كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة عملت وقاية من الشمس إذا غربت، و كانت بدعة و ضلالة تصلى فيها الشيعة؛ لأنها قطعت الصفوف، و اتّسمت بمن ذكر من الصنوف، و ندم على ذلك واضعها، و لقد كنت أسمع بعضهم يقف على بابها و يؤذن بأعلى صوته «حى على خير العمل» و كانت مواطن تدريسهم، و خلوة علمائهم حتى قيّض اللّه لها من سعى فيها فأصبحت ليلة منخلعة أبوابها، مقوسة أخشابها، متصلة صفوفها، و أدخل بعضها فى الحجرة الشريفة- يعنى ما اشتمل عليه الدرابزين المذكور- و جعل فيها الباب الشامى، و كان ذلك مع زيادة الرواقين اللذين زادهما الملك الناصر، انتهى.

و ذكر لى بعض مشايخ المدينة نقلا عمن أدركه من المشايخ أن هذه المقصورة كانت فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۱

شامى أسطوان الوفود إلى جهة باب الحجرة الشامى، و الشيعة اليوم يصلون فى ذلك الموضع، و مقتضى ما قدمناه عن ابن النجار فى بيت فاطمة رضى اللّه عنها- حيث قال:

و بيتها اليوم حوله مقصورة، و فيه محراب، و هو خلف حجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- وجود مقصورة هناك قبل حريق المسجد، فلعل ذلك مستند الظاهر ركن الدين فى إحداث ذلك.

و قد ذكر المطرى ما صنعه الظاهر من هذه المقصورة، ثم قال: و ظن الملك الظاهر أن ما فعله تعظيما للحجرة الشريفة، فحجر طائفة من الروضة المقدسة مما يلى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و منع الصلاة فيها، مع ما ثبت من فضلها و فضل الصلاة فيها، فلو عكس

ما حجره و جعله خلف بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من الناحية الشرقية و ألصق الدرابزين بالحجرة مما يلى الروضة لكان أخفّ؛ إذ الناحية الشرقية ليست من الروضة و لا من المسجد المشار إليه، بل مما زيد فى المسجد أيام الوليد، قال: و لم يبلغنى أن أحدا من أهل العلم و الصلاح ممن حضر و لا ممن رآه بعد تحجيره أنكر ذلك، أو تفطن له و ألقى له بالا، و هذا من أهم ما ينظر فيه.

قال الزين المراغى عقبه: ينبغى أن يعلم أن للظاهر سلفا فى ذلك، و هو ما حجره عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة من جهة الروضة أيضا، لكنه قليل، انتهى.

قلت: و هذا بناء على ما تقرر عنده من أن جدار الحجرة الذى داخل الحائز هو نهاية المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد قدمنا فى حدود المسجد ما يرد ذلك، و لو سلّم أن ذلك نهاية المسجد و أن عمر بن عبد العزيز اتخذ الجدار المذكور فيه فذلك لمصلحة حفظ القبر الشريف، و لجعل بنائه على هيئة لا يتأتى معها استقبال القبر الشريف كما قدمناه، و هذه المقصورة بضد ذلك، و اللّه أعلم.

و قال البدر بن فرحون فى ترجمة ولى اللّه سيدى الشيخ على الواسطى ما لفظه: حكى لى جمال الدين- يعنى المطرى- أن الشيخ بعث إلى الملك الناصر يقول له: أنا أضمن لك على اللّه تعالى قضاء ثلاث حوائج إن قضيت لى حاجة واحدة، و هى إزالة هذا الشباك الذى على الحجرة الشريفة، يعنى هذه المقصورة، فبلغه ذلك، فتوقف و لم يفعل.

قال البدر بن فرحون: و ليته فعل؛ فإن الشباك الذى يدور على الحجرة قطع جانبا من المسجد، و حجر كثيرا من الروضة، و فى كل زمان يجدد و يعمر بما يتقوى به و يتأيد، و أدخل فيه قطعة كبيرة لما أزيلت المقصورة، يعنى المتقدم ذكر إزالتها.

و قال المجد الشيرازى، عقب ذكره لما تقدم عن المطرى: و الذى ذكره موجّه، غير أن أحد الأبواب مفتوح دائما لمن قصد الدخول و الزيارة، فيمكن من أراد الصلاة الدخول و الوقوف مع الصف الأول فى الروضة، و لا يخفى أن فى تقريب الدرابزين من الحجرة إخراجا للبناء عن وضعه اللائق، و أيضا فيه تضييق عظيم على الزائرين، لا سيما عند زحام

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۲

المواسم؛ فإنه مع هذا الاتساع ينخنق المكان بالخلق، فكيف لو ضيق بحيث يتصل الدرابزين بجدار الحجرة؟ لا يقال: إنه كان يتسع من جهة المشرق للزائرين؛ لأن الناس إنما يقصدون هذه الجهة لكون الرأس الشريف هناك، و ليكون الابتداء بالتسليم على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم دون أن يتخطوا الشيخين رضى اللّه عنهما، فتأمل ذلك فإنه صحيح. قال: و هذه الكيفية لا مزيد عليها فى الحسن، و لم يتعطل شىء من الروضة بسبب ذلك، بل بسبب كسل المصلين، و قد رأيت جماعة من الخدام يصلون داخل الدرابزين أيام الجمعة، انتهى.

قلت: و ما ذكره صحيح بالنسبة إلى زمنه؛ فإن الباب المذكور كان مفتوحا فى سائر الأوقات. و قد نبه على ذلك ابن جماعة فى منسكه، محاولا غلقه فى المواسم فقط، فقال: إن هذا الدرابزين حجر طائفة من الروضة الشريفة مما يلى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و صار ما بين الحجرة و الدرابزين مأوى للنساء بأولادهن الصغار فى أيام المواسم، و ربما قذر الصغار فيه، و قد تحدثت مع الملك الناصر رحمه اللّه لما حج و زار سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة فى غلق الدرابزين أيام الموسم، فسكت لما ذكرته، و لم يجبنى بشىء، و هذا من أهم ما ينظر فيه، انتهى. فحدث بعد ذلك غلق الأبواب كلها دائما، و لا يفتح منها شىء إلا فى وقت إسراج القناديل و نحوه، و لا يدخل لذلك إلا بعض الخدام و الفراشين أو بعض من له وجاهة بإذن شيخ الخدام، فيدخل للزيارة ليلا، و تحقق بسبب ذلك تعطيل تلك البقعة، و حرم الناس التبرك بأسطوان السرير؛ فإن محله فى شرقى أسطوانة كما تقدم، و كذلك الوقوف للزيارة فى موقف السلف بينها و بين الحجرة الشريفة أو على نحو أربع أذرع من جدار القبر على ما يأتى بيانه، و كذلك التبرك بمربّعة القبر و مقام جبريل كما قدمناه، و بيت فاطمة رضى اللّه عنها، فإن ذلك كله فى جوف المقصورة، بل كانت هذه المقصورة سببا لما هو أعظم من ذلك و أطم، و هو ابتناء دعائم القبة المتقدم ذكرها بأرضها، فإنها صارت عند العوام بل و عند من لا إحاطة له بأحوال المسجد أنها ليست من المسجد، بل من الحجرة، فعاملوها معاملة غير المسجد، و لما وقعت المفاوضة فى عملها صرّحت بتحريم

ذلک، فأشار بعضهم بعمل القبة المذکورة علی رءوس الأساطین من غیر بناء، ثم رجعوا عن ذلک و أنا غائب بمصر.

و سبب غلق الأبواب المذکورة أن النجم بن حجی قاضی الشام لما حج فی الموسم الشامی رأی ازدحام الناس بذلک المحل و ما أشار إلیه ابن جماعة فیما تقدم عنه، فأفتی بغلقها،

و خالفه الولی العراقی عند قدومه مع الحاج المصری فأفتی بفتحها. و أخبرنی بعض مشایخ الحرم أن ذلک کان فی سنة اثنین و عشرین و ثمانمائة و أن الحال استمر علی ما أفتی به الولی العراقی، فلما ولی النجم بن حجی دیوان الإنشاء تسبب فی بروز المراسیم السلطانیة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۶۳

بالأمر بالغلق سنة ثمان و عشرین، و استمر ذلک إلی الیوم، کذا أخبرنی به بعض مشایخ الحرم. و رأیت حاشیة علی کلام المجد بخط الحافظ جمال الدین بن الخیاط الیمنی، و لفظها: و مما أحدث فی دولة الملک الأشرف برسبای صاحب مصر و الشام بعد الثلاثین و ثمانمائة سمرت أبواب الدرابزین المذکور، و صار الناس یزورون من وراء الدرابزین من غیر دخول أحد إلی الحجرة الشریفة، قصدوا بذلک زیادة الحرمة، و تنزیه المشهد الشریف عن کثرة اللامسین بالأیدی و غیره؛ فإن کثیرا من جهال العرب و غیرهم یلصقون ظهورهم بصندوق القبر الشریف و جداره، قاصدین بذلک التبرک، و الخیر کله فی استعمال الأدب، انتهی.

قلت: و الصواب المتعین وجوب فتح بعض تلک الأبواب، خصوصا فی غیر أیام الموسم، و لیس الطریق فی إزالة المفسدة المذکورة غلق تلک الأبواب و تعطیل تلک البقعة، بل وقوف الخدام عند ذلک المحل، و منع من یتعاطی فیه ما لا یلیق بالأدب، علی أن ذلک لم یحسم المادة؛ لأن تلک الأمور- أعنی لمس الجهال و وضعهم الظهور- یفعل الیوم بهذا الدرابزین، و لا شک أن الجدار الذی کان یفعل به ذلک لیس هو نفس القبر، بل و لا جدار الحجرة کما قدمناه، بل جدار آخر دائر به، کما أن هذه المقصورة دائرة به، فإن کان ذلک یقتضی تعطیل ذلک المحل، فلیعطل من أجله المسجد بأجمعه، و تعطیل المسجد أو شیء منه حرام فلا یرتکب لدفع مکروه مع إمکان دفعه بغیره، و ما یقال من أنه ربما وجد فی بعض المواسم هناک قذر؛ فقد کان شیخنا شیخ الإسلام فقیه العصر شرف الدین المناوی یقول فی جوابه: لا شک أن ذلک المحل من المسجد، فإن کان وجود القذر فیه مقتضیا لتعطیله و صیانته بالغلق فلیغلق المسجد بأجمعه، فإن حکم الکل واحد من حیث وجوب صونه و اختصاص ما تقرب من المحل الشریف بمزید التعظیم حاصل بالجدار الکائن علیه، و طریق التعظیم المنع من ذلک کما قدمناه، علی أن لمس جدار القبر و تقبیله لیس مما أجمع علی کراهته کما سنوضحه إن شاء اللّه تعالی فی باب الزیارة.

و لما قدم مولانا السلطان الملک الأشرف قایتبای أعز اللّه أنصاره المدینة الشریفة للزیارة سنة أربع و ثمانین و ثمانمائة و اجتمعت به بالروضة الشریفة أردت أن أتکلم معه فی فتح بعض تلک الأبواب فی غیر أیام الموسم، فرأیته قد تعاظم دخول هذه المقصورة لما عرض علیه ذلک. و قال: لو أمکننی الوقوف للزیارة فی أبعد من هذا الموضع فعلت، و رأی أن ذلک هو التعظیم، فعلمت أنه لا یوافق علی ما أریده، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۶۴

## الفصل الثامن و العشرون فیما تجدد من عمارة الحجرة الشریفة فی زماننا علی وجه لم یخطر قط بأذهاننا، و ما حصل بسببه من إزالة هدم الحریق الأول من ذلک المحل الشریف، و مشاهدة وضعه المنیف، و تصویر ما استقر علیه أمر الحجرة فی هذه العمارة

اعلم أن بعض سقف المسجد التی تقدم تجدیدها کان قد ظهر تکسّر بعض أخشابه فی هذه الدولة الأشرفیة- أعز اللّه أنصارها، و أعلی فی سلوک العدل منارها- فورد المدینة المقر الأشرف السیفی شاهین الجمالی منصرفه من جدة المعمورة، فأروه ذلک، و أروه الحائز المخمس الدائر علی الحجرة الشریفة لانشقاق فیه قدیم یظهر إذا رفعت الکسوة عند منتهی الصفحة الشرقیة و انعطافها إلی

الزاوية الشمالية، فرفعوا عنه الكسوة، و أحضروا بعض أرباب الخبرة بسبب ذلك، فاختلف النقل عمن حضر ذلك فى كونه ضروريا أو غير ضرورى، فاجتمعت بالمشار إليه بسبب ذلك، فذكر لى أن الذى تحرر أنه ليس بضرورى؛ لأنه شق فى طول الحائط لا فى عرضه، و هو قديم مملوء بالجص، و الحائط ليس عليه سقف يثقله فنخشى عليه، فأعجبنى كلامه.

ثم أنهى فى سنة ثمان و سبعين لمولانا السلطان الأشرف احتياج المسجد الشريف للعمارة، و سقوط منارة مسجد قباء، و كان الجناب الخواجكى الشمسى بن الزمن مغرما بمثل ذلك، و سبق له بالمدينة الشريفة عمارة لمدرسته المعروفة بالزمنية على يد بعض جماعته، ففوض إليه السلطان أمر عمارة المسجد النبوى، فكان ما تقدم من مجيئه إلى المدينة الشريفة فى أثناء سنة تسع و سبعين، و تقريره أمر العمارة، ثم توجه إلى مصر المحروسة، فكان من أمر العمارة ما قدمناه.

ثم رغب فى أمر العمارة المقر الشرقى شرف الدين الأنصارى تغمده اللّه برحمته ففوض له ذلك، و حضر صحبة الحاج إلى مكة المشرفة، و أقام بها مدة حتى يتكامل حصول آلات العمارة، فتوفى بها ليلة سابع عشر صفر عام أحد و ثمانين و ثمانمائة بعد شكوى خفيفة.

ثم وردت المراسيم الشريفة بتفويض أمر العمارة للجناب الشمسى بن الزمن و كان بجدة المعمورة فورد المدينة الشريفة صحبة شاد جدة فى جمادى الأولى سنة إحدى و ثمانين، و أحضر معه جماعة من أرباب الصنائع، و أقام لينظر فى أمر العمارة بنفسه، فكان ما تقدم من إصلاح السقف الأعلى و عمارة غيره من السّقف المتقدم ذكرها، و إحكام القبة الزرقاء المحاذية للحجرة الشريفة بسقف المسجد، و إصلاح حلية الصندوق الكائن بأصل الأسطوان التى فى جهة الرأس الشريف و القائم المجدد فوقه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۵

و لما نزعوا القائم العتيق و ما تحته من الصندوق وجدوا ما تحت ذلك من أحجار الأسطوانة المذكورة متشطبا، و أحجارها قطع مجوفة كالخرز، و كذا كل أساطين المسجد العتيقة، و فى جوفها الرصاص و عمد الحديد، و أهل المدينة يسمون كل قطعة منها خرزة، و يسمونها أيضا فلكة، فاقتضى رأيهم تعميق ما على رأس الأسطوان المذكور من أخشاب السقف، فجعلوا مرمة من الأخشاب حول الأسطوان المذكور ليكسروا الخرز المشقق من ذلك الأسطوان، و هن ست، ثم يعلقون ما صح من الأسطوان إلى أن يدخلوا مكان ذلك بدله، ثم شرعوا فى كسر تلك الخرز و نزعها، فتعسر ذلك عليهم، و حصل بسببه دق عنيف، حتى كانت جدران الحجرة تهتز له لاتصالها بالأسطوان المذكور، فحصل بسبب ذلك كلام من الناس، و لكن بعد كسر بعض الخرز و إخراجه، و كانوا يعالجون فى إخراج الرصاص أيضا علاجا أعظم من العلاج فى الحجر، فعقدوا مجلسا، و طلبنى متولى العمارة للحضور فيه، فترددت لأنه بلغنى أن بعض الناس أوغر صدره منى و قرر عنده أنى حريص على ألّا تكون هذه العمارة على يده، و كنت أرى منه محبة و ميلا ثم تنكر بعض التنكر، و علمت أن الرجوع عن إصلاح الأسطوانة المذكورة غير ممكن لكسر بعضها و إخراجه، فعلمت فوات وقت النظر، فأجبت الرسول بذلك، و لم أحضر معهم مع علمى بأن بعض أهل المجلس كان مغرى بمخالفة ما أشير به، و إن كان فى غاية الوضوح، سامحه الله، ثم افترقوا على إتمام ذلك، فمكثوا أياما يعالجونه حتى تم، و أعادوا مكان تلك الخرزات الست مثلها من خرز أسطوان نقضوه من أساطين مسجد قباء، فكان ذلك بقدر تلك الخرز سواء، و أحكموا إعادتها بالرصاص و عمد الحديد أحسن إحكام.

و قد كنت أستبعد قدرتهم على ذلك، و أتعجب من قيام بقية الأسطوان من أعلاه، مع رفع أسفله، و كونه كالجبل من الحجر و الرصاص، و لكن ساعدهم المدد المحمدى فى ذلك مع حسن معرفة المعلم المباشر لسبك الرصاص.

ثم كان ما تقدم من إعادة الصندوق المذكور و القائم فوقه إلى محلهما، و نقض الرخام المؤزّر به جدار الحجرة الظاهر و تجديده كما تقدم، و عند قلع رخام الصفحة الآخرة من الزاوية الشمالية إلى الصفحة الشرقية مع ما يليها من صفحة المشرق عند منعطفها ظهر الشق المتقدم ذكره و هو انشقاق قديم سدّ الأقدمون خلله بكسر الآجر و أفرغوا فيه الجص و بيضوه بالقصّة فانشق البياض من رأس وزرة

الرخام إلى رأس الجدار المذكور، فأرادوا اختبار ما تحت البياض ليعلموا قدره، فقشروا البياض عنه، و أخرجوا ما فى خلله من الجص و الآجر، فظهر من خلله بناء الحجرة المربع الذى هو جوف البناء المخمس المذكور فظهر منه ملتقى حائطه الشامى و حائطه الشرقى، و ظهر هناك شق أيضا فى جدار الحجرة الداخل عند ملتقى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۶

الجدارين المذكورين تدخل اليد فيه، و هو قديم أيضا، و قد سدّه المتقدمون، ثم اتّسع قليلا على دوام الأيام.

فلما كان عشية السبت ثالث عشر شعبان عقدوا مجلسا فى جوف المقصورة عند الجدار المذكور، حضره القضاة و المشايخ و الخدام و شيخهم الأمير إينال، و طلبونى لذلك المجلس، فترددت فى الحضور لما قدمته، ثم توضأت و صليت صلاة الاستخارة و سألت اللّه أن يلهمنى السداد و الصواب، و حضرت فوجدت الأمر قد اتفق عليه، و شاهدت ما قدمته من وصف ذلك، و رأيت على ذلك البناء الداخل من الهيبة و الأنس ما لا يوصف و لا يدرك إلا بالذوق، و تحرر لى أن سبب انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل و ميلانه نحو الجدار الظاهر و كأن الأقدمين لما رأوا انشقاق الجدار الداخل- و لعل رؤيتهم لذلك و اللّه أعلم عقب الحريق عند ما أحدثوا السقف المتقدم وصفه على الحجرة الشريفة- أدعموا الجدار الداخل بأخشاب جعلوها بين الجدار الداخل و الخارج عند رأسهما فى شرقى الحجرة، فمال الجدار الظاهر من أعلاه بحيث صار أعلاه لا يوازى أسفله، و خرج بسبب ذلك عن الاستقامة، فحدث فيه الشق المذكور، و رأيت الحاضرين بين ساكت و مشير، فترجح عندى سلوك رأى ابن عباس رضى اللّه عنهما فى أمر الكعبة، حيث أشار بترميمها فقط، و رأيت أن ما يطلب هنا من الأدب أوجب مما يطلب هناك، فحاولت إدعام البناء الظاهر ببناء، فلم أوافق عليه، فسألت مهندس العمارة- و كان أعرف الحاضرين بهذا الأمر- هل تحققت الآن إشراف هذا الجدار على السقوط و أنه لا يتأتى تأخيره، أم يحتمل التأخير مدة إذا رمّ بالجص و الآجر كما كان أوّلا فيؤخر إلى أن يصير غير محتمل للتأخير؛ فإنه لا يفعل هنا إلا ما تدعو إليه الضرورة فى الحال؟ فقال: الترميم شىء و قطع الفرط شىء آخر، ثم سأل متولى العمارة عن كيفية ما يكتب ليطالع به المسامع الشريفة، فقال له القاضى الزكوى قاضى الشافعية و أحد الناظرين سامحه اللّه تعالى: سرّح العمال غدا للهدم و كتابة المحضر علينا، و خافت متولى العمارة بالإنكار عليه فى إحضارى، و حثّه على الإعراض عن كلامى.

ثم إن متولى العمارة ذكر لى أنه رأى رؤيا فهم منها الهدم، فصمّم عليه، و رأيت عنده من شجاعة الجنان و ثبات الجأش فى هذا الأمر ما لا يوصف، و بلغنى أن بعض الناس ذكر له أن ما سبق من كلامى دليل على ما كان قد ألقاه إليه من حرصى على ألّا تكون هذه العمارة على يده، و أن لا يفوز بهذه المنقبة العظيمة التى لم يسبق إليها، و من يسمع يخل، و لكنى أشهد اللّه و رسوله على أنى لم أرد سوى محض الوفاء بما أوجبه اللّه علينا من الأدب مع حبيبه صلّى اللّه عليه و سلّم و من بدل النصيحة.

ثم فى صبيحة الرابع عشر من شعبان المذكور شرعوا فى هدم المحل الشريف المتقدم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۷

ذكره من الجدار الظاهر، فهدموا جانبا من الصفحة الشرقية و جانبها مما يليها من الصفحة المنحرفة منها إلى جهة الزاوية الشمالية، و سعة ذلك خمسة أذرع بذراع اليد، و ذلك من بعد نحو أربعة أذرع من الأرض إلى رأس الجدار المذكور، فظهر حينئذ هدم الحريق الذى فى الفضاء الكائن بين جدارى الحجرة الشريفة، و رأينا فيه كثيرا من الأخشاب المحترقة قد سلم من بعضها قدر الذراع و نحوه.

ثم فى خامس عشر الشهر المذكور حضروا لتنظيف ذلك، و توجه متولى العمارة لشيخنا العارف باللّه تعالى سيدى شهاب الدين الأبشيطى قدس اللّه روحه، و سأله فى الحضور للتبرك به، فحضر من خارج الجدار، و امتنع من الدخول و قرأ الفاتحة، و قال: نظفوا على بركة اللّه، ثم انصرف و قال لى بعد ذلك: ذكروا لنا أن هدم ذلك ضرورى، فقلنا لهم:

الضرورى يعمل، فلما دخلوا لإزالة ذلك شاهدت أمرا مهولا من ردم الحريق بحيث لم يتأت إزالته إلا بالعتل و المساحى، و تحققت بسبب ذلك عذر من أدرك زمن الحريق فى عدم إزالة ما بالحجرة الشريفة منه كما قدمناه، و كان ارتفاعه فى ذلك المحل نحو

القامة، و هو ردم من السقف الأعلى و جص و آجر من الجدار الذى كان بأعلى سقف المسجد لتمييز الحجرة الشريفة عن غيرها، كما تقدم بيانه، و مما كان على رءوس الأساطين و مما احترق من أخشاب ذلك، فاشتغلوا بتنظيفه و تزاحم الناس عليه فاستمروا فى ذلك حتى بلغوا فى تنظيفه الأرض القديمة، بحيث ظهر تحصيب ذلك المحل بحصباء تشبه ما فى المسجد، غير أنها قد اسودّت من نداوة الأرض، و اعتبرت التفاوت بين الأرض المرخمة خارج الجدار الظاهر و الأرض المذكورة بداخله، فكانت الأرض المذكورة- أعنى الداخلة بين الجدارين- أخفض من الخارجة بذراع و ثلث بذراع اليد، و ظهر من وصف البناء الداخل ما قدمناه فى الفصل الثانى و العشرين من كونه مربعا بأحجار منحوتة عليها أبهة عظيمة، و أن الصفحة الغربية منه ملاصقة للصفحة الغربية من البناء الظاهر، و ليس بينهما و لا مغرز إبرة، و أنه لا باب فيه و لا موضع باب، و فى الصفحة الشمالية لا صق بها الأسطوان التى قدمنا وصفه، و أن بعضه داخل فى الصفحة المذكورة، و قد أثر فيه الحريق كما قدمناه حتى تشطب بعضه سيما فى أعاليه و هو فى صف مربعة القبر يليها من جهة المشرق.

و تبين حينئذ ما فى الجدار الداخل من الانشقاق المتقدم وصفه فى شماليه مما يلى المشرق، فأدخلوا فيه شمعة، فشاهدوا فيما يقابله من الجدار القبلى مما يلى المشرق أيضا انشقاقا مثله، و تبين لى أن البناء المتقدم وصفه بين الجدارين القبليين فى موازاة الأسطوانة الظاهرة فى الجدار القبلى التى يقف عندها المسلّم على عمر رضى اللّه عنه إنما جعل إدعاما للجدار المذكور لما حدث به ذلك الانشقاق، و ظهر ما أدعموا به من الأخشاب بين الجدار

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۶۸

الداخل و الخارج فى جهة المشرق على ما قدمناه، فتردد متولى العمارة فى نقب الجدار الشامى لإحكام ذلك الشق و ترميم الشق المقابل له.

ثم عزم على هدم الجدار المذكور- أعنى: جدار الحجرة الداخل من جهة الشام- بأجمعه، فبدأ برفع السقف الذى وجد على الحجرة نفسها كما قدمناه، و حينئذ ظهر لهم ساحة الحجرة الشريفة، و ستر اللّه تعالى القبور الشريفة عن الأعين بالردم، ثم علمت أن هذا الموطن يطلب فيه من التثبت و الأدب التام ما لا يطلب فى غيره، فانصرفت عازما على أن لا أحضر معهم ما داموا فى تعاطى الهدم و أن أحضر معهم فى البناء. ثم أفاضوا فى عقد قبة سفلية على جدار الحجرة الداخل رعاية الإتقان و الإحكام فكرهت ذلك لعلمى أنه يجر إلى هدم معظم الحجرة مع ما فيه من تغيير الهيبة الأولى.

ثم فى حادى عشر شعبان المذكور أجمعوا أمرهم على ذلك، فشرعوا فى هدم الجدار الشامى و الشرقى من البناء الداخل، فوجدوا فى الجانب الذى يلى المغرب من الجدار الشامى، و كذا فيما يقابله من القبلى، و كذا فى الغربى عند ما هدموا أسفل السترة المبنية على السقف المحترق بين فصوص الأحجار و أعلاها مع رأس الجدر المذكورة لبنا غير مشوى طول اللبنة منه أرجح من ذراع و عرضه نصف ذراع، و سمكه ربع ذراع، و طول بعضه و عرضه و سمكه واحد و هو نصف ذراع، و لم يجدوا مثل ذلك فى الجدار الشرقى، و لا فيما يليه من الشامى و القبلى، و قد عاب بعض الناس على الأقدمين فى وضعهم ذلك فى الجدار، و نسبهم به إلى التقصير، و ربما قال: إن البنائين زمن الوليد لما أمر ببناء المسجد على يد عمر بن عبد العزيز كانوا كفارا، و إن ذلك من غشهم، و هذا جهل من قائله.

و قد قدمنا من شرح حال بناء الحجرة ما فيه كفاية، و تقدم أن عمر بن الخطاب أو ابن الزبير هو البانى للحجرة على ما رواه ابن سعد، و لو سلّم أن تلك البناية فى ولاية عمر بن عبد العزيز للعمارة المتقدمة فهو أتقى لله من أن يهمل قبر نبيه بيد الكفار حتى يغشوا فى بنائه بمثل ذلك. و قد ظهر لى فى ذلك أن السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالأحجار لقصد الإحكام و البقاء، و كان ما عدا الأساس منها مبنيا باللبن فى عهده صلّى اللّه عليه و سلّم كما يؤخذ مما قدمناه، فرأوا أن لا يخلو بناؤهم من بركة ذلك اللبن، فوضعوا منه ما رأوا فيه الصلابة بين الأحجار المبنية بالقصّة، و لو لا إتقان ذلك البناء لما مكث هذه المدة المديدة، و العجب أن الخلل و الانشقاق لم يحصل إلا فى الناحية الخالية منه، و قد قدمنا أن الذى يظهر أن تلك الناحية سقطت و أعيدت، و اختلاف البناءين شاهد بذلك، حتى إن

الجدار الشرقی لم یکن مبنیا بالحجارة الموجّهة إلا من داخله دون خارجه، و عرض منقبته أقل من عرض بقیة الجدر. و لما بلغوا فی هدم الجدار الشامی أرض الحجرة الشریفة شرعوا فی تنظیف الردم الساتر للقبور

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۶۹

الشریفة، و ذلک فی صبیحة الثالث و العشرین من شعبان المذکور، و مکثوا فی ذلک إلی غروب الشمس مع کثرتهم حتی بلغنی أن الحجرة الشریفة امتلأت بهم، و لم یخصوا مکانا دون مکان، فظنوا أن القبر الشریف النبوی قریبا من وسط الحجرة، و لیس کذلک کما سنبینه، و وضعوا ما أخرجوه من الردم عند طرف المسقف الغربی فی زاویته المتصلة بمسقف الدکاک، و بنی علیه متولی العمارة تلک الدکة البارزة هناک. ثم وفّی القضای الزکوی بما وعد به متولی العمارة من کتابة المحضر، و کتب فیه أهل المدینة، و لم أکتب فیه، و اعتذرت بأنه لم یسبق لی عادة بمثل ذلک، و بعثوا به إلی مصر المحروسة، فلما کان فی صبیحة الخامس و العشرین من الشهر المذکور بعث إلیّ متولی العمارة لأتبرک بمشاهدة الحجرة الشریفة بعد تنظیفها، و صار قائل یقول: ظهر القبر الشریف، و قائل یقول: لم یجدوا لجمیع القبور الشریفة أثرا، فحثّنی داعی الشوق و غلبة الوجد، و استحضرت ما وقع لبعض السلف من سؤاله لعائشة رضی اللّه عنها أن تریه القبور الشریفة، و غیر ذلک مما سبق و مما سیأتی فی باب الزیارة، و وصف السلف للقبور الشریفة، و ذکرهم ذرع الحجرة الشریفة و کیفیتهما کما تقدم، فعزمت علی الإقدام، و تمثلت بقول بعضهم:

و لو قیل للمجنون أرض أصابها غبار ثری لیلی لجدّ و أسرعا

لعلّ یری شیئا له نسبة بها یعلّل قلبا کاد أن یتصدعا

فتطهرت و توجهت لذلک مستحضرا عظیم ما توجهت إلیه، و موقع المثول ببیت أوسع الخلق کرما و عفوا، و ذلک هو المعول علیه، و استحضرت بقول بعضهم:

عصیت فقل لی کیف ألقی محمدا و وجهی بأثواب المعاصی مبرقع

ثم أنشدت الذی یلیه:

عسی اللّه من أجل الحبیب و قربه یدارکنی بالعفو فالعفو أوسع

و سألت اللّه أن یمنحنی حسن الأدب فی ذلک المحل العظیم، و یلهمنی ما یستحقه من الإجلال و التعظیم، و أن یرزقنی منه القبول و الرضی، و التجاوز عما سلف و مضی، فاستأذنت و دخلت من مؤخر الحجرة، و لم أتجاوز ذلک المحل، فشممت رائحة ما شممت فی عمری رائحة أطیب منها، ثم سلمت بوجل و حیاء، علی أشرف الأنبیاء، ثم علی ضجیعیه خلاصة الأصفیاء، و دعوت بما تیسر من الدعوات، و تشفعت بسید أهل الأرض و السموات، و استنزلت به فی بیته من الأزمات، و اغتنمت هذه الفرصة فی جمیع الحالات، و لله در القائل:

تمتّع إن ظفرت بنیل قرب و حصّل ما استطعت من ادّخار

فقد وسّعت أبواب التدانی و قد قرّبت للزوار داری

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۷۰

و قد هبّت نسیمات لنجد فطب و اشرب بکاسات کبار

فما وقت یمرّ بمستعاد و ما دار الأعزّة بالقرار

فودّع أرض نجد قبل بعد فما نجد لمرتحل بدار

أقول لمن یمرّ بأرض نجد و یظفر من رباها بالدیار

تزود من شمیم عرار نجد فما بعد العشیة من عرار

و قل أیضا لمغتنم صفاء علی معنی یلوح لذی اعتبار

إذا العشرون من شعبان ولّت فواصل شرب ليلك بالنهار

و لا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق على الصغار

فلما قضيت من ذلك الوطر، متعت عينى من تلك الساحة بالنظر، لأتحف بوصفها المشتاقين، و أنشر من طيب أخبارها فى المحبين، فتأملت الحجرة الشريفة فإذا هى أرض مستوية، و تناولت من ترابها بيدى فإذا فيه نداوة و حصباء كالحصباء المتقدم وصفها بين الجدارين يظهر عند فحصه بالأصابع، و لم أجد للقبور الشريفة أثرا، غير أن بأوسط الحجرة موضعا فيه ارتفاع يسير جدا، توهموا أنه القبر الشريف النبوى، فأخذوا من ترابه للتبرك فيما زعموا، و منشأ ذلك الوهم جهل من كان هناك بأخبار الحجرة الشريفة، و ذلك المحل ليس هو القبر النبوى قطعا، و لعله قبر عمر رضى اللّه عنه؛ لأن الشافعى رضى اللّه عنه قد نص على أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إنما لحد له فى جدار القبلة.

قال الشافعى، فيما نقله عنه الأقشهرى ردا على من قال إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أدخل لقبره معترضا: هذا من فحش الكلام فى الأخبار؛ لأن قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان قريبا من الجدار، و كان اللحد تحت الجدار، فكيف توضع الجنازة على عرض القبر حتى سلّ معترضا؟ فدلّ على أن هذا النقل غير صحيح، انتهى.

و روى ابن عساكر عن جابر رضى اللّه عنه قال: رشّ قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و كان الذى رش الماء على قبره بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه حتى انتهى إلى رجليه ثم ضرّجه بالماء إلى الجدار، لم يقدر على أن يدور من الجدار لأنهم جعلوا بين قبره و بين حائط القبلة نحوا من سوط.

و قال ابن سعد فى طبقاته: أخبرنا شريح بن النعمان عن هشيم قال: أخبرنى رجل من قريش من أهل المدينة يقال له محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سقط حائط قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى زمن عمر بن عبد العزيز- و هو يومئذ على المدينة فى ولاية الوليد- فكنت فى أول من نهض، فنظرت إلى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فإذا ليس بينه و بين حائط عائشة رضى اللّه عنها إلا نحو من شبر، فعرفت أنهم لم يدخلوه من قبل القبلة، و على تقدير أن يكون ثمّ موضع بين

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۱

القبر الشريف و بين جدار القبلة بحيث يتأتى إدخاله صلّى اللّه عليه و سلّم من ناحية القبلة فلا يكون ذلك الموضع محل القبر الشريف؛ لبعده من جدار القبلة جدا. و فيما رواه ابن زبالة و يحيى من خبر عبد اللّه بن محمد بن عقيل فى قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة المتقدم ذكره أن عمر بن عبد العزيز قال لمزاحم لما دخل: يا مزاحم كيف ترى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قال: متطأطئا، قال:

فكيف ترى قبر الرجلين؟ قال: مرتفعين، قال: أشهد أنه رسول الله.

و قد قدمنا من وصف داخل الحجرة و ذكر ذرعها ما فيه كفاية.

و قد تأملت التفاوت بين أرض الحجرة الشريفة و بين أرض الفضاء الخارج بين الجدار الشامى الداخل و زاوية الجدار الخارج فوجدت أرض الحجرة أنزل منه بنحو ذراع و نصف، و تقدم أن أرض الفضاء المذكور أخفض مما حول الحجرة من المسجد بذراع و ثلث، فيكون التفاوت بين داخل أرض الحجرة و أرض المسجد نحو ثلاثة أذرع.

و تأملت آثار ردم الحريق فى الجدران فرأيته فى بعضها نحو ثلاثة أذرع، و فى بعضها نحو ذراعين، و أخبرنى المباشرون لإخراجه بذلك أيضا.

ثم هدموا من الجدار القبلى مما يلى المشرق جانبا نحو أربعة أذرع و شىء، حتى بلغوا به أرض الحجرة.

و هدموا أيضا جانبا من الجدار الغربى مما يلى الشام حتى بلغوا به الأرض أيضا، و ذلك نحو خمسة أذرع منه، فعلوا ذلك ليتأتى لهم إحكام القبة التى أجمعوا أمرهم عليها، و لم يبق من أركان الحجرة الشريفة سوى مجمع جدار القبلة و جدار المغرب.

ثم إنهم هدموا من علو ما بقى من الجدارين المذكورين نحو خمسة أذرع، و لم يبق من بناء الحجرة الأصلى إلا ما فضل منهما.

و وجدوا عند هدم مبدأ الجدار القبلى من أعلاه ميزابا قد احترق بعضه من جهة ما كان فى بناء الجدار، و بقى منه نحو الذراع، و هو من عرعر له رائحة ذكية، و سعة مجرى الماء فيه نحو أربعة أصابع أو خمسة، كأنه كان ميزابا للحجرة الشريفة قديما فحرص الأقدمون على ما بقى منه بعد الحريق و وضعوه بين السترة التى أحدثوها لأجل السقف و بين رأس الجدار، فجزاهم اللّه خيرا.

و لما أعيد بناء الحجرة حرصت على أن يعاد فيها، فوعدنى متولى العمارة بذلك، فلما كان عند ختم البناء سألته عنه، فذكر لى أنه جعله فى البناء الآتى ذكره فى أعلى الجدار الشامى بين ما بقى من لبن الحجرة و ليس عليه بطين ذلك اللبن.

ثم عند الشروع فى إعادة بناء الحجرة اقتضى رأيهم إدخال الأسطوان المتقدم وصفه خلف جدار الحجرة الشامى لتشققه فزادوا فى عرض ذلك الجدار من الرحبة المثلاثة الشكل

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۲

المتقدم وصفها بين الجدارين، و كان الشروع فى إعادة بناء الحجرة فى سابع عشر شعبان المذكور، فابتدءوا بالجدار المذكور، و أوصلوه بالجدار الغربى، و أعادوا ذلك بأحجار الحجرة التى نقضوها منها، ثم رأوا أن إحكام القبة التى عزموا عليها يقتضى تربيع محلها، بحيث لا يزيد طوله على عرضه. و قد قدمنا فى ذرع الحجرة ما يقتضى عدم ذلك، فعقدوا قبوا على نحو ثلث الحجرة الذى يلى المشرق و الأرجل الشريفة، و جعلوا الجدار الخارج من جهة المشرق متصلا بجدار الحجرة الداخل، فأدخلوا ما كان بينهما فى جدار القبو المذكور إلى نهاية ارتفاعه، و كذا فعلوا فيما كان بين الجدار القبلى الداخل و الخارج، سدّوه أيضا بالبناء حتى لم يبق حول البناء الداخل فضاء إلا ما بقى من الرحبة المثلاثة الشكل فى جهة الشام و صار علو القبة المذكور فضاء أيضا بين القبة و بين الجدار الظاهر فى جهة المشرق و عقدوا القبة المذكورة على ما بقى من الحجرة، و هو ما يلى المغرب منها فى جهة الرءوس الشريفة، و حاول بعض الناس أن يكون عقد القبة بالآجر، فكرهت ذلك لما لا يخفى، فاجتنبه متولى العمارة جزاه اللّه تعالى خيرا، و عقدها بالأحجار المنحوتة من الحجر الأسود، و كملها بالأبيض، و أخبرونى أن ارتفاع القبة المذكورة من داخل أرض الحجرة الشريفة إلى محدّب القبة المذكورة- و هو أعلاها المغروز فيه هلالها- اثنا عشر ذراعا بذراع العمل؛ فيكون بالذراع المتقدم وصفه ثمانية عشر ذراعا و ربع ذراع.

و من أرض الحجرة أيضا إلى نهاية القبو الذى بنى عليه أحد حوائط القبة المذكورة ثمانية أذرع و شىء بذراع العمل، و ذلك نحو أحد عشر ذراعا بالذراع المتقدم وصفه، و ارتفاع حائط القبة الشرقى- و هو الذى يلى القبو المتقدم وصفه- عن طرف القبور الذى بنى عليه الحائط المذكور ذراع و ثلثان بذراع العمل، و ذلك ذراعان و نصف راجح بالذراع المتقدم وصفه، و صار ما بين حائط القبة المذكور و بين حائط الحجرة الظاهر فى جهة المشرق- أعنى سطح القبو المذكور و ما اتصل به- كما كان بين الجدارين، و أدخل فى عرض الجدار رحبة واحدة تحيط بها من المغرب حائط القبة المتقدم وصفه، و من المشرق حائط الحجرة الظاهر، و من القبلة حائط الحجرة الظاهر أيضا، و من الشام سترة بنيت له فيما بين جدار القبة الذى يليه و جدار الحجرة الظاهر فى المشرق.

و ذرع هذه الرحبة المذكورة بسطح القبو المذكور طولا من القبلة إلى الشام سبعة أذرع و نصف سدس ذراع بذراع العمل، و ذلك أحد عشر ذراعا بالذراع المتقدم وصفه.

و ذرعها عرضا مختلف: فمما يلى القبلة ذراعان و نصف بذراع العمل، و مما يلى الشام نحو الثلاثة.

و أما جدار القبة الشامى فقد تقدم أنهم زادوا فى عرضه من الرحبة خلفه و جعلوه أيضا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۳

متفاوت العرض؛ فجعلوا ما يلى المشرق منه- و هو الموضع المحاذى للأسطوانة التى وقعت الزيادة فى العرض لأجل إدخالها و إدغامها بذلك- أزيد من الجهة التى تلى المغرب منه بنحو نصف ذراع؛ فإنهم جعلوا عرض الجدار فى هذه الجهة من أسفل عقد

القبة نحو ثلاثة أذرع بذراع اليد، و عرضه فى الجهة الأخرى دون ذلك بنحو نصف ذراع، بحيث صارت جهة الأسطوان المذكور بارزة عن بقية ذلك الجدار فى الرحبة المذكورة كما سيأتى تصويره.

و قد جعلوا على رأس هذا الجدار بناء يسيرا مما بقى من اللبن الذى أخرج من بعض جدار الحجرة كما تقدم وصفه، بعد أن تفرق اللبن المذكور، و أخذ الكثير منه.

و تركوا فى نحو وسط هذا الجدار خوخة، فلما لم يبق إلا هى أدخلوا منها شيئا كثيرا من الحصباء جاءوا بها من عرصة العقيق من جنس حصباء المسجد بعد غسلها بالماء ليضعوها على القبور الشريفة، و كنت قد ذكرت لبعضهم أن موضع القبر الشريف النبوى مما يلى الجدار القبلى، و أنه يستنبط مما قدمناه فى مسمار الفضة المحاذى للوجه الشريف أن أول القبر الشريف من جهة المغرب على نحو ذراعين بذراع اليد من الحائط الغربى؛ لأنا إذا أسقطنا عرض الجدارين الغربيين- و هما الجدار الداخل و الخارج، و هو نحو ثلاثة أذرع مما بين المسمار و أول الجدار الظاهر الغربى و هو نحو خمسة أذرع كما تقدم- كان الباقى نحو الذراعين إلى الرأس الشريف، فاستحسن ذلك، فحضر معهم لما دخلوا من الخوخة المذكورة لوضع الحصباء على القبور الشريفة، فوضعوا ذلك على المحل الشريف المذكور كما وصفت، و أخذوا بالهيئة المشهورة فى كيفية القبور الشريفة من أن رأس أبى بكر رضى اللّه عنه خلف منكب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و رأس عمر رضى اللّه عنه خلف منكب أبى بكر، فوضعوا الحصباء عليهما كذلك و كان بعض المباشرين لذلك حنفيا- و هو صهر متولى العمارة- فجعلها مسنّة، و ذلك بعد أن أكثروا فى الموضع المذكور من البخور بالعود و العنبر و غيرهما من أنواع الروائح، و عرف المحل الشريف على ذلك كله راجح فائح، و لله در القائل:

بطيب رسول اللّه طاب نسيمها فما المسك ما الكافور ما المندل الرّطب

و ألقى جماعة من الناس من تلك الخوخة أوراقا كتبوا فيها التشفع بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و مارب يسألونها بالحجرة الشريفة، ثم سدوا الخوخة المذكورة، و أحكموا بناءها كبقية الجدار، و بيضوا القبة المذكورة و جميع جدرانها من خارجها بالجص، و جاءت حسنة فاض عليها أنس المحل الشريف، و نصبوا بأعلاها هلالا من نحاس يظنه الرائى ذهبا، و هو قريب من سقف المسجد الأول؛ فإن القبة المذكورة تحته، ثم سدوا ما بقى من نقب الجدار الظاهر، و حضرت معهم فى ذلك الوقت، و حضرت أيضا بعض بناء الحجرة الشريفة، و تبركت بالعمل فيه، و لم أحضر غير ذلك طلبا للسلامة، و أنشدت فى ذلك المحل الشريف قصيدتى التى تطفلت بها على واسع كرم الجناب الرفيع الحبيب الشفيع الحالّ بذلك الحمى المنيع، التى أولها:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۴

قف بالديار لحى فى ذرى الحرم و حيّ هذا المحيّا من ذوى إضم

و كان الفراغ من ذلك و ختم بناء الجدار الظاهر فى يوم الخميس المبارك سابع شوال من السنة المذكورة، و أصرفوا فى ذلك و فى غيره من عمارات المسجد و إعادة منارة مسجد قباء و تجديد بعض سقفه و إحكام مصرف المياه التى كانت تجتمع حول المسجد عند كثرة الأمطار مالا جزيلا، و من أعظم ذلك نفعا ما جعل لمصرف المياه المذكورة كما سيأتى وصفه فقد عم نفعه، و ذلك كله فى الصحائف الشريفة السلطانية الأشرفية، أعز اللّه أنصارها، و أعلى فى سلوك العدل منارها، على يد متولى العمارة الجناب الشمسى المتقدم ذكره ضاعف اللّه تعالى حسناته.

و هذا تصوير ما استقر عليه الأمر من هذه العمارة فى صورة الحجرة المشرفة و القبور الشريفة بها:

ثم حدث بعد الحريق الثانى عند إنشاء القبة الثانية التى جعلوها بدلا عن القبة الزرقاء المتقدم ذكرها تأسيس دعامة و عقد فى جهة المغرب عند مقام جبريل عليه السلام متصل بجدار الحجرة الظاهر من أعلاه و أسطوان و عقد فى مقابلة ذلك فى المشرق متصل بالجدار الظاهر أيضا فى جهة المغرب.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۵

## الفصل التاسع و العشرون فی الحریق الحادث فی زماننا بعد العمارة السابقة و ما ترتب علیه

### اشارة

ألحقته هنا مع إلحاق ما تقدمت الإشارة إليه فی الفصول السابقة، لحدوثه بعد الفراغ من مسودة كتابنا هذا لأنی توجّهت إلى مكة المشرفة للاعتمار أول شهر رمضان عام ست و ثمانين و ثمانمائة، فورد على بها عدة كتب من الصادقين فی الخبر، و شافهنی من شاهد الأمر و الأثر، بما حصل من الخطب العظيم، و الرزء الجسيم، باحتراق المسجد النبوی أول الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان، و ذلك أن رئيس المؤذنين و صدر المدرسين الشمسی شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهلّل حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية، و صعد المؤذنون بقية المنائر، و قد تراكم الغيم فحصل رعد قاصف أيقظ النائمين، فسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة المذكورة، فسقطت فی المسجد و له لهب كالنار، و انشق رأس المنارة، و توفی الريس المذكور لحينه صعقا ففقد من كان على بقية المنائر صوته، فنادوه فلم يجب، فصعد إليه بعضهم فوجده ميتا، و أصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسية و قبة الحجرة النبوية فثقبه ثقبا كالترس، و علقت النار فيه و فی السقف الأسفل، ففتح الخدام أبواب المسجد قبل الوقت المعتاد و قبل إسراجه، و نودی بالحريق فی المسجد، فاجتمع أمير المدينة و أهلها بالمسجد الشريف، و صعد أهل النجدة منهم بالمياه لإطفاء النار، و قد التهبت سريعا فی السقفين، و أخذت لجهة الشمال و المغرب، فعجزوا عن إطفائها، و كلما حاولوه لم تزدد إلا التهابا و اشتعالا، فحاولوا قطعها بهدم بعض ما أمامها من السقف، فسبقتهم لسرعتها، و تطبق المسجد بدخان عظيم، فخرج غالب من كان به، و لم يستطيعوا المكث؛ فكان ذلك سبب سلامتهم، و هرب من كان بسطح المسجد إلى شماليه، و نزلوا بما كان معهم من حبال الدلاء التی استقوا بها الماء بخارج المسجد على الميضأة و البيوت التی هناك و ما حول ذلك، و سقط بعضهم فهلك، و نزل طائفة منهم إلى المسجد من الدرج فاحترق بعضهم و لجأ بقيتهم إلى صحن المسجد مع من حالت النار بينه و بين أبواب المسجد ممكن كان أسفل، و منهم صاحبنا الشيخ العالم صدر المدرسين الشمسی شمس الدين محمد بن المسكين المعروف بالعوفی، فمات بعد أيام لضيق نفسه بسبب الدخان مع توعك سابق، رحمه اللّه تعالى! و احترق من الخدام الزينی شند نائب خازن دار الحرم، تغمده اللّه برحمته! و مات جماعة تحت هدم الحريق من الفقراء و سودان المدينة، و جملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفسا، و كانت سلامة من بقی بالمسجد على خلاف القياس؛ لأن النار عظمت جدّا حتى صارت كبحر لجی من نار، و لها زفير و شهيق و ألسن تصعد فی الجو، و صار لفحها يؤثر من البعد حتى أثرت فی النخلات التی بصحن المسجد،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۶

و علق منها شیء بالمنارة الرئيسية فاحترقت، و وصلت النار لثياب الريس شمس الدين محمد رحمه الله تعالى فاحترقت بعد موته، و صارت النار ترمی بشرر كالقصر فتسقط بالبيوت المجاورة للمسجد، و مع ذلك فلا تؤثر فيها، حتى سقط بعض الشرر على سعف فلم يحترق، و حمل بعض خزائن الكتب من تحت سقف المسجد إلى صحنه فأصابها الشرر فأحرقها.

و نقل عن جمع كثير أنهم شاهدوا حينئذ أشكال طيور بيض كالإوز يحومون حول النار كالذی يكفها عن بيوت الجيران.

و أخبر أمير المدينة الشريفة السيد الشريف زين الدين فيصل الجمازی أن شخصا من العرب صادق الكلام رأى فی المنام ليلة ثانی عشر من شهر رمضان أن السماء فيها جراد منتشر، ثم عقبته نار عظيمة، فأخذ النبی صلّى اللّه عليه و سلّم النار و قال: أمسكها عن أمتی، فجزاه اللّه عن أمته- خصوصا عن جيرانه- أفضل ما جزی نبيّا عن أمته.

و حكى أيضا عن بواب رباط السبيل أنه ذكر مثل تلك الرؤيا عن غيره، كتب لی بذلك صاحبنا العلامة شيخ المحدثين بالحرم النبوی الشيخ شمس الدين بن شيخنا العلامة ناصر الدين العثمانی أمتع اللّه به.

هذا ما حصل لأهل المدينة الشريفة من الدهشة العظيمة و الحيرة لما شاهدوا من هول هذه النار و منظرها الفظيع، حتى أيقن بعضهم

بالهلاک، و انتقل بعض أهل الدور منها لما وصل إليهم الشرر، و خرج بعضهم من باب المدينة الذى يلى البقيع، و بعضهم من بابها الذى يلى المصلى، و ظنوا أن النار محيطة بهم. قال الشمس العثمانى: و صار لجميع المدينة من جميع جهاتها بالبكاء ضجيج، و بالدعاء عجيج، قال: و أمر هذه النار عجيب، و ليس الخبر كالمعاينة، و صار المسجد كالتنور، و لم يمض إلا أقل من عشر درج و قد استولى الحريق على جميع سقف المسجد و حواصله و أبوابه و ما فيه من خزائن الكتب و الربعات و المصاحف، غير ما وقعت المبادرة لإخراجه أولا و هو يسير، و غير القبة التى بصحن المسجد، و سبق ذكر سلامتها فى الحريق الأول، و كنت تركت كتبى بالخلوة التى كنت أقيم بها فى مؤخر المسجد، فكتب إلىّ باحتراقها، و منها أصل هذا التأليف و غيره من التآليف و الكتب النفيسة نحو ثلاث مائة مجلد، فمنّ اللّه تعالى علىّ ببرد الرضى و التسليم، و فراغ القلب عن ذلک، حتى ترجحت هذه النعمة عندى على نعمة تلک الكتب لما كنت أجده قبل من التعلق بها؛ فلله الحمد و الشكر على ذلک. هذا، مع ما منّ اللّه به على من غيبتى عن هذا الأمر المهول؛ فإن وقوعه كان فى ليلة الوصول إلى الحرم المكى، و لم يتفق لى منذ سكنت المدينة الخروج منها فى رمضان، بل كنت ألازم المسجد النبوى فيه من أوله إلى آخره ليلا و نهارا، فكان ذلک سبب النجاة من هذا الأمر.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۷

و لما اشتعلت النار فى السقف المحاذى للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التى بسقف المسجد الأعلى، و احترقت أخشابها و ما يحاذيها من السقف الأسفل و الشباک الدائر على حائر عمر بن عبد العزيز الذى تعلق الكسوة بأعلاه، و سقط ما سقط من ذلک على القبة السفلى التى تقدم تجديدها، فلما أصبحوا بدءوا بطفى ما سقط على القبة المذكورة، و استمروا فى ذلک إلى آخر النهار، فسلمت القبة المذكورة مع أن بعضها من الحجر الأبيض الذى يسرع تأثره بالنار، و ذلک من المعجزات النبوية؛ لأن كثيرا من أساطين المسجد الشريف سقطت لما ذاب بعض رصاصها و تهشمت و هى من الحجر الأسود، و مع ذلک تفتت كأنه أحجار النورة، و عدة ما سقط منها مائة و بضع و عشرون أسطوانا، و ما بقى منها فقد أثرت فيه النار أثرا بينا، و سلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة أيضا؛ فالحمد لله على حماية الحجرة المنيفة، الحاوية للقبور الشريفة، و احترقت المقصورة التى كانت حول الحجرة الشريفة و المنبر الشريف و ما كان أمام المصلى المنيف بالروضة الشريفة من الصندوق و ما عليه من المحراب المتقدم وصفه، و سقطت أكثر عقود المسجد، و ما بقى منها فهو آئل إلى السقوط، و سقط علو المنارة الرئيسية، ثم خشوا من سقوط بعض ما بقى منها فهدموا نحو ثلثها، و كتبوا إلى سلطان مصر مولانا الأشرف سلطان الحرمين الشريفين قايتباى أيد اللّه أنصاره بذلک سادس عشر رمضان، و اقتضى رأى نائب الناظر سد أبواب حواصل المسجد حتى القبة التى بوسطه المرصد فيها زيت مصابيحه، و ترک الردم على حاله حتى ترد الأوامر الشريفة فتضرر الناس بذلک، فاتفقت الآراء على تنظيف مقدم المسجد ما عدا ما جاور الحجرة الشريفة خوفا على ما سقط من حلية قناديلها، مع أنها يسيرة كما يؤخذ مما سبق، فجعلوا على ذلک حاجزا من الآجرّ، و نقلوا هدم مقدم المسجد إلى ما يلى باب الرحمة من مؤخره، و عمل فى ذلک أمير البلد و القضاة و الأشراف و عامة الناس حتى الكثير من النساء و الأطفال تقربا إلى اللّه تعالى بغير أجرة، و لم يتأخر عن ذلک إلا المخدّرات من النساء.

و بنوا فى محل المنبر منبرا من آجر، و صلّوا بالمصلى النبوى من حينئذ، و عملوا لأبواب المسجد غير باب جبرائيل خوخا يدخل منها، و سدوا ما زاد على ذلک، و نصب الخدام خياما بالمسجد إذ لم يبق به ظل، و صار بعض أهل الخير يسرج قناديل متعددة من عنده فى المسجد مع توفر الزيت بحاصله، لكن تعذر ذلک بسبب سدّه، و استمرت النار فيما لم ينقل هدمه من المسجد حتى فيما حول الحجرة الشريفة و موقف الزائرين تجاه الوجه الشريف، و أخبر بعضهم بمشاهدة الدخان يتصاعد من ذلک المحل الشريف بعد مدة، و فى أثناء شوال أخبر قاضى المالكية شمس الدين السخاوى حفظه اللّه تعالى أنه رأى فى النوم من يقول له:

أطفئوا النار من الحجرة الشريفة، يعنى الموضع الذى تركوا تنظيفه حولها، فتفقدوا ذلک

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۸

فوجدوا النار فى ثمانية مواضع، فأطفؤوا ذلك، ثم رأوا أن مادة هذه النار لا تنقطع إلا بتنظيف الردم، فاجتمعت الآراء على ذلك بعد توقّف تام من نائب الناظر، و عيّنوا لتعاطيه من يثقون به من الخدام و الفقهاء و الفقراء، و كان الصواب المبادرة لذلك أولا، و لكن على كل خير مانع، و لا يدرى أحد أسرار ما اللّه فى عباده صانع، و لما نظفوا ذلك وجدوا حلية الصندوق المجعول فى جهة الرأس الشريف و جانبا من الكسوة و بعض البسط سالما لسقوط الردم عليه، و وجدوا القناديل التى كان التخوّف فى تنظيف ذلك المحل لأجلها، و أداروا على الحجرة الشريفة جدارا من الآجر فى موضع المقصورة المحترقة، و جعلوا فيها شبابيك و طاقات و أبوابا، و قام بمصروف ذلك بعض النساء المباركات و غيرها، و سامح البناءون بنصف أجرهم مع توفر المصروف بحاصل المسجد الشريف، و أحضرت تلك المرأة أيضا و غيرها كسوة للحجرة الشريفة من القماش الأبيض فجعلت عليها.

و فى ذلك كله عبرة تامة و موعظة عامة لأولى الأبصار، و هو منذر بأمر عظيم، و لهذا اختص به هذا المحل المنسوب إلى النذير صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد ثبت أن أعمال الأمة تعرض عليه صلّى اللّه عليه و سلّم، فلما ساءت منا الأعمال المعروضة ناسب ذلك الإنذار بإظهار عنوان النار المجازى بها فى موضع عرضها، و لم أزل فى وجل مما يعقب ذلك حيث لم يحصل الاتعاظ و الانزجار، و قد قال تعالى: وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً [الإسراء: ۵۹]، و قال تعالى: ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقُونِ [الزمر: ۱۶] و كأن لسان القدرة ينادى: أ لا تتعظون بما ترون و تسمعون؟ أ لا تنتهون و تنزجرون؟ أ لا ترون إلى هذا المحل الشريف مع عظيم نسبته و علو رتبته و مكانته لما تلوّث بآثاركم معشر المذنبين، و تدنّس بأقذاركم كافة الغافلين، أرسلت عليه بحرا من النار السماوية تطهره من تلك الآثار، و تزجركم عن التمادى على الإصرار، و موالاة اتباع الأوزار، و تشهد بصائركم عموم القدرة، فترسلون من الأبصار سوابق العبرة، تأسفا على ما اجترحتموه قبل هذه العبرة، فمن لم ينته بهذا الزاجر الفعلى عن إصراره، و لم يقتبس من هذه النار العظيمة قبسا يهتدى بأنواره، فلينظر فيما حدث عقيب حريق المسجد القديم، و يتفكر فى ضعفه عن احتمال العذاب الأليم، حمانا اللّه من ذلك، و سلك بنا أجمعين أحسن المسالك.

و من العجائب أنه لم يتأتّ إخراج ردم هذا الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجّاج من سائر الآفاق للزيارة، و شاهدوا هذه العبرة العظيمة، و رأوا ما اجتمع من الردم كالآكام و التلول الجسيمة، ثم قبيل دخول الحاج مكة بالقعدة الحرام من العام الثانى أرسل الله سيلا عظيما بمكة المشرفة ملأ ما بين الجبلين و علا جدار أبواب المعلى، و دخل جوف الكعبة الشريفة، و ارتفع فيها أزيد من قامة و هدم دورا كثيرة يقال إنها تزيد على ألفى دار،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۷۹

و ذهب بسبب ذلك من الأموال و الأنفس ما لا يحصيه إلا اللّه تعالى، حتى أنهم ضبطوا من وجد تحت الردم بالمسجد الحرام فقط عند تنظيفه فكانت عدتهم نحو الثمانين، و قيل أزيد من مائة، و لم أقف فيما نقل من سيول الجاهلية و الإسلام على مثل ذلك، و لما نظفوا ذلك الردم- و هو أتربة و نقض هدم حملها السيل- لم يتأتّ إخراجه قبل وصول الحجاج و صار ذلك كالآرام و التلول العظيمة فى المسجد الحرام، فحضر الحجاج كلهم و شاهدوا ذلك، فسبحان من بيده الخلق و الأمر لا يسأل عما يفعل و هم يسألون.

و لما وصل خبر الحريق لرودس من بلاد النصارى أظهروا بذلك فرحا و استبشارا، و تظاهروا بالزينة و ضرب النواقيس، فلم يمض ذلك اليوم إلا- و قد أرسل اللّه عليهم زلازل عظيمة هدمت عليهم جانبا من سور البلد و الكنيسة و كثيرا من دورهم، و هلك منهم بذلك خلائق لا يحصون، و دامت الزلازل عليهم، أياما، شاهدت ذلك فى كتب وردت من ثغر إسكندرية بخط من يعتمد عليه، و ذكروا أن المخبر لهم بذلك أهل المراكب الواردة من رودس المذكورة، و أنهم سافروا و الزلازل مستمرة بها، و هم يخرجون الموتى من تحت الهدم بعد انتقال من بقى إلى خارج البلد، فتأمل هذه المعجزات النبوية، و الآيات الربانية.

و لما وصل القاصد إلى مصر المحروسة، و اتصل علم الحريق المذكور بسلطانها، عظم ذلك عليه، و برزت أوامره الشريفة بالمبادرة إلى تنظيف المسجد الشريف، و رأى أن فى تأهيل اللّه تعالى له لعمارة ذلك مزيد التشريف، و كمال التعريف، و أنه كرامة من اللّه

تعالى أكرمه بها، و ذخيرة يرجو الفوز بسببها، فاستقبل أمر العمارة بهمة تعلو الهمم العلية، و رسم بإبطال عمائره المكية، و بتوجه شادها السيفى الأمير سنقر الجمالى صحبة الحاج الأول بزيادة على مائة صانع من البنائين و النجارين و النشارين و الدهانين و الحجارين و النحاتين و الحدادين و المرخّمين و غيرهم، و كثير من الحمير و الجمال، و صحبته و صحبة أخيه المقر الأشرفى الشجاعى شاهين و الأمير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف مبلغ عشرين ألف دينار، و شرع السلطان فى تجهيز الآلات و المؤن حتى كثرت فى الطّور و الينبع و المدينة الشريفة.

ثم جهّز متولى العمارة الأولى بالمدينة الشريفة- و هو الجناب العالى الخواجكى الشمسى شمس الدين بن الزمن- فى أثناء ربيع الأول و صحبته أكثر من مائتى جمل و من مائة حمار و أزيد من ثلاثمائة من الصناع أهل الصنائع الأولى و غيرهم من الحمالين و المبيضين و السباكين و الجباسين، و أصرفوا لهم شيئا من الأجرة قبل سفرهم، و قد صارت أحمال المؤن متواصلة قلّ أن تنقطع برا و بحرا، و استقبلوا أمر العمارة بجد و اجتهاد، فهدموا المنارة الرئيسية التى أصابها الحريق إلى أساسها، و هدموا من سور المسجد من ركن المنارة التى بباب السلام إلى آخر جدار القبلة و ما يليه من المشرق إلى باب جبريل، و ما يلى المنارة من المغرب أيضا إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۰

باب الرحمة، و أعادوا المنارة الرئيسية و سور المسجد المذكور، و زادوا فى عرضه يسيرا، و وسعوا المحراب العثمانى، و سقفوا مقدم المسجد سقفا واحدا، بعد أن قصروا أساطينه و جعلوا عليها عقودا من الآجر فوقها أخشاب السقف، و كانت الأساطين المذكورة قبل ذلك واصلة إلى سقف المسجد كهيئة ما بقى من أساطينه فى بقية المشرق و المغرب و الشام، و جعلوا على المحراب العثمانى قبة على رءوس الأساطين، بعد أن قرنوا إلى كل أسطوانة ثانية، و جمعوا فى بعضها بين خمس أساطين؛ ليتأتى لهم عقد القبة المذكورة، و أزالوا الأسطوانة التى كانت فى محاذاة الأسطوانة التى إليها المصلّى النبوى بينها و بين المحراب العثمانى، و جعلوا على ما يحاذى الحجرة الشريفة و ما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد و عقودا من الآجر بدلا عن القبة الزرقاء التى كانت قبل الحريق، و كانت تلك على رءوس السوارى كما سبق فى الفصل السابع و العشرين، و قدمنا هناك ما حصل من ضيق المسجد من جهة المشرق بسبب ابتناء بعض تلك الدعائم هناك، فخرجوا بجدار المسجد الشرقى- أعنى ما حاذى ذلك منه- بنحو عرض الجدار فى البلاط الشرقى، و أبقوا الباب المعروف بباب جبريل فى محله.

ثم أحدثوا أسطوانا فى جانب مثلث الحجرة ليشتدّ به العقد الذى عليه القبة فى تلك الناحية، و حفروا لذلك أساسا عظيما ظهر بسببه القبر المنسوب فى أحد الأقوال لفاطمة الزهراء رضى اللّه عنها، و زادوا دعامتين و عقدا إلى جانب الأسطوانتين اللتين فى جهة الوجه الشريف، و لم يبالوا بما حدث بسبب ذلك من الضيق فى الموضع المواجه للوجه الشريف داخل المقصورة و غيره لخشيتهم من سقوط القبة المذكورة، و كانوا قد وجدوا فى جدار المنارة الرئيسية عند هدمها خزانة وضع الأقدمون بها أوراق المصاحف المحترقة فى الحريق الأول و سدوا عليها، فأخرجوا تلك الأوراق و وضعوها فى أعلى القبة المذكورة عند ختمها، فبدأ فى القبة تشقّق، فقيل لهم: إن ذلك بسبب وضع الأوراق المذكورة بها؛ لأن اللّه تعالى يقول: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [الحشر: ۲۱] فأخرجوا تلك الأوراق منها، فقضيت العجب من ذلك.

و من الغريب أنى كنت قد عزمت على التوجه إلى أرض مصر لزيارة والدتى و أهلى قبل الشروع فى العمارة المذكورة، فلم أحضر شيئا من ذلك، و من اللّه تعالى بالوصول إلى الوالدة و الأهل، فتوفيت الوالدة بعد قدومى بعشر ليال، و كانت مدة غيبتى عن أهلى ستة عشر سنة، ثم منّ اللّه تعالى بالعود إلى المدينة الشريفة بعد تعويض ما تدعو الحاجة إليه من الكتب المحترقة، فوجدتهم قد عمروا القبة المذكورة و مقدم المسجد و عقدوا العقود المتصلة بهذه القبة من المشرق و الشام، و جعلوها قبوا بدل السقف، و اتخذوا فيما بين الحجرة الشريفة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۱

و الجدار القبلى قبة لطيفة، و حولها ثلاثة أخر تسمى مجاريد، و جعلوا بين عقود هذه القباب و بين المنارة الرئيسية التى أعادوها بادهنجا للضوء و الهواء، و كان باب المنارة المذكورة من جهة المغرب، فنقلوه إلى جهة الشام، و أحدثوا أمامه أربع درجات بأرض المسجد، و إلى جانبها خزانة، و جعلوا موضع بابها الأول خلوة للخطيب يجلس بها إلى أن يخرج للخطبة يوم الجمعة، و كان جلوسه فى الأعصار الخالية هناك مع وجود باب المنارة به، و اتخذوا أيضا قبتين أمام باب السلام من داخله، و بنوا الباب المذكور بالرخام الأبيض و الأسود و زخرفوه زخرفة عظيمة، و كذلك القباب المذكورة، و خفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى الشريف، و اتخذوا له محرابا فى محل الصندوق الذى كان هناك و زخرفوه بالرخام و كذا المحراب العثمانى زخرفة عظيمة، و أعادوا ترخيم الحجرة الشريفة و ما حولها و ترخيم الجدار القبلى، و أزالوا البناء الذى عمله أهل المدينة فى موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة، و أبدلوا ما يلى القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس، و بأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزّرد، و جعلوا لبقيتها مما يلى الشام مشبكا مشاجرا من الحديد و فاصلا عن يمين مثلث الحجرة و يساره فيه بابان كما سبق بسط كل ذلك فى محله، و عملوا المنبر و دكة المؤذنين من رخام، و جعلوا فيما يلى باب الرحمة و باب النساء إلى مؤخر المسجد دكتين إحداهما بالمسقف الغربى و الأخرى بالمسقف الشرقى، و جعلوهما أخفض من الدكاك الشامية يسيرا، و ردموهما من أتربة المسجد، و اتخذوا فيما أعادوه من الجدار الشرقى خزائن للكتب و طاقات كبارا كالأبواب المقنطرة فى أعالى الجدار و طاقات متسعة مستديرة أيضا تكثيرا للضوء، و لم يكن بأعالى الجدار المذكور أولا غير شباك واحد، و جعلوا نظير تلك الطاقات فى الجدار القبلى أيضا، و بنو الجدار من ابتداء تلك الطاقات بالآجر، و سبب الاحتياج إلى ذلك أن أساطين مقدم المسجد الشريف كانت واصلة إلى سقفه كما سبق، و لم يكن بذلك قناطر من العقود سوى ما يلى الرحبة من الرواقين اللذين جدّدهما الناصر كما سبق، و كان الساقط من الأساطين بمقدم المسجد هو الأكثر لسقوط العقود التى كانت بين السقفين عليها وقت الحريق و اشتعال النار المذيبة للرصاص الذى بين خرز الأساطين، فاقتضى رأيهم إعادة تلك الأساطين قصيرة و تكميلها إلى السقف بعقود القناطر، فأخذت القناطر حصة من الضوء، فعوّضوا ذلك بتلك الطاقات، و أكد عندهم فتحها أخذ متولى العمارة للدور التى فى قبلة المسجد المعروفة بدور العشرة ليجعلها مدرسة للسلطان، و عرض الجدار القبلى يسيرا منها، و جعل فيها فتحات لشبابيك متعددة أيضا، ثم صرف اللّه تعالى عزمه عن ذلك و سد فتحات الشبابيك المذكورة كلها بفصوص الأحجار كنسبة بناء الجدار، و سدّ أيضا الطاقات التى بالجدار القبلى إلا ما يحاذى القبة التى على المحراب العثمانى، فجعل لها و لما بقى من الطاقات قمريات من الزجاج و شبكات من شريط النحاس.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۲

ثم استبدل متولى العمارة الرباط المعروف بالحصن العتيق و ما فى شاميه من المدرسة الجوبانية و الدار التى كانت تعرف بدار الشباك- و ذلك كله فيما بين باب الرحمة و باب السلام- عند هدم هذا الجانب من الجدار الغربى ليتخذ فى ذلك مدرسة و رباطا لسلطان زماننا الأشرف أدام الله تعالى تأييده و تسديده، و اتخذ فى الجدار المذكور فتحات لشبابيك كثيرة فى ثلاث طبقات عدتها ثلاثون فتحة، لأن الفتحة الثالثة من على يسار الداخل من باب السلام فى موضع باب خوخة أبى بكر الصديق الآتى ذكرها فى أبواب المسجد، جعلوه بابا ينفذ إلى المسجد، و كذا الفتحتان اللتان بينها و بين باب السلام جعلوا لهما بابين إلى المسجد فقط، و صارت هذه الأبواب الثلاثة فى المسجد دون المدرسة من أصل حاصل المسجد الذى كان هناك، و الفتحة الخامسة- و هى الثالثة من خوخة أبى بكر- جعلوها بابا ينفذ من المسجد إلى أسفل المدرسة، و جعلوا على الفتحات التى فى الطبقة العليا شبكة من شريط النحاس شبه الزرد؛ لأنها جعلت لمجرد الضوء، و قد تكلم الناس مع متولى العمارة فى أمر الشبابيك و اتخاذها بجدار المسجد الشريف القبلى قبل انتقاله إلى هذه الجهة، و كثر الكلام فى ذلك، فكاتب السلطان فاستفتى علماء مصر فى ذلك فأفتاه جماعة منهم بذلك، فقلدهم فيه، و عوض ما فات من المصاحف و الربعات، و بعث بعض ذلك على يدى بحيث اجتمع من ذلك أكثر مما فات، و كذلك الكتب بعث بجانب منها و وعد بإرسال ما يحتاج إليه، و كان من التوفيق بعثه للأمير الكبير الفخرى قاسم الفقيه ناظرا على المسجد الشريف و

شيخا لخدامه، و هو محب للعلم و أهله، مغرم بتلاوة القرآن الشريف، لم ير على طريقته مثله فى هذا الباب؛ فصار يباشر أمر الرّبعات و المصاحف بنفسه و مماليكه، و اتخذ لها كراسىّ صغارا يوضع عليها بالروضة الشريفة فى أوقات الصلوات النهارية، فيقرأ هو و الناس فيها؛ فعم نفعها.

و لما قارب المسجد التمام أخذوا فى عمارة الرباط و المدرسة المذكورين، و أسسوا لهما منارة فى ناحيتهما التى تلى باب الرحمة، و شرعوا أيضا فى عمارة رباط آخر بدل رباط الحصن العتيق، و فى حمام قبالة الرباط المذكور استأجروا أرض الحمام من الناظر على الميضأة التى بباب السلام فإنها منها، و شرعوا أيضا فى عمارة سبيل و فرن و طاحون و مطبخ للدشيشة و وكالة ذات حواصل فى الدور التى اشتروها قبل ذلك للسلطان من دور العباس و ما يلى ذلك فى جهة القبلة، و ذلك أن السلطان أعز اللّه تعالى أنصاره بعد رجوعه من الحج شرع فى شراء أماكن و جعلها وقفا ليحمل ريعها إلى المدينة الشريفة ليفرّق منه على أهلها و يعمل منه سماط كسماط الخليل عليه السلام، و أبرز لذلك ستين ألف دينار كما ذكرناه فى الفصل الثالث و الثلاثين، فاتخذوا هذه الأماكن لذلك، و هو أمر لم يسبق إليه، فسح الله تعالى فى أجله، و بلغه من الخير غاية سؤاله و أمله، و لم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة، و كذا الطاحون، و إنما يستعملون الأرحاء التى تدار بالأيدى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۳

ثم كتب إلى بعض الثقات بتكامل تحصيل تلك الأماكن، و أن متحصلها سبعة آلاف إردب و خمسمائة إردب من الحبّ فى كل سنة، و أن السلطان أدام اللّه نصره أنجز وقفها و شرع فى عمارة أماكن بمصر تقوية للوقف، و رسم بإبطال المكوس بالمدينة و تعويض أميرها.

و قد كملت سقف المسجد النبوى كلها فى أواخر شهر رمضان عام ثمان و ثمانين و ثمانمائة، و تمت عمارة المسجد الشريف عقب ذلك، و لم يبق سوى اليسير من العمائر السابق ذكرها و إكمال ترخيم المدرسة الأشرفية.

و فى عام تسع و ثمانين حضر جماعة من الدهانين بعث بهم السلطان الأشرف أعز الله أنصاره من مصر لمحو ما بلغه أنه جعل فى بعض سقف المسجد الشريف من الدهان بالنيلة و إبداله باللازورد، و جهّز معهم أساقيل لذلك، فعملوه على أحسن وجه، ثم جهز؟

الأشرف عين الأعيان و نخبة الزمان البهائى بهاء الدين أبا البقاء بن الجيعان عظم اللّه شأنه و أسبغ عليه نعمه و إحسانه فى ركب مع جماعة من خواصه، فوصل إلى المدينة الشريفة سابع ذى القعدة الحرام من العام المذكور، و معه أحمال من كتب العلوم الشرعية موقوفة بالمدرسة الأشرفية، و أحمال كثيرة من الحبّ و الدقيق و القدور النحاس التى جعلت برسم السّماط المتقدم ذكره، و بقايا آلات العمارة مما جهز فى المراكب الشريفة إلى الينبع، فقرر أمر السماط، فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله، لكل نفر سبع إردب مصرى بتقديم السين على الموحدة، و سوّى فى ذلك بين الصغير و الكبير و الحر و العبد، و جعل للآفاقيين ما يكفيهم من الخبز و طعام الجشيشة فى كل يوم، و قرر أمر المدرسة، و صرف للمرخمين و غيرهم من أرباب الصنائع مصروف بقية عملهم، و أحسن النظر فى ذلك حتى زاد جماعة منهم من ماله و تلطف بهم و أحسن، فانطلقت الألسن بالدعاء له، أحسن اللّه له الجزاء، و جعل نصيبه من خيرى الدارين من أوفر الأجزاء.

و قد قارن هذه العمارة من السعد و تسهيل الأمور ما لا يوصف، و يسر اللّه تعالى لهم من آلات العمارة ما لم نكن نظن حصوله بنواحى المدينة الشريفة، خصوصا أخشاب الدّوم، فقطعوا من الموضع المعروف بالشقرة و من الصويدرة و من الفرع و غير ذلك ما لا يحصيه إلا اللّه تعالى، و كذلك أخشاب السّمر.

و قد أخبرنى بعض المباشرين لهذه العمارة الميمونة أن المصروف فيها و فيما شرعوا فيه من عمارة المدرسة و توابعها نقدا و أثمان آلات و بهائم و غير ذلك مائة و عشرون ألف دينار، و مع ذلك فلم يتم بعد.

ثم بعد أن منّ اللّه تعالى بإتمامها بلغ السلطان الأشرف أن متولى العمارة تسمح فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۴

استعمال مؤن غير صالحة، و أن القبة التى سبق اتّخاذها على أعلى ما يحاذى الحجرة الشريفة قد تشققت ثم رمّت ثم تشققت، و لم يفد الترميم فيها، و أن المنارة الرئيسية قد مالت، مع أمور أخرى، فتغير خاطره على متولى العمارة، ثم انتخب لذلك المقر الشجاعى شاهين الجمالى لما اشتمل عليه من الفضل و النبل و إصابة الرأى، و فوض إليه أيضا مشيخة الحرم و نظره و نظر السماط، فورد المدينة الشريفة فى موسع عام أحد و تسعين و ثمانمائة، و جمع الناس للنظر فى ذلك، و راجع فيه أهل الخبرة، فاقتضى الحال هدم المنارة الرئيسية و هدم أعالى القبة المذكورة، و لما هدم المنارة المذكورة ظهر أن الخلل من عدم المبالغة فى حفر أساسها، فحفر أساسها حتى بلغ به الماء، و اتخذ لها أحجارا من الحجر الأسود متقنة، و أحكم بناءها مع الحسن الفائق، بحيث لم ير قبلها بالمدينة الشريفة مثلها، و جعل بابها من المغرب فى محله الأول، و أبطل تلك الدرج المحدثة بأرض المسجد على ما سبق، و أما القبة فاتخذ فى الطاقات المحيطة بجوانبها سقفا يمنع من سقوط ما يهدم منها إلى أرض الحجرة الشريفة، ثم شرع فى هدمها و إعادتها، بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة و لم يتخذ المسجد طريقا للعمال فى ذلك، بل اتخذ أساقيل يمشى عليها إلى سطح المسجد فى ناحيته الشرقية، و اتخذ حاجزا لمحل المنارة يحول بينها و بين المسجد بحيث يظن الظان أن المسجد لا عمارة به، و صانه أيضا من الامتهان بعمل أرباب الصنائع، فجزاه اللّه تعالى خير الجزاء، و جعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء.

و قد جاءت القبة حسنة مع الإتقان، حتى إنه استصحب فى هذه العمارة الجبس من مصر المحروسة، و استعمله فى البناء، و حرص على إتقان الآجر، و زاد العمال فيه على عادتهم، و لم يوفق متولى العمارة قبله لشىء من ذلك، سامحه الله، و كل ميسّر لما خلق له.

و قد ذكر ابن النجار ما كان عليه الخلفاء من الاهتمام بعمارة المسجد النبوى فقال: و لم يزل الخلفاء من بنى العباس ينفذون الأمراء على المدينة الشريفة، و يمدونهم بالأموال لتجديد ما ينهدم من المسجد النبوى، فلم يزل ذلك متصلا إلى أيام الناصر لدين الله، أى الخليفة فى زمنه، قال: فإنه ينفذ فى كل سنة من الذهب العين الإمامى ألف دينار لعمارة المسجد، و ينفذ عدة من النجارين و البنائين و النقاشين و أرباب الحرف، و تكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الألف، و ينفذ من الحديد و الصناع و الرصاص و الحبال و الآلات شيئا كثيرا، و لا تزال العمارة متّصلة فى المسجد حتى إنه ليس به موضع أصبع إلا و هو عامر، انتهى.

قلت: و عقب وفاة ابن النجار بيسير انتقل أمر المدينة الشريفة إلى ملوك مصر، و لم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف، و من أعظمهم همة فى ذلك، و أحبهم فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۵

سلوك هذه المسالك، سلطان زماننا الملك المالك لصفوة الممالك الأشرف أبو النصر قايتباى، أعزّ اللّه أنصاره، و ضاعف اقتداره؛ فلذلك أجرى اللّه على يديه هذه العمارة، و آثره بهذه الأثارة، و من تأمل ما قدمناه فى الفصل السادس و العشرين فى الحريق الأول عن المؤرخين من عمل سقف المسجد على يد من سبق و طول مدته و صفته، و أحاط علما بما أسلفناه عن سلطان زماننا فى عمارته، حكم يقينا بعلو همته، و فخار منقبته و مرتبته، و اختصاصه بما لم يفز به من سبقه؛ فكان هو سابقا، و إن عد فى الزمان لاحقا، و قد ذكرنا ما له بالحجاز الشريف من الآثار الجميلة، و بعض مناقبه الجليلة، فى الفصل الثالث و الثلاثين فى خوخة آل عمر رضى اللّه عنه لما خصه اللّه به من حسم مادة المفاسد المترتبة عليها فى زماننا، و أمره بسدّ طابقها، شكر اللّه صنيعه، و حصّنه من العداة بحصونه المنيعة.

## خاتمة فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد لخندق حول الحجرة الشريفة مملوء بالرصاص، و ذكر السبب فى ذلك، و ما ناسبه

اعلم أنى قد وقفت على رسالة قد صنّفها العلامة جمال الدين الأسنوى فى المنع من استعمال الولاة للنصارى، و سماها بعضهم «بالانتصارات الإسلامية» و رأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زين الدين المراغى ما صورته «نصيحة أولى الألباب، فى منع

استخدام النصارى كتاب» لشيخنا العلامة جمال الدين الأسنوى، و لم يسمه، فسميته بحضرته، فأقرنى عليه، انتهى. فرأيته ذكر فيها ما لفظه: و قد دعتهم أنفسهم- يعنى النصارى- فى سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد إلى أمر عظيم ظنوا أنه يتم لهم، و يأبى اللّه إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون، و ذلك أن السلطان المذكور كان له تهجّد يأتى به بالليل، و أوراد يأتى بها، فنام عقب تهجده، فرأى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى نومه و هو يشير إلى رجلين أشقرين و يقول: أنجدنى أنقذنى من هذين، فاستيقظ فزعا، ثم توضأ و صلى و نام فرأى المنام بعينه، فاستيقظ و صلى و نام فرآه أيضا مرة ثالثة، فاستيقظ و قال: لم يبق نوم، و كان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلى، فأرسل خلفه ليلا، و حكى له جميع ما اتفق له، فقال له: و ما قعودك؟

اخرج الآن إلى المدينة النبوية، و اكتم ما رأيت، فتجهز فى بقية ليلته، و خرج على رواحل خفيفة فى عشرين نفرا، و صحبته الوزير المذكور، و مال كثير، فقدم المدينة فى ستة عشر يوما، فاغتسل خارجها و دخل فصلى بالروضة، و زار، ثم جلس لا يدرى ما ذا يصنع، فقال الوزير و قد اجتمع أهل المدينة فى المسجد: إن السلطان قصد زيارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أحضر معه أموالا للصدقة، فاكتبوا من عندكم، فكتبوا أهل المدينة كلهم، و أمر السلطان بحضورهم، و كل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التى أراها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم له فلا يجد تلك الصفة،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۶

فيعطيه و يأمره بالانصراف، إلى أن انقضت الناس، فقال السلطان: هل بقى أحد لم يأخذ شيئا من الصدقة؟ قالوا: لا، فقال: تفكروا و تأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئا، و هما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج، فانشرح صدره و قال: علىّ بهما، فأتى بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إليهما بقوله: أنجدنى، أنقذنى من هذين، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب، جئنا حاجّين فاخترنا المجاورة فى هذا العام عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال: اصدقانى، فصمّما على ذلك، فقال: أين منزلهما؟ فأخبر بأنهما فى رباط بقرب الحجرة الشريفة، فأمسكما و حضر إلى منزلهما، فرأى فيه مالا كثيرا و ختمتين و كتبا فى الرقائق، و لم ير فيه شيئا غير ذلك، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير و قالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات فى الروضة الشريفة و زيارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و زيارة البقيع كل يوم بكرة و زيارة قباء كل سبت، و لا يردان سائلا قط بحيث سدّا خلة أهل المدينة فى هذا العام المجدب، فقال السلطان: سبحان اللّه! و لم يظهر شيئا مما رآه، و بقى السلطان يطوف فى البيت بنفسه، فرفع حصيرا فى البيت، فرأى سردابا محفورا ينتهى إلى صوب الحجرة الشريفة، فارتاعت الناس لذلك، و قال السلطان عند ذلك:

اصدقانى حالكما و ضربهما ضربا شديدا، فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى فى زىّ حجاج المغاربة، و أمالوهما بأموال عظيمة، و أمروهما بالتحيل فى شىء عظيم خيّلته لهم أنفسهم، و توهموا أن يمكنهم اللّه منه، و هو الوصول إلى الجناب الشريف و يفعلوا به ما زيّنه لهم إبليس فى النقل و ما يترتب عليه، فنزلا- فى أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة، و فعلا ما تقدم، و صارا يحفران ليلا، و لكل منهما محفظه جلد على زى المغاربة، و الذى يجتمع من التراب يجعله كل منهما فى محفظته، و يخرجان لإظهار زيارة البقيع، فيلقيانه بين القبور، و أقاما على ذلك مدة، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء و أبرقت، و حصل رجيف عظيم بحيث خيل انقلاع تلك الجبال، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة. و اتفق إمساكهما و اعترافهما، فلما اعترفا و ظهر حالهما على يديه، و رأى تأهيل اللّه له لذلك دون غيره بكى بكاء شديدا، و أمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذى يلى الحجرة الشريفة، و هو مما يلى البقيع، ثم أمر بإحضار رصاص عظيم، و حفر خندقا عظيما إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها، و أذيب ذلك الرصاص، و ملأ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سورا رصاصا إلى الماء، ثم عاد إلى ملكه، و أمر بإضعاف النصارى، و أمر أن لا يستعمل كافر فى عمل من الأعمال، و أمر مع ذلك بقطع المكوس جميعا، انتهى.

و قد أشار إلى ذلك الجمال المطرى باختصار، و لم يذكر عمل الخندق حول الحجرة و سبك الرصاص به، لكن بيّن السنة التى وقع

فیها ذلک مع مخالفة لبعض ما تقدم، فقال فی الکلام علی سور المدینة المحیط بها الیوم: وصل السلطان نور الدین محمود بن زنکی بن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۸۷

اقسنقد فی سنة سبع و خمسین و خمسمائة إلی المدینة الشریفة بسبب رؤیا رآها ذکرها بعض الناس و سمعتها من الفقیه علم الدین یعقوب بن أبی بکر المحترق أبوه لیلة حریق المسجد عمن حدثه من أکابر من أدرک أن السلطان محمودا المذکور رأی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ثلاث مرات فی لیلة واحدة و هو یقول فی کل واحدة: یا محمود أنقذنی من هذین الشخصین الأشقرین تجاهه، فاستحضر وزیره قبل الصبح فذکر له ذلک، فقال له: هذا أمر حدث فی مدینة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لیس له غیرک، فتجهز و خرج علی عجل بمقدار ألف راحلة و ما یتبعها من خیل و غیر ذلک، حتی دخل المدینة علی غفلة من أهلها و الوزیر معه، و زار و جلس فی المسجد لا یدری ما یصنع، فقال له الوزیر: أ تعرف الشخصین إذا رأیتهما؟ قال: نعم، فطلب الناس عامة للصدقة، و فرق علیهم ذهبا کثیرا و فضة، و قال: لا یبقینّ أحد بالمدینة إلا جاء، فلم یبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان فی الناحیة التی قبلة حجرة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التی تعرف الیوم بدار العشرة، فطلبهما للصدقة فامتنعا و قالا: نحن علی کفایة ما نقبل شیئا، فجدّ فی طلبهما، فجیء بهما، فلما رآهما قال للوزیر: هما هذان، فسألهما عن حالهما و ما جاء بهما، فقالا: لمجاورة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال:

اصدقانی، و تکرر السؤال حتی أفضی إلی معاقبتهما فأقرّا أنهما من النصاری، و أنهما وصلا لکی ینقلا من فی هذه الحجرة الشریفة باتفاق من ملوکهم، و وجدهما قد حفرا نقبا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلی، و هما قاصدان إلی جهة الحجرة الشریفة، و یجعلان التراب فی بئر عندهما فی البیت الذی هما فیه، هکذا حدثنی عمن حدثه، فضرب أعناقهما عند الشباک الذی فی شرقی حجرة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم خارج المسجد، ثم أحرقا بالنار آخر النهار و رکب متوجها إلی الشام، انتهی.

و قد ساق المجد هذه الواقعة علی الوجه الذی ذکره المطری فقال: و من الحوادث فی المسجد الشریف ما نقله جماعة من مشایخ المدینة و علمائها، و ذکر ما تقدم، و کذلک الزین المراغی ذکر ما تقدم عن المطری نقلا عنه، و زاد أن وزیر السلطان نور الدین الذی استحضره و ذکر له القصة هو الموفق خالد بن محمد بن نصر القیسرانی الشاعر، قال: و کان موفقا، انتهی.

و مأخذه فی ذلک- کما رأیته فی حاشیة بخطه علی کتابه- أن الذهبی قال فی ترجمة الموفق هذا: موفق الدین، أبو البقاء، صاحب الخط المنسوب، و کان صدرا، نبیلا، وافر الحشمة، وزر للسلطان نور الدین، توفی بحلب سنة ثمان و ثمانین و خمسمائة، انتهی.

و قد خالف الزین فی ذلک ما قدمناه عن شیخه الأسنوی من تسمیة الوزیر المذکور بجمال الدین الموصلی، و لا یلزم من کون الموفق وزر للسلطان نور الدین أن یکون هو

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۱۸۸

الوزیر عند وقوع الرؤیا المذکورة، لاحتمال أنه وزر له بعد ذلک أو قبله، و جمال الدین الموصلی هذا هو الجواد الأصفهانی، و قد تقدم ذکره فی ترخیم الحجرة، و وصفه بأنه وزیر بنی زنکی؛ لأنه کان وزیر والد نور الدین الشهید الذی هو زنکی ثم وزر لولده غازی، و أدرک دولة نور الدین الشهید و زمان هذه الواقعة؛ فالظاهر أنه وزر له، و أنه المراد فی هذه الواقعة.

و العجب أنی لم أقف علی هذه القصة فی کلام من ترجم نور الدین الشهید مع عظمها، و هی شاهدة لما ذکره الإمام الیافعی فی ترجمته من أن بعض العارفین من الشیوخ ذکر أنه کان فی الأولیاء معدودا من الأربعین و صلاح الدین نائبه من الثلاثمائة، انتهی.

و قال ابن الأثیر: طالعت تواریخ الملوک المتقدمین قبل الإسلام و فیه إلی یومنا، فلم أر بعد الخلفاء الراشدین و عمر بن عبد العزیز ملکا أحسن سیرة من الملک العادل نور الدین، انتهی.

و قد اتفق بعد الأربعمائة من الهجرة ما یقرب من قصة رؤیا نور الدین الشهید المتقدمة علی ما نقله الزین المراغی عن تاریخ بغداد

لابن النجار، قال: أخبرنا أبو محمد عبد اللّه بن المبارك المقرى، عن أبى المعالى صالح بن شافع الجلى، أنبأنا أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن محمد المعلم، ثنا أبو القاسم عبد الحليم بن محمد المغربى أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدى صاحب مصر بنقل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و صاحبيه من المدينة إلى مصر، و زيّن له ذلك، و قال:

متى تم لك ذلك شدّ الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر، و كانت منقبة لسكانها، فاجتهد الحاكم فى مدة و بنى بمصر حائزا، و أنفق عليه مالا- جزيلا- قال: و بعث أبا الفتوح لنبش الموضع الشريف، فلما وصل إلى المدينة الشريفة و جلس بها حضر جماعة المدنيين و قد علموا ما جاء فيه، و حضر معهم قارئ يعرف بالزلبانى، فقرأ فى المجلس وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ إلى قوله: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [التوبة: ۱۲- ۱۳] فماج الناس، و كادوا يقتلون أبا الفتوح و من معه من الجند، و ما منعهم من السرعة إلى ذلك إلا أن البلاد كانت لهم.

و لما رأى أبو الفتوح ذلك قال لهم: اللّه أحق أن يخشى، و اللّه لو كان على من الحاكم فوات الروح ما تعرضت للموضع، و حصل له من ضيق الصدر ما أزعجه كيف نهض فى مثل هذه المخزية، فما انصرف النهار ذلك اليوم حتى أرسل اللّه ريحا كادت الأرض تزلزل من قوتها حتى دحرجت الإبل بأقتابها و الخيل بسروجها كما تدحرج الكرة على وجه الأرض، و هلك أكثرها و خلق من الناس، فانشرح صدر أبى الفتوح و ذهب روعه من الحاكم لقيام عذره من امتناع ما جاء فيه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۸۹

قلت: و نقل ابن عذرة فى كتاب «تأسى أهل الإيمان، فيما جرى على مدينة القيروان» لابن سعدون القيروانى ما لفظه: ثم أرسل الحاكم بأمر اللّه إلى مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم من ينبش قبر النبى، فدخل الذى أراد نبشه دارا بقرب المسجد و حفر تحت الأرض ليصل إلى قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فرأوا أثوارا، و سمع صائح: إن بنيكم ينبش، ففتش الناس فوجدوهم و قتلوهم، انتهى.

و مما يناسب ذلك ما ذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة فى فضائل العشرة، قال:

أخبرنى هارون بن الشيخ عمر بن الزعب- و هو ثقة صدوق مشهور بالخير و الصلاة و العبادة- عن أبيه، و كان من الرجال الكبار- قال: كنت مجاورا بالمدينة و شيخ خدام النبى صلى اللّه عليه و سلّم إذ ذاك شمس الدين صواب اللمطى، و كان رجلا صالحا كثير البر بالفقراء و الشفقة عليهم، و كان بينى و بينه أنس فقال لى يوما: أخبرك بعجيبة، كان لى صاحب يجلس عند الأمير و يأتينى من خبره بما تمس حاجتى إليه، فبينما أنا ذات يوم إذ جاءنى فقال: أمر عظيم حدث اليوم، قلت: و ما هو؟ قال: جاء قوم من أهل حلب و بذلوا للأمير بذلا كثيرا، و سألوه أن يمكنهم من فتح الحجرة و إخراج أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما منها، فأجابهم إلى ذلك، قال صواب: فاهتمت لذلك هما عظيما، فلم أنشب أن جاء رسول الأمير يدعونى إليه، فأجبته، فقال لى: يا صواب يدقّ عليك الليلة أقوام المسجد، فافتح لهم، و مكنهم مما أرادوا و لا تعارضهم، و لا تعترض عليهم، قال: فقلت له: سمعا و طاعة، قال: و خرجت و لم أزل يومى أجمع خلف الحجرة أبكى لا ترقأ لى دمعة و لا يشعر أحد ما بى، حتى إذا كان الليل و صلينا العشاء الآخرة و خرج الناس من المسجد و غلقنا الأبواب فلم ننشب أن دقّ الباب الذى حذاء باب الأمير، أى باب السلام، فإن الأمير كان سكنه حينئذ بالحصن العتيق.

قال: ففتحت الباب، فدخل أربعون رجلا أعدهم واحدا بعد واحد، و معهم المساحى و المكاتل و الشموع و آلات الهدم و الحفر. قال: و قصدوا الحجرة الشريفة، فو اللّه ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعهم بجميع ما كان معهم من الآلات، و لم يبق لهم أثر.

قال: فاستبطأ الأمير خبرهم، فدعانى، و قال: يا صواب أ لم يأتك القوم؟ قلت: بلى، و لكن اتفق لهم ما هو كيت و كيت، قال: انظر ما تقول، قلت: هو ذلك، و قم فانظر هل ترى منهم باقية أو لهم أثرا، فقال: هذا موضع هذا الحديث، و إن ظهر منك كان يقطع رأسك، ثم خرجت عنه، قال المحب الطبرى: فلما وعيت هذه الحكاية عن هارون حكيتها لجماعة من الأصحاب فيهم من أثق بحديثه فقال: و أنا كنت حاضرا فى بعض الأيام عند الشيخ أبى عبد اللّه القرطبى بالمدينة و الشيخ شمس الدين صواب يحكى له هذه الحكاية سمعتها بأذنى من فيه، انتهى ما ذكره الطبرى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۰

قلت: و قد ذكر أبو محمد عبد اللّه بن أبى عبد اللّه بن أبى محمد المرجانى هذه الواقعة باختصار فى تاريخ المدينة له، و قال: سمعتها من والدى، يعنى الإمام الجليل أبا عبد الله المرجانى، قال: و قال لى: سمعتها من والدى أبى محمد المرجانى سمعها من خادم الحجرة، قال أبو عبد اللّه المرجانى: ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة الشريفة، و ذكر نحو ما تقدم، إلا أنه قال: فدخل خمسة عشر- أو قال عشرون- رجلا بالمساحى و الفاف، فما مشوا غير خطوة أو خطوتين و ابتلعتهم الأرض و لم يسم الخادم، و اللّه أعلم.

## الفصل الثلاثون فى تحصيب المسجد الشريف و ذكر البزاق فيه، و تخليقه، و إجماره، و ذكر شىء من أحكامه

### أول تحصيب المسجد النبوى

روى أبو داود فى سننه عن أبى الوليد قال: سألت ابن عمر عن الحصباء الذى فى المسجد، فقال: مطرنا ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يأتى بالحصباء فى ثوبه و يبسطه تحته، فلما قضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الصلاة قال: ما أحسن هذا؟ و هو صريح فى جعل الحصباء فى المسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و يؤيده ما رواه أصحاب السنن من حديث أبى ذر: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه، فلا يمسح الحصباء، و كذا ما رواه أحمد من حديث حذيفة قال: سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن كل شىء حتى عن مسح الحصى، فقال: واحدة أو دع، و كذا ما رواه أبو داود بإسناد جيد عن أبى هريرة، قال أبو بدر: أراه رفعه إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، قال: إن الحصاة تناشد الذى يخرجها من المسجد، لكن قد سئل الدارقطنى عن هذا الحديث فذكر أنه روى موقوفا على أبى هريرة، و قال: رفعه و هم من أبى بدر.

و روى يحيى عن بعض السلف أنه كان إذا خرج بالحصاة من المسجد فى ثوبه أو نعله أمر بردّها إلى المسجد.

و روى ابن شبة عن سليمان بن يسار قال: الحصاة إذا أخرجت من المسجد تصيح حتى ترد إلى موضعها.

و ذكر البرهان بن فرحون أن مالكا سئل عن الرجل يخرج من المسجد فيجد شيئا من حصى المسجد قد تعلّق بوجهه، أ يلزمه ردّه إلى المسجد؟ فقال: لا يلزمه ذلك، و أرخص له فى طرحه، فقال السائل: يا أبا عبد اللّه إنهم يقولون إذا أخرجت الحصاة من المسجد تصيح حتى ترد إلى المسجد، فقال له مالك: دعها تصيح حتى ينشق حلقها، فقال: أولها حلق؟

قال: فمن أين تصيح؟

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۱

و روى ابن شبة عن ابن عباس أنه قال لنفيع فى الحصاة: ردّها و إلا خاصمتك يوم القيامة.

و حكى الأقشهرى عن شيخ الخدام ظهير الدين بن عبد اللّه الأشرفى قال: أتانى عام خمسة عشر و سبعمائة رجل من الشام فى موسم الحاج و قال: كنت حججت عام أول و حملت شيئا من تراب المسجد و حصبائه، فلم أزل أراه فى المنام يقول لى: ردّنى إلى موضعى، عذّبتنى عذبك الله، فها أنا أتيت به، قال: فأخرج صرة فيها ما ذكره، فصببناها فى المسجد، انتهى.

و الذى يقتضيه كلام المؤرخين أن تحصيب المسجد إنما حدث فى زمان عمر بن الخطاب؛ فقد روى يحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهرى قال: قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: ما ندرى ما نفرش فى مسجدنا، فقيل له: افرش الخصف و الحصر، قال: هذا الوادى المبارك فإنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول «العقيق واد مبارك» قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

و روى ابن زبالة عن عبيد اللّه بن عمر قال: قدم سفيان بن عبد اللّه الثقفى على عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه و مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم غير محصوب، فقال: أ ما لكم واد؟ فقال عمر:

بلى، قال: فاحصبوه منه، فقال عمر: احصبوه من هذا الوادى المبارك، يعنى العقيق.

قال المطرى: رمل المسجد الشريف- أى الذى يحصب به- يحمل من وادى العقيق، من العرصة التى تسيل من الجماء الشمالية إلى الوادى، و ليس بالوادى رمل أحمر غير ما يسيل من الجماء، و هو رمل أحمر يغربل ثم يفرش فى المسجد، انتهى.

و روى ابن زبالة من طريق الضحاك عن بشر بن سعيد أو سليمان بن يسار- شكّ الضحاك- أنه حدّث أن المسجد كان يرش فى زمان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و زمان أبى بكر و عامة زمان عمر، و كان الناس يتنخمون فيه و يبصقون حتى عاد زلقا، حتى قدم ابن مسعود الثقفى، فقال لعمر: أ ليس قربكم واد؟ قال: بلى، قال: فمر بحصباء تطرح فيه فهو أكف للمخاط و النخامة، فأمر عمر بها، و هذه الرواية مع ضعفها قد اشتملت على أنهم كانوا يبصقون فى المسجد.

## حكم البزاق فى المسجد

و فى الصحيحين عن أنس مرفوعا «البزاق فى المسجد خطيئة، و كفارتها دفنها». و قد رواه ابن زبالة، و روى أيضا عن ابن عمر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رأى نخامة فى المسجد فقال: «من فعل هذا جاء يوم القيامة و هى فى وجهه».

و عن عبد اللّه بن قسيط مرفوعا: «لا يبصق فى مسجدى هذا».

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۲

و حديث ابن عمر رواه البزار و ابن خزيمة فى صحيحه، و روى أحمد عن أبى أمامة أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «البصاق فى المسجد سيئة، و دفنه حسنة». و رواه ابن شبة بمعناه.

و روى أيضا عن أبى هريرة قال: «إن المسجد لينزوى من النخامة كما ينزوى الجلد من النار» و لهذا جزم النووى فى التحقيق و شرح المهذب بتحريمه. و وقع فى عبارة بعض أصحابنا التعبير بالكراهة، و حملها بعضهم على كراهة التحريم، و قال بعض العلماء: إنما يكون البزاق فى المسجد خطيئة لمن لم يدفنه لأنه يقذر المسجد و يتأذى به.

قال القرطبى: و يدل على صحة هذا التأويل حديث أبى ذر الذى رواه مسلم و غيره:

«و وجدت فى مساوى أعمالها- أى: الأمة- النخامة تكون فى المسجد لا تدفن» فلم يثبت لها حكم السيئة بمجرد إيقاعها فى المسجد، بل بذلك و ببقائها غير مدفونة.

قلت: الرواية الأولى بينت أن الفعل خطيئة، و أن الدفن يكفرها كما يكفر الجلد معصية الزنا، فلتحمل الرواية الأخرى عليها؛ لأن الإخبار فيها عما استقر عليه الأمر، لكن روى ابن شبة من طريق الفرج بن فضالة عن أبى سعيد قال: رأيت واثلة بن الأسقع دخل مسجد دمشق فصلى فيه، فبزق تحت رجله اليسرى ثم عركها، فلما انصرفت قلت له: أنت صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تبزق فى المسجد؟ فقال: هكذا رأيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صنع.

و رواه أبو داود من الطريق المذكورة بنحوه، و فرج بن فضالة ضعّفه الدارقطنى و غيره، و قواه أحمد، و اقتصر الحافظ ابن حجر فى التقريب على تضعيفه.

و روى ابن شبة أيضا بإسناد فيه ضعف عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «من دخل مسجدى هذا فبزق أو تنخم فليحفر فليبعد و ليدفنه، فإن لم يفعل فليبزق فى ثوبه حتى يخرج به» و هذا لو صح كان حجة لهذا المذهب.

فإن قيل: يعضده حديث البخارى عن أنس أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «رأى نخامة فى القبلة، فشق ذلك عليه حتى رؤى فى وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنه يناجى ربه، أو إن ربه بينه و بين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، و لكن عن يساره أو تحت قدمه، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا؟

و كذا ما رواه ابن شبة بإسناد جيد عن أبى نضرة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «رأى نخامة فى قبلة المسجد، فغضب غضبا شديدا

حتى كاد يدعو على صاحبها، ثم قال: لا يبزق أحدكم فى قبلته؛ فإن ربه مستقبلة، و لا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا، و لكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى، فإن كان على يساره أحد فليبزق فى ثوبه» و فى رواية: «فإن اكن عن يساره أحد يكره أن يبزق نحوه فليبزق فى ثوبه، و بزق النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ثوبه و حكّ بعضه ببعض» فاقتضى ذلك جواز البصاق فى المسجد فيما عدا القبلة و اليمين حالة الصلاة، و هو مقيد بالدفن لما سبق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۳

قلنا: مساق الحديث لبيان أدب المصلى فى كيفية البصق، من غير تعرض لكونه فى مسجد، و البصاق فى المسجد قد بينه منطوق الحديث السابق؛ فلا يترك بهذا، و أفاد القفال فى فتاويه- و قد ذكر حديث النخامة فى المسجد- فائدة حسنة فقال: هذا الخبر محمول على ما إذا نزلت النخامة من الرأس، أما إذا كانت من الصدر فهى نجسة؛ فلا يجوز دفنها فى المسجد».

و روى أبو داود من حديث ابن عمر قال: بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب يوما إذ رأى نخامة فى قبلة المسجد، فتغيظ على الناس، ثم حكّها، و أحسبه قال: فدعا بزعفران فلطّخه به، و قال: إن اللّه قبل وجه أحدكم فلا يبزقن بين يديه.

و روى ابن شبة عن شيخه خلاد بن يزيد بن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى صلاة ذات يوم، فرأى فى قبلة المسجد نخامة، فلما قضى صلاته أخذ عودا فحكها، ثم دعا بخلوق فخلّق مكانها، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إذا صلى أحدكم فلا يتفل أمامه و لا عن يمينه؛ فإنه يستقبل الرب عز و جل بوجهه.

## مبدأ تخليق المسجد

و روى ابن شبة أيضا بسند جيد إلى أبى الوليد قال: قلت لابن عمر: ما بدء الزعفران- يعنى: فى المسجد- فقال: رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نخامة فى المسجد، فقال: ما أقبح هذا! من فعل هذا؟ فجاء صاحبها فحكها و طلاها بزعفران، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: هذا أحسن من ذلك.

و رواه يحيى بلفظ: قلت لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن أ لا تخبرنى ما كان بدء هذه الصفرة التى فى قبلة المسجد؟ قال: نعم، صلى بنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حتى إذا انصرف رأى نخامة فى القبلة، و ذكره، و قال: فسارع الناس إليه، فكان هذا بدأه.

و روى النسائى و ابن ماجه عن أنس قال: رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نخامة فى قبلة المسجد، فغضب حتى احمر وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحكتها، فجعلت مكانها خلوقا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: ما أحسن هذا!

و روى ابن شبة أيضا بسند جيد عن أبى نضرة أن ذلك الذى بزق فى قبلته جاء بشىء من زعفران فطلى ذلك المكان، فأعجب ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و روى أيضا بسند لا بأس به قال: أبصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى حائط المسجد بزاقا، فحكه على خرقة، و أخرجه من المسجد، فجعل مكانه شيئا من طيب أو زعفران أو ورس.

و عن إبراهيم بن قدامة عن أبيه أن عثمان بن مظعون تفل فى القبلة، فأصبح مكتئبا، فقالت له امرأته: ما لى أراك مكتئبا؟ قال: لا شىء إلا أنى تفلت فى القبلة و أنا أصلى، فعمدت إلى القبلة فغسلتها ثم عملت خلوقا فخلّقتها، فكانت أول من خلّق القبلة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۴

و روى أيضا برجال ثقات عن جابر عن عبد قال: أتانا رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم فى مسجدنا هذا و فى يده عرجون ابن طاب، فرأى فى قبلة مسجدنا نخامة فحكها بالعرجون، ثم أقبل علينا فقال: أيكم يحب أن يعرض اللّه عنه؟ قلنا: لا أينا يا رسول الله، قال: فإن أحدكم إذا قام يصلى فإن اللّه قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه و لا عن يمينه، و ليبصق قبل يساره تحت رجله اليسرى، فإن عجلت به بادرة فليقل هكذا بثوبه، ثم طوى بعضه على بعض، أرونى عبيرا، فقام فتى من الحى يشتد إلى أهله فجاء بخلوق فى راحته، فأخذه

النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على رأس العرجون ثم لطخ به على أثر النخامة، قال جابر رضى اللّه عنه: فمن هنالك جعلتم الخلوق فى مساجدكم.

و قد رواه أبو داود بنحوه و جابر هو من بنى حرام بطن من بنى سلمة، و مسجدهم كان بمنازلهم التى فى غربى بطحان و مساجد الفتح، و ليس هو مسجد القبلتين كما وقع للمطرى و جماعة حتى جعلوا أمر الخلوق له لما سنبينه.

و سيأتى ما رواه ابن زبالة من حديث جابر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم صلّى فى مسجد بنى حرام بالقاع، و أنه رأى فى قبلته نخامة، و كان لا يفارقه عرجون ابن طاب يتخصر به، و ذكر الحديث الآتى، و فيه «فكان أول مسجد خلّق».

و روى أبو داود و ابن حبان فى صحيحه عن أبى سهلة السائب بن خلاد من أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن رجلا أمّ قوما فبصق فى القبلة و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ينظر، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حين فرغ: لا يصلى لكم، فأراد بعد ذلك أن يصلى لهم فمنعوه و أخبروه بقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فذكر ذلك لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فقال: نعم، و حسبت أنه قال: إنك آذيت اللّه و رسوله.

و فى رواية أوردها المجد أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما رأى النخامة فى المحراب قال: من إمام هذا المسجد؟ قالوا: فلان، قال: قد عزلته، فقالت امرأته: لم عزلك النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من الإمامة؟

فقال: رأى نخامة فى المحراب، فعمدت إلى خلوق طيب فخلقت به المحراب، فاجتاز رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: من فعل هذا؟ فقالوا: امرأة الإمام، قال: وهبت ذنبه لامرأته و رددته إلى إمامته.

قلت: و اختلاف هذه الروايات صريح فى أنها وقائع متعددة؛ فلا تعارض فيها، نعم هى متضمنة للرد على ما رواه ابن شبة عن جابر بن عبد اللّه قال: كان أول من خلق المسجد و رزق المؤذنين عثمان رضى اللّه عنه، و تقدم فى الفصل الرابع من رواية يحيى عن جابر بنحوه، إلا أن يحمل على أن المراد أنه اتخذ له الخلوق من بيت المال.

و نقل ابن زبالة عن ابن عجلان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله على المدينة أن لا يخلق إلا القبلة، و أن يغسل الأساطين، قال: فلم تكن الأساطين تخلّق فى سلطانه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۵

## تخليق القبر

و قدمت الخيزران أم موسى فى سنة سبعين و مائة، فأمرت بالمسجد فخلّق و ولى ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها، فقام إليها إبراهيم بن الفضل بن عبد اللّه مولى هشام بن إسماعيل فقال: هل لكم أن تسبقوا من بعدكم و أن تفعلوا ما لم يفعل من كان قبلكم؟ قالت له مؤنسة: و ما ذلك؟ قال: تخلقون القبر كله، ففعلوا، و إنما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل، و أشار عليهم فزادوا فى خلوق أسطوان التوبة و الأسطوان التى هى علم عند مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما، و زادوا فى الخلوق فى أعلاهما.

و روى بعضهم عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ [البقرة: ۱۲۵] الآية، قال: طهرا بيتى نظفاه و بخراه و خلقاه.

## تجمير المساجد

و روى يحيى من طريق ابن زبالة و غيره عن على بن حسن بن حسن بن حسن- و كان من خيار الناس- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بإجمار المسجد، قال: و لا أعلمه إلا قال: يوم الجمعة.

و روى ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع رضى اللّه عنه أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: جنّبوا مساجدكم صبيانكم و مجانينكم و

شراءكم و بيعكم و خصوماتكم و رفع أصواتكم و إقامة حدودكم و سلّ سيوفكم، و اتخذوا على أبوابها المطاهر، و جمّروها فى الجمع.

و روى أحمد و أبو داود و ابن ماجه و ابن خزيمة فى صحيحه عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ببناء المساجد فى الدور، و أن تنظف و تطيب.

و روى يحيى من طريق محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل عن أبيه أنه قدم على عمر بن الخطاب بسفط من عود، فلم يسع الناس، فقال عمر: أجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون، فبقيت سنة فى الخلفاء إلى اليوم، يؤتى كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة و يوم الجمعة عند المنبر من خلفه إذا كان الإمام يخطب.

و عن سعد القرظ قال: قدم على عمر بعود، فقسمه بين المهاجرين، ثم قسم للمسجد حظا، فكان يجمره فى الجمع، فجرى ذلك إلى اليوم، و ولاه سعد القرظ؛ فكان الذى يجمر.

و قد تقدم من رواية يحيى أيضا فى الكلام على حكم قناديل الحجرة أن عمر أتى بمجمرة من فضة، و أنه دفعها إلى سعد جد المؤذنين و قال: أجمر بها فى الجمعة و شهر رمضان، و كان سعد يجمر بها فى الجمعة، و كانت توضع بين يدى عمر بن الخطاب.

و روى ابن زبالة عن نعيم المجمر عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال له:

تحسن تطوف على الناس بالمجمرة تجمرهم؟ فقال: نعم، فكان عمر يجمرهم يوم الجمعة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۶

و فى مسند أبى يعلى الموصلى عن ابن عمر أن عمر كان يجمر مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كل جمعة.

## فرش المساجد

قال أصحابنا: و يستحب فرش المسجد، و قد ترجم البخارى للصلاة على الخمرة، و روى عن ميمونة أنها كانت تصلى عليها، و قال ابن زيد: الخمرة هى السجادة، و قال الطبرى: هى مصلى صغير ينسج من سعف النخل و يرسل بالخيوط، و قال البخارى فى صحيحه: و صلّى أنس على فراشه، و قال: كنا نصلى مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيسجد أحدنا على ثوبه، و قال يحيى: حدثنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك عن عمه أبى إسماعيل بن مالك عن أبيه أن طنفسة لعقيل بن أبى طالب كانت تطرح يوم الجمعة إلى جدار المسجد الغربى، فإذا غشى الطنفسة كلها ظل الجدار خرج عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، قال: ثم يرجع بعد صلاة الجمعة فقيّل قائلة الضحى، و رواه ابن زبالة أيضا، و روى يحيى عن عطاء بن أبى رباح أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: تفقدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم. و عن موسى بن يعقوب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم اتبع غبار المسجد بجريدة. و رواه ابن أبى شيبة عن يعقوب بن زيد، و لفظه: أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يتبع غبار المسجد بجريدة.

و قد ذكرنا فى آخر الكلام على فضل المسجد شيئا مما جاء فى النهى عن قربان المسجد لمن أكل الثوم أو البصل، و ذكرنا فى زيادة عمر رضى اللّه عنه فى الكلام على البطيحاء ما جاء فى النهى عن رفع الصوت فيه، و ما يتعلق بإنشاد الشعر فيه، و ذكرنا فى زيادة الوليد ما يتعلق بالصلاة على الجنائز فيه، و روى ابن شبة عن شيبة بن قصاح مرسلا أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إذا رأى أحدكم القملة فى ثوبه و هو فى المسجد فليحفر لها فليدفنها، و ليبصق عليها، فإن ذلك كفارتها. و رواه ابن زبالة ثم روى عن محمد بن المنكدر قال: أخبرنى من رأى أبا هريرة يدفن قملة فى المسجد، و روى يحيى عن يوسف بن ماهك قال: رأيت عبيد بن عمير أخذ من ثوب ابن عمر قملة فدفنها فى المسجد، و عن أبى بكر بن المنكدر قال: رأيت عمى محمد بن المنكدر يأخذ القملة و هو فى المسجد فيقتلها فى المسجد فيزق عليها، و عن جعفر بن محمد قال: لا بأس بأن يدفن القملة فى المسجد.

قلت: و هذه الأشياء لا تقوم الحجة بها. و قد روى أحمد فى مسنده عن أيوب قال:

وجد رجل فى ثوبه قملة فأخذها ليطرحها فى المسجد، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا تفعل ردّها فى ثوبك حتى تخرج من المسجد» و روى ابن شبة بسند جيد عن يحيى بن أبى كثير اليمانى عن الحضرمى أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إذا أبصر أحدكم القملة و هو يصلى فى المسجد فليصرّها فى ثوبه و لا يقتلها فى المسجد. و روى يحيى عن ابن عمر قال: إذا وجد أحدكم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۷

القملة فى ثوبه و هو فى المسجد فليجعلها فى ثوبه حتى يخرج بها. قال النووى: فإن قتلها لم يجز إلقاؤها فى المسجد؛ لأنها ميتة، و كره مالك قتلها فى المسجد، و نقل ابن العماد عن كتب المالكية أنه يحرم طرح القمل حيا، بخلاف البرغوث؛ لأن البرغوث يعيش بأكل التراب، بخلاف القمل ففى طرحه تعذيبه بالجوع، انتهى.

و قد جاءت أحاديث فى النهى عن البيع و الشراء و إنشاد الضالة فى المسجد، و روى ابن أبى عدى الحافظ من حديث على بن أبى طالب قال: صليت العصر مع عثمان أمير المؤمنين، فرأى خياطا فى ناحية المسجد، فأمر بإخراجه، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه يكنس المسجد، و يغلق الأبواب، و يرش أحيانا، فقال عثمان: إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: جنبوا صناعكم من مساجدكم.

قلت: و من المنكرات فى زماننا ما يتساهل فيه المتكلمون فى أمر العمارة من استعمال النشارين و النجارين و الحجارين بالمسجد النبوى للعمل فى آلاته و اكتساب أولئك العمال بذلك، مع ما يتولد من ذلك من الدق العنيف و تشعيث المسجد بما ينشر من النشارة و النجارة و غير ذلك، مع إمكان عمل ذلك خارج المسجد الشريف و الإتيان به مهيأ. و قد قدمنا أن عائشة رضى اللّه عنها كانت تسمع الوتد أو المسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و أن عليا ما صنع مصراعى داره إلا بالمناصع توقيا لذلك، و فى خبر رواه المقدسى فى «مثير الغرام» عن كعب الأحبار أن سليمان عليه السلام قال للعفريت الذى أحضره لقطع الرخام لعمارة بيت المقدس: هل عندك من حيلة أقطع بها الصخر؟ فإنى أكره صوت الحديد فى مسجدنا هذا، و الذى أمرنا اللّه به من ذلك هو الوقار و السكينة، فقال: ابتغ لى وكر عقاب فإنى لا أعلم فى السماء طيرا أشد منه و لا أكثر حيلة، فوجدوا وكر عقاب، فغطى عليه ترسا غليظا من حديد، فجاءه العقاب فلم يقدر عليه، فحلق فى السماء متطلعا فلبث يومه و ليلته ثم أقبل و معه قطعة من السامور، فتفرقت له الشياطين حتى أخذوه منه، فأتوا به سليمان عليه السلام، فكان يقطع به الصخر، انتهى.

و كذلك إدخالهم البغال و الحمير الحاملة لتلك الآلات مع إمكان حمل الرجال لها من باب المسجد، و اللّه الموفق.

و إذا سمع شخص من ينشد ضالة فى المسجد فليقل له: أيها الناشد غيرك الواجد، و ما أشبهه مما ورد، إلا أن يسأل الإنسان جلساءه فليس بذلك بأس، و لا يبلغ بذلك الصوت كما نقله ابن زبالة عن مالك، و من باع فيه قيل له: لا أربح اللّه تجارته، كما ورد مرفوعا.

قال الزين المراغى: و القياس أن يقال للسائل فيه: لا فتح اللّه عليه، كما قاله بعض

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۸

شيوخنا. و فى العتبية أن مالكا كره المراوح فى المسجد، و يجوز النوم فيه من غير كراهة عندنا، و كره بعضهم لغير الغريب الذى لا موضع له غيره، و روى فى ذلك أحاديث.

و أسند أحمد بن يحيى البلاذرى عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال: كان عمر بن الخطاب يعس فى المسجد بعد العشاء، فلا يرى أحدا إلا أخرجه إلا رجلا قائما يصلى، فمر بنفر من أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيهم أبى بن كعب فقال: من هؤلاء؟ فقال أبى: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلّفكم بعد الصلاة؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم، ثم قال لأدناهم: خذ فى الدعاء فدعا، فاستقرأهم رجلا رجلا حتى انتهى إلى و أنا بجنبه، فقال:

هات، فحصرت و أخذنى الخجل، فقال: قل و لو أن تقول: اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا، ثم أخذ عمر فى الدعاء، فما كان أحد أكثر دمعة و لا أشد بكاء منه، ثم قال: تفرقوا الآن، انتهى.

## الحدث فى المسجد

و لا يحرم إخراج الريح من الدبر فى المسجد، لكن الأولى اجتنابه، لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» قال الزركشى: و قال بعض المتكلمين على الحديث من القدماء: الحدث فى المسجد خطيئة يحرم بها المحدث استغفار الملائكة و دعاءهم المرجو بركته.

و روى ابن عدى فى الكامل من طريق حمزة بن أبى حمزة الضبى عن أبى الزبير عن جابر قال: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم نهى أن يمر باللحم فى المسجد، قال ابن عدى: و هذا منكر بهذا الإسناد، لا يرويه عن أبى الزبير غير حمزة، و حمزة يضع الحديث.

قلت: و قد روى ابن شبة نحوه، غير أنه منقطع الإسناد، و يغنى عنه ما ورد من النهى عن اتخاذ المسجد طريقا، و اللّه أعلم.

## القراءة فى المصحف بالمسجد

و قال مالك: لم تكن القراءة فى المصحف بالمسجد من أمر الناس القديم، و أول من أحدثه الحجاج بن يوسف. و قال أيضا: أكره أن يقرأ فى المصحف فى المسجد، و أرى أن يقاموا من المساجد إذا اجتمعوا للقراءة.

قلت: الذى عليه السلف و الخلف استحباب ذلك، و فى الصحيح «إنما بنيت- يعنى المساجد- لذكر اللّه و الصلاة و قراءة القرآن» و هو عام فى المصاحف و غيرها، و قد روى ابن شبة عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة قال: إن أول من جمع القرآن فى مصحف و كتبه عثمان بن عفان رضى اللّه عنه، ثم وضعه فى المسجد، فأمر به يقرأ كل غداة. و عن محرز ابن ثابت مولى سلمة بن عبد الملك عن أبيه قال: كنت فى حرس الحجاج بن يوسف، فكتب الحجاج المصاحف، ثم بعث بها إلى الأمصار، و بعث بمصحف إلى المدينة، فكره ذلك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۱۹۹

آل عثمان، فقيل لهم: أخرجوا مصحف عثمان يقرأ، فقالوا: أصيب المصحف يوم مقتل عثمان. قال محرز: و بلغنى أن مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان، قال:

فلما استخلف المهدىّ بعث بمصحف إلى المدينة؛ فهو الذى يقرأ فيه اليوم، و عزل مصحف الحجاج فهو فى الصندوق الذى دون المنبر، انتهى.

## بعث المصاحف إلى المساجد

و قال ابن زبالة: حدثنى مالك بن أنس قال: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير، و هو أول من أرسل بالمصاحف إلى القرى، و كان هذا المصحف فى صندوق عن يمين الأسطوانة التى عملت علما لمقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان يفتح فى يوم الجمعة و الخميس، و يقرأ فيه إذا صليت الصبح، فبعث المهدى بمصاحف لها أثمان فجعلت فى صندوق و نحى عنها مصحف الحجاج، فوضعت عن يسار السارية، و وضعت منابر لها كانت تقرأ عليها، و حمل مصحف الحجاج فى صندوقه فجعل عند الأسطوانة التى عن يمين المنبر، انتهى.

قلت: و لا ذكر لهذا المصحف الموجود اليوم بالقبة التى بوسط المسجد المنسوب لعثمان رضى اللّه تعالى عنه فى كلام أحد من متقدمى المؤرخين، بل فيما قدمناه ما يقتضى أنه لم يكن بالمسجد حينئذ، بل و لا ذكر له فى كلام ابن النجار، و هو أول من أرّخ من المتأخرين، و قد ترجم لذكر المصاحف التى كانت فى المسجد، ثم ذكر ما قدمناه عن ابن زبالة ثم قال:

و أكثر ذلك دثر على طول الزمان، و تفرقت أوراقه، قال: و هو مجموع فى يومنا هذا فى جلال فى المقصورة أى المحترقة إلى جانب

باب مروان. ثم ذكر أن بالمسجد عدة مصاحف بخطوط ملاح موقوفة مخزونة فى خزائن ساج بين يدى المقصورة خلف مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

قال: و هناك كرسى كبير فيه مصحف مقفل عليه نفذ به من مصر، و هو عند الأسطوانة التى فى صف مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و إلى جانبه مصحفان على كرسيين يقرأ الناس فيهما، و ليس فى المسجد ظاهر سواهما، انتهى. و لم أر نسبة المصحف الموجود اليوم لعثمان رضى اللّه عنه إلا فى كلام المطرى و من بعده عند ذكر سلامة القبة التى بوسط المسجد من الحريق كما قدمناه.

نعم ذكر ابن جبير فى رحلته ما حاصله أن أمام مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- و قد عبر عنه بالروضة الصغيرة- صندوقا، و أن بين المقام و بين الحجرة- أى بجانب المقام من جهة المشرق- محمل كبير عليه مصحف كبير فى غشاء مقفل عليه هو أحد المصاحف الأربعة التى وجّه بها عثمان بن عفان رضى اللّه عنه إلى البلاد، انتهى.

و هذا المصحف الذى أشار إليه ينطبق فى الوصف على المصحف الذى ذكر ابن النجار أنه نفذ به من مصر، و لم يصفه بما ذكره ابن جبير من نسبته لعثمان، مع أن ابن جبير

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۰

مصرّح بأنه من المصاحف التى بعث بها عثمان إلى الآفاق، لا أنه الذى قتل و هو فى حجره، و قد قال ابن قتيبة: كان مصحف عثمان الذى قتل و هو فى حجره عند ابنه خالد، ثم صار مع أولاده و قد درجوا. قال: و قال لى بعض مشايخ أهل الشام: إنه بأرض طوس، انتهى.

و قال الشاطبى ما حاصله: إن مالكا رحمه اللّه قال: إنما يكتب المصحف على الكتابة الأولى، لا على ما استحدثه الناس. قال: و قال: إن مصحف عثمان رضى اللّه عنه تغيب فلم يجد له خبرا بين الأشياخ. و قال أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه فى القراءات: رأيت المصحف الذى يقال له الإمام مصحف عثمان بن عفان رضى اللّه عنه، استخرج لى من بعض خزائن الأمراء، و هو المصحف الذى كان فى حجره حين أصيب، و رأيت آثار دمه فى مواضع منه. و رده أبو جعفر النحاس بما تقدم من كلام مالك. قال الشاطبى: و أباه المنصفون لأنه ليس فى قول مالك «تغيّب» ما يدل على عدم المصحف بالكلية بحيث لا يوجد؛ لأن ما تغيب يرجى ظهوره.

قلت: فيحتمل أنه بعد ظهوره نقل إلى المدينة، و جعل بالمسجد النبوى. لكن يوهن هذا الاحتمال أن بالقاهرة مصحفا عليه أثر الدم عند قوله تعالى: فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ [البقرة:

۱۳۷] الآية كما هو بالمصحف الشريف الموجود اليوم بالمدينة، و يذكرون أنه المصحف العثمانى، و كذلك بمكة، و المصحف الإمام الذى قتل عثمان رضى اللّه عنه و هو بين يديه لم يكن إلا واحد، و الذى يظهر أن بعضهم وضع خلوقا على تلك الآية تشبيها بالمصحف الإمام، و لعل هذه المصاحف التى قدمنا ذكرها مما بعث به عثمان رضى اللّه عنه إلى الآفاق، كما هو مقتضى كلام ابن جبير فى المصحف الموجود بالمدينة، و فى الصحيح من حديث أنس فى قصة كتابة عثمان رضى اللّه عنه للقرآن من الصحف التى كانت عند حفصة «و أنه أمر بذلك زيد بن ثابت و عبد اللّه بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف، و أنه أرسل إلى كل أفق بمصحف كما نسخوا».

## مصاحف عثمان التى أرسلها إلى الآفاق

و اختلف فى عدة المصاحف التى ارسل بها عثمان إلى الآفاق؛ فالمشهور كما قال الحافظ ابن حجر أنها خمسة. و أخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف من طريق حمزة الزيات قال:

أرسل عثمان أربعة مصاحف، و بعث منها إلى الكوفة بمصحف، فوقع عند رجل من مراد فبقى حتى كتبت مصحفى عليه. قال ابن أبى داود: و سمعت أبا حاتم السجستانى يقول:

كتب سبعة مصاحف، و أرسلها إلى مكة، و إلى الشام، و إلى اليمن، و إلى البحرين، و إلى البصرة، و إلى الكوفة، و حبس بالمدينة واحدا، انتهى.

و ليس معنا فى أمر المصحف الموجود اليوم سوى مجرد احتمال، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۱

### تعليق المصابيح فى المسجد وصف عام

و يستحب تعليق المصابيح فى المسجد و قد قدمنا ما يقتضى أن تميما الدارى أول من فعل ذلك فى زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و قيل: أول من فعله عمر بن الخطاب، لما جمع الناس فى التراويح على إمام واحد. و روى ابن زبالة عن يوسف بن مسلم قال: كان زيت قناديل المسجد يحمل من الشام، حتى انقطع ذلك فى ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة، فجعله على سوق المدينة.

قال: ثم لما طرح ما يؤخذ من العنب عن الناس فى ولاية داود بن عيسى على المدينة سنة ثمان و تسعين و مائة أخرج من بيت المال.

قال: و لم يزل رزق صاحب زيت المسجد ثلاثة دنانير تجرى عليه فى كل شهر من بيت المال، و عليه فيها ما تكسر من القناديل، انتهى.

و قال ابن النجار: و فى يومنا هذا يصل الزيت من مصر من وقوف هناك، و مقداره سبعة و عشرون قنطارا بالمصرى، و يصل معه مائة و ستون شمعة بين كبار و صغار، و علبة فيها مائة مثقال ند لتجمير المسجد، انتهى.

قلت: و فى زماننا يحمل له من الزيت من مصر و الشام زيادة على مائة قنطار بعضها من أوقاف تحت نظر قاضى الشافعية بمصر و بعضها تحت نظر الإمام بمصر، و اللّه أعلم.

## الفصل الحادى و الثلاثون فيما احتوى عليه المسجد من الأروقة و الأساطين و البالوعات و السقايات و الدروع، و غير ذلك مما يتعلق به من الرسوم

### وصف عام

قال ابن جبير: إن المسجد النبوى مستطيل يحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به، و وسطه كله صحن، فجهة القبلة منها- يعنى المسقف القبلى- خمس بلاطات، يعنى أروقة، و قد قدمنا أنه زيد فيه رواقان آخرون فصار سبعة أروقة آخذة من المشرق إلى المغرب، قال:

و الجهة الشامية خمسة أروقة أيضا.

قلت: و هذا موافق لما قدمناه فى زيادة المهدى عن ابن زبالة من أنه جعل خمس أساطين فى السقائف الشامية، و قدمنا أن الموجود به اليوم أربع فقط، و ذلك أربعة أروقة، فكأنه لما زيد بعد الحريق الأول الرواقان فى مسقف القبلة اختصروا رواقا من المسقف الشامى فأدخلوه فى صحن المسجد، و لم أر من نبه على ذلك من المؤرخين، و هذا المسقف هو المسمى اليوم بالدكاك؛ لارتفاعه على بقية أرض المسجد، و لم أعلم وقت حدوث ذلك، و لم يتعرض ابن جبير لذكر ارتفاعه مع ذكره لما دون ذلك، و قد كانت رحلته قبل حريق المسجد الأول فلعل ذلك مما حدث بعده، كما حدثت الدكتان اللتان بجنبتى المسجد فى الحريق الثانى كما سبق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۲

### جدران المسجد

و حدث فى زماننا قبيل ذلك عند طرف الدكاك القبلى مما يلى المغرب دكة بارزة هناك، و هى الدكة التى وضع بها ما أخرج من جوف الحجرة الشريفة من الهدم فى العمارة التى أدركناها.

و فى كلام ابن زبالة ما يؤخذ منه تسمية المسقف الشامى بسقائف النساء.

قال ابن جبير: و الجهة الشرقية ثلاثة أروقة آخذة من القبلة إلى الشام، و الجهة الغربية أربعة كذلك، هذا ما ذكره ابن جبير إلا أنه عبر فى الجميع بالبلاطات بدل الأروقة، و كذا صنع ابن عبد ربه فى العقد، و هو مطابق لما عليه المسجد اليوم، إلا ما أشرنا إليه فى المسقف القبلى و الشامى.

قال ابن جبير: و نصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع إزارا على إزار، أى: وزرة فوق أخرى، مختلف الصنعة و اللون، مجزع أبدع تجزيع، و النص الأعلى من الجدار منزل كله بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء قد أنتج الصناع فيه نتائج من الصنعة غريبة تضمنت تصاوير أشجار مختلفات الصفات مائلة الأغصان بثمرها، و المسجد كله على تلك الصنعة، لكن الصنعة فى جدار القبلة أحفل، و الجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك، و من جهة الشام أيضا، و الغربى و الشرقى الناظران إلى الصحن مجددان أيضا و مقرنصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة، إلى ما يطول وصفه، انتهى.

و وصف ابن عبد ربه فى «العقد» ما فى جدار القبلة من وزارت الرخام و طرر الذهب و الفسيفساء، ثم قال: و حيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام و الذهب و الفسيفساء أولها و آخرها.

و ذكر أيضا أن رءوس الأساطين مذهّبة عليها أكف منقشة مذهّبة، و كذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضا.

قلت: و قد زال ذلك كله بسبب الحريق الأول، و بقى من آثاره شىء يسير فى مؤخر المسقف الغربى بجدار المسجد مما يلى الدكاك، و شىء يسير بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلى بابها فيه شىء من الفسيفساء. و أما جدار القبلة فليس به اليوم إلا لوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف، و هو من الآثار القديمة، و كان يقابله فى جهة يسار المستقبل لوح مثله سقط قريبا، ثم زال ذلك كله فى الحريق الثانى. و بالجدار المذكور اليوم وزرة رخام أول من أحدثها بعد الحريق الأول الظاهر جقمق كما قدمناه مع بيان أن المحراب العثمانى و ما حوله كان مرخما قبل ذلك، و بقية المسجد مبيض أحسن بياض.

و فى جدار القبلة عصابتان من طراز تقدم ذكرهما أيضا، و كان قد انقشر من العليا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۳

منهما شىء يسير، فقلع متولى العمارة التى أدركناها ذلك و ما حوله، و جعله طرازا باسم سلطاننا الأشرف قايتباى أعز اللّه أنصاره، و وصله ببقية العصابة المذكورة. و تقدم أيضا ذكر الطراز الآخر من جهة السقف إلى قرب العصابة المذكورة، و بيان أن الذى ترجح عندى أنه جعل لتمييز المسجد النبوى عما زيد فيه، و قد زال ذلك كله بعد الحريق الثانى، و أعادوا منه ترخيم جدار القبلة كما سبق.

### عدد أساطين المسجد

و أما عدد الأساطين فذكر ابن زبالة أنها مائتان و ستة و تسعون أسطوانا، منها فى جدار القبر الشريف ستة. و ذكر ابن النجار أيضا ما يؤخذ منه ذلك.

و قال ابن جبير: عدتها مائتان و تسعون أسطوانا، و لا مخالفة بينهما؛ لأن ابن جبير لم يعتبر الأساطين الست التى فى جدار القبر الشريف، و ليس فيه خلل إلا بأسطوان واحد؛ لأن الذى اقتضاه تحريرنا أن جملة الأساطين التى كانت فى ذلك الزمان بما فى جدار القبر مائتان و خمسة و تسعون أسطوانا؛ لأن المسقف الغربى أربعة صفوف، فإذا اعتبرتها من الجدار القبلى إلى الجدار الشامى كان كل صف ثمانية و عشرين أسطوانا، فجملة هذا المسقف مائة أسطوان و اثنا عشر أسطوانا، و المسقف الشرقى ثلاثة صفوف كل صف منها ثمانية و عشرون أيضا إلا الصف الأوسط فإنه ينقص أسطوانا كما ظهر لنا عند انكشاف الحجرة؛ لأن الأسطوانة الملصقة إلى جدار

الحجرة الشامى الـذى فى جوف الجـدار الظاهر التى تقـدم أن متولى العمارة أدخلها فى عرض ذلك الجـدار فى الصف المذكور إنما يقابلها فيه الأسـطوان الـداخل بعضـها فى الجدار الظاهر من جهة القبلة، و كان مقتضـى وضع الأساطين فى مقابلة بعضـها بعضا من كل جانب أن تكون بينها أسـطوانة أخرى فى موازاة الأسطوانة التى بين مربعة القبر و أسطوان الصندوق الداخلة فى الجدار الظاهر، لكن لم يتأتّ ذلك؛ لكونها تكون حينئذ فى جوف الحجرة الشـريفة، فسـقط بسـبب ذلك فى هذا الصف أسـطوان، و خفى ذلك على من لم يشاهد الحجرة الشـريفة. و حينئذ فجملة أساطين المسقف الشرقى من جدار القبلة إلى الجدار الشامى ثلاثة و ثمانون أسطوانا، و الباقى بعـد ذلك فى المسـقف القبلى ما يوازى صـحن المسـجد فقط، و هو خمسـة صـفوف كل صف عشـرة أساطين فجملة ذلك خمسون أسـطوانا، و الباقى أيضا فى المسـقف الشامى خمسة صفوف تقابل ذلك و جملتها خمسون أسطوانا، فجملة أساطين المسجد بما دخل فى جدار القبر مائتان و خمسة و تسـعون أسـطوانا- بتقديم التاء- و فى مؤخر المسـقف الغربى أسطوانتان ملتصقتان إلى الجدار الغربى لم تدخلا فى هذه العدة.

و أما عدد أساطين المسجد اليوم فقد تقدم أنه زيد فى المسقف القبلى من ناحية صحن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۴

المسـجد رواقان و نقص من المسقف الشامى من ناحية الصحن رواق، فيزيد على ما تقدم عشرة أساطين، و ذلك خارج عن الأساطين التى أحدثت لأجل السقف البارز فى رحبة المسجد أمام الباب الشامى من المقصورة المستديرة على الحجرة الشريفة.

و حدث فى العمارة المتجددة بعد الحريق إسـقاط أسـطوان كانت بين الأسـطوان التى إليها المصلّى النبوى و بين المحراب العثمانى، و ضم بعض أساطين أخرى إلى الأساطين التى هناك، و فيما حول الحجرة الشـريفة، و إبـدال بعضـها بدعائم على ما سـبقت الإشارة إليه فى الفصل التاسع و العشـرين مع ما حـدث من التغيير فى أساطين المسـقف القبلى، و كانت أساطين المسـجد كلها- كما قال ابن جبير فى وصـفها- أعمدة متصـلة بالسـمك دون قسى ينعطف عليها، فكأنها دعائم قوائم، و هى من حجر منحوت قطعا ململمة مثقبة، يوضع أنثى فى ذكر، أى بأعمدة الحديد، و يفرغ بينها الرصاص إلى أن يتصل عمودا قائما، و يكسى بغلالة جيار، و يبالغ فى صقلها و دلكها، فتظهر كأنها رخام أبيض.

قلت: و أراد بالقسـى ما نسـميه اليوم بالقناطر المعقودة حول صـحن المسـجد، و أما الأساطين الداخلة فى الأروقة فإنها متصلة بالسقف، سوى الرواقين اللذين يليان رحبة المسـجد من المسـقف القبلى، ثم جعل المسـقف القبلى كنسـبتهما بعد العمارة المتجددة بعد الحريق الثانى كما سبق.

و قد عبر ابن النجار- تبعا لمن قبله- عن تلك العقود بالطاقات، فقال: و أما طاقاته أى المحيطة بالصـحن ففى القبلة إحدى عشرة طاقة، و فى الشامى مثلها، و فى المشـرق و المغرب- أى كل جانب منهما- تسع عشـر طاقة، و بين كل طاق و طاق أسطوان، و رأس الطاقات مسدود بشبابيك من خشب.

قلت: و هو موافق لكلام ابن زبالة فيما يلى المشرق و المغرب، مخالف له فيما يلى القبلة و الشام؛ فإنه قال: و عدد طاقاته مما يلى القبلة اثنتا عشـرة طاقة، و مما يلى الشام اثنتا عشرة، و مما يلى المشرق تسع عشرة، و مما يلى المغرب تسع عشرة، فذلك اثنتان و ستون طاقة، انتهى.

و هذا لا يتم إلا على تقدير أن يكون المسـقف الغربى ثلاثة أروقة فقط كالمسقف الشرقى، فتكون العقود التى تلى القبلة و الشام اثنى عشر، و ما تقدم فى عدد الأساطين ينافيه؛ فالصواب ما ذكره ابن النجار.

و عـدد قناطره المحيطـة برحبته اليوم من جهة القبلة و الشام موافق لما ذكره ابن النجار؛ فإنها من كل جانب إحدى عشـرة، غير أن باب المقصورة الشامى و ما أحدث له من السقف أمامه سد واحدة من تلك القناطر القبلية.

و أما عدد قناطره من المشرق و المغرب فقد نقصت واحدة من كل جهة؛ لما تقدم من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۵

زيادة الرواقين بالمسقف القبلى، و نقص رواق من المسقف الشامى، فصار عدد القناطر فى كل جانب منهما ثمانى عشرة قنطرة.

و المسدود اليوم بالشبابيك من رءوس القناطر إنما هو رءوس القناطر القبلية و بعض ما يليها من القناطر الشرقية، ثم زال ذلك فى الحريق الثانى، و قد ذكر ابن زبالة عن محمد بن إسماعيل قال: أدركت المسجد كان يضيق عن الناس يوم الجمعة حتى يصلى بعضهم فى دار القضاء، و هى يومئذ مبنية، و فى دار ابن مكمل، و فى دار النحامين، و فى دار عاتكة، قال:

فلما قدم أبو جعفر المنصور المدينة سنة أربعين و مائة أمر بستور فستر بها صحن المسجد على عمد لها رءوس كقريات الفساطيط، و جعلت فى الطّيقان- أى القناطر المتقدم ذكرها- فكانت الريح تدخل فيها، فلا يزال العمود يسقط على الإ، سان، فغيّرها و أمر بستور هى أكثف من تلك الستور و بحبال، فأتى بها من جدة من حبال السفن القنبار، و جعلت على سبيك حبالها اليوم، فكانت تجعل على الناس كل جمعة، فلم يزل كذلك حتى خرج محمد بن عبد اللّه بن حسن يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس و أربعين و مائة، فأمر بها فقطعت دراريع لمن كان يقاتل معه، فتركت حتى كان زمان هرون أمير المؤمنين فأحدث هذه الأستار، و لم يكن يعنى صحن المسجد يستر زمان بنى أمية.

قلت: و هذا شيء قد انقطع قديما لعدم الاحتياج إليه لما قلّ الناس بالمدينة، حتى إن كثيرا من الأروقة لا يمتلئ بالناس.

و بالمسجد اليوم ستارة بالقرب من باب الحجرة الشامى ترخى على ما يليه من القناطر الشرقية لتقى من يجلس هناك من خدام المسجد حر الشمس.

و قال ابن زبالة و يحيى: و كان ماء المطر إذا كثر فى صحن المسجد يغشى السقائف التى فى القبلة، و كانت حصباء تلك الناحية تسيل إلى صحن المسجد، فجعل بين القبلة و الصحن لاصقا بالسوارى حجاب من حجارة من المربعة التى فى غربى المسجد إلى المربعة التى فى شرقيه على القبر، فمنع الماء من الصحن أن يغشى القبلة و من حصباء القبلة أن يصير إلى الصحن. و عبارة يحيى: فأمر أبو البحترى بحجارة فجعلت ردا لذلك الماء الذى كان يدخل و الحصباء التى كانت تسيل فيما بين المربعة التى كانت عند القبر و المربعة التى فى غربى المسجد، و جعل ذلك لاصقا بالسوارى.

قلت: و المراد أنه جعل أحجار الحجاب المذكور فيما بين السوارى التى تلى رحبة المسجد من المشرق إلى المغرب، و قد كانت مربعة القبر أول السوارى المذكورة من جهة المشرق؛ لأنها فى صف أسطوان الوفود كما قدمناه، و ذلك الصف كان آخر المسقف القبلى، و كانت المربعة الغربية فى آخر السوارى المذكورة مما يلى المغرب، و هى الأسطوان المثمنة اليوم

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۶

التى بينها و بين ركن صحن المسجد الغربى اليوم أسطوانتان بسبب زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما فى مؤخر المسقف المذكورة، و هذا الحجاب المذكور قد اندفن اليوم فلا يظهر منه شيء، و الظاهر أنه كان بين السوارى المطيفة بصحن المسجد من المشرق و المغرب حجاب مثل ذلك، و كانت بقاياه ظاهرة فيما يلى الدكاك من المسقفين المذكورين قبل حدوث ما سبق من الدكاك بهما، و المسقف القبلى اليوم أرضه عالية على ما يليه من الصحن يسيرا؛ فلا يغشاه مياه الأمطار، لكن وطأه متولى العمارة بعد الحريق الثانى حتى ساوى به أرض المصلى الشريف كما سبق، فاحتاج إلى عمل حجاب من الأحجار بين السوارى التى تلى رحبة المسجد من جهة القبلة و ما حولها.

## عدد بالوعات المسجد

و أما عدد البالوعات بصحن المسجد فقد ذكر ابن زبالة و يحيى أن به أربعا و ستين بالوعة لماء المطر عليها أرحاء لها صمائم من حجارة يدخل الماء من خلالها.

قلت: و لا يظهر به اليوم غير بالوعة واحدة لها فوّهتان، و هى عند الحجرين المتقدم ذكرهما فى تجديد المسجد، و إحدى الفوهتين إلى جانب الحجرين من القبلة، و الثانية إلى جانبهما من جهة الشام، و يجتمعان فى بئر واحدة هناك، و عليهما حجران كالأرحاء، و فى أسفل ما على فوهتيهما من ذلك مشبك يدخل الماء من خلاله ليمنع نزول الحصباء هناك، و مع ذلك فقد بحروها فى العمارة المتقدم ذكرها أولا، فخرج منها شىء كثير من الحصباء.

## سقايات المسجد

و أما السقايات التى كانت به فذكر ابن زبالة أنه كان فى صحن المسجد فى زمنه تسع عشرة سقاية، و ذلك فى صفر سنة تسع و تسعين و مائة، منها ثلاث عشرة أحدثتها خالصة، و هى أول من أحدث ذلك، و منها ثلاث سقايات لزيد البربرى مولى أمير المؤمنين، و منها سقاية لأبى البحترى وهب بن وهب، و منها سقاية لشجن أم ولد هارون أمير المؤمنين، و منها سقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبى جعفر. و قد أورد ذلك ابن النجار مترجما عليه بذكر السقايات التى كانت فى المسجد، ثم قال: و أما الآن فليس فى المسجد سقاية إلا فى وسطه. قال: و فيه بركة كبيرة مبنية بالآجر و الجص و الخشب ينزل إليها بدرج أربع فى جوانبها، و الماء ينبع من فوارة فى وسطها تأتى من العين، و لا يكون الماء فيها إلا فى أيام المواسم إذا جاء الحاج، و بقية السنة تكون فارغة. عملها بعض الأمراء بالشام، و اسمه شامة. قال: و عملت الجهة أم الخليفة الناصر لدين اللّه فى مؤخر المسجد سقاية كبيرة فيها عدة من البيوت، و حفرت لها بئرا، و فتحت لها بابا إلى المسجد فى الحائط الذى يلى الشام، انتهى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۷

قلت: الذى يظهر من كلام ابن زبالة أنه أراد بالسقايات ما يجعل لأجل الشرب، و ظاهر ما ذكره ابن النجار أن المراد بذلك ما يجعل للوضوء. و ذكره لما عملته أم الخليفة الناصر لدين اللّه صريح فى ذلك، فإنه يعنى بذلك الميضأة التى بابها فى حائط المسجد الشامى، و كان لها باب آخر من خارج سد قديما، و هو ظاهر فيما يلى المسجد من المغرب.

و قوله «فيها عدة بيوت» أى عدد الأخلية التى بها.

و قوله أولا «فأما الآن فليس فى المسجد سقاية إلا فى وسطه» الظاهر أنه يريد السقاية التى كانت للشرب بوسط المسجد.

و قد ذكرها البدر بن فرحون فقال: و لقد كان فى وسط المسجد سقاية يحمل إليها الماء من العين بناها شيخ الخدام فى ذلك الوقت، و وقف عليها أوقافا من ماله و كانت متقدمة على النخل تقديرها خمسة عشر ذراعا فى مثلها، و جعل فى وسطها مصرفا للماء مرخما، و نصب فيها مواجير للماء و أزيارا و دوارق و أكوازا، و حجّرها بالخشب و الجريد، و جعل لها غلقا من حديد، و استمرت السنين العديدة، فكثر الشر فيها، و التزاحم عندها، و صار يدخلها من يتوضأ فيها فربما يزيل فيها الأذى، من استقرب المدى، ثم تعدى الحال و زاد شرها. و ذكر فتنة اتفقت للخدام مع بعض الأشراف بسببها، قال: فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها أزيلت عن اجتماع من القاضى شرف الدين الأميوطى و الشيخ ظهير الدين، انتهى.

و أما البركة التى ذكرها ابن النجار فإنها مذكورة فى كلام المطرى، و اقتضى كلامه نسبتها لابن أبى الهيجاء، فإنه ذكر ما سيأتى عنه فى الكلام على العين الزرقاء من أن ابن أبى الهيجاء فى حدود الستين و خمسمائة أمدّ منها شعبة و أوصلها إلى الرحبة التى عند المسجد من جهة باب السلام، يعنى سوق المدينة اليوم. ثم قال: و كان قد جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد، و جعل لها منهلا بدرج عليه عقد يخرج الماء من فوارة يتوضأ منها من يحتاج إليه، فحصل بذلك انتهاك حرمة المسجد الشريف من كشف العورات و الاستنجاء فى المسجد، فسدّت لذلك، انتهى.

قلت: و قد رأيت آثار درجها فى غربى النخيل التى بصحن المسجد قريبا منها، و ليس بالمسجد اليوم شىء من السقايات إلا ما يحمل إليه من الدوارق المسبّلة فيشربها الناس فى أوقات مخصوصة، إلا أن خزانة الخدام الآتى ذكرها لا يزال بها ماء لأجل شربهم. ثم لما

عمر سلطان زماننا الأشرف مدرسته التى بين باب الرحمة و باب السلام جعل فيها سبيلا مما يلى باب الرحمة له شباك إلى المسجد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۸

## حواصل المسجد

و أما الحواصل و الخزائن التى بالمسجد الشريف ففيه القبة التى بصحنه، و قد مر ذكرها، و غالب ما يوضع فيها اليوم زيت وقود المسجد، و تقدم أن المصحف المنسوب إلى عثمان رضى اللّه تعالى عنه موضوع بها.

و بالمسجد أيضا أمام كل من المنارات الأربع خزانة، إلا أن ما أمام المنارتين القبليتين من ذلك أصلى، بخلاف المنارتين الشاميتين فإنه محدث، و لذلك قال البدر بن فرحون: و ما أحق بالإزالة ما أحدث بالمنارتين الشاميتين؛ إذ قدم بابهما على بابيهما الأصليين، و جعل ما بين البابين فى كل منارة خلوة اقتطع بها جانب من المسجد كبير لا شك فى تحريمه، انتهى.

و فى جهة المغرب أيضا إلى جانب باب المنارة الشمالية الغربية المعروفة بالخشبية- سميت بذلك لأن حد الخشبتين كان يؤذن بها- خزانة صغيرة يضع بعض الخدام فرشهم فيها، و ربما أقام بها من يريد الاعتكاف بالمسجد و يليها فى جهة المغرب أيضا حاصلان كبيران يوضع فيهما القناديل الزجاج و بعض آلات المسجد، و فى الأول منهما مما يلى الخزانة المذكورة وضعت كتبى، و كنت أجلس به للمطالعة و الاعتكاف فإنه من المسجد، و اتفق لى فى سبب الإقامة به أمر ليس هذا محل ذكره.

و يقابل ذلك فى جهة المشرق مما يلى المنارة المعروفة بالسنجارية خلوة كبيرة فيها فرش الخدام أيضا، و إلى جانبها خزانتان إحداهما بيد من تكون له النوبة من الفراشين يضع فيها فوانيس المسجد و نحوها، و الثانية بيد الخدام أيضا، و فى جهة المشرق قريبا من باب جبريل بينه و بين باب النساء خزانة يضع فيها الخدام الماء لشربهم و بعض فرشهم و أمتعتهم، و هى المذكورة فى كلام ابن جبير حيث قال: و فى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود هو موضع مبيت بعض السّدنة الحارسين للمسجد المبارك، قال: و سدنته فتيان أحابيش و صقالبة ظراف الهيئة نظاف الملابس و الشارات، انتهى، و إلى جانب الخزانة المذكورة صندوق يوضع فيه ما يستخرج من القبة من الزيت للوقود فى كل ليلة.

و فى غربى المسجد بين باب الرحمة و باب السلام حاصل يوضع فيه النورة، يعرف بابه بخوخة أبى بكر رضى اللّه تعالى عنه، فإنها كانت فى محاذاته كما تقدم، فلما زيد فى المسجد جعلوا هناك خوخة فى المسجد تحاذى الخوخة الأولى و قد جعل لذلك ثلاثة أبواب عند عمارة المدرسة الأشرفية، و محل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك إذا دخلت من باب السلام.

## قناديل المسجد

و أما عدد قناديله فذكر ابن زبالة أنها مائتان و تسعون قنديلا فى زمانه، و جملتها فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۰۹

زماننا مائتا قنديل و ستة و خمسون قنديلا، هذه الدائمة، و نحو المائة قنديل يسرجونها فى بعض الأوقات، و يجعلون فى كل قنطرة من القناطر التى تلى صحن المسجد من مقدمه و جنبتيه ثلاثة قناديل، و يقتصرون فى بعض الأوقات على واحد فى كل قنطرة كما فى القناطر التى فى مؤخر المسجد، سيما إذا قلّ عندهم الزيت، و حدث بعد الحريق الثانى زيادة سلاسل كثيرة معدة لتعليق القناديل بها، و بصحن المسجد أربعة مشاعيل اثنان فى جهة القبلة و اثنان فى جهة الشام، و كل واحد كالأسطوانة، و بأعلاه مسرجة عظيمة تشعل فى ليالى الزيارات المشهورة، و لا أدرى ابتداء حدوث ذلك، و يزيدون تنانير و بزاقات فى مقدم الروضة و ما حولها، و يحتفلون بذلك سيما فى ليلة سبع و عشرين من رمضان، و يسرجون فى كل ليلة منه نحو أربعين شمعة، و يضعونها على شمعدانات كبار فى قبلة الروضة و الحجرة، و فى غربى المنبر، و بعضها فى محراب الحنفية الآتى ذكره.

و للمسجد فوانيس عدتها ستة، يطوف بها الخدام بعد صلاة العشاء الآخرة لإخراج الناس من المسجد عند غلق أبوابه، و لا يدعون به إلا الخدام و من له نوبة من أرباب وظائفه.

و ذكر البدر بن فرحون فى ترجمته شبل الدولة كافورا المظفرى شيخ الخدام المعروف بالحريرى أن من آثاره الحسنة تبطيل الطوف بالشعل من جريد النخل و تبديلها بالفوانيس التى يطوفون بها اليوم كل ليلة، و ذلك أنهم كانوا قبل الحريرى و صدرا من ولايته يأخذ عبيد الخدام و بعض الفراشين شعلا من سعف النخل فيطوفون بها عوض الفوانيس اليوم يجرون بها كأشد ما يكون من الجرى، فإذا وصلوا باب النساء خرجوا بها و خبطوا ما بقى معهم منها، و كانت تسود المسجد و تسود بابه أيضا، و فيها من البشاعة ما لا يخفى، فأمر بالفوانيس عوضها رحمه اللّه تعالى.

## فى صحن المسجد نخيل مغروسة

و بصحن المسجد نخيل مغروسة، و لم أدر ابتداء حدوث ذلك، إلا أن ابن جبير قال فى رحلته عند ذكر القبة التى بصحن المسجد ما لفظه: و بإزائها فى الصحن خمس عشرة نخلة، انتهى.

و قال البدر ابن فرحون: إن أول من أدرك من مشايخ الخدام الشيخ عزيز الدولة، قال: و فى أيامه غرس كثير من هذا النخل الذى بالمسجد اليوم، و كان منه شىء قبل العزيزى، و مات أكثره، انتهى.

و ذكر المجد عزيز الدولة و قال: إن غرس أكثر هذا النخل كان فى زمانه، ثم قال:

و كأنه لم يتعرض أحد لإنكار هذه البدعة إجلالا لشأنه، أو خوفا من لسانه، أو تمكينا له من



الاقتداء بمن غرسه قبله و خنق فى عنقه من هذا المنكر حبله، و قد انجعفت تلك النخيل لهبوب عاصفة هبت فى أواخر مشيخة ياقوت الرسولى، ثم أعيد الغراس، و وقع الإنكار من بعض الناس، لكن لم يصادف كلامه محلا من الإشارة و الإفادة، و لعله سوغ حملا على احتمال أنه لم يغرس أولا إلا بنوع من الاستحقاق، لكن لا يخفى ما فى اعتماد الاحتمال البعيد من قلة التقى.

قلت: و قد أراد طوغان شيخ أن يزيد فيه سنة ثلاث و سبعين و ثمانمائة، فأنكرت ذلك، و قام بعض أهل الخير فى المنع منه، فبطل ذلك و لله الحمد.

## أئمة المسجد

و لم يزل المسجد النبوى بإمام واحد يصلى بالناس فى مقام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و يتقدم أيام الموسم إلى المحراب العثمانى، حتى سعى طوغان شيخ المذكور فى إحداث محراب للحنفية فى دولة الأشرف إينال، فقام أهل المدينة فى منعه، و ساعدهم على ذلك من أرباب الدولة المصرية صاحب الشيم المرضية جمال الدين يوسف ناظر الخواص الشريفة، تغمده الله برحمته، فلم يتم لطوغان المذكور ذلك، فلما توفى المشار إليه أعاد طوغان السعى فى الدولة المذكورة، فبرزت المراسيم به بعد الستين و ثمانمائة، و استمر إلى زماننا فيصلى إمامه الصلوات الخمس عقب انصراف إمام المحراب النبوى، و هو إمام الشافعية، إلا فى التراويح فيصليان معا، و هذا الأمر دبّ إلى المدينة الشريفة من مكة المشرفة.

و قد قال الزركشى: إن السبب فى حدوث ذلك بها أن الإمام كان فى ذلك الوقت مبتدعا، فعند ما امتنع الناس من إقامة الجماعة مع إمامهم الذى أقاموه سمحوا للناس فى اتخاذ أئمة لأنفسهم، و استمر الأمر عليه، و كذا جرى مثله فى بيت المقدس و جامع مصر قديما، انتهى.

و قد بينا حكم ذلك فى كتابنا الموسوم «بدفع التعرض و الإنكار، لبسط روضة المختار».

## عرض جدار المسجد

و قال ابن زبالة و يحيى: و عرض منقبة جدار المسجد مما يلى المغرب ذراعان ينقصان شيئا، و عرض منقبته مما يلى المشرق ذراعان و أربعة أصابع، و إنما زيد فيه لأنها من ناحية السيل.

قلت: و هذا لأن السيل كان يغشى المسجد من تلك الجهة، و لهذا سقط جدار الحجرة الشرقى كما قدمناه، و سقط أيضا جدار المسجد من الناحية المذكورة كما قدمناه من قول ابن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۱

زبالة «أخاف المسجد من شرقيه فى سلطان محمد بن عبد اللّه الربعى من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب من ناحية موضع الجنائز فأمر به فبنى» انتهى.

و قد قدمنا فى زيادة الوليد ما رواه يحيى من طريق ابن زبالة فى ذرع عرض المسجد، و بينا فساده، و الصواب ما ذكره ابن زبالة فى أواخر الكلام على المسجد؛ فإنه ذكر ذرع مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الأول عرضا و طولا، ثم قال: و ذرع مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم اليوم ذرع عرضه من مقدمه فى القبلة بين المشرق و المغرب مائة و خمسة و ستون ذراعا، ينقص مؤخره عن مقدمه خمسة و ثلاثين ذراعا، و طوله من اليمن إلى الشام مائتان و أربعون ذراعا.

قلت: و قد حررت ذرعه فكان عرضه من مقدمه فى القبلة مائة ذراع و سبعة و ستين ذراعا و نصفا، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ذراعين و نصفا، و ذلك لاختلاف الأذرعة أو لرخاوة الحبل الذى وقع القياس به، و نحو ذلك.

و كان عرضه من مؤخره فى الشام مائة و خمسة و ثلاثين ذراعا فيزيد على ما ذكره خمسة أذرع.

و كان طوله من القبلة إلى الشام مائتى ذراع و ثلاثة و خمسون ذراعا، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ثلاثة عشر ذراعا.

و قد ذكر ابن النجار ما يوافق ذرعنا هذا مع مخالفة يسيرة فقال: طول المسجد اليوم من قبلته إلى الشام مائتا ذراع و أربعة و خمسون ذراعا و أربعة أصابع، و من شرقيه إلى غربيه- يعنى فى مقدمه- مائة ذراع و سبعون ذراعا صافية، انتهى.

قال ابن زبالة: و طول رحبة المسجد- يعنى صحنه- من اليمن إلى الشام مائة و خمسة و ستون ذراعا، و عرضها بين المشرق و المغرب ثمان و تسعون ذراعا، انتهى.

و ذكر ابن النجار أن طولها مائة و تسعة و خمسون ذراعا و ثلاثة أصابع، و عرضها سبع و تسعون ذراعا راجحة.

قلت: و طول رحبة المسجد اليوم من القبلة إلى الشام مائة ذراع و اثنان و خمسون ذراعا و نصف ذراع، فإذا أضفت لذلك عرض الرواق الذى زيد فى الرحبة على ما قدمناه من أنه زيد فيها رواقان من ناحية و نقص رواق من ناحية و الرواق نحو تسعة أذرع فيكون جملة ذلك مائة و أحدا و ستين ذراعا و نصفا، و ذلك نحو ما ذكره ابن النجار.

و أما عرض الرحبة اليوم من مقدم المسجد فخمسة و تسعون ذراعا بتقديم التاء على السين، و اللّه تعالى أعلم.

و ذكر ابن النجار أن طول المسجد فى السماء خمسة و عشرون ذراعا، و مراده ارتفاعه من أرضه إلى أعلى شرفاته؛ لأنه ذكر فى موضع آخر ما يقتضى أن ارتفاعه من أرض المسجد إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۲

سقفه أحد و عشرون ذراعا، فيكون سمك السقف و الحائط الذى عليه الشراريف حول صحن المسجد أربعة أذرع، و الذى بين أرض مقدم المسجد و سقفه بعد خفض أرضه عقب الحريق الثانى اثنان و عشرون ذراعا، و تقدم فى زيادة عمر رضى اللّه عنه ما يقتضى أنه كان بينهما فى زمانه أحد عشر ذراعا، و لم أقف على ذكر ما جعله عثمان رضى اللّه تعالى عنه بينهما، و ذرع ما بين الأرض المحيطة بالمسجد من خارجه و أعلى سترة جداره من جهة المغرب ثمانية و عشرون ذراعا؛ فهذا سمك المسجد من خارجه، و اللّه أعلم.

و قد تقدم ذكر منابر المسجد و ذرعها فى زيادة الوليد.

## الفصل الثانى و الثلاثون فى أبواب المسجد و ما سد منها، و ما بقى، و ما يحاذيها من الدور قديما و حديثا

### أبواب المسجد

تقدم أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جعل للمسجد الشريف ثلاثة أبواب: بابا فى مؤخره، و الباب الذى يدعى باب عاتكة و يقال له باب الرحمة، و الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو باب آل عثمان.

و قد اقتضى كلام المؤرخين أن هذين البابين لم يحولا عن مكانهما، بل لما زيد فى المسجد من جهتهما جعلا فى محاذاة محلهما الأول.

و قد قدمنا فى زيادة عمر رضى اللّه عنه أنه جعل الأبواب ستة: بابين عن يمين القبلة، و بابين عن يسارها، و بابين خلف القبلة، و أنه لم يغير باب عاتكة و لا باب عثمان، بل زاد فى جهة باب عاتكة الباب الذى عند دار مروان و هو باب السلام، و زاد بعد باب عثمان الباب المعروف بباب النساء، فهذان البابان هما المزيدان فى المغرب و المشرق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۲؛ ص۲۱۲

سبق أيضا أن عثمان رضى اللّه تعالى عنه أقر هذه الأبواب على حالها، و لم يزد فيها شيئا.

و لم يذكر ابن زبالة و لا يحيى و لا رزين ما زاده الوليد من الأبواب، و لا ما زاده المهدى حين زاد فى المسجد، إلا أن ابن النجار قال: و أما أبواب المسجد فكانت بعد زيادة المهدى فيه، و ذكر تسعة عشر بابا غير باب خوخة أبى بكر رضى اللّه عنه، كما سيأتى، و بين أماكنها كما سنشير إليه.

و قال المطرى و تبعه المراغى و المجد: لما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد و وسعه جعل له عشرين بابا، و ذكر الأبواب المذكورة بعينها مع الخوخة المذكورة، و هذا وهم؛ لأن المنقول فى هذه الأبواب أنها إنما كانت فى زيادة المهدى، و هى التى استقر عليها الحال فى أمر

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۳

المسجد، و أيضا فما سيأتى فى وصف الأبواب التى فى جهة الشام و ما يليها من جهة المشرق و المغرب لا يتصور أن يكون فى زمن الوليد؛ لما تقدم من أن المهدى هو الذى زاد ذلك، و المطرى موافق عليه، فكيف يذكر وصف تلك الأبواب فيما نسبه للوليد، و سيأتى أيضا أن أحد هذه الأبواب- و هو باب زياد- إنما فتحه زياد فى ولاية أبى العباس المنصور.

و الحاصل من كلام من كان قبل المطرى من المؤرخين أن الذى استقر عليه أمر المسجد بعد انتهاء زياداته كانت شارعة فى رحبة دار القضاء و لا ينافى ذلك قول ابن زبالة. و فى المسجد- يعنى فى زمنه- أربعة و عشرون بابا لأنه قال فى تفصيلها: منها ثمانية من ناحية المشرق، و مما يلى القبلة: باب يدخل منه الأمراء من ناحية باب مروان إلى المقصورة، و عن يسار القبلة الباب الذى تدخل منه المقصورة من موضع الجنائز، و عن يمين القبلة باب بحذائه سواء فى الطرف الآخر أى فى مقابلته يدعى باب زيت القناديل، ذكروا أن مروان عمله، و خوخة آل عمر تحت المقصورة، و مما يلى المغرب ثمانية أبواب منها الخوخة التى تقابل يمين خوخة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، و مما يلى الشام أربعة، انتهى كلام ابن زبالة؛ فغيره لم يعد الباب الذى كان فى القبلة شارعا فى دار مروان؛ لأنه باب دار، و كذا خوخة آل عمر؛ لأنها للدار لا للمسجد، و كذا باب زيت القناديل؛ لأنه باب خزانة للمسجد لا يدخل منه عامة الناس، و كان موضعه عند زاوية الجدار الغربية مما يلى القبلة وجدوه عند عمارة المنارة التى بباب السلام و سد بجدارها.

و أما الباب الذى ذكره عن يسار القبلة فيؤخذ من كلامه أنه كان فى المشرق مقابلا لباب زيت القناديل و أنه خاص بالمقصورة، و لو

كان بابا عاما لعده فى الأبواب التى فى جهة المشرق، و قد ظهر هذا الباب عند هدم المنارة الشرقية بعد الحريق الذى أدركناه، و هو باب صغير وجد مسدودا عند زاوية جدار المسجد الشرقية، و كأن الدخول كان منه إلى الخزانة التى تحت المنارة الشرقية اليمانية ثم منها إلى المقصورة، و لهذا لما بسط ابن زبالة الكلام على أبواب المسجد فى موضع آخر لم يذكر هذه الأبواب الأربعة، بل اقتصر على العشرين.

فلنذكر ما ذكره و غيره فيها و ما زاده المطرى فى بيانها مما يعرف بمحلها ثم نفرد خوخة آل عمر بالكلام عليها، فنقول:

## باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم

الأول: و هو مبتدأ أبواب جهة المشرق مما يلى القبلة، باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، سمى بذلك لكونه فى مقابلة حجرة عائشة رضى اللّه تعالى عنها التى بها قبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، لا لكونه دخل منه؛ إذ لا وجود له فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد سد عند تجديد الحائط الشرقى، و جعل مكانه شباك

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۴

يقف الإنسان عنده من خارج، فيرى الحجرة الشريفة، كذا قاله المطرى و من بعده، و سيأتى ما يخالفه.

## باب على

الثانى: باب على رضى اللّه عنه، كان يقابل بيته الذى خلف بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد سد أيضا عند تجديد الحائط، و ما ذكرنا من أن باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مقدم على هذا الباب للقبلة صرح به المطرى و من تبعه، و هو الذى تقتضيه المناسبة التى ذكروها للتسمية بذلك، لكن صرح ابن النجار بخلافه، فقال فى عدّ أبواب جهة المشرق: باب على، ثم باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم باب عثمان، ثم باب مستقبل دار ريطة، إلى آخر الترتيب الآتى، و مأخذه فى ذلك أن ابن زبالة و يحيى ذكرا ما كان مكتوبا على جدارات المسجد فقالا: و فى الزيادة الشرقية فى جوف المسجد بين باب على و باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مكتوب، و ذكرا ما كان مكتوبا.

ثم قالا: و بين باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و باب عثمان مكتوب، و ذكرا ما كان مكتوبا.

ثم ذكر أيضا فى الكتابة من خارج الجدار على الأبواب نحو هذا، و قالا أيضا: إن فى القبلة من خارج المسجد فى موضع الجنائز حيث يصلى على الموتى عند باب على بن أبى طالب مكتوب بعد البسملة إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [آل عمران: ۱۹۰] الآية فاقتضى ذلك أن باب على هو أول أبواب هذه الجهة، و أن باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هو الثانى منها، و الذى حمل المطرى و من تبعه على مخالفة ذلك ما قدمناه عنه من رعاية تلك المناسبة، و يحتمل:

أن بيت على رضى اللّه عنه كان ممتدّا فى شرقى حجرة عائشة رضى اللّه عنها إلى موضع الباب الأول فسمى باب على بذلك، و يدل له ما تقدم عن ابن شبة فى الكلام على بيت فاطمة رضى الله عنها من أنه كان فيما بين دار عثمان التى فى شرقى المسجد و بين الباب المواجه لدار أسماء، و يكون تسمية الباب الثانى بباب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لقربه من بابه، و اللّه أعلم.

## باب عثمان باب جبريل

الثالث: باب عثمان، و هو الباب الذى وضع قبالة الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فقد قدمنا عن ابن زبالة و يحيى أن الباب الذى كان يدخل منه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هو باب آل عثمان و لذا أطلق عليه فى رواية ليحيى فى زيادة عثمان أنه باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. و قد ظهر درج عند باب مقصورة الحجرة الشامى فى مقابلة الباب المذكور بسبب الحفر للدعامة

التى هناك، و الظاهر أنه درج الباب المذكور قبل تحويله؛ لكونه فى موازاة جدار المسجد الأول كما يؤخذ مما سبق من حدوده، و سمى بذلك لمقابلته لدار عثمان بن عفان، و سيأتى أنها كانت من الطريق التى تسلك إلى البقيع التى عن يسار الخارج من هذا الباب إلى الطريق التى فى شامى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۵

المدرسة الشهابية، و الذى يقابل هذا الباب اليوم من دار عثمان رباط أنشأه جمال الدين محمد بن أبى المنصور الأصفهانى المعروف بالجواد وزير بنى زنكى.

قال المطرى: وقفه على فقراء العجم، و جعل له فيه تربة لها شباك فى جهة الشباك المتقدم ذكره فى مقابلة القبر الشريف. و لما مرض و هو فى السجن قال للشيخ أبى القاسم الصوفى: كنت أخشى أن أنقل من الدست إلى القبر، يعنى أنه فرح بأن يأتيه الموت و هو على تلك الحالة، و قال له: إن بينى و بين أسد الدين شركوه- يعنى عم صلاح الدين بن أيوب- عهدا أن من مات قبل صاحبه حمله صاحبه الحى إلى المدينة الشريفة فدفنه فيها فى التربة التى عملها، فإن أنا مت فامض إليه فذكره، فلما توفى سار الشيخ إلى أسد الدين فى هذا المعنى، فأعطاه مالا صالحا ليحمله به إلى مكة و المدينة الشريفتين، و أمر أن يحج معه جماعة من الصوفية، و من يقرأ بين يدى تابوته عند النزول و الرحيل و قدوم مدينة تكون فى الطريق، و ينادى بالصلاة عليه فى البلاد، فلما كان فى الحلة اجتمع الناس للصلاة عليه، فإذا شاب قد ارتفع على موضع عال و نادى بأعلى صوته:

سرى نعشه فوق الرقاب، و طالما سرى جوده فوق الركاب و نائله

يمرّ على الوادى فتثنى رماله عليه، و بالنادى فتثنى أراملة

فلم ير باك أكثر من ذلك اليوم، ثم وصلوا به إلى مكة فطافوا به حول الكعبة، وصلوا عليه بالحرم، و حملوه إلى المدينة فصلوا عليه و دفنوه بتربته المذكورة.

و كانت وفاته فى سنة تسع و خمسين و خمسمائة، و كان له آثار حسنة سيما بالحرمين الشريفين، و عمل للمدينة الشريفة السور الآتى ذكره، و سنذكر هناك شيئا من ترجمته.

و فى قبلة رباطه من دار عثمان أيضا تربة اشترى أرضها أسد الدين شيركوه بن شاذى عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى، و حمل إليها هو و أخوه نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بعد موتهما و دفنا فيها سنة ست و سبعين و خمسمائة، و توهم الذهبى أنهما دفنا بالبقيع فجزم به فى العبر.

و بقية دار عثمان من القبلة دار إلى جانب هذه التربة موقوفة على خدام الحرم الشريف يسكنها مشايخهم، و هذه دار عثمان الكبرى المقابلة لهذا الباب، و سيأتى ذكر داره الصغرى التى فى موضعها رباط المغاربة. و يعرف هذا الباب أيضا بباب جبريل عليه السلام.

قلت: و لم يبينوا سبب تسميته بذلك، و لعل سببها ما سبق فى الفصل الرابع و العشرين من قول أبى غسان: إن علامة مقام جبريل التى يعرف بها اليوم أنك تخرج من الباب الذى يقال له باب آل عثمان فترى على يمينك إذا خرجت من ذلك الباب على ثلاثة أذرع و شبر و هو من الأرض على نحو من ذراع و شبر حجرا أكبر من الحجارة التى بها جدار المسجد،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۶

مع ما قدمناه أيضا من أن الأصل فى ذلك أن جبريل عليه السلام فى غزوة بنى قريظة أتى على فرس عليه اللأمة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز، و لم يكن ثم حينئذ غير الباب المذكور و روى ابن زبالة عن المطلب بن عبد اللّه أن حارثة بن النعمان مرّ و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مع جبريل فى موضع الجنائز، فمر و لم يسلم، فقال جبريل للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أ هو ممن شهد بدرا؟

قال: نعم، قال: فكيف هو فى أمتك؟ أ يرون لهم به؟ قال: نعم، قال: ما زالت الملائكة الذين شهدوا بدرا معك يرى لهم، قال: فجاء

حارثة إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: هل رأيت الرجل الذى كان معى؟ قال: نعم و شبهته بدحية الكلبى، قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: فإنه جبريل، و قد قال لو سلم لرددنا عليه، فقال: ما منعنى من السلام إلا أنى رأيتك تحدّث معه فكرهت أن أقطعه عنك، و روى البيهقى فى الدلائل عن حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و معه جبريل جالس فى المقاعد، فسلمت عليه و مررت، فلما رجعنا و انصرف النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال لى: هل رأيت الذى كان معى؟ قلت: نعم، قال: فإنه جبريل عليه السلام، و قد ردّ عليك السلام.

و كان مكتوبا على هذا الباب من خارجه بعد البسملة لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [التوبة: ۱۲۸] الآيتين.

## باب ريطة (باب النساء)

الرابع: باب ريطة بفتح الراء ابنة أبى العباس السفاح، كان يقابل دارها، و يعرف بباب النساء، و سبب تسميته بذلك ما رواه أبو داود من طريق عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: لو تركنا هذا الباب للنساء، قال: نعم، فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات. ثم قال أبو داود عقبه: و قال غير عبد الوارث، و هو أصح، ثم رواه من طريق إسماعيل عن أيوب عن نافع عن ابن عمر «قال قال عمر» بمعناه، قال:

و هو أصح. ثم رواه أيضا من طريق بكير عن نافع قال: إن عمر بن الخطاب كان ينهى أن يدخل من باب النساء، و هذا هو المعتمد؛ لما تقدم من أنه لم يكن فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم فى شرقى المسجد غير باب آل عثمان. و قد روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن ابن عمر قال:

سمعت عمر حين بنى المسجد يقول: هذا باب النساء، فلم يدخل منه ابن عمر حتى لقى اللّه، و كان لا يمر بين أيدى النساء و هن يصلين.

و دار ريطة التى كانت مقابلة لهذا الباب قال المطرى: كانت دار أبى بكر الصديق، و نقل أنه توفى فيها، و هى الآن مدرسة للحنفية بناها ياركوج أحد أمراء الشام، و عمل له فيها مشهدا نقل إليه من الشام، و الطريق إلى البقيع بينها و بين دار عثمان، نقل ذلك ابن زبالة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۷

قلت: و ما ذكره من نسبة الدار المذكورة لأبى بكر الصديق سيأتى مستنده مع بيان ما فيه.

و فى أعلى هذا الباب من خارجه لوح من الفسيفساء مكتوب فيه آية الكرسى من بناء المسجد القديم، و قد زال عند الحريق الثانى.

الخامس: باب كان يقابل دار أسماء بنت الحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس ابن عبد المطلب رضى اللّه عنهم، كانت من جملة دار جبلة بن عمرو الساعدى، ثم صارت لسعد بن خالد بن عمر بن عثمان، ثم صارت لأسماء المذكورة، و هى اليوم رباط للنساء، و قد سدّ هذا الباب أيضا عند تجديد الحائط الشرقى من المنارة الشرقية الشمالية إلى هذا الباب المذكور فى أيام الناصر لدين اللّه سنة تسع و ثمانين و خمسمائة، كذا قاله المطرى و من تبعه، و ظاهر كلام ابن جبير أن سد هذا الباب و غيره من الأبواب كان قبل الثمانين و خمسمائة؛ لأن رحلة ابن جبير كانت قبل الثمانين كما قدمناه، و قد قال فيها: و للمسجد المبارك تسعة عشر بابا أى غير خوخة أبى بكر لم يبق منها مفتوحا غير أربعة، فى المغرب منها اثنان، و فى المشرق اثنان، انتهى. لكنه قال بعد ذلك: و فى القبلة باب واحد صغير مغلق، يعنى باب دار الإمارة. ثم قال: و فى المغرب خمسة مغلقة أيضا، و فى المشرق خمسة أيضا مغلقة، و فى الشام أربعة مغلقة أيضا، انتهى. فتبين أنها كانت فى زمنه غير مسدودة لكنها مغلقة، فيكون سدّها حدث فى التاريخ الذى ذكره المطرى، و اللّه أعلم.

## باب سادس

السادس: باب كان يقابل دار خالد بن الوليد رضى اللّه تعالى عنه، و قد دخل فى بناء الحائط المذكور، و الدار المذكورة اليوم رباط الرجال، و معها فى جهة الشمال دار عمرو ابن العاص كما سيأتى بيانه، و يعرف الرباط المذكور اليوم برباط السبيل، و كذا رباط النساء المتقدم ذكره يعرف بذلك أيضا، و الرباطان المذكوران بناهما القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد اللّه بن القاسم الشهرزورى رحمه اللّه تعالى. و ذكر ابن زبالة و يحيى أنه كتب على نجاف هذا الباب من داخل «مما أمر به المهدى محمد أمير المؤمنين مما عمل البصريون سنة اثنتين و ستين و مائة و مبتدأ زيادة المهدى فى المسجد.

قلت: و كتابة ذلك عليه تقتضى أنه الذى أحدثه و ما بعده، و أنه أول زيادته كما تقدم.

## باب سابع

السابع: باب كان يقابل زقاق المناصع دخل أيضا فى الحائط بعد تجديده، و زقاق المناصع كان بين دار عمرو بن العاص و أبيات الصوافى، و عبر عنها المطرى بدار موسى بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبى ربيعة المخزومى لأمر توهمه من كلام ابن زبالة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۸

كما سنوضحه إن شاء الله تعالى، و الزقاق اليوم ينفذ إلى دار الحسن بن على العسكرى، و تعرف اليوم بحوش الحسن، و كان الزقاق المذكور ينفذ إلى المناصع خارج المدينة، و هو كان متبرزا للنساء بالليل على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و أبيات الصوافى هذه التى عبر عنها المطرى بدار موسى بن إبراهيم سيأتى أن بعضها اليوم رباط للرجال أنشأه القاضى محيى الدين أبو على عبد الرحيم بن على بن الحسن اللخمى البيسانى، و دخل هذا الباب أيضا فى الحائط عند تجديده.

## باب ثامن

الثامن: باب كان يقابل أبيات الصوافى دخل فى الحائط أيضا عند تجديده، و أبيات الصوافى تقدم أن بعضها الذى يلى دار عمرو بن العاص هو رباط الفاضل، و بعضها الآخر و هو الذى كان يقابل هذا الباب هو المعروف اليوم بدار الرسام التى وقفها الشيخ صفى الدين السلامى على أقاربه ثم على الفقراء، و فى شاميها الباب الذى يدخل منه إلى رباطى النخلة، و هما رباطا السلامى، و قد عبر المطرى عن ذلك بقوله: «و هى- يعنى أبيات الصوافى- فى دور كانت بين موسى بن إبراهيم المخزومى و بين عبيد اللّه بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهم» قال:

و موضع هذه الدور اليوم دار اشتراها الشيخ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى رحمه الله و وقفها على قرابته السلاميين، انتهى.

و سيأتى أن أبيات الصوافى هى الدور التى كان فيها قهطم، و أنها كانت بين دار عمرو بن العاص و دار موسى بن إبراهيم المخزومى المشتركة بينه و بين عبيد اللّه بن الحسين، و أن هذه الدار المشتركة كانت أول الدور فى جهة المشرق مما يلى الشام، فأبيات الصوافى هى دار قهطم، و فى موضعها ما قدمناه من رباط الفاضل و دار السلامى. و أما الدار المشتركة ففى موضعها اليوم الميضأة المعطلة و بيت الرئيس إبراهيم الذى بين الميضأة و الزقاق الذى يلى دار المضيف كما سيأتى بيانه، و دار المضيف هى آخر الدور التى فى جهة الشام، و الدار المشتركة كانت ملاصقة لها، و سيأتى بيان منشأ ما وقع للمطرى، و هذا الباب آخر الأبواب التى كانت فى جهة المشرق.

## أبواب المسجد الشامية

و قد طوى المطرى الكلام على الأبواب الشامية، فقال: و فى شمالى المسجد أربعة أبواب سدت أيضا عند تجديد الحائط الشمالى، و

ليس فى شمالى المسجد اليوم باب إلا باب سقاية عمرتها أم الإمام الناصر.

و سبب عدم كلام المطرى على الأبواب الشامية أن ابن زبالة لم يذكر ما يقابلها من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۱۹

الدور، لكن ظهر لى أنه يؤخذ من كلامه و كلام ابن شبة فى الدور المطيفة بالمسجد، فلنذكر ما استفدنا منهما فى ذلك، فنقول:

### باب تاسع

التاسع: باب كان فى دبر المسجد، و هو أول أبواب الشام مما يلى المشرق، و كان يقابل دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف، و هى دار جده عبد الرحمن التى كان ينزل بها ضيفان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كما سيأتى، و بقية دار ابن مسعود، و فى موضعهما الدار المعروفة بدار المضيف و ما فى غربيها من رباط الظاهرية.

### باب عاشر

العاشر: باب كان يقابل دار أبى الغيث بن المغيرة، و فى موضعها اليوم الرباط المعروف برباط الظاهرية و الشرشورة.

### الباب الحادى عشر

الحادى عشر: باب كان يقابل ما يلى دار أبى الغيث من أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين، و موضع ذلك المارستان الذى أنشأه أبو جعفر المنتصر باللّه سنة سبع و عشرين و ستمائة.

### الباب الثانى عشر

الثانى عشر: باب كان فى مقابلة بقية أبيات خالصة و فى موضع ذلك اليوم بيت و زقاق يتوصل منه إلى الرباط الذى أنشأه الشيخ شمس الدين الشسترى. و هذا الباب آخر الأبواب التى كانت فى جهة الشام، و كلها اليوم مسدودة كما تقدم، و ما يوجد اليوم من الدور و الأبنية الملاصقة لجدار المسجد المذكور كلها حادثة كما يؤخذ من كلام متقدمى المؤرخين، و لم أقف على ابتداء حدوث ذلك.

### الباب الثالث عشر

الثالث عشر: و هو أول أبواب المغرب مما يلى الشام باب كان يقابل دار منيرة و كانت من دور عبد الرحمن بن عوف، ثم صارت لعبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، ثم صارت لمنيرة مولاة أم موسى، و فى موضعها اليوم الدار التى صارت لشيخنا العارف باللّه سيدى عبد المعطى المغربى نزيل مكة المشرفة، ثم انتقلت للسيد الشريف العلامة محيى الدين قاضى الحنابلة بالحرمين الشريفين، و ما فى قبلتها إلى الباب الذى يدخل منه إلى دور القياشين التى للخواجا قاوان، و هذا الباب مسدود كما هو مشاهد من خارج المسجد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۰

### الباب الرابع عشر

الرابع عشر: باب كان يقابل دار منيرة أيضا كما صرح به ابن زبالة و يحيى، و وهم المجد فجعله الذى بعده، و موضع ما يقابله اليوم من دار منيرة الدار الموقوفة على الخدام التى فى قبلة الزقاق الذى يدخل منه إلى دور القياشين، و هذا الباب مسدود اليوم كما يظهر من

خارج المسجد أيضا، و بذلك يعلم أن محلهما من ذلك الجدار لم يجدد.

### الباب الخامس عشر

الخامس عشر: باب كان يقابل دار نصير صاحب المصلى و هو مولى المهدى و كانت هذه الدار منزلا لسكينة بنت الحسين بن على رضى اللّه عنهم، و فى موضعها اليوم الدار التى عن يسار الداخل من زقاق دور القياشين و الدار التى تعرف اليوم بدار تميم الدارى، و قد آلت إلىّ ثم وقفتها، و هى الآن منزلى، و لم أقف على أصل فى تسميتها بذلك، و هذا الباب فى مقابلة الدار المعروفة بدار تميم من دار نصير، و هو مسدود اليوم، و بقيت منه قطعة تظهر من خارج المسجد، و دخل باقيه عند تجديد الحائط من باب عاتكة إليه.

### الباب السادس عشر

و السادس عشر: باب كان يقابل دار جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، و قد دخل فى داره هذه فارغ أطم حسان بن ثابت كما قاله ابن زبالة، و فى موضعها اليوم المدرسة الكلبرجية التى أنشأها السلطان شهاب الدين أحمد سلطان كلبرجة من بلاد الهند فى سنة ثمان و ثلاثين و ثمانمائة، و هذا الباب دخل فى الحائط عند تجديده، و أسقطه المطرى مع أنه مذكور فى كلام ابن زبالة و يحيى، و لما أسقطه زاد بدله بابا لا وجود له فى كلام من قبله، على ما سيأتى التنبيه عليه.

### باب عاتكة (باب السوق) (و باب الرحمة)

السابع عشر: باب عاتكة بنت عبد اللّه بن يزيد بن معاوية، كان يقابل دار عاتكة المذكورة، ثم صارت هذه الدار ليحيى بن خالد البرمكى والد جعفر، و دخلت فى دار جعفر المتقدم ذكرها، و توهم الزين المراغى من نسبتها لجعفر بن يحيى و من كون أطم حسان دخل فى دار جعفر بن يحيى أنها محل أطمه، و ليس كذلك لما قدمناه، و فى موضعها اليوم دار من أوقاف الخدام فى قبلة المدرسة الكلبرجية تواجه يمين الخارج من باب المسجد المذكور، و قد استبدلها الشيخ الزينى بن مزهر بإزالة ديوان الإنشاآت و ما غربيها من الدور، و اتخذ ذلك مدرسة و رباطا و أروقة على يد صاحبنا العلامة الشيخ نور الدين المحلى نفع اللّه به، و يعرف هذا الباب قديما أيضا بباب السوق، كما يؤخذ مما سيأتى فى باب زياد، لأن سوق المدينة كانت فى المغرب فى جهته. و يعرف قديما أيضا بباب الرحمة؛ فإن يحيى ذكر فى بناء النبى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۱

صلّى اللّه عليه و سلّم لمسجده أنه صلّى اللّه عليه و سلّم جعل له ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، و باب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة و يقال باب الرحمة، هذا لفظه. و أطبق على وصفه بذلك من بعده من المؤرخين، حتى صار فى زماننا هو الأغلب عليه، و مع ذلك فلم أر فى كلام أحد بيان السبب فى تسميته بذلك، و سألت عنه من لقيته من المشايخ فلم أجد عند أحد منهم علما من ذلك، ثم ظهر لى معناه بحمد اللّه تعالى، و ذلك أن البخارى روى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قائم يخطب، فاستقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قائما، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، و انقطعت السبل، فادع الله يغثنا، فرفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يديه ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، قال أنس: و لا و اللّه ما نرى فى السماء من سحاب و لا قزعة، و ما بيننا و بين سلع من بيت و لا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، و لما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا و اللّه ما رأينا الشمس سبعا، ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة- يعنى الثانية- و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قائم يخطب- الحديث- بطوله، و سنبين فى باب زياد- و هو الذى يلى هذا- أن دار القضاء كان محلها بين باب الرحمة و باب السلام، و قد تقرر أنه لم يكن للمسجد فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم فى هذه الجهة إلا الباب

المعروف بباب الرحمة؛ فظهر أن هذا الرجل الطالب لإرسال المطر و هو رحمة إنما دخل منه، و قد أنتج سؤاله حصول الرحمة، و أنشأ الله السحاب الذى كان سببا فيها من قبله أيضا؛ لأن سلعا فى غربى المسجد، فسمى و اللّه أعلم بباب الرحمة لذلك، لكن فى رواية البخارى عن أنس أيضا أن رجلا- دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، و مقتضاها أنه دخل من الباب الذى كان فى شامى المسجد؛ لقرب إطلاق مواجهته للمنبر عليه، لكن ذلك الباب ليس نحو دار القضاء، فليجمع بين الروايتين بأن الواقعة متعددة كما اقتضاه كلام بعضهم، أو بأنه وقع التجوز فى إطلاق كون ذلك الباب وجاه المنبر، أو بأن باب الرحمة كان كما قدمناه فى آخر جهة المغرب مما يلى الشام، فجاء ذلك الداخل من جهته و دخل منه، ثم رأى أن قيامه بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو على المنبر لا يتم له إلا بتخطى الصفوف، فعرج إلى الباب الآخر المواجه للمنبر، لغلب إطلاق باب الرحمة على الباب الذى فى جهة مجيئه؛ لاعتضاده بما تقدم من مجيء السحاب من قبله، و اللّه أعلم.

## باب زياد (باب القضاء)

و الثامن عشر: باب كان يعرف بباب زياد و قد سد أيضا عند تجديد الحائط الذى هو فيه و كان بين خوخة أبى بكر الآتى ذكرها و بين الباب الذى قبله و سمى بذلك لما رواه ابن شبة عن محمد بن إسماعيل بن أبى فديك عن عمه قال: كانت رحبة القضاء لعمر رضى الله

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۲

عنه- يعنى دارا له- و أمر حفصة و عبد اللّه ابنيه رضى اللّه عنهما أن يبيعاها عند وفاته فى دين كان عليه، فإن بلغ ثمنها دينه و إلا فاسألوا فيه بنى عدى بن كعب حتى تقضوه، فباعوها من معاوية بن أبى سفيان رضى اللّه عنهما، و كانت تسمى دار القضاء، قال ابن أبى فديك: فسمعت عمى يقول: إن كانت لتسمى دار قضاء الدين. قال: و كان معاوية اشتراها عند ولايته، فلم تزل حتى قدم زياد بن عبد اللّه المدينة سنة ثمان و ثلاثين و مائة، فهدمها و جعلها رحبة للمسجد، و فتح فيها الباب الذى إلى جنب الخوخة الصغيرة، و جعل هدمها على أهل السوق، قال محمد بن إسماعيل بن أبى فديك: فأخذ منى فى هدمها أربعة دوانق، قال ابن أبى فديك: و أخبرنى أيضا كما أخبرنى عمى عبيد اللّه بن عمر ابن عبد اللّه بن عبد اللّه بن عمر قال: و أشار لى عبيد اللّه إلى صندوق فى بيته و قال: فى هذا الصندوق إبرا آت من ذلك الدين. و روى أيضا عن عبد العزيز بن مروان أن دار القضاء كانت لعبد الرحمن بن عوف، قال: و هى اليوم رحبة لمسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى غربيه مما يلى دار مروان. و روى عن سهلة بنت عاصم أنها إنما سميت دار القضاء لأن عبد الرحمن اعتزل فيها ليالى الشورى حتى قضى الأمر فباعها بنو عبد الرحمن من معاوية، فصارت بعد فى الصوافى، و كانت الدواوين فيها و بيت المال، فهدمها أبو العباس أمير المؤمنين و صيّرها رحبة للمسجد، فهى اليوم كذلك.

و روى ابن زبالة خبر ابن أبى فديك الأول مقتصرا عليه من طريق محمد بن إسماعيل- يعنى ابن أبى فديك- عن ابن عمر أن عمر توفى و ترك عليه ثمانية و عشرين ألفا، فدعا عبد اللّه و حفصة فقال: إنى قد أصبت من مال اللّه شيئا، و أنا أحب أن ألقى اللّه و ليس فى عنقى منه شىء، فبيعا فيه حتى تقضياه، فإن عجز عنه مالى فسلا فيه بنى عدى، فإن بلغ و إلا فلا تعدوا قريشا، فخرج عبد اللّه بن عمر إلى معاوية فباع منه دار عمر التى يقال لها دار القضاء، و باع ماله بالغابة، فقضى دينه؛ فكان يقال: «دار قضاء دين عمر» و هى رحبة القضاء.

قال محمد بن إسماعيل: فهدم زياد بن عبيد اللّه إذ كان واليا لأبى العباس على المدينة فى سنة ثمان و ثلاثين و مائة دار القضاء، و كانت تكرى من تجار أهل المدينة، فهدمها زياد و جعلها رحبة للمسجد، و فتح الباب الذى إلى جنب الخوخة- الخبر المتقدم.

قلت: و ما تضمنه هذا الخبر من تاريخ هدم الدار و عمل الباب المذكور فيها ربما يخالف ما ذكره ابن زبالة و يحيى فيما كتبا على أبواب المسجد، فإنهما قالا: و على باب زياد فى لوح من ساج مضروب بمسامير مكتوب من خارج، ثم ذكرا من جملة المكتوب: أمر

عبد الله أمير المؤمنين أكرمه اللّه بعمل مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و عمارة هذه الرحبة توسعة لمسجد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۳

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و لمن حضره من المسلمين فى سنة إحدى و خمسين و مائة ابتغاء وجه الله و الدار الآخرة، إلى آخر ما ذكراه.

قلت: و زياد هذا هو زياد بن عبيد اللّه بن عبد المدان الحارثى خال السفاح، و كانت ولايته على المدينة و مكة من قبل أبى العباس المنصور فى سنة ثمان و ثلاثين و مائة؛ فقول ابن أبى فديك فى رواية ابن شبة «فلم يزل حتى قدم زياد بن عبيد اللّه سنة ثمان و ثلاثين» مبيّن لتاريخ قدومه فقط، و قوله «فهدمها» يعنى فى مدة ولايته؛ فليس فيه تعرض لأن الهدم كان فى ذلك التاريخ؛ فلا يخالف ما كتب على الباب المذكور، و ليحمل أيضا قوله فى رواية ابن زبالة «فهدم زياد بن عبيد اللّه إذ كان واليا فى سنة ثمان و ثلاثين و مائة» على أن المراد بيان ابتداء ولايته، لا تاريخ الهدم، جمعا بين الكلامين، و الرواية الأولى أقرب إلى التأويل من هذه.

و قد ذكر ابن زبالة فى روايته المتقدمة عن محمد بن إسماعيل أنه قال: إن زياد بن عبيد اللّه جعل السّتور على الأبواب الأربعة: باب دار مروان أى المعروف بباب السلام، و الخوخة أى المجعولة فى محاذاة خوخة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، و باب زياد أى المذكور، و باب السوق أى و هو باب الرحمة كما يؤخذ من كلام يحيى.

و قال المجد فى ترجمة دار القضاء: هى دار مروان بن الحكم، و كانت لعمر بن الخطاب فبيعت فى قضاء دينه، و قد زعم بعضهم أنها دار الإمارة، و هو محتمل لأنها صارت لأمير المدينة.

قلت: دار مروان هى الآتية فى قبلة المسجد، و ليست هذه بلا شك، و لعل المراد أن مروان ملك دار القضاء فنسبت إليه، و هو غير معروف، إلا أن الحافظ بن حجر نقل عن ابن شبة أنها صارت لمروان و هو أمير المدينة، قال: فلعل ذلك شبهة من قال «إنها دار الإمارة» فلا يكون غلطا، و قال فى المشارق: و قد غلط فيها بعضهم فقال يعنى دار الإمارة.

قلت: و الذى رأيته فى ابن شبة إنما هو صيرورتها لمعاوية كما قدمناه، مع أن المشهور قديما بدار الإمارة إنما هى دار مروان التى فى قبلة المسجد، و تقدم أن الأمراء كانوا يدخلون من باب منها إلى المقصورة، و توهم البرهان ابن فرحون أنها رحبة دار القضاء، فقال: قال ابن حبيب: و ما كان من مضى- يعنى من القضاة- يجلسون فى رحاب المسجد، بل إما عند موضع الجنائز، يريد خارج باب جبريل، و إما رحبة دار مروان التى تسمى رحبة القضاء، و قد جعل ذلك فى هذا الوقت ميضأة، انتهى. و هو وهم؛ لأن الذى جعل ميضأة هو نفس دار مروان كما سيأتى، و بالجملة فلا خلاف فى كون دار القضاء هى الرحبة التى كانت فى غربى المسجد إلى باب مروان.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۴

و يؤخذ مما تقدم أن هذه الرحبة كانت فى محاذاة باب زياد و ما بعد، إلى باب السلام.

و يؤخذ مما سيأتى فى الدور المطيفة بالمسجد أنها كانت ممتدة إلى باب الرحبة أيضا، و هو مقتضى ما أخبر به بعض مشايخ المدينة أنه لم يزل يسمع أنه لم يكن بين باب الرحمة و باب السلام دار تلاصق المسجد.

قلت: فموضع هذه الرحبة اليوم دار الشباك الملاصقة لباب الرحمة، و ما يليها من المدرسة الجوبانية و الحصن العتيق.

و دار الشباك أنشأها شيخ الخدام كافور المظفرى، المعروف بالحريرى، بعد السبعمائة، و جعل لها شباكا إلى المسجد، و ليس حول المسجد دار لها شباك فى جدار المسجد إلا هى، و الذى يظهر أن باب زياد كان فى موضع شباكها أو إلى جانبه القبلى.

و أما المدرسة الجوبانية فابتناها جوبان أتابك العساكر المغلية فى سنة أربع و عشرين و سبعمائة، و جعل له فيها تربة ملاصقة لجدار المسجد بين دار الشباك و الحصن العتيق، و هى- أعنى التربة- من جملة رحبة القضاء، و اتخذ فيها شباكا فى جدار المسجد، و هو مسدود اليوم، و لم يدفن فيها بعد أن حمل إليها فى تابوت سنة ثمان و عشرين و سبعمائة من بغداد بأمر السلطان أبى سعيد فدخلوا به

مكة و طافوا به حول البيت كما فعل بالجواد الأصفهانى، و ذلك صحبة الحاج العراقى، فلما وصلوا به المدينة منعهم أميرها من ذلك حتى يشاور السلطان الناصر، كذا قاله بعضهم، و قال الصلاح الصفدى: لما بلغ الملك الناصر أمر تجهيزه ليدفن فى المدينة جهز الهجن إلى المدينة، و أمرهم أن لا يمكن من الدفن فى تربته، فدفن فى البقيع.

و ذكر لى بعض الناس أن علة المنع من دفنه بتربته أنه إذا وضع فيها للقبلة كانت رجلاه إلى الجهة الشريفة؛ لأن تربته فى غربى المسجد، بخلاف الجواد و غيره ممن دفن فى شرقى المسجد، فإن رءوسهم إلى جهة الأرجل الشريفة، و اللّه أعلم.

و أما الحصن العتيق فإنه كان منزلا لأمراء المدينة، ثم انتقل إلى السلطان غياث الدين سلطان بنجالة أبى المظفر أعظم ابن السلطان اسكندر، و ابتناه مدرسة فى سنة أربعة عشرة و ثمانمائة، و توفى فى تلك السنة، و يقال: إن غيره سبقه إلى جعله رباطا قبل ذلك.

ثم اقتضى رأى متولى العمارة بعد الحريق الحادث فى زماننا استبدال دار الشباك المذكورة و ما يليها من الجوبانية و جميع الحصن العتيق عند هدم ما يلى ذلك من جدار المسجد الغربى، و عمل ذلك مدرسة و رباطا للسلطان الأشرف فيما بين باب السلام و باب الرحمة كما سبق فى الفصل التاسع و العشرين.

و اعلم أن المطرى زاد هنا بابا بدل الباب الذى أسقطه قبل باب عاتكة فقال: إنه كان

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۵

بين باب عاتكة و خوخة أبى بكر الآتية بابان سدّا عند تجديد الحائط، و تبعه على ذلك من بعده، و الذى اقتضاه كلام ابن زبالة و يحيى و ابن النجار أنه ليس بين باب عاتكة و بين الخوخة سوى باب زياد، و لهذا لما أسقط ابن النجار ذكر الخوخة من الأبواب و جعل أبواب هذه الجهة سبعة قال: الخامس باب عاتكة، السادس باب زياد، السابع باب مروان، انتهى.

و به يعلم أن الصواب ما قدمناه، و اللّه أعلم.

## خوخة تجاه خوخة أبى بكر

التاسع عشر: الخوخة المجعولة تجاه خوخة أبى بكر رضى اللّه عنه لما زيد فى المسجد، و هو معنى ما تقدم عن ابن زبالة حيث قال فى عدد الأبواب: و مما يلى المغرب ثمانية أبواب، و منها الخوخة التى تقابل يمنى خوخة أبى بكر.

قلت: و كانت شارعة فى رحبة دار القضاء كما قدمناه من كلام ابن زبالة و قدمنا أيضا فى زيادة عمر رضى اللّه عنه عن أبى غسان قال: أخبرنى محمد بن إسماعيل بن أبى فديك أن عمه أخبره أن الخوخة الشارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد خوخة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، أى: المجعولة فى محاذاة خوخته.

قال ابن زبالة فى ذكر الكتابة على أبواب المسجد: و ليس على الخوخة لا من داخل المسجد و لا من خارجه كتابة، و قد قدمنا أن لهذه الخوخة اليوم بابا مما يلى المسجد، و أنه باب حاصل يعرف بحاصل النورة، و هى معروفة بخوخة أبى بكر، و يؤخذ مما تقدم أن ذلك الحاصل من دار القضاء، و بابه اليوم هى الفتحة الثالثة من الفتحات التى على يسار الداخل من باب السلام، جعل باب فى موضع الخوخة يدخل منه للمسجد، و بعده شباك، ثم باب يدخل منه للمدرسة الأشرفية.

العشرون: باب مروان، سمى بذلك لملاصقته لداره التى كانت فى قبلة المسجد مما يلى الباب المذكور، و بعضها ينعطف على المسجد من جهة المغرب، و فى موضعها اليوم الميضأة التى أنشأها المنصور قلاوون الصالحى عام ست و ثمانين و ستمائة، و يعرف الباب المذكور أيضا بباب السلام، و باب الخشوع، قاله المطرى. و فى رحلة ابن جبير أنه يعرف بباب الخشية، اه. و الزوار غالبا إنما يدخلون منه؛ لكونه أقصد إلى طريقهم من باب المدينة، فلا يخفى مناسبة تسميته بذلك كله.

قال المطرى: و لم يكن فى القبلة حتى إلى اليوم باب إلا خوخة آل عمر، أو خوخة لمروان عند داره فى ركن المسجد الغربى، شاهدناها عند بناء المنارة الكبيرة المستجدة، كان يدخل من داره إلى المسجد منها، و قد انسدت بحائط المنارة الغربى.

قال الزين المراغى: و ينبغى الاعتراض على من أطلق أن مروان كان يدخل منها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۶

للمسجد؛ لأن مروان قتلته زوجته أم خالد بن يزيد آمنة بنت علقمة، و يقال: فاختة بنت هاشم، و قيل: مات مطعونا، و قيل: مطعونا، فى نصف رمضان سنة خمس و ستين.

و كانت مدة خلافته تسعة أشهر، و ذلك قبل أن يزيد ولد ولده الوليد بن عبد الملك ابن مروان فى المسجد بنحو من ثلاثين سنة، و لا شك أنها خوخة آل مروان؛ فالصواب أنه كان يدخل من مثلها، لا منها، و كأن هذا الباب هو المراد بقول ابن زبالة: و باب فى قبلة المسجد يخرج منه السلطان إلى المقصورة.

قلت: أما ما ذكره المطرى من أنه لم يكن فى قبلة المسجد باب- يعنى فيما مضى إلى زمنه- إلا خوخة آل عمر؛ فمردود بما قدمناه عن ابن زبالة؛ فإنه فصل الأبواب الزائدة على العشرين فجعل منها الباب الذى كان فى القبلة يدخل منه الأمراء من ناحية دار مروان، ثم ذكر البابين اللذين عن يمين القبلة و عن يسارها يدخل منهما إلى المقصورة، و الباب الذى عن يمين القبلة هو هذا الذى أدركه المطرى؛ فلا يصح ما ذكره الزين المراغى من حمل كلام ابن زبالة فى الباب الذى ذكره فى القبلة عليه؛ لأنه قد غاير بينهما، و أما استدراك المراغى على القول بأن مروان كان يدخل من الباب الذى ذكره المطرى فصحيح، و قد تقدم عن ابن زبالة أنه يسمى باب بيت زيت القناديل. و الذى يظهر كما قال المراغى أنه جعل فى مقابلة باب اتخذه مروان هناك أيضا؛ لأن ابن زبالة روى أن مروان لما بنى داره جعل لها خوخة فى القبلة، ثم قال: أخشى أن أمنعها، أى لكونها فى القبلة، فجعل لها بابا على يمينك حين تدخل: أى و هو الباب المتقدم وصفه، ثم قال: أخشى أن أمنع المسجد، فجعل الباب الثالث الذى يلى باب المسجد، يعنى الملاصق لباب السلام من خارجه، و فى موضعه اليوم السقاية المقابلة لباب مدرسة الحصن العتيق، و هذا سبب المناسبة فى تسمية رحبة القضاء برحبة دار مروان؛ لمقابلتها لبابه هذا.

و روى ابن زبالة عن إسحاق بن مسلم أن عمر بن عبد العزيز لما بنى المسجد أراد أن يجعل فى الأبواب حلقا، و يجعلها فى الدروب؛ لئلا يدخلها الدواب، فعمل الحلقة التى فى باب المسجد مما يلى دار مروان، ثم بدا له فتركها.

قلت: المراد بذلك السلسلة الحديد المجعولة بجنبتى عقد باب السلام تمنع الدواب من الدخول. و فى باب الرحمة اليوم آثار سلسلة كانت هناك، و سلسلة باب السلام ترفع فى أيام الموسم؛ لأنه اتفق فى سنة أربع و خمسين و ثمانمائة ازدحام الناس عندها فهلك جماعة، و كان أمام باب السلام من داخله درابزين شبيه بالدرابزين الذى كان من داخل باب جبريل، و كان الناس لا ينزعون نعالهم إلا عنده، و كذلك كان مثله أمام باب الرحمة من داخله أيضا؛ فجعل الأمير بردبك المعمار أيام عمارته للظاهر جقمق هذه الأحجار المصفوفة إفريزا عند

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۷

طرف عقد باب السلام مما يلى باب الحصن العتيق، و جعل ما أمام الباب مما يحاذى العقد المذكور رحبة بالمسجد، و صار الناس ينزعون النعال عندها، و عمل عند عقد باب الرحمة مثل ذلك، و رفع ذلك الدرابزين، و كان ما بين الدرابزين و باب الرحمة منخفضا عن أرض المسجد فسواه بأرض المسجد كما هو اليوم، فاحتاج إلى رفع عتبته، فزاد العتبة المتخذة فوق العتبة الأصلية، و قصر شيئا من أسفل الباب، و ذلك ظاهر فيه اليوم، و حصل بذلك صيانة للمسجد، و اتخذ أيضا الرحبة التى أمام باب النساء، و رفع الدرابزين الذى كان من داخله، و اتخذ لباب جبريل الرحبة التى أمامه، و لم يرفع الدرابزين؛ لأن الناس لم يكونوا يمشون بنعالهم إليه، ثم أزيل درابزينه أيضا عند عمارته بعد الحريق الثانى، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

## الفصل الثالث و الثلاثون فى خوخة آل عمر رضى اللّه تعالى عنه المتقدم ذكرها، و ما يتعين من سدّها فى زماننا

## تحديد موضع خوخة آل عمر

اعلم أنها اليوم هى التى يتوصّل إليها من الطابق الـذى بالرواق الثانى من أروقـة القبلـة، و هو الرواق الـذى يقف الناس اليوم فيه للزيارة أمام الوجه الشـريف بالقرب من الطابق المـذكور. و الـذى يتلخص مما قـدمناه فى زيادة عثمان رضـى اللّه عنه و الوليـد و المهـدى أن الأصل فى ذلك أنه لما احتيـج لدار حفصة- يعنى حجرتها- قالت: كيف بطريقى إلى المسـجد، فقيل لها: نعطيك أوسع من بيتك، و نجعل لك طريقا مثل طريقك، فأعطيت دار عبيد اللّه بن عمر، أى التى صارت إليه بعد حفصة، و كانت مربدا، هذا ما رواه ابن زبالة.

و قـد قـدمنا فى زيادة الوليـد من روايـة ابن زبالة أن عمر بن عبد العزيز بعث إلى رجال من آل عمر، و أخبرهم أن أمير المؤمنين كتب إليه أن يبتاع بيت حفصة، و كان عن يمين الخوخة أى من داخل المسجد، فقالوا: ما نبيعه بشىء، قال: إذا أدخله فى المسجد، قالوا: أنت و ذاك، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها، فهدم البيت، و أعطاهم الطريق و وسّعها لهم.

و قـدمنا أيضا ما رواه يحيى عن مالك بن أنس من أن الحجّاج الثقفى هو الـذى ساوم عبيـد اللّه بن عبـد اللّه بن عمر فى هـذا البيت و هـدمه. و فى رواية ليحيى أن عمر بن عبد العزيز لما وصل فى العمارة إلى دار حفصة قال له عبيد الله: لست أبيع هذا هو حق حفصة، و قد كان النبى صـلّى اللّه عليه و سلّم يسكنها، فقال عمر: ما أنا بتاركك أو أدخلها المسجد، فلما كثر الكلام بينهما قال لهم عمر: أجعل لكم فى المسجد بابا تدخلون منه، و أعطيكم دار الرقيق، و ما بقى من الدار فهو لكم، ففعلوا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۸

و قال المطرى: إن الوليـد لما حـج و طاف فى المسـجد رأى هذا الباب فى القبلة فقال لعمر: ما هذا الباب؟ فذكر له ما جرى بينه و بين آل عمر فى بيـت حفصـة، و كـان جرى بينه و بينهم فيه كلام كـثير، و جرى الصـلح على ذلـك، فقـال له الوليـد: أراك قـد صـانعت أخوالك.

و قـد قـدمنا من روايـة ابن زبالـة الإشارة إلى هـذا، و قـدمنا من روايته أيضا عن عبد العزيز بن محمد أنه كان يسـمع عبيد اللّه بن عمر يقول: لا أماتنى اللّه حتى أرانى سدها.

و تقدم أن تلك الخوخة لم تزل طريق آل عمر إلى دارهم حتى عمل المهدى المقصورة على الرواق القبلى.

قال المطرى: فمنعوهم الدخول من بابهم، فجرى فى ذلك أيضا كلام كثير تقدمت الإشارة إليه، اصطلحوا على سدّ الخوخة من أعلاها فى جـدار المسـجد، و أن يخفضوهـا فى الأرض و يجعلوا على أعلاهـا فى موضع البـاب الأول شـباك حديـد فى القبلـة، و حفروها كالسـرب، فتخرج خارج المقصورة فى الرواق الثانى من أروقة القبلة، و لها ثلاث درجات عند بابها فى جوف السـرب بالمسجد، و هو الطابق الموجود اليوم، و عليه قفل من حديد، و لا يفتح إلا أيام قدوم الحاج للزيارة، قال المطرى: و هى طريق آل عمر إلى دارهم التى تسمى اليوم دار العشرة، و إنما هى دار آل عبد اللّه بن عمر، انتهى.

قلت: و على هـذا السـرب من خارج المسـجد باب فى جدار المسـجد أيضا، و أمامه دهليز يتوصل منه إلى شارع فيه دور كثيرة سنشير إلى بعضها فى ذكر الدور المطيفة بالمسجد.

## اتخاذ بعض الناس بابا وسيلة للتدجيل

و قد اختلقوا لتلك الدور أسـماء، حتى قالوا فى بعضـها: هو بيت النبى صـلّى اللّه عليه و سلّم، و بعضها نسبوه إلى فاطمة ابنته رضى اللّه تعـالى عنهـا. و يتخـذ بعض أهل تلك الـدور على ما بلغنى كحلا فى نقرة من الجـدار و يقولون للحجاج: هـذه مكحلـة فاطمـة الزهراء رضـى اللّه تعالى عنها، و يشيرون أيضا إلى رحا عندهم فيقولون: هذه رحا فاطمة الزهراء، أخبرنى بذلك من لبّسوا عليه الأمر و أخبروه بهذه الأكاذيب حتى أعطاهم شيئا. و يجلس عند ذلك الطابق بالمسـجد شـخص ليس هو اليوم من ذرية آل عمر؛ لأن من كان بيدهم مفتاح هـذا الطابق من آل عمر قـد انقرضوا، و بقيت منهم زوجة هذا الشـخص الذى يجلس عند هذا الطابق، ثم توفيت و تركت أولادا

منه، فاستمر المفتاح بيده، فيستنيب من يجلس عند هذا الطابق و يفتحه أيام الموسم، و يقف عنده جماعة يزوّرون الحجاج و يأخذون من الداخلين منه شيئا شبيها بالمكس؛ فإن الجالس عنده لا يمكن أحدا من الدخول منه إلا ببذل شيء يرضيه، و ما حال

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۲۹

الحاج الغريب إذا رأى مثل هذا الباب بدرج تحت الأرض فى المسجد و قيل له: إنه يصل إلى بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و بيت ابنته؟

و قد اشتهر ذلك عند أهل المدينة حتى إن أحدا منهم لا يكره، فيود الغريب المسكين لو بذل روحه فى الوصول لذلك، و ربما لم يكن معه شيء، فيتجشم المشقة فى الوصول لذلك، فقد أخبرنى صاحبنا الشيخ المبارك أبو الجود بركات الجيعانى أنه قدم المدينة قديما قبل أن يجاور بها، قال: فلم أملك نفسى أن دخلت فى هذا الطابق فطبقه الجالس عنده على ظهرى حتى كاد يقصمه لأنه لم يعطه شيئا. و أخبرنى هو و غيره ممن أثق به أنه يقع فى أسفله من الازدحام و اختلاط النساء بالرجال ما لا يوصف مع ضيقه، حتى إن الماشى فيه يحتاج إلى الانحناء.

و أخبرنى بعضهم: أنه رأى فيه منكرا شنيعا، و هو أن بعض الأحداث يمشى خلف النساء مع الازدحام، و كون المشى على تلك الهيئة؛ فيقع ما لا يرضى اللّه و لا رسوله بين يديه صلّى اللّه عليه و سلّم. و كيف يتمادى الناس على إقرار ذلك الآن؟ و هو ليس إلا لمجرد ما ذكرناه، فإنه كان بابا لدار، و لأن من هو بيده لا يملك شيئا من تلك الدور، و لو كان مالكها فليس وضعه لسوى دخول أهل تلك الدور منه، فإنه لم يجعل إلا ليدخل منه آل عمر إلى المسجد، لا لأن يأخذوا فلوسا على من يخرج من المسجد مارا منه، فقد كانوا منزهين عن ذلك. ثم لو سلمنا أن تلك الدور مستحقة للزيارة فزيارتها متيسرة من خارج المسجد، و كيف يتخذ المسجد طريقا، و يخص منه ما يكون بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على تلك الحالة المنكرة لأجل شيء خسيس من الدنيا؟ و نحن نفديه صلّى اللّه عليه و سلّم بأنفسنا فضلا عن أموالنا، و قد أمر صلّى اللّه عليه و سلّم بسد الأبواب التى كانت شارعة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر و إلا- باب على كما قدمناه، مع أن أهل تلك الأبواب إنما كان قصدهم بها التوصل إلى المسجد، فكيف يبقى باب بين يديه صلّى اللّه عليه و سلّم لا نفع له إلا أخذ شيء من الحطام على المرور منه؟ هذا ما لا يرضاه مؤمن يرى تعظيم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

ثم إن هذا الطابق له قفل، و ما حوله من الخشب فيه نوع نتوء، فقد رأيت من لا أحصيه من الخلق يتعثرون به، و ربما سقط بعضهم لوجهه، ثم إنه إذا كثر الدوس عليه فى ليالى الزيارات كليلة النصف من شعبان و نحوها يرتج تحت الأرجل حتى تزلزل الأرض زلزالها، و ذلك يؤذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقد قدمنا أن عائشة رضى اللّه عنها كانت تسمع الوتد يوتد و المسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل إليهم لا- تؤذوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. قالوا: و ما عمل علىّ مصراعى داره إلا بالمناصع- و هو متبرز النساء ليلا خارج سور المدينة- توقيا لذلك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۰

و روى يحيى فى كتابه عن محمد بن يحيى بن زيد النوفلى عن أبيه عن الثقة عنده أن عائشة رضى اللّه عنها ذكرت أن بعض نساء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم دعت نجارا فعلّق ضبة لها، و أن النجار ضرب المسمار فى الضبة ضربا شديدا، و أن عائشة رضى اللّه عنها صاحت بالنجار كلمته كلاما شديدا و قالت: أ لم تعلم أن حرمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ميتا كحرمته حيّا؟ فقالت الأخرى: و ما ذا سمع من هذا؟ قالت: إنه ليؤذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم صوت هذا الضرب اليوم ما يؤذيه لو كان حيا.

## حج السلطان قايتباى

و لم أزل منذ قدمت المدينة أنكر هذا الأمر بالقلب و اللسان و كتابة البنان، و لكن لم أجد على ذلك معينا، لرسوخ الطباع العامية فى

التمسک بالعوائد الماضية من غير روية، و قد نبهت على إنكار ذلک فى كتابى «الوفا، بما يجب لحضرة المصطفى» صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم شافهت فى أمره مولانا الهمام، سلطان ممالک الإسلام، ذا الشجاعة التى شاعت عجائبها، و الشهامة التى ذاعت غرائبها، سلطان الإسلام و المسلمين، و وجهة القاصدين و الآملين، السلطان الملک الأشرف قايتباى، جعل اللّه الممالک منظومة فى سلک ملكه، و أقطار الأرض جارية فى حوزه و ملكه، فإنه لما حج سنة أربع و ثمانين و ثمانمائة بدأ بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلوات و أزكى التسليمات، فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الميمون الثانى و العشرين من ذى القعدة الحرام، فلبس لدخولها حلل التواضع و الخشوع، و تحلى بما يجب لتلک الحضرة النبوية من الهيبة و الخضوع، فترجّل عن جواده عند باب سورها، و مشى على أقدامه بين رباعها و دورها، حتى وقف بين يدى الجناب الرفيع، الحبيب الشفيع، صلّى اللّه عليه و سلّم، و ناجاه بالتسليم، و فاز من ذلک بالحظ الجسيم، ثم ثنى بضجيعيه رضى اللّه تعالى عنهما بعد أن صلّى بالروضة الشريفة التحية، و عفّر وجهه فى ساحتها السنية، و عرض عليه الدخول إلى المقصورة المستديرة حول جدار القبور الشريفة، المعروفة اليوم بالحجرة المنيفة، فتعاظم ذلک، و قال: لو أمكننى أن أقف فى أبعد من هذا الموقف وقفت، فالجناب عظيم، و من ذا الذى يقوم بما يجب له من التعظيم؟ ثم صلّى صبح الجمعة فى الصف الأول بين فقراء الروضة عند أسطوان المهاجرين بالقرب من مصلاى، كان بينى و بينه إمامه شيخ الشيوخ الإمام العلامة نادرة الزمان و عين الأعيان برهان الدين الكركى، فسح اللّه فى أجله، و أدام النفع به، و لم يكن بينى و بينه سابق معرفة، حتى إنى لم أبدأه بسلام و لا كلام، و كذلک السلطان أعزه اللّه أنصاره و ضاعف اقتداره، لم أتعرف إليه، و لم يكن ذلک فى خلدى و لا عزمت عليه، ثم توجه السلطان بجماعته لزيارة عم رسول الله صلّى اللّه عليه و سلّم حمزة بن عبد المطلب و من يليه من شهداء أحد رضوان اللّه عليهم، فمشى مترجلا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۱

كعادته، حتى خرج من باب المدينة، و لم يزل ذلک دأبه، فلم يركب بالمدينة جوادا حتى خرج منها، فلما كان وقت صلاة الجمعة حضر فى ذلک المصلى فكان بينى و بينه إمامه المشار إليه أيضا، ثم قرأ شخص على شيخ المحدثين العلامة شمس الدين ابن شيخنا أبى الفرج العثمانى مجلس ختم البخارى، و كأن الإمام المشار إليه تفرّس فىّ الاتصاف بطلب العلم، ففاتحنى الكلام فى بعض المسائل العلمية المتعلقة بذلک، فجاريته فيها، فرأيت كماله واضح البرهان، و فضله ظاهر العنوان، مع كمال الإنصاف فى البحث، فانتسجت المودة حينئذ، ثم قام الإمام المشار إليه، و استمر السلطان جالسا، ثم بدأنا بالملاطفة، و شرفنا بالمحادثة، و خاض فى شىء من العلم، فرأيت من تواضعه و حلمه و ثقوب فهمه ما فاق الوصف، فأنشدته قول بعضهم:

كانت مساءلة الركبان تخبرنى عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر

ثم التقينا، فلا و اللّه ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

و أنهيت إليه أمر الطابق المذكور، و قلت فى نفسى: لعل اللّه تعالى أرسل هذا السلطان المسعود و جمعنى به من غير قصد ليفوز بتنزيه الحضرة الشريفة من ذلک، و يكون ذلک فى صحائفه، و قد قدمنا ما حاوله الملوک الماضون من سدّه مع أن المفاسد التى قدمناها لم تكن موجودة فى زمنهم، و إنما تركوه كما قدمناه لمانع، و لا مانع من سده اليوم بحمد الله تعالى، فوعد بذلک. ثم وقع الاجتماع بالإمام المشار إليه فكلمته فى ذلک، و قلت له: بلغنى أن من بيده مفتاح الطابق المذكور يجتمع له فى كل سنة نحو عشرة دنانير من هذا الطابق، و لى معلوم فى جهة هذا قدره فى كل سنة، فأنا أنزل عنه لمن بيده ذلک المفتاح تطييبا لخاطره، فذكر ذلک للسلطان، فقال: نحن نرضيه من عندنا، ثم إنه نصره اللّه تعالى حضر لصلاة المغرب، فتفضل بالبداءة بالكلام، و لم يكن إمامه حاضرا، و لكنه سبق منه التربية التامة عنده، فسألنى عن الآية المنقوشة فى المصلى الشريف، و هى قوله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ [البقرة: ۱۴۴] الآية هل نزلت قبل المعراج و فرض الصلاة أم بعد ذلک؟ و كيف كان الاستقبال قبل نزولها؟ فشرعت فى الجواب، فأقيمت الصلاة فى أثناء ذلک، فلما قضى صلاته تنفل بست ركعات، ثم أقبل علىّ طالبا للجواب، فذكرت له تاريخ نزولها بالمدينة، و

ما فيه من الخلاف، و أن فرض الصلاة ليلة فى المعراج كان بمكة، و ما ذكروه فى أمر استقبال بيت المقدس، و ما حكى من الخلاف فى تعدد نسخ القبلة، و صلاته صلّى اللّه عليه و سلّم بمكة بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه و بين بيت المقدس، إلى غير ذلك من الفوائد التى قدمناها فى محلها من كتابنا هذا، و استمريت معه كذلك حتى صلينا العشاء الآخرة، فحصل منه فى ذلك المجلس من الإكرام ما أرجو له به كمال المجازاة من صاحب الحضرة الحبيب الشفيع صلوات اللّه و سلامه عليه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۲

و فرق بالمدينة الشريفة مالا جزيلا ستة آلاف دينار أو أكثر، و دفع إلىّ على يد إمامه المشار إليه من ذلك جزءا وافرا، و تكلمات معه فى رفع مكوس المدينة و تعويض أميرها عن ذلك شيئا، فأفهم الوعد به، و سألنى عن أمر دار العباس التى اشتريت له، و كانت سببا فى قتل القضائى الزكوى تغمده اللّه تعالى برحمته لعدم السياسة فى أخذها، فأخبرته بحقيقة الحال، فقال: لم لم تكتب إلىّ بهذا؟ فاعتذرت له بعذر قبله، و تبرأ من جميع ما فعلوا فيها، و وعد بما يكون فيه صلاح أمرها، ثم وفى بذلك بعد عوده، فزادهم مبلغا كثيرا رضوا به، و تفضل بالتشريف بطلب الكتابة إليه بما يكون فيه صلاح أحوال المدينة و التنبيه على من يردها من المحتاجين.

ثم توجه فى الرابع و العشرين من الشهر المذكور مصحوبا بالسلامة إلى مكة المشرفة ماشيا على أقدامه بين فقراء المدينة و فقهائها حتى خرج من باب المدينة، فوقف هناك، و قرأنا له الفاتحة، ثم ركب جواده، أدام اللّه تأييده و حرسه من الردى، و أنار له طرق الحق و الهدى.

ثم قدمت مكة صحبة الحاج الشامى فوجدته قد سلك بها مسلك التواضع أيضا، و تصدق فيها بمال جزيل أكثر مما تصدق بالمدينة الشريفة.

و لما اجتمعت بإمامه المشار إليه بمكة المشرفة تذاكرنا الصدقة الشريفة بالمدينة الشريفة و عمومها، و ما حصل بها من النفع، فذكرت له أن أربعة من فقراء المغاربة لم يأخذوا شيئا لملازمتهم لرباطهم، و عدم إتيانهم لمن كان يفرق، و أن شخصا آخر مستحقا كنت أود لو حصل له أكثر مما دفع له، فبلغ ذلك السلطان، فلما كان فى أوسط أيام منى توجهت لوداع الإمام المشار إليه، فأشار بموادعة السلطان، فقلت له: أخشى أن يتوهم أن المجىء لقصد آخر، فقال: لا بد من موادعته، فتوجهنا إليه فحصل منه من الإكرام ما أطلب له الجزاء عليه من أكرم الأكرمين، ثم قال: أنتم ذكرتم للإمام كيت و كيت، فلم ينس ما تقدم ذكره من أمر جماعة الفقراء، فقلت له: نعم، فأمر لهم بمائة دينار أقسمها عليهم لكل واحد عشرون دينارا، ثم قال: هل بقى أحد؟ فقلت له: ما أستحضر أحدا، و رأيت له اهتماما تاما بتعميم جيران الحضرة الشريفة، و وادعنى قائما و سأل عن أمر الطابق المذكور لما قدمنا مكة، و أمر بأن لا يفتح، و أن يسد بعد ذلك، فلما بلغ شيخ الخدام بالمدينة الشريفة منع من فتحه عند قدوم الحاج المصرى فى هذا العام، و لكن بقى سده، فإن الطريق فى قطع الشر قلع أصوله، و قد وعد بسده.

## وقف السلطان قايتباى لأهل المدينة المنورة

ثم إن السلطان أيده اللّه تعالى رجع إلى مصر مصحوبا بتأييد اللّه و نصره، فبلغنا أنه

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۳

أبرز بعد وصوله ستين ألف دينار ليشترى بها أماكن تكون أوقافا يحمل ريعها إلى الحضرة الشريفة، و يعمل بها سماط كسماط الخليل عليه السلام، و هذا أمر لم يسبقه إليه أحد من ملوك الإسلام، و المسئول من اللّه تعالى أن ييسر له ذلك.

و قد ألحقنا فى الفصل التاسع و العشرين ما برزت به المراسيم الشريفة من إبطال المكوس، و تعويض أمير المدينة الشريفة عنها، و أنه وقف أماكن كثيرة يتحصل منها نحو سبعة آلاف و خمسمائة إردب من الحب كل سنة لعمل السماط المذكور، و ليصرف من ذلك كفاية أرباب البيوت بالمدينة الشريفة، ثم وصول البهائى أبى البقاء بن الجيعان عظم اللّه شأنه بجملة من ذلك و الصرف و التقرير و

عمل السماط على الوجه السابق، و المرجو من اللّه تعالى دوام ذلك له؛ فإن اللّه تعالى قد أجرى على يديه من الخيرات ما لم يجتمع لأحد من الملوك قبله فمن ذلك ما تقدم من العمارة بالمسجد النبوى و الحجرة الشريفة، و إبطال هذا الطابق المتقدم وصفه، و من العجب أن من كان بيده هذا الطابق توجه إليه بمصر و سأل أن يمكّن من فتحه، فلم يجبه لذلك، و قرر له فى الذخيرة بضعة عشر دينارا كل سنة عوضا عما كان يحصل له منه، ثم وردت المراسيم الشريفة بالإخبار بذلك، و الأمر بسده، و لكن شق على بعض أهل الحظوظ النفسية تمام هذا الأمر و المتسبب فيه الفقير الحقير، فتسبب فى تأخيره، فمات شيخ الخدام إينال الإسحاقى و لم يسده، فلما قدمت مصر عام سبع و ثمانين و ثمانمائة أنهيت للسلطان أن الطابق لم يسد، و خشيت أن يغضب بسبب ذلك على بعض الناس، فاعتذرت بأن موجب التأخير وفاة شيخ الحرم، فبرزت مراسيمه الشريفة لشيخ الحرم و متولى العمارة الشمس بن الزمن بسده بالبناء، بحيث لا يفتح أبدا، و كان المعاكس فى هذا الغرض قد أمال متولى العمارة إليه مع ما سبق فى الفصل الثامن و العشرين من إيغار صدره منى، و كان هذا الطابق قد احترق و ارتدم بعد أمر السلطان بسده فى حريق سنة ست و ثمانين و ثمانمائة، و أثرت النار فى قبره تأثيرا عظيما، فأعاده متولى العمارة و أحكمه، و جعل له بابا، فلما وردت عليه المراسيم الشريفة بما سبق على يدىّ أجاب بأنه يراجع السلطان فى ذلك لأن تلك الدور صارت له.

ثم إن شيخ الحرم أنهى إلى السلطان ذلك، فبرزت المراسيم الشريفة بسده و اللوم على تأخيره مع تكرر الأمر بذلك، فأمره متولى العمارة بتأخير ذلك ليراجع السلطان فيه، و قال:

إنه يجعل تلك الدور مزارات ليتم له ما أراده من بقاء ذلك الطابق، و تعجب الناس من إقدامه عليه، ثم بلغ السلطان ذلك مع أمور يطول شرحها؛ فغضب غضبا شديدا و برز مرسومه بسده و الوعيد التام على تأخيره، فسده شيخ الحرم بالبناء المحكم من خارج المسجد، و نزع باب طابقه، و ردمه بالأتربة حتى ساوى أرض المسجد، و لم يبق له أثر، و ذلك فى رابع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۴

ذى القعدة سنة ثمان و ثمانين و ثمانمائة، و سرّ أهل الخير بذلك، و تضاعفت أدعيتهم للسلطان نصره الله تعالى، و هذا من أعظم محاسنه.

## من آثار قايتباى بالحرمين الشريفين

و من ذلك إجراء عين خليص بعد انقطاعها مرة بعد أخرى، و هى من أحسن مناهل الحج و أعذبها، و كذلك بركة الروحاء.

و من ذلك عمارة مسجد الخيف بعد أن تهدم بأجمعه، و إنشاء المنارة و السبيل اللذين عند بابه، و إجراء المعلوم لمن يؤذّن بتلك المنارة و لمن يؤم بالمسجد المذكور.

و من ذلك إحداث الظل بمقدم مسجد نمرة المنسوب لإبراهيم الخليل، على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام، و قد كان الحجاج يقاسون به شدة من حر الشمس فى ذلك اليوم، فالله تعالى يظله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

و من ذلك إجراء عين عرفة من بطن نعمان، بعد أن دثرت و انمحت معالمها و اندرست، و عمارة بركها و مجاريها، حتى فاضت الأنهار بأقاصيها و أدانيها، و أوصلها إلى مسجد نمرة، و أنشأ به صهريجا يجتمع فيه الماء، فأذهب بذلك عن الحج الأعظم الظمأ، و قد كنت أرى الفقراء فى كل سنة فى ذلك اليوم لا يسألون غالبا إلا الماء، و كان من أعز الأشياء هناك، فلم يبق له طالب، و لله الحمد، سقاه اللّه بذلك من حوض الكوثر.

و من ذلك المدرسة و الرباط اللذان عمر هما بمكة المشرفة، و لا نظير لهما فيها.

و من ذلك حجه فى هذا العام، فإن ذلك لم يقع لأحد من ملوك مصر من نحو مائة و خمسين سنة، و كان آخر من حج منهم الملك الناصر محمد بن قلاوون، حج ثلاث حجات:

أولاها سنة عشر و سبعمائة، و ثانيتها سنة عشرين، و ثالثتها سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة، و لم يحج أحد بعد ذلك من سلاطين مصر، و أرجو أن يفسح اللّه فى أجل سلطاننا هذا حتى يدرك ذلك، و يتم له ما نواه من الخير بالحضرة النبوية.

و قد أنشأ بثغر اسكندرية برجا عظيما لم يسبق إليه، و شحنه بالأسلحة و الجند.

و لما توجهت إلى زيادة بيت المقدس رأيت له فيه و فيما بين مصر و بينه من الآثار العظيمة ما لم أره من غيره من الملوك من المدارس و المساجد و القناطر، و هذا المحل لا يحتمل بسط ذلك، و إنما ذكرنا من آثاره الجميلة ما يتعلق بالحجاز لأنه محل الغرض.

و هو ملك مطاع، محظوظ، صبور، غير عجل، كثير الحياء و الوقار و المهابة، إذا حاول أمرا لا يسرع فيه، بل يتأنى كثيرا، و يعظم أهل العلم و يجلهم.

و إنما أمتعنا بذكر ذلك هنا ليكون سببا فى حث الواقف على ذلك على الدعاء لهذا الملك السعيد بإنجاح المطالب، و نيل المآرب، و لتنبعث همة من جاء بعده من الملوك على أن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۵

يقتدى به فى الخير فيصنع مثل ما صنعه، و نسأل اللّه تعالى أن يفسح فى أجله، فقلّ أن يأتى بعده مثله.

## الفصل الرابع و الثلاثون فيما كان مطيفا بالمسجد الشريف من الدور، و ما كان من خبرها، و جلّ ذلك من منازل المهاجرين رضى اللّه تعالى عنهم

### رسول اللّه يخط دور المدينة

روى ابن سعد فى طبقاته عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خطّ الدور بالمدينة، فخط لبنى زهرة فى ناحية مؤخر المسجد، فكان لعبد الرحمن بن عوف الحش، و الحش: نخل صغار لا يسقى.

و عنه أيضا أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خط الدور؛ فخط لبنى زهرة فى ناحية مؤخر المسجد؛ فجعل لعبد اللّه و عتبة ابنى مسعود هذه الخطة عند المسجد.

و قال ياقوت: لما قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مهاجرا إلى المدينة أقطع الناس الدور و الرّباع؛ فخط لنبى زهرة فى ناحية من مؤخر المسجد، و كان لعبد الرحمن بن عوف الحش المعروف به، و جعل لعبد اللّه و عتبة ابنى مسعود الهذليّين الخطة المشهورة بهم عند المسجد، و أقطع الزبير ابن العوام بقيعا واسعا، و جعل لطلحة بن عبيد اللّه موضع دوره، و لأبى بكر الصديق موضع داره عند المسجد، و أقطع كل واحد من عثمان بن عفان و خالد بن الوليد و المقداد و غيرهم مواضع درهم، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقطع أصحابه هذه القطائع، فما كان فى عفائن الأرض فإنه أقطعهم إياه، و ما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له فكان يقطع من ذلك ما شاء، و كان أول من وهب له خططه و منازله حارثة بن النعمان وهب له ذلك و أقطعه صلّى اللّه عليه و سلّم، انتهى.

### دار آل عمر بن الخطاب

فأول الدور الشوارع حول المسجد من القبلة دار عبد اللّه بن عمر بن الخطاب التى فيها الخوخة المتقدم وصفها، و ليست الدار المذكورة اليوم بيد أحد من آل عمر كما قدمناه، و قدمنا أن موضع هذه الدار كان مربدا أعطيته حفصة رضى اللّه تعالى عنها بدل حجرتها لما احتيج إلى إدخالها فى المسجد، و فى رواية أن آل عمر أعطوا بدلها دار الرقيق و ما بقى منها.

و قال ابن غسان، فيما نقله ابن شبة: و أخبرنى مخبر أن تلك الدار- يعنى دار آل عمر- كانت مربدا يتوضأ فيه أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فلما توفى استخلصته حفصة رضى اللّه عنها

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۶

بثلاثين ألف درهم، فورثها عنها عبد الله بن عمر؛ فهى التى قال فيها عبد الله فى كتاب صدقته: و تصدق عبد الله بداره التى عند المسجد التى ورث من حفصة.

## بيت لأبى بكر الصديق صار لآل عمر

قال: و أخبرنى مخبر قال: كان بيت أبى بكر الذى قال فيه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «سدوا عنى هذه الأبواب- الحديث» بيد عبد اللّه بن عمر، و هو البيت الذى على يمينك إذا دخلت دار عبد اللّه من الخوخة التى فى المسجد، فتلقاك هناك خوخة فى جوف الخوخة التى هى الطريق مبوّبة، فتلك الخوخة خوخة أبى بكر.

قال: و كانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبى بكر مع الدار التى فوق هذه، أى التى فى قبلتها كما سنبينه، قال: و تصدقت بتلك الدار على ولد عمر.

قلت: هذه الرواية الأخيرة ضعيفة كما قدمناه؛ و لذلك لم يبين قائلها، و لأنه فى دور بنى تيم لما ذكر دار أبى بكر التى ورد فيها الحديث المذكور لم يذكر هذه الرواية، بل اقتصر على الرواية المشهورة فى أنها فى غربى المسجد؛ فإن الخوخة الواردة فيها الحديث هى الشارعة فى رحبة دار القضاء، و لذلك لما زادوا فى المسجد أرادوا محاكاتها، فجعلوها خوخة شارعة هناك، و لم يجعلوها كبقية أبواب المسجد، و لأنه جزم فى دور أزواج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأن عائشة رضى اللّه عنها اتخذت الدار التى يقال لها دار عائشة بين دار الرقيق و بين دار أسماء بنت أبى بكر فتصدقت بها.

قلت: فإن كانت دار الرقيق هى بيت حفصة فبيت عائشة إلى جنبه، و المعروف عند الناس أن البيت الذى على يمين الخارج من خوخة آل عمر المذكورة هو بيت عائشة رضى الله عنها، فلعل الاشتباه فى نسبته إلى أبى بكر رضى اللّه عنه نشأ من ذلك، مع أن الذى اقتضاه كلام المؤرخين أن البيت المذكور عن يمين الخوخة هو بيت آل عمر، و أن دار عائشة ليست فى هذا المحل، و هذه الدار المذكورة- أعنى التى على يمين الداخل من الخوخة- وقف ناظره شيخ الخدام، و بلغنى أن واقفها اشترط أن لا يسكنها متزوج، و بابها اليوم شارع فى القبلة، و لها شباك عن يمين الخوخة لعله كان فى موضع بابها الأول لما كانت الخوخة شارعة فى الدار المذكورة، و أما البيت الذى عن يسار الخوخة فوقفة أيضا ناظره شيخ الخدام، و بابه ليس شارعا عند الخوخة، بل بعيد منها فى المغرب، و هو آخر الدور الآتى ذكرها، و مقتضى ما سيأتى عن ابن شبة و ابن زبالة أن الدار المعروفة اليوم بدار عائشة و الدارين اللتين إلى جانبها الغربى فى قبلة المسجد من جملة دار آل عمر؛ لأنهما قالا: فى الدور الشوارع من القبلة دار عبد اللّه بن عمر، ثم دار مروان الآتى ذكرها، و أما الدار الثانية التى تقدمت الإشارة إليها فى كلام أبى غسان من دور حفصة فوق هذه فقد ذكرها بقوله: و كانت لحفصة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۷

الدار التى بين زقاق عبد العزيز بن مروان الذى أدخل فى دار مروان دار الإمارة و بين زقاق عاصم بن عمر بابها شارع قبالة دير أطم بنى النجار الذى يدعى فويرعا، فتصدقت بها على ولد عمر؛ فهى بأيديهم صدقة منها.

قلت: و هذا الوصف منطبق اليوم على دار قاضى الشافعية أبى الفتح بن صالح و ما لاصقها من جهة الشام؛ لأن زقاق عاصم هو الزقاق الشارع باب هذه الدار فيه الآخذ منها إلى جهة القبلة و الميضأة، و لأن فويرعا كان فيما بينها و بين المدرسة الشهابية كما سيأتى بيانه، و على هذا فزقاق عاصم هو الذى فى شاميها، دخل بعضه فيما حاذى دار مروان، و بقى منه ما يفرق بين دار آل عمر هذه و الدار التى لها الخوخة، و اللّه أعلم.

## دار مروان بن الحكم

ثم يلى دار عبد الله بن عمر ذات الخوخة فى قبلة المسجد من غربيها دار مروان بن الحكم، قال ابن زبالة: و كان بعضها للنحام- يعنى نعيم بن عبد اللّه من بنى عدى- و بعضها من دار العباس بن عبد المطلب، فابتاعها مروان فبناها و جعل فيها دارا لابنه عبد العزيز بن مروان، ثم ذكر خبر أبوابها المتقدم ذكره فى أبواب المسجد.

و روى ابن زبالة فى ذيل زيادة عثمان بن عفان رضى اللّه عنه فى المسجد، عن غير واحد منهم محمد بن إسماعيل عن أبيه أنه كانت فيها نخلات، فابتاع مروان من آل النحام كل نخلة و موضعها بألف درهم، و كن ثمانيا أو اثنتى عشرة، فرأى الناس أن مروان قد أغلى، فلما وجب له البيع عقرهن و بناها دارا فغبطه الناس.

و نقل ابن شبة عن بعضهم أن دار مروان بن الحكم التى ينزلها الولاة إلى جنب المسجد- يعنى الدار المذكورة- كانت مربدا لدار العباس التى دخلت فى المسجد، فابتاعها مروان، فسمعت من يقول: كانت القبة التى كانت فى دار مروان و حجرتها التى تلى المسجد عن يسار من دخل الدار للنحام أخى بنى عدى بن كعب، و كانت فيها نخلات، فابتاعها مروان من النحام بثلاثمائة ألف درهم، و أدخلها فى داره، فذلك الموضع ليس من المربد الذى ابتاع من العباس.

و ذكر ابن شبة فى موضع آخر أن دار مروان صارت فى الصّوافى، أى: لبيت المال.

قلت: و فى موضعها اليوم كما قدمناه الميضأة التى فى قبلة المسجد عند باب السلام، و ما فى شرقيها إلى دور آل عمر، قال ابن زبالة و ابن شبة: و إلى جنبها- يعنى: دار مروان- فى المغرب دار يزيد بن عبد الملك التى صارت لزبيدة، و كان فى موضعها دار لآل أبى سفيان ابن حرب، كانت أشرف دار بالمدينة بناء و أذهبه فى السماء. و دار كانت لآل أبى أمية بن المغيرة، فابتاعها يزيد، و أدخلها فى داره، و هدمها، و كان بعض أهل المدينة وفد على

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۸

يزيد ابن عبد الملك و قد فرغوا من بناء داره، فسأله عنها، فقال: ما أعرف لك أصلحك الله بالمدينة دارا، فلما رأى ما فى وجهه قال: يا أمير المؤمنين، إنها ليست بدار، و لكنها مدينة، فأعجب ذلك يزيد.

## دار رباح و دار المقداد

قلت: و فى موضع هذه الدار اليوم ما يقابل الميضأة فى المغرب من دار الأشراف العباسا و الدار الملاصقة لها فى المغرب المشتراتين للسلطان، و قد أضافوا إليهما ما فى قبلتهما من الدور.

و قد ذكر ابن شبة أن رباحا مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم اتخذ دارا على زاوية دار يزيد بن عبد الملك الغربية اليمانية، و أن المقداد بن الأسود حليف بنى زهرة اتخذ دارا بين بيت رباح مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بين زقاق عاصم، فتكون هذه الدار على زاوية دار يزيد الشرقية اليمانية، فهما من جملة ما اشترى للسلطان اليوم. و بين الميضأة و بين هذه الدور زقاق لعله متصل بزقاق عاصم بن عمر، إلا أن ابن زبالة و ابن شبة لم يذكراه، قالا: ثم وجاه دار يزيد دار أويس بن سعد بن أبى سرح العامرى. قال ابن شبة فى هذه الدار: أخبرت أنها كانت لمطيع بن الأسود فناقل بها العباس إلى الدار التى بالبلاط يقال لها دار مطيع، و زاده عشرة آلاف درهم، ثم باعها العباس من عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح بثلاثين ألف درهم، فسكنها بنو أخيه؛ فهى الدار التى يقال لها دار أويس عند دار يزيد بن عبد الملك بالبلاط، و قد سمعنا من يذكر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أقطع مطيعا داره تلك، فالله أعلم أى ذلك كان.

قلت: و موضع دار أويس اليوم المدرسة الباسطية التى أنشأها القاضى عبد الباسط سنة بضع و أربعين و ثمانمائة، و ما فى شرقيها من

مؤخر المدرسة المعروفة اليوم بالحصن العتيق المتقدم ذكرها، فذلك كله يواجه دار يزيد المذكورة، و يفصل بينهما بلاط باب السلام.

## دار مطيع بن الأسود

قالا: ثم إلى جنب دار أويس- أى فى المغرب- دار مطيع بن الأسود العدوى، أى المتقدم ذكر قصتها و أنها كانت للعباس رضى اللّه تعالى عنه، قال ابن شبة: أى: المتقدم ذكر قصتها و أنها كانت للعباس رضى اللّه تعالى عنه، قال ابن شبة: و يقال لها دار أبى مطيع، و عندها أصحاب الفاكهة، و زاد فى قصتها أنه بلغه أيضا أن حكيم بن حزام ابتاعها هى و داره التى من ورائها بمائة ألف درهم، فشركه ابن مطيع، فقاومه حكيم، فأخذ ابن مطيع داره بالثمن كله و بقيت دار حكيم فى يده ربحا، فقيل لحكيم: خدعك، فقال: دار بدار و مائة ألف درهم، و كان يقال لدار أبى مطيع العنقاء، قال لها الشاعر:

إلى العنقاء دار أبى مطيع

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۳۹

و بين يدى دار أبى مطيع أبيات ليزيد بن عبد الملك فيها الغسالون، يقال: إن يزيد كان ساوم آل مطيع بدارهم، فأبوا أن يبيعوها، فأحدث عليهم تلك البيوت، فسدّ وجه دارهم، فهى تدعى أبيات الضّرار، و هى مما صار للخيزران.

قلت: و موضع دار أبى مطيع اليوم الدار التى فى غربى المدرسة الباسطية التى اشتراها وكيل الخواجا ابن الزمن، و فى غربيها سوق المدينة اليوم، و هو من البلاط، و موضعه عندها هو المراد بقول ابن شبة: و عندها أصحاب الفاكهة، فكأن الفاكهة كانت تباع فيه حينئذ.

## دار حكيم بن حزام

و أما دار حكيم التى ذكر أنها من ورائها فمحلها اليوم الدار التى فى شامى هذه الدور التى عندها درج العين بالسوق المذكور، قال ابن شبة فى دور بنى أسد: و اتخذ حكيم بن حزام داره الشارعة على البلاط إلى جنب دار مطيع بن الأسود، بينها و بين دار معاوية بن أبى سفيان، يحجز بينها و بين دار معاوية الطريق، و مراده بالبلاط الموضع الذى به سوق المدينة اليوم أمام المدرسة الزمنية الممتد منها إلى الشام.

و قوله «يحجز بينها- أى: دار حكيم و دار مطيع- و بين دار معاوية الطريق» أى: البلاط المذكور؛ فالظاهر: أن دار معاوية هذه هى المقابلة لها بين الدارين فى المغرب، و هناك فى مقابلتها اليوم رباط جدد أنشأه الفخر ناظر الجيوش بمصر سنة تسع عشرة و سبعمائة بابه شارع فى سوق المدينة اليوم و دار خربة.

و قال ابن شبة أيضا فى دور بنى عدى بن كعب: اتخذ النعمان بن عدى داره التى صارت لمحمد بن خالد بن برمك و بناها، و فى الشارعة عند الخياطين بالبلاط عند أصحاب الفاكهة ابتاعها من آل النحام و آل أبى جهم، و كانت صارت لهم مواريث، انتهى.

## دار عبد اللّه بن مكمل

و محل هذه الدار إما الدار الخربة التى إلى جانب الرباط الشارع فى السوق، أو المدرسة الزمنية، و اللّه أعلم.

و لنرجع إلى ذكر الدور المطيفة بالمسجد.

قال ابن شبة: و فى غربى المسجد دار عبد اللّه بن مكمل الشارعة فى رحبة القضاء، و هى مما يتشاءم به، و ذلك مما نشأ عن بنائها.

و قال فى دور بنى زهرة: كان عبد الرحمن بن عوف وهبها لابن مكمل، فباعها آله من المهدى؛ فهى بأيدى ولده اليوم خراب إلى

جنب المسجد، أى قبل أن تبنى رحبة القضاء.

قال: و هى التى يقولون: إن أهلها قالوا: يا رسول الله، اشتريناها و نحن جميع فتفرقنا، و أغنياء فافتقرنا، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: اتركوها فهى ذميمة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۰

و قال ابن زبالة: هى التى يجلس إلى ركحها صاحب الشرط، و إليها أصحاب الفاكهة، و هم يهابون بناءها و يتشاءمون بها؛ فهى على حال ما اشتريت عليه.

و قد ترجم فى الموطأ لما يتقى من الشؤم، و روى فيه عن يحيى بن سعيد أن امرأة جاءت إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقالت: يا رسول الله، دار سكناها و العدد كثير و المال وافر فقلّ العدد و ذهب المال، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «دعوها ذميمة» و رواه البزار بنحوه عن ابن عمر، إلا- أنه قال فيه: إن قوما جاءوا إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و زاد فيه: فقالوا: يا رسول اللّه كيف ندعها؟ قال:

«بيعوها أو هبوها».

و قال البزار: أخطأ فيه صالح بن أبى الأخضر، و الصواب أنه من مرسلات عبد اللّه بن شداد، و روى الطبرانى نحوه عن سهل بن حارثة الأنصارى، و فيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان و غيره و ضعفه جماعة.

قلت: و فى موضع دار ابن مكمل اليوم المدرسة المعروفة بالجوبانية من بابها إلى آخر رباطها الذى فى غربيها، بل يؤخذ مما سبق عن ابن زبالة من جلوس أصحاب الفاكهة إليها أنها كانت تمتد إلى سوق الصواغين اليوم؛ لما تقدم من بيان أصحاب الفاكهة، و لما سيأتى فى الدار التى بعدها.

## دار النحام

و فى المغرب أيضا دار النحام العدوى. و عبارة ابن زبالة و ابن شبة: و فى غربى المسجد دار ابن مكمل و دار النحام، الطريق بينهما قدر ستة أذرع.

و قال ابن شبة فى دور بنى عدى: و اتخذ النحام نعيم بن عبد اللّه داره التى بابها و جاه زاوية رحبة دار القضاء، و شرقيها الدار التى قبضت عن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك التى كانت بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية فهى بيد ولده على حوز الصدقة.

قال: و أخبرنى مخبر أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حازها له قطيعة منه.

قلت: و دار جعفر المذكورة هى المواجهة لباب الرحمة؛ فعلم بذلك أن دار النحام هذه كانت فى مقابلة باب المدرسة الجوبانية المتقدم ذكرها فى بيان رحبة القضاء عند ذكر باب زياد، و أن الطريق التى بين دار النحام و دار ابن مكمل هى البلاط الآخذ من باب الرحمة إلى السوق، و علم بذلك أن رحبة القضاء كانت تمتد من جهة باب الرحمة إلى باب الجوبانية.

## دار جعفر بن يحيى

ثم إلى جنب دار النحام دار جعفر بن يحيى التى دخل فيها بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية. و أطم حسان بن ثابت رضى اللّه تعالى عنه المسمى بفارع.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۱

قلت: و قد تقدم بيان محلها فى باب الرحمة، و أنه اليوم هو البيت المواجه لباب الرحمة، و هو كان موضع بيت عاتكة، و ما فى شامية من المدرسة الكبرجية و هو موضع الأطم.

## دار نصير

ثم إلى دار جعفر بن يحيى دار نصير صاحب المصلى، كانت بيتا لسكينة بنت الحسين بن على رضى اللّه عنهم، ثم إلى جنبها الطريق إلى دار طلحة بن عبيد اللّه ستة أذرع.

قلت: و قد تقدم فى أبواب جهة المغرب أن فى محل دار نصير اليوم الدار المعروفة بتميم الدارى، و التى فى شاميها إلى الطريق التى تدخل منها إلى دور القياشين التى صارت للخواجا قاوان، و هذه الطريق هى المرادة هنا، و تلك الدور هى دور طلحة بن عبيد الله، و فى شرقيها دار منيرة الآتى ذكرها.

قال ابن شبة فى دور بنى تيم: و اتخذ طلحة بن عبيد الله داره بين دار عبد اللّه بن جعفر التى صارت لمنيرة و بين دار عمر بن الزبير بن العوام، ففرقها ولده من بعده ثلاثة أدور، فصارت الدار الشرقية اللاصقة بدار منيرة ليحيى بن طلحة، و صارت التى تليها لعيسى بن طلحة، و صارت الأخرى لإبراهيم بن محمد بن طلحة.

قلت: و دار عمر بن الزبير التى فى غربى دار طلحة ملاصقة لدار عروة بن الزبير، قال ابن شبة: اتخذهما الزبير و تصدق بهما عليهما و على أعقابهما، و هما متلازقتان عند خوخة القوارير، انتهى.

و فى نهاية الطريق إلى دور القياشين خوخة كانت شارعة فى المغرب عند سوق العطارين، الظاهر أنها المراد بخوخة القوارير.

## دار منيرة مولاة أم موسى

ثم إلى جنب الطريق إلى دور طلحة دار منيرة مولاة أم موسى، كانت لعبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب.

قلت: و قد بينا محلها فى أول أبواب المسجد من جهة المغرب، و يستفاد منه أنها كانت من طريق دور القياشين إلى ما يحاذى نهاية المسجد.

ثم إلى جنبها خوخة آل يحيى بن طلحة.

قلت: و هناك اليوم زقاق لطيف خلف الفرن المحاذى لقرب مؤخر المسجد من المغرب، يعرف بزقاق عانقينى، هو المراد بذلك؛ لأن بعض الدور التى فيه يسلك منها إلى دور القياشين التى هى دور طلحة.

## حش طلحة

ثم إلى جنب خوخة آل يحيى بن طلحة بن أبى طلحة الأنصارى و هو اليوم خراب صوافى عن آل ابن برمك.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۲

قلت: و الظاهر أن فى محله اليوم الفرن المتقدم ذكره و ما حوله.

و قد قدمنا فى زيادة المهدى ما ذكره ابن شبة فى إدخاله صدر دار آل شرحبيل بن حسنة التى كانت لأم حبيبة رضى اللّه تعالى عنها فى مؤخر المسجد.

قال ابن شبة عقب ذلك: ثم باعوا بقيتها من يحيى بن خالد بن برمك فهدمها حين هدم حش طلحة، ثم صارت براحا فى الصوافى، ثم بنى فى موضعها الناس بأكثر من أصحاب الصوافى؛ فعلم بذلك أن حش طلحة كان ينعطف على المسجد من جهة الشام، و سيأتى فى ذكر البلاط ما يصرح بذلك، و الظاهر أن بقية دار شرحبيل من الحش المذكور هو ما حاذى الميضأة التى فى شامى المسجد من المغرب، بدليل ما سيأتى، و اللّه أعلم.

ثم إلى جنب حش طلحة الطريق خمسة أذرع.

قلت: و هذه الطريق هى التى فى شامى الميضأة المتقدم ذكرها، يتوصل منها إلى رباط الشيخ شمس الدين الششترى.

### أبيات خالصة

ثم إلى جنب الطريق أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين، و هى دار حباب مولى عتبة بن غزوان.

قلت: و فى موضعها اليوم دار أحد رئيسى مؤذنى المسجد، و ما يليها من المارستان الذى أنشأه المنتصر بالله، و ما يليه من رباط الظاهرية، كما تقدم فى ذكر أبواب المسجد.

### دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف

ثم إلى جنب أبيات خالصة دار أبى الغيث بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، و هى صدقة.

و ذكر ابن شبة فى دور بنى زهرة أن من دور عبد الرحمن بن عوف التى اتخذها الدار التى يقال لها الدار الكبرى دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف بحش طلحة.

قال: و إنما سميت الدار الكبرى لأنها أول دار بناها أحد من المهاجرين بالمدينة، و كان عبد الرحمن ينزل فيها ضيفان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فكانت أيضا تسمى دار الضيفان، فسرق فيها بعض الضيفان، فشكا ذلك عبد الرحمن إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد بنى فيها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بيده فيما زعم الأعرج، و هى بيد بعض ولد عبد الرحمن بن عوف.

قلت: و هى غير دار عبد الرحمن بن عوف المعروفة بدار مليكة التى تقدم أنها دخلت فى المسجد.

و فى شامى المسجد اليوم مما يلى الشرق دار تعرف بدار المضيف، فلعل تسميتها بذلك لكونها فى موضع دار الضيفان المذكورة، لكن ذكر الدار الآتية بعدها قبل جهة المشرق يبعد

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۳

ذلك، فكأن الجانب الغربى من دار المضيف و ما حوله فى المغرب من الساباط و بعض رباط الظاهرية فى موضع الدار المذكورة.

ثم إلى جنب دار أبى الغيث بقية دار عبد اللّه بن مسعود، كانت لجعفر بن يحيى، و قد قبضت صافية عنه.

قلت: قد قدمنا أنها كانت تدعى دار القراء، و أن بعضها دخل فى زيادة الوليد، و بقيتها فى زيادة المهدى، فكأن المراد بعض بقيتها، بدليل ما هنا، و مع ذلك فأنا أستبعد أن يبقى منها بقية فى جهة الشام، سيما إذا كان المهدى قد زاد مائة ذراع.

ثم يضاف لذلك ما زاده الوليد منها، و عرض الرحبة التى فى شامى المسجد، و أىّ دار يكون طولها هذا المقدار فضلا عن أن يبقى بعد ذلك منها بقية؟ و موضع ما وصفوه اليوم هو ما يلى المشرق من الدار المعروفة بدار المضيف المتقدم ذكرها، و اللّه أعلم.

### دار موسى المخزومى

قال ابن زبالة و ابن شبة: ثم من المشرق دار موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد اللّه ابن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى، كان ابتاعها هو و عبيد اللّه بن حسين بن على بن حسين ابن على بن أبى طالب رضى اللّه تعالى عنهم، فتقاوماها، فظن عبيد اللّه أن موسى لا يريد إلا الربح، فأسلمها عبيد اللّه فصارت لموسى.

قلت: و ظاهر ذلك أن الدار المذكورة أول جهة المشرق مما يلى الشام، و فى موضعها اليوم- كما قدمناه فى ذكر أبواب المسجد- بيت بعض رئيسى المؤذنين الذى يلى دار المضيف، و ما يليه من الميضأة المعطلة اليوم، و بين ذلك و بين دار المضيف زقاق يعرف بخرق الجمل يتصل إلى الدور الملاصقة لسور المدينة، و لعله المعروف قديما بزقاق جمل؛ فإن ابن شبة ذكر أن فاطمة بنت قيس اتخذت دارا بين دار أنس بن مالك و بين زقاق جمل، و دار أنس بن مالك ذكر أنها فى بنى جديلة، و هى فى شامى سور المدينة.

ثم إلى جنب دار موسى أبيات قهطم دار موسى و دار عمرو بن العاص، و هى- يعنى دار عمرو- صدقة من عمرو، و هى اليوم صوافى: أى أبيات قهطم، هذه عبارة ابن شبة.

و عبارة ابن زبالة «و إلى جنبها أبيات فيها قهطم، و هو صوافى».

و الطريق بين دار موسى بن إبراهيم و بين دار عمرو بن العاص السهمى، و هى اليوم لهم صدقة.

## أبيات الصوافى

قلت: و أبيات قهطم هى التى سماها ابن زبالة فى ذكر الكتابة على أبواب المسجد أبيات الصوافى، و سمى الطريق التى ذكرها هنا بزقاق المناصع، لكن كلام ابن شبة يقتضى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۴

كون أبيات قهطم المذكورة بين دار موسى و بين دار عمرو بن العاص؛ فتكون الطريق المذكورة بين أبيات قهطم و بين دار عمرو بن العاص، فلنحمل كلام ابن زبالة على ذلك، و يكون قوله «و الطريق بين دار موسى» يعنى و ما يليها من أبيات قهطم و بين دار عمرو بن العاص.

## دار خالد بن الوليد

و قد قدمنا أن فى محل أبيات الصوافى رباط الفاضل و الدار المعروفة بدار الرسام وقف السلامى و الباب الذى يدخل منه إلى رباط السلامى، و موضع دار عمرو بن العاص اليوم مؤخر رباط السبيل الذى يسكنه الرجال، و هو مما يلى الشام منه، و الطريق التى بينه و بين رباط الفاضل هى زقاق المناصع، و ليست اليوم نافذة كما تقدم؛ و يؤخذ مما قدمناه فى زيادة المهدى أنه كان عندها رحبة تسمى برحبة المشارب، و اللّه أعلم.

ثم إلى جنب دار عمر و دار خالد بن الوليد. قال ابن شبة و ابن زبالة: و هى بيد بنى أتوب بن سلمة- يعنى ابن عبد اللّه بن الوليد بن المغيرة- زاد ابن زبالة: أن أيوب بن سلمة اختصم فيها هو و إسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، يقول أيوب: هى ميراث و أنا أرثها دونكم بالقعد، أى لأنه أقرب عصوبة، و يقول إسماعيل: هى صدقة، أى فيدخل فيها القريب و إن بعد، فأعطيها أيوب ميراثا بالقعد، انتهى.

و هذا لأن أيوب المذكور كما ذكر ابن حزم وارث آخر من بقى من ولد خالد بن الوليد، قال: لانقراض ولد عمه خالد بن الوليد كلهم. قال: و كان قد كثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلا، و كانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلهم فى طاعون وقع فلم يبق لأحد منهم عقب، انتهى. و روى ابن زبالة عن يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: شكا خالد بن الوليد ضيق منزله إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقال له: «ارفع البناء فى السماء و سل اللّه السّعة» و رواه ابن شبة، إلا أنه قال: فقال له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «اتسع فى السماء» و ذكر من رواية الواقدى أن خالد بن الوليد حبس داره بالمدينة لا تباع و لا توهب.

قلت: و فى موضعها اليوم مقدم رباط السبيل المتقدم ذكره، و ذلك يدل على صغرها، بخلاف غيرها من الدور، و لذلك شكا ضيقها، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

## دار أسماء بنت حسين

ثم إلى جنبها دار أسماء بنت الحسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب، و كانت من دار جبلة بن عمر الساعدى.

قلت: و قد قدمنا ذكر حالها، و بيان محلها، فى خامس أبواب المسجد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۵

## دار ريطة

ثم إلى جنبها دار ريطة بنت أبى العباس، و كانت من دار جبلة و دار أبى بكر الصديق، قاله ابن زبالة.

قلت: مراده أنه أدخل فى دار ريطة من شرقيها ما يليها من دار أبى بكر الصديق [لا] أن دار أبى بكر كانت على سمتها فى محاذاة المسجد، كما توهمه المطرى فجعل دار ريطة هى دار أبى بكر، و أنها المدرسة المقابلة لباب النساء كما قدمناه عنه، و الصواب أن دار أبى بكر كانت خلف المدرسة المذكورة فى جهة المشرق؛ لأن ابن شبة قال فى دور بنى تيم: اتخذ أبو بكر رضى اللّه تعالى عنه دارا فى زقاق البقيع قبالة دار عثمان رضى اللّه عنه الصغرى، و ذكر أن دار عثمان الصغرى هى التى بنحو زقاق البقيع إلى جنب دار آل حزم الأنصاريين.

و ذكر فى خبر مقتل عثمان رضى اللّه عنه ما يقتضى أن هذه الدار الصغرى كانت متصلة بداره الكبرى الآتى ذكرها، و أن قتلته تسوّروا و دخلوا عليه منها. و فى موضعها اليوم الرباط المعروف برباط المغاربة، و يعرف برباط سيدنا عثمان؛ فعلم بذلك أن دار أبى بكر كانت فى مقابلة ذلك من جهة الشام؛ فتكون فى محل الدور التى فى شرقى المدرسة المذكورة إلى ما يحاذى الرباط المذكور، و لا يبعد أن يكون بعضها دخل فى المدرسة المذكور، و دار أبى بكر هذه هى المرادة بما رواه ابن سعد فى طبقاته عن عائشة رضى اللّه عنها أن أبا بكر رضى الله عنه مرض مرضه الذى مات فيه و هو نازل يومئذ فى داره التى قطع له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و جاه دار عثمان بن عفان، أى الصغرى، و اللّه أعلم.

## دار عثمان بن عفان

ثم الطريق بين دار ريطة و بين دار عثمان- يعنى العظمى- خمسة أذرع، قاله ابن زبالة و ابن شبة. و نقل المطرى عن ابن زبالة أن الطريق بينهما سبعة أذرع، و الذى ذكره ابن زبالة ما قدمناه، و هى اليوم نحو ذلك، و يعرف بطريق البقيع.

ثم دار عثمان رضى اللّه عنه. و روى ابن سعد فى طبقاته عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة قال: لما أقطع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الدور بالمدينة خطّ لعثمان بن عفان داره اليوم، و يقال:

إن الخوخة التى فى دار عثمان اليوم و جاه باب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم التى كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يخرج منها إذا دخل بيت عثمان، هذا لفظ ابن سعد.

قلت: و هذه الدار هى التى عبر عنها ابن شبة بقوله «و اتخذ عثمان رضى اللّه عنه داره العظمى التى عند موضع الجنائز فتصدق بها على ولده فهى بأيديهم صدقة» و قد قدمنا أن فى محلها اليوم رباط الأصفهانى و تربة أسد الدين شير كوه عم السلطان صلاح الدين بن أيوب و معه فيها والد صلاح الدين أيضا، و الدار التى يسكنها مشايخ الخدام.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۶

## دار أبى أيوب الأنصارى

ثم بعد دار عثمان فى القبلة الطريق خمسة أذرع، أو نحو ذلك، ثم منزل أبى أيوب الأنصارى الذى نزله النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ابتاعه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و جعل فيه ماءه الذى يسقى فى المسجد.

قلت: قد قدمنا فى الفصل الرابع عشر من الباب الثالث شرح حال هذه الدار، و أن الملك المظفر شهاب الدين غازى اشترى عرصتها و بناها مدرسة و وقفها على المذاهب الأربعة.

### دار جعفر الصادق

ثم إلى جنب منزل أبى أيوب دار جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه تعالى عنهم التى يسقى فيها الماء، التى تصدق بها جعفر، و كانت لحارثة بن النعمان الأنصارى.

قلت: فى موضعها اليوم العرصة الكبيرة التى فى قبلة المدرسة الشهابية، و فيها محراب قبلة مسجد جعفر الصادق و أثر محاريب، و هى الآن ملك الأشراف المنايفة، ثم انتقلت منهم للشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم، ابتناها مسكنا له.

### دار حسن بن زيد

و قبالتها- أى: فى المغرب- دار حسن بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم، و هو أطم كان حسن ابتاعه فخاصمه فيه أبو عوف النجارى، فهدمه حسن، فجعله دارا.

قلت: و هو الأطم الذى يدعى بفويرع، و فى موضع هذه الدار اليوم بيت الأشراف المنايفة الذى عليه ساباط متصل بالمدرسة الشهابية، و البيت الذى فى قبلته و ما فى غربيها إلى دار القضاة بنى صالح.

### دار فرج الخصى

و الطريق خمسة أذرع بينها- أى: بين دار حسن المذكورة- و بين دار فرج الخصى أبى مسلم مولى أمير المؤمنين، و كانت دار فرج من دور إبراهيم بن هشام، و هى قبلة الجنائز، كان فيها سرب تحت الأرض يسلكه إبراهيم إلى داره دار التماثيل التى كان ينزل بها يحيى بن حسين بن زيد بن على.

قلت: أما الطريق المذكورة فهى الآخذة من باب المدرسة الشهابية إلى بيت بنى صالح، و دار فرج المذكورة هى الرباط المعروف برباط مراغة، و الطريق المذكورة بينه و بين دار المنايفة، و أما دار التماثيل التى كان يتوصل إليها ابن هشام بالسرب المذكور فلم يبينها ابن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۷

زبالة و لا ابن شبة، غير أنه كان شخص شرع فى عمارة الميضأة التى بباب السلام المتقدم ذكرها فى دار مروان فوجد سربا تحت الأرض مقبوا عند ركنها القبلى مما يلى المغرب، و عنده باب الخربة المعروفة بدار الخرازين، و شرعوا فى عمارتها- أى دار الخرازين- بدلا من رباط الحصن العتيق. و قد دخلتها قبل هدمها، فرأيت فيها صناعات غريبة فى البناء من صناعات الأقدمين، فترجّح عندى بقرينة وجود السرب عندها و وجود ذلك بها أنها المرادة بدار التماثيل، و اللّه أعلم.

### دار عامر بن الزبير بن العوام

ثم إلى جنب دار فرج الخصى دار عامر بن عبد اللّه بن الزبير بن العوام، و كان ابن هشام- حين بنى داره- أخذ بعض حق عامر، فقال له عامر: فأين طريقى؟ قال: فى النار، قال عامر: تلك طريق الظالمين.

قلت: و موضعها اليوم البيت الموقوف الذى بيد الخدام، و هو عن يسار الخارج من خوخة آل عمر، و يسمونه اليوم بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

ثم ترجع إلى دار عبد اللّه بن عمر رضى اللّه تعالى عنه من حيث ابتدأت.

قلت: و ذكر ابن شبة فى دور بنى هاشم أن حمزة بن عبد المطلب رضى اللّه تعالى عنه اتخذ الدار التى صارت لآل فرافصة الحنفيين و

لآل وردان دبر زقاق عاصم بن عمر، اه.

و قد تقدم فى ذكر سدّ الأبواب إلا ما استثنى ما يقتضى أن حمزة رضى اللّه تعالى عنه كان له طريق إلى المسجد، و تقدم بيان زقاق عاصم؛ فتحصل من ذلك أن دار حمزة رضى الله تعالى عنه كانت فى قبلة المسجد، و هى غير معلومة المحل، و اللّه أعلم.

## الفصل الخامس و الثلاثون فى البلاط، و بيان ما ظهر لنا مما كان حوله من منازل المهاجرين

### تحديد مكان البلاط

و قد بوّب البخارى فى صحيحه لمن عقل بعيره على البلاط أو باب المسجد، و أورد فيه حديث جابر قال: دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المسجد، فدخلت إليه، و عقلت الجمل فى ناحية البلاط، و بوب أيضا للرجم بالبلاط، و أورد فيه حديث اليهوديين اللذين زنيا، قال ابن عمر: فرجما عند البلاط. و فى رواية لابن عمر: فرجما قريبا من موضع الجنائز.

و عند أحمد و الحاكم من حديث ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما: أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم برجم اليهوديين عند باب المسجد.

و فى الحديث أن عثمان رضى اللّه تعالى عنه أتى بماء فتوضأ بالبلاط.

و هذا كله مقتض لأن البلاط كان قديما قبل ولاية معاوية رضى اللّه عنه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۴۸

و فيما قدمناه ما يبين أنه كان فى شرقى المسجد فى ناحية موضع الجنائز، و ظاهر كلام ابن زبالة و ابن شبة أن أول حدوثه فى زمن معاوية رضى اللّه عنه؛ فإنهما رويا عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد اللّه قال: بلّط مروان بن الحكم البلاط بأمر معاوية رضى الله عنه، و كان مروان بلط ممر أبيه الحكم إلى المسجد، و كان قد أسن و أصابته ريح، فكان يجر رجليه فتمتلئان ترابا، فبلطه مروان بذلك السبب، فأمره معاوية بتبليط ما سوى ذلك مما قارب المسجد ففعل، و أراد أن يبلط بقيع الزبير فحال ابن الزبير بينه و بين ذلك، و قال:

تريد أن تنسخ اسم الزبير، و يقال: بلاط معاوية؟ قال: فأمضى مروان البلاط، فلما حاذى دار عثمان بن عبيد اللّه ترك الرحبة التى بين يدى داره فقال له عبد الرحمن بن عثمان: لئن لم تبلّطها لأدخلنها فى دارى، فبلطها مروان.

و اقتصر عياض فى بيان البلاط على ما فى غربى المسجد منه، فقال: البلاط موضع مبلط بالحجارة بين المسجد و السوق بالمدينة، انتهى.

و قد تبع فى ذلك أبا عبيد البكرى، و فيه نظر؛ لأن مقتضى الأحاديث المتقدمة إرادة ما فى شرقى المسجد منه، و مع ذلك فهو فى شرقى المسجد و غربيه و الشام.

و قال ابن شبة: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا من يوثق به من أهل العلم أن الذى بلط حوالى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بالحجارة معاوية بن أبى سفيان رضى اللّه عنهما، أمر بذلك مروان بن الحكم، و ولى عمله عبد الملك بن مروان، و بلط ما حول دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز.

### حدود البلاط

و حدّ ذلك البلاط الغربى: ما بين المسجد إلى خاتم الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق. و حده الشرقى إلى دار المغيرة بن شعبة رضى اللّه عنه التى فى طريق البقيع من المسجد. و حده اليمانى إلى حد زاوية دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع

الجنائز.

و حده الشامی وجه حش طلحة خلف المسجد، و هو فی المغرب أیضا إلی حد دار إبراهیم ابن هشام الشارعة علی المصلی.

و للبلاط أسراب ثلاثة تصب فیها میاه المطر؛ فواحد بالمصلی عند دار إبراهیم بن هشام، و آخر علی باب الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق، ثم یخرج ذلک الماء إلی ربیع فی الجبانة عند الحطابین، و آخر عند دار أنس بن مالک فی بنی جدیلة عند دار بنت الحارث، اه.

و یؤخذ من ذلک أن البلاط کان من المغرب فیما بین المسجد و بین الدور المطیفة به.

و یمتد البلاط الآخر من باب الرحمة إلی أن یصل إلی الصواغ و سوق العطارین الیوم،

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۴۹

و یستمر کذلک إلی حد سوق المدینة الأول عند أحجار الزیت و مشهد مالک بن سنان؛ فهناک خاتم الزوراء عند دار العباس، و هو خاتم البلاط، و ذلک ما بین مشهد مالک بن سنان و الدور المواجهة له کما سنبینه فی ذکر سوق المدینة، و هو موجود الیوم فی تلک الجهة.

و یمتد أیضا البلاط الآخذ من باب السلام إلی أن یصل إلی المدرسة الزمنیة، و ینعطف لجهة الشام حتی یتصل بالبلاط الممتد من باب الرحمة لجهة سوق الصواغ و العطارین، و هذا الجانب منه هو الذی تقدمت الإشارة إلیه بأن عنده أصحاب الفاکهة.

و فی طبقات ابن سعد عن محمد بن عمرو فی دار حکیم بن حزام المتقدم ذکرها فیه أنها عند بلاط الفاکهة عند زقاق الصواغین، انتهی.

ثم یمتد البلاط الآخذ من باب السلام فی الاستقامة من المدرسة الزمنیة فیمر بالموضع المعروف الیوم بسویقة، فیجاوز باب المدینة المعروف بباب سویقة حتی یصل إلی المصلی، و هذا معنی قوله «و هو فی المغرب أیضا إلی حد دار إبراهیم بن هشام الشارعة علی المصلی».

و هذه الناحیة من البلاط الغربی هی المسماة بخط البلاط الأعظم، و ما کان عن یمین الماشی فی هذا البلاط قاصدا باب السلام فهو الذی یعبر عنه بمیمنة البلاط الأعظم، و ما کان عن یساره فهو الذی یعبر عنه بمیسرة البلاط الأعظم.

و أما البلاط الشرقی فحده من القبلة ظاهر عند زاویة الدار التی یسکنها مشایخ الخدام من دار عثمان و زاویة رباط مراغة.

و من المشرق یمتد فی زقاق البقیع إلی خارج باب رباط المغاربة عند ما یعطف من آخر الدور التی قدمنا أنها فی محل دار أبی بکر رضی اللّه عنه المقابلة لرباط المغاربة، و لعل دار المغیرة بن شعبة هی التی تواجهک حین تعطف هناک، ثم تکون علی یسارک و أنت ذاهب إلی البقیع فی مقابلة الرباط المعروف برباط الصادر و الوارد، و لعل البلاط کان متصلا بها.

و قد قال ابن شبة فی دور بنی عبد شمس: إن عثمان رضی اللّه تعالی عنه اتخذ أیضا دار المغیرة بن شعبة التی بالبقیع فعارض المغیرة إلی دار عثمان بن عفان التی یقال لها دار عمرو ابن عثمان التی بین دار المغیرة بن شعبة الیوم و بین دار زید بن ثابت من الأنصار، انتهی.

فدار المغیرة التی ناقل بها عثمان لیست المرادة؛ لأنه قال فیها «إنها بالبقیع» و ذکر فی هذه التی حدد بها البلاط أنها بزقاق البقیع.

و أیضا قد قدمنا قول محمد بن عقیل فی خبره فی سقوط جدار الحجرة «حتی إذا کنت عند دار المغیرة بن شعبة لقیتنی رائحة لا و اللّه ما وجدت مثلها قط» فإنه یدل علی قرب دار المغیرة من المسجد.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۵۰

و أیضا فمن الشائع بین الناس الیوم نسبتهم إلی عثمان رضی اللّه تعالی عنه الدار التی فی شرقی الدار التی قلنا لعلها دار المغیرة بینها و بینها ساباط، و لعلها التی کانت لعثمان و ناقل بها المغیرة إلی داره التی بالبقیع، و قد قال فی وصفها «إنها بین دار المغیرة الیوم و دار

زيد بن ثابت» فتكون دار زيد بن ثابت هى التى تلى ذلك فى المشرق أيضا على يسار الذاهب إلى البقيع، و ما عن يمينه مما يلى رباط المغاربة دور آل حزم من الأنصار.

و قد قال ابن شبة: إن عتبة بن غزوان حليف بنى نوفل بن عبد مناف اتخذ داره التى بالبقيع إلى شرقى دور آل حزم الأنصار؛ فتكون على يمين الذاهب إلى البقيع بعد دور آل حزم.

فأما البلاط الشامى فمحله ظاهر بين المسجد و الدور التى قدمناها فى شاميه، لكن حدث فيه دور لاصقة بالمسجد بعد سد الأبواب التى فى تلك الجهة كما قدمناه.

و أما ما ذكره ابن شبة من أن الماء الذى يصب فى السرب الذى بالمصلى و السرب الذى عند دار العباس يخرج إلى ربيع فى الجبانة عند الحطابين فالمراد أنه يخرج إلى الربيع المذكور فى شامى سوق المدينة عند سوق الحطابين قرب ثنية الوداع، لما سيأتى فى ترجمة الجبانة.

و قوله «إن السرب الآخر عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة عند دار بنت الحارث» فأما دار أنس فلم يتحرر لى معرفتها، غير أنه سيأتى فى بئره- و كانت فى داره- ما ترجح عندنا فى محلها؛ فيؤخذ منه أن داره كانت عند البئر المعروفة اليوم بالرباطين خلف الحديقة المعروفة بالرومية فى شامى سور المدينة.

و أما دار بنت الحارث فلم أعلم محلها، و على ما ذكرناه فى دار أنس تكون فى محل الحديقة المعروفة بالرومية أو ما حولها. و دار بنت الحارث هذه لها ذكر فى أماكن كثيرة، و كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ينزل بها الوفود، و جعل بها أسرى بنى قريظة حتى خندق لهم الخنادق بالسوق و قتلوا.

و روى ابن زبالة عن محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: جاء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى نفر من أصحابه من قريش و الأنصار و هم فى دار بنت الحارث، فلما رأوه أوسعوا له- الحديث.

و بنت الحارث: اسمها رملة. و هذه الأسراب الثلاثة لا يعرف منها شىء اليوم.

و قد علا الكبس على كثير من البلاط، و لم يبق ظاهرا منه إلا ما حول المسجد النبوى و شىء من جهة بيوت الأشراف ولاة المدينة. و له بلاليع يجتمع الماء فيها، فإذا كثرت الأمطار تجتمع حول المسجد لامتلاء تلك البلاليع، فيصير أمام أبواب المسجد كالغدران الكبار، خصوصا فى شرقى المسجد، فحفر الشمس بن الزمن متولى العمارة الشريفة البلّاعة التى فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۱

شرقى المسجد و تتبع ما حولها، فوجد سربا تحت الأرض آخذا من شرقى المسجد إلى جهة زقاق المناصع، و تتبعه حتى وصل إلى الحوش المعروف اليوم بحوش الحسن، فوجد الناس قد بنوا هناك، و لم يتمكنوا من تتبعه إلا بهدم الأبنية فتركوه، و هذا هو السرب الذى تقدم أنه كان يخرج عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة.

ثم إن متولى العمارة حفر سربا لتلك البلاليع التى عند أبواب المسجد، و أوصلها بالسرب الذى يسير فيه وسخ العين؛ فحصل بذلك غاية النفع، و صار الماء لا يقف بعد ذلك بأبواب المسجد، و وجد البلاط الأول على أكثر من نصف قامة من الأرض فيما يلى الصاغة و سوق العطارين، و كذا فى شامى المسجد.

و أما الدور المطيفة بالبلاط الأعظم- و هو الآخذ من باب السلام إلى المصلى- ففى قبلة منازل بنى زريق، و سيأتى من كلام ابن شبة نقلا عن أبى غسان أن ذرع ما بين مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الذى عنده دار مروان و بين المسجد الذى يصلى فيه العيد بالمصلى ألف ذراع، و قد ذرعناه فكان كذلك، لكن الذى يظهر أن البلاط لم يكن متصلا بمسجد المصلى؛ لأنه ذكر أن نهايته دار ابن هشام، و لم تكن الدور متصلة بنفس المسجد.

## بيان الدور المطيفة بالبلاط

فأول الدور المطيفة بهذا البلاط مما يلى المصلى فى ميسرته دار إبراهيم بن هشام المخزومى.

و فى ميمنته فى قبلتها جانحا إلى المغرب دار سعد بن أبى وقاص، و الطريق بينهما.

و دار سعد هذه قال ابن شبة: إنها هى التى فى دبر دار جبى، و لها فيها طريق مسلمة.

قال: و سمعت من يقول: كانتا دارا واحدة لسعد، و إن عمر بن الخطاب كان قاسمه إياها، و كانت دار جبى قسيمة هذه الدار حين قاسمه ماله مقدم سعد من العراق، فاشترى دار جبى عثمان بن عفان، ثم صارت لعمرو بن عثمان، و كانت جبى أرضعت عمرا فوهبها لها، فكانت بيدها، حتى سمعت نقيضا فى سقف بيتها فقالت لجاريتها: ما هذا؟ قالت:

السقف يسبح، قالت: ما سبح شيء قط إلا سجد! فخرجت، فاضطربت خباء بالمصلى، ثم باعت الدار من بعض ولد عمر بن الخطاب.

قال: و سمعت من يقول: إن عثمان نفسه أقطعها إياها.

ثم يليها فى ميمنة البلاط المذكور دار لسعد بن أبى وقاص أيضا، و كانت لأبى رافع مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فناقله أبو رافع إلى داريه بالبقال، و كانتا دارا لسعد.

و فى ميسرة البلاط فى مقابلة هذه الدار دار لسعد أيضا، و الطريق بينهما عشرة أذرع، و دور سعد صدقة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۲

و قد ذكر ابن شبة كتاب وقفها. و بقى من دوره دار أخرى قال ابن شبة: و اتخذ سعد أيضا دارا بالمصلى، بين دار عبد الحميد بن عبيد الكنانى و بين الزقاق الذى يسلك فى بنى كعب عند الحمارين، و فتح فى طائفة من أدنى داره بابا فى الزقاق، حتى صارت كأنها داران.

قلت: و سيأتى ذكر منازل بنى كعب، و ذكر الحمارين، و يعلم من مجموع ذلك أن زقاق الحمارين كان فى قبلة البيوت التى بالمصلى و البيوت التى فى قبلة البلاط ببين زريق.

ثم يلى دار سعد التى كانت لأبى رافع فى ميمنة البلاط المذكور دار آل خراش من بنى عامر ابن لؤى، و تعرف بدار نوفل بن مساحق بن عمرو العامرى و فى دبرها من جهة القبلة كتّاب عروة رجل من اليمن، كان يعلم. و فى كتاب عروة مسجد بنى زريق، و عنده دار رفاعة بن رافع. و دار آل خراش هذه هى التى عناها ابن شبة بقوله: و قال- يعنى أبا غسان-: و حدثنى عبد العزيز أن رافع بن مالك الزرقى قتل بأحد فدفن فى بنى زريق، قال: و قيل: إن موضع قبره اليوم فى دار آل نوفل بن مساحق التى فى بنى زريق فى كتاب عروة، و صارت للعباس بن محمد. ثم يلى دار آل خراش فى الميمنة أيضا دار الربيع التى يقال لها دار حفصة، و هى مولاة لمعاوية بن أبى سفيان، كانت تسكنها فنسبت إليها قبل، و كانت هذه الدار قطيعة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لعثمان بن أبى العاص الثقفى، فابتاعها من ولده معاوية بن أبى سفيان و كانت معها لعثمان أيضا دار آل خراش المتقدمة إلى جنبها، و يقال: إنه ابتناها فى قطيعة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إياه أيضا. و فى الميسرة فى شامى الدارين المذكورين مقابلا لهما دار نافع بن عتبة بن أبى وقاص التى ابتاعها الربيع مولى أمير المؤمنين من ولد نافع، و تعرف أيضا بدار الربيع. و فى دبر الدار المتقدمة التى يقال لها دار حفصة من القبلة دار عبد بن زمعة، قال ابن شبة: و اتخذ عبد بن زمعة داره التى فى كتاب عروة إلى حدها الشامى، فتكون دار حفصة بينها و بين البلاط بابها لازق فى كتاب عروة، أى فى غربيها. و فى قبلة دار عبد بن زمعة دار ابن مشنو، قال ابن شبة أيضا: و اتخذ عبد الرحمن بن مشنو داره التى فى كتاب عروة حدها من الشام دار عبد بن زمعة، و حدّها من المشرق كتاب إسحاق الأعرج بابها لاصق فى كتاب عروة أى فى غربيها أيضا، و هى صدقة منه. و فى قبلة دار ابن مشنو دار عمار بن ياسر فإنها حد دار ابن مشنو من القبلة، قال ابن شبة: و اتخذ عمار ابن ياسر داره التى فى بنى زريق، و كانت من دور أم سلمة زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و بابها و جاه دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أى الذى فى شرقيها، و كانت أم سلمة أعطته إياها، و لها خوخة شارعة فى كتاب عروة أى فى المغرب و هى خوخة

عمار نفسه، انتهى؛ فهذه الدور الثلاثة مصطفة فى القبلة خلف دار حفصة المذكورة، و خلف الدار الآتية بعدها، و بينهن من

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۳

المغرب كتاب عروة و مسجد بنى زريق، و من المشرق زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث الآتى ذكره.

و ذكر ابن شبة ما حاصله أن دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى فى بنى زريق، فيما بين دار ابن أم كلاب الشارعة على المصلى إلى دار رفاعة بن رافع الأنصارى قبالة مسجد بنى زريق.

ثم يلى دار الربيع التى يقال لها دار حفصة فى ميمنة البلاط دار أبى هريرة رضى الله تعالى عنه. ثم يليها فى الميمنة أيضا زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و داره هى التى تقدم أنها تقابل دار عمار بن ياسر فى الشرق، و بينها و بين البلاط الداران الآتى ذكرهما، و هذا الزقاق سيأتى له ذكر فى رجوعه صلّى اللّه عليه و سلّم من صلاة العيد.

و كذا دار أبى هريرة هذه، قال ابن شبة: اتخذ أبو هريرة الدوسى دارا بالبلاط بين الزقاق الذى فيه دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و بين خط البلاط الأعظم، فباعها ولده من عمر بن بزيع.

و الذى ظهر لى بعد التأمل فيما ذكره ابن شبة فى هذه الدور- بقرينة ما سنذكره إن شاء اللّه تعالى- أن زقاق عبد الرحمن بن الحارث هو أول زقاق يلقاك عن يمينك إذا دخلت من باب المدينة اليوم تريد المسجد، و ظهر لى أيضا أن دار هشام و الدار الثانية التى تليها فى الميسرة و بعض الثالثة كنّ من خارج سور المدينة، و كذلك ما يقابل ذلك فى الميمنة من دارى سعد و بعض دار آل خراش.

ثم يلى زقاق عبد الرحمن بن الحارث فى ميمنة البلاط دار عبد اللّه بن عوف. ثم يليها فى الميمنة زقاق أبى أمية بن المغيرة، قال ابن شبة فى دور بنى زهرة: و اتخذ عبد اللّه بن عوف ابن عبد عوف دارا بالبلاط بين زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و بين زقاق دار أبى أمية بن المغيرة، و يقال لها: دار طلحة بن عبد اللّه بن عوف؛ فهى صدقة بأيدى ولده إلا شيئا خرج منها صار لبكار بن عبد اللّه بن مصعب الزبيرى. و يلى دار أبى أمية التى نسب إليها الزقاق المذكور فى قبلتها دار الحويطب بن عبد العزى بينها و بين دار سعيد بن عمرو بن نفيل، و هما شارعتان فى خط الحمارين الشارع إلى دار ابن عتبة ببنى زريق شرقى دار أبى أمية، و فى شرقيها أيضا دار صهيب بن سنان، و كانت لأم سلمة رضى اللّه تعالى عنها، و كل هذه الدور فى بنى زريق.

و لنرجع إلى جهة الميسرة فنقول: و فى الميسرة فى مقابلة دار أبى هريرة و بعض التى قبلها دار حويطب بن عبد العزى، و هى غير داره السابقة، و تلك ليست فى البلاط كما قدمناه، قال ابن شبة فى دور بنى عامر بن لؤى: و اتخذ حويطب بن عبد العزى داره التى بين دار

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۴

عامر ابن أبى وقاص و عتبة بن أبى وقاص، بالبلاط منها البيت الشارع على خاتمة البلاط بين الزقاق الذى إلى دار آمنة بنت سعد و بين دار الربيع مولى أمير المؤمنين، و هى صدقة منه على ولده، انتهى. و لم يذكر لعتبة بن أبى وقاص دارا بالمدينة. و الذى انتقل إلى المدينة و اتخذ بها الدار إنما هو ابنه نافع، و داره هى المتقدم ذكرها التى صارت للربيع؛ فهى المرادة.

و قال فى بيان دار عامر بن أبى وقاص الزهرى: و اتخذ عامر بن أبى وقاص داره التى فى زقاق حلوة بين دار حويطب بن عبد العزى و بين خط الزقاق الذى فيه دار آمنة بنت سعد بن أبى سرح، انتهى.

فيتلخص من ذلك أن دار حويطب المذكورة فى شرقى دار الربيع المتقدمة فى الميسرة و إلى جانبها خاتمة البلاط، و هو اليوم الزقاق الذى بين سور المدينة و بين البيوت المقابلة له و لمشهد سيدنا مالك بن سنان على يسارك عند ما تدخل من باب المدينة، و أن من دار حويطب بيتا خلفها من جهة جانبها الغربى شارعا على خاتمة البلاط المذكورة، و خلفه من جهة الشام الزقاق الذى فيه دار آمنة، و تكون دار عامر بن أبى وقاص خلف دار حويطب من جهة جانبها الشرقى، و يكون زقاق حلوة فى شرقيهما، و لعله المعروف اليوم بزقاق الطول؛ لانطباق الوصف المذكور عليه، و سيأتى لزقاق حلوة ذكر فى الآبار.

ثم فى الميسرة أيضا دار عبد اللّه بن مخرمة قال ابن شبة فى دور بنى عامر بن لؤى:

اتخذ عبد اللّه بن مخرمة داره التى فى البلاط الشارع بابها قبالة دار عبد اللّه بن عوف التى فيها بنو نوفل بن مساحق بن عبد اللّه بن مخرمة، و خرج عنهم بعضها فهو فى يد ورثة عمر بن بزيع مولى أمير المؤمنين.

و لنرجع إلى جهة الميمنة فنقول: ثم إلى زقاق دار أبى أمية فى الميمنة من شرقيه دار خالد بن سعيد الأكبر بن العاص التى يقال لها دار سعيد بن العاص الأصغر بن سعيد بن العاص، و يقال لها دار ابن عتبة، و إنما ورثها عبد اللّه بن عتبة عن عمه خالد بن سعيد.

و يقابلها فى الميسرة دار أم خالد التى لآل خالد بن الزبير بن العوام، ورثوها عن أمهم أم خالد بن سعيد بن العاص، و قيل: إنهما قطيعة من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. ثم يلى دار خالد بن سعيد فى الميمنة دار أبى الجهم، ثم دار نوفل بن عدى، ثم دار آل المنكدر التّيمى. قال ابن شبة فى دور بنى عدى: و اتخذ أبو الجهم داره التى بين دار سعيد بن العاص التى يقال لها دار ابن عتبة و بين دار نوفل بن عدى بابها شارع فى البلاط.

قلت: و هذه الدار هى المرادة بما رواه مالك فى الموطأ عن عمه أبى سهل بن مالك بن أبى عامر عن أبيه: كنا نسمع قراءة عمر بن الخطاب و نحن عند دار أبى جهم بالبلاط، و كذا بما رواه البيهقى عن موسى بن عقبة أن رجال بنى قريظة قتلوا عند دار أبى جهم التى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۵

بالبلاط، و لم يكن يومئذ بلاط، فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت التى كانت بالسوق.

و قال ابن شبة فى دور بنى أسد: و اتخذ نوفل بن عدى بن أبى حبيش دارين: إحداهما التى بالبلاط عند أصحاب الرباع بين دار المنكدر التيمى و بين دار آل أبى جهم العدويين، و الدار الأخرى فى بنى زريق و جاه الكتاب الذى يقال له كتاب آل زيان بين منزل أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الذى صار لبنى عبيد بن عبد اللّه بن الزبير و بين حد الزقاق الذى عند الحمارين، دبرهما دار هانئ التى بأيدى آل جبر، انتهى.

و هذه الأمور التى ذكرها فى الدار الثانية حول ما خلف دار سعيد بن العاص المسماة دار ابن عتبة من جهة القبلة، و الزقاق الذى ذكره هناك عند الحمارين يمتد فى المغرب إلى المصلّى فى قبلة دور سعد بن أبى وقاص.

و قد ذكر ابن شبة أيضا أن دار رويشد الثقفى التى يقال لها القمقم فى كتاب ابن زيان هى التى حرّقها عليه عمر بن الخطاب فى الشراب، و كان رويشد حمارا، و فى غربى هذه الدار أدنى دار على بن عبد اللّه بن أبى فروة، و شرقيها الطريق بينها و بين بيوت آل مصبح، و يمانيها دار الأويسيين التى لسكن خالد بن عبد اللّه الأويسى، و شاميها قبلة بيوت آل مصبح التى بينها و بين دار موسى بن عيسى، و بيوت آل مصبح ذكرها فى دور بنى عامر ابن لؤى فقال: و اتخذ ابن أم مكتوم دارا هى البيوت التى للمصبحين بين دار آل زمعة بن الأسود و بين شرقى القمقم، انتهى. و هذه الأمور أيضا حول الدور المتقدمة فى بنى زريق.

و قوله فى دار نوفل الأولى و هى المقصودة لأنها التى فى ميمنة البلاط و أنها عند أصحاب الرباع، لم أعلم المراد به، غير أن فى طبقات ابن سعد أن دار حويطب بن عبد العزى المتقدم ذكرها فى الميسرة عند أصحاب المصاحف، فإنه قال فى ترجمته: و له دار بالبلاط عند أصحاب المصاحف، فلعل المراد بالرباع المصاحف؛ لأن المصحف يسمى ربعة؛ فيستفاد منه أن هذه الناحية من البلاط ميمنة و ميسرة تسمى بذلك، لكن قال ابن شبة فى دور العباس بن عبد المطلب ما لفظه: و قد سمعت من يذكر أن دار فضالة بن الحكم بن أبى العاص التى بالبلاط الخربة التى عند أصحاب الرباع على يمين من سلك إلى بنى جديلة كانت مربدا للعباس رضى اللّه عنه، و يقال: إنها كانت مربدا لنعم الصدقة، انتهى.

و هو يقتضى أن أصحاب الرباع ليسوا فى البلاط الأعظم، لأنه ليس فيه مسلك إلى بنى جديلة، و إنما يتوصل منه إلى بنى جديلة بعد إتيان البلاط الآخر الذى هو موضع سوق المدينة اليوم عند درج العين، و قد تقدم أن ذلك يسمى بموضع الفاكهة، و اللّه أعلم.

هذا ما علمته من الدور التى بهذا البلاط، و فى الاقتصار عليها كفاية؛ لأن المقصود

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۶

المهم لنا من ذلك ما يتعلق ببيان مسجد بنى زريق، و بطريق النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى ذهابه إلى المصلى و رجوعه منها كما سيظهر لك.

و أما البلاط الممتد فى المغرب إلى سوق المدينة القديم فكان عند خاتمة دار العباس بن عبد المطلب رضى اللّه عنه كما تقدم.

و قال ابن شبة فى دور العباس: و منها الدار التى بالزوراء سوق المدينة عند أحجار الزيت، أقطعها له عمر بن الخطاب، قال: و قد بلغنى أن دار طلحة بن عمر بالبلاط كانت مربدا لدار العباس هذه، فابتاعها عمر من بعض بنيه. و يقوى ذلك أن المنصور أبا جعفر ابتاع تلك الدار من ولد طلحة بن عمر بأربعين ألف دينار.

ثم ذكر للعباس دارا أخرى ليست فى البلاط، لكنها فى شامى هذه الدار، فقال:

و منها الدار التى إلى جنب دار آل قارط حلفاء بنى زهرة، بينها و بين خطة بنى ضمرة، و هى التى كان عبد اللّه بن عباس يسكن و جعلت المحررة هناك لطعام كان ابن عباس يطعمه.

قلت: و إنما ذكرنا هاتين الدارين لما سيأتى من ذكرهما فى الدار التى أخذ بها هشام بن عبد الملك سوق المدينة.

و يستفاد مما سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن دار العباس التى عند خاتمة البلاط المذكور كانت بقرب مشهد سيدنا مالك بن سنان فى شرقيه، و سيأتى أنه دفن عند مسجد أصحاب العباء، أى: الذين يبيعون العبى، و هنا لك كانت أحجار الزيت.

## الفصل السادس و الثلاثون فيما جاء فى سوق المدينة التى تصدق به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على المسلمين، و ذكر دار هشام بن عبد الملك التى أخذ بها السوق

### الرسول ينشئ السوق

روى عمر بن شبة عن عطاء بن يسار قال: لما أراد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أن يجعل للمدينة سوقا أتى سوق بنى قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله و قال: هذا سوقكم؛ فلا يضيق، و لا يؤخذ فيه خراج.

و روى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد اللّه بن قسيط أن السوق كانت فى بنى قينقاع حتى حول السوق بعد ذلك.

### أسواق المدينة فى الجاهلية

و قال ابن شبة: قال أبو غسان: و كان بالمدينة فى الجاهلية سوق بزبالة من الناحية التى تدعى يثرب، و سوق بالجسر فى بنى قينقاع، و بالصفاصف بالعصبة سوق، و سوق يقوم فى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۷

موضع زقاق ابن حيين كانت تقوم فى الجاهلية و أول الإسلام، و كان يقال لذلك الموضع:

مزاحم.

و روى ابن شبة أيضا عن صالح بن كيسان قال: ضرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قبة فى موضع بقيع الزبير فقال: هذا سوقكم. فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها و قطع أطنابها، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: لا جرم لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال: هذا سوقكم، لا تتحجروا، و لا يضرب عليه الخراج.

و عن أبى أسيد أن رجلا جاء إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا رسول اللّه إنى قد رأيت موضعا للسوق، أ فلا تنظر إليه؟ قال: فجاء به إلى موضع سوق المدينة اليوم- أى فى زمنهم- قال:

فضرب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم برجله و قال: هذا سوقكم؛ فلا ينقص منه، و لا يضربن عليه خراج.

و روى ابن زبالة عن عباس بن سهل عن أبيه أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أتى بنى ساعدة فقال: إنى قد جئتكم فى حاجة تعطونى مكان مقابركم فأجعلها سوقا، و كانت مقابرهم ما حازت دار ابن أبى ذئب إلى دار زيد بن ثابت، فأعطاه بعض القوم، و منعه بعضهم، و قالوا: مقابرنا و مخرج نسائنا، ثم تلاوموا فلحقوه و أعطوه إياه، فجعله سوقا.

قلت: و سيأتى ما يبين أن دار ابن أبى ذئب و دار زيد بن ثابت كانتا فى شرقى السوق، الأولى عند أثنائه مما يلى الشام، و الثانية عند أثنائه مما يلى القبلة؛ فليست المقابر المذكورة سوق المدينة كله، بل بعضه. و قد قدمنا فى منازل بنى ساعدة أن ابن زبالة نقل أن عرض سوق المدينة ما بين المصلى إلى جرار سعد، و هى جرار كان يسقى الناس فيها الماء بعد موت أمه، و قدمنا أن الذى يترجح أن المصلى حده من جهة القبلة، و أن جرار سعد حده من جهة الشام؛ فتكون جرار سعد قرب ثنية الوداع، و قد قوى الآن ذلك عندى جدّا، لما سيأتى فى ذكر دار هشام.

و روى ابن شبة أيضا و ابن زبالة عن محمد بن عبد اللّه بن حسن أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تصدق على المسلمين بأسواقهم.

و روى ابن زبالة عن خالد بن الياس العدوى قال: قرئ علينا كتاب عمر بن عبد العزيز بالمدينة: إنما السوق صدقة فلا يضربن على أحد فيه كراء.

و عن ابن أبى ذئب أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مرّ على خيمة عند موضع دار المنبعث فقال: ما هذه الخيمة؟ فقالوا: خيمة لرجل من بنى حارثة كان يبيع فيها التمر، فقال: حرقوها، فحرقت. قال ابن أبى ذئب: و بلغنى أن الرجل محمد بن مسلمة.

و روى ابن شبة عن أبى مردود عبد العزيز بن سليمان أن عمر بن الخطاب رأى كير حداد فى السوق، فضربه برجله حتى هدمه، و قال: أ تنتقص سوق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۸

و روى ابن زبالة عن حاتم بن إسماعيل عن حبيب قال: مر عمر بن الخطاب على باب معمر بالسوق، و قد وضع على بابه جرة، فأمر بها أن تقلع، فخرج إليه معمر فقال: إنما هذه جرة يسقى فيها الغلام الناس، قال: فنهاه عمر أن يحجر عليها أو يحوزها. قال: فلم يلبث أن مر عليها و قد ظلل عليها، فأمر عمر بالجرة و الظل فنزعهما.

و عن عبد اللّه بن محمد قال: كان الراكب ينزل بسوق المدينة فيضع رحله، ثم يطوف بالسوق و رحله بعينه يبصره، لا يغيبه عنه شىء.

و روى أيضا قصة أخذ معاوية رضى اللّه تعالى عنه لدار النقصان من صحن سوق المدينة.

و روى أيضا عن محمد بن طلحة و غيره قال: أحدث إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة فى سلطان هشام بن عبد الملك، و هو يومئذ وال له على المدينة، دارا أخذ بها سوق المدينة، و سدّ بها وجوه الدور الشوارع فى السوق، و كتب إلى هشام يذكر له عليها و عظيم قدرها، فكتب إليه هشام يأمره بإمضائها و إمضاء عين السوق، و كان أحدثها فى سكك أهل المدينة، و دخلت فى بعض منازلهم، فكتب إليه أن أمضها و إن كانت فى بطونهم.

قلت: و نقل ابن شبة عن أبى غسان أنه قال: كان الذى هاج هشام بن عبد الملك على بناء داره التى كانت بالسوق أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل كان خال هشام بن عبد الملك، و كان ولاه المدينة، فكتب إليه إبراهيم، فذكر أن معاوية بن أبى سفيان بنى دارين بسوق المدينة يقال لإحداهما دار القطران و الأخرى دار النقصان، و ضرب عليهما الخراج، و أشار عليه أن يا بنى دارا يدخل فيها سوق المدينة، فقبل ذلك هشام، و بناها، و أخذ بها السوق كله، انتهى.

و قال ابن زبالة عقب ما تقدم: فابتدأ الدار من خاتمة البلاط أى الذى عند دار العباس بالزوراء بقرب مشهد مالك بن سنان رضى اللّه عنه، فيكون هذا الجدار فى شرقى السوق، و هذا أول الجدار المذكور مما يلى القبلة، و ما سيأتى فيه دال على أنه استمر يمده إلى جهة الشام، و ليس ابتداء هذا الجدار من القبلة أول السوق لما سيأتى، بل بقى منه بقية فى جهة القبلة إلى المصلى سيأتى ذكرها.

قال ابن زبالة عقب ذكره لابتداء الدار من خاتمة البلاط: فمضى بها حتى سد بها وجه دار العباس بن عبد المطلب، أى التى عند خاتمة البلاط و دار نخلة، و كانت لآل شيبة بن ربيعة، و إنما سميت دار نخلة لنخلة كانت فيها. ثم دار معمر العدوى التى كان يجلس صاحب السوق بفنائها. ثم دار خالد بن عقبة التى بفنائها أصحاب الرقيق.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۵۹

و جعل لبنى ساعدة طريقا مبوبة، ثم أخذ وجه دار ابن جحش. ثم وجه دار ابن أبى فروة التى كانت لعمر بن طلحة بن عبيد الله، ثم وجد دار ابن مسعود، ثم وجه دار زيد بن ثابت، و جعل للطريق منفذا مبوبا. ثم وجه دار جبير بن مطعم التى فيها أصحاب العباء.

ثم وجه دار القارظيين. ثم وجه دار العباس بن عبد المطلب، أى الثانية التى كان عبد اللّه بن عباس يسكنها، و جعل لبنى ضمرة طريقا مبوبا. ثم وجه دار ابن أبى ذئب. ثم دار آل شويفع. ثم صدقة الزبير، و جعل لبنى الديل طريقا مبوبا.

قلت: و هذا الطريق عند نهاية هذا الجدار الشرقى مما يلى الشام قرب ثنية الوداع، و الطرق المذكورة قبله كلها فى الجدار المذكور خططها فى المشرق.

ثم بين ابن زبالة ما يقابل هذا الجدار فى المغرب مبتدئا بما يقابله من جهة القبلة، ثم إلى الشام فقال عقب ما تقدم:

ثم أخذ بها من الشق الآخر، فأخذ وجه الزوراء و وجه دار ابن نصلة الكنانى. ثم على الطاقات حتى ورد بها خيام بنى غفار، و جعل لمخرج بنى سلمة من زقاق ابن جبير بابا مبوبا عظيما يغلق. ثم مضى بها على دار النقصان و دار نويرة، و جعل لسكة أسلم بابا مبوبا. ثم مضى بها على دار ابن أزهر و دار ابن شهاب و دار نوفل بن الحارث حتى جاوز بها دار حجارة، و كانت لعبيد اللّه بن عباس بن عبد المطلب، حتى إذا جاوز بها دار حجارة جعل لها بابا عظيما يقابل الثنية.

قلت: يعنى ثنية الوداع، و هذا الباب فى جهة الشام كما صرح به ابن شبة فقال، عقب ما تقدم: و جعل لها بابا شاميا خلف شامى زاوية دار عمر بن عبد العزيز بالثنية. ثم جعل بينها و بين دار عمر بن عبد العزيز عرضا ثلاثة أذرع، ثم وضع جدارا آخر وجاه هذا الجدار. ثم قاد الأساس بينه و بين الدور كلها ثلاثة أذرع حتى الزقاق الذى يقال له زقاق ابن جبير، جعل عليه بابا، و جعل على الزقاق الذى يقال له زقاق بنى ضمرة عند دار آل أبى ذئب بابا. ثم جعل على الزوراء خاتم البلاط أى بابا؛ فيستفاد منه جعل باب هناك، و ليس فى كلام ابن زبالة تعرض له.

ثم إن ابن زبالة ذكر ما بقى من شقى الدار الغربى و الشرقى مما يلى القبلة إلى المصلى، فقال عقب كلامه السابق: ثم ساقها من الشقين جميعا الغربى و الشرقى فسد بها وجوه الدور، و أخذ بها السوق فسد بها من الشق الشرقى وجه دار قطران، و كانت من دور معاوية. ثم وجه دار ابن جودان و تلك الدور.

و من الشق الغربى دار حجارة لكثير بن الصلت، و كانت قبله لربيعة بن دراج الجمحى.

ثم وجه الربعة التى فيها دار آل أبى عثمان حلفاء أزهر بن عبد عوف. ثم جعل للسكة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۰

منفذا. ثم وجه دار التمارين، و كانت لمعاوية بن أبى سفيان، و قبله لسعيد بن عبد الرحمن بن يربوع.

فلما بلغ ابن هشام بالدار التمارين وقف، و جعل لها هنالك بابا عظيما يقابل المصلى.

و قال ابن شبة عقب قوله فيما تقدم «و جعل على الزوراء خاتم البلاط» ما لفظه: ثم مد الجدار حتى جاء به على طيقان دار القطران الأخرى الغربى، حتى جاء بها إلى دار ابن سباع بالمصلى التى هى اليوم لخالصة، فوضع ثم بابا أى بالمصلى.

قال: ثم بنى ذلك بيوتا؛ فجعل فيه الأسواق كلها، فكان الذى ولى ابن هشام أى على بنائها سعد بن عبد الرحمن الزرقى من الأنصار، فتم بناؤها إلا شيئا من بابها الذى بالمصلى.

و نقلت أبوابها إليها معمولة من الشام، و أكثرها من البلقاء، انتهى.

و قال ابن زبالة عقب كلامه السابق: و فعل ذلك فى بقيع الزبير، و ضرب عليه طاقات، و أكراها، و سد بها وجوه دورهم، و جعل للسكك منفذا يغلق.

قلت: و مراده أنه جعل فى فضاء بقيع الزبير دارا كدار السوق، و لا يتوهم من ذلك أن بقيع الزبير من جملة السوق؛ لما سيأتى فى ترجمته.

قال ابن زبالة: و جعل لدار السوق حوانيت فى أسفلها، و علالى تكرى للسكن، و حملت أبوابها من البلقاء، فمنها بقية بالمدينة مكتوب فيها البلقاء.

## هدم الدار التى وضعت مكان السوق

قال: فبينا الناس لا يدرون بموت هشام إلى أن جاء ابن المكرم الثقفى من الشام بريدا بموته رسولا للوليد بن يزيد، و يبشرهم بالعطاء، فصاح حين دخل الثنية: ألا إن هشاما الأحول قد مات، فوثب الناس على الدار فهدموها، و على عين السوق فقطعوها.

و عبارة ابن شبة: فلم تزل- أى تلك الدار- على ذلك حياة هشام بن عبد الملك، و فيها التجار، فيؤخذ منهم الكراء، حتى توفى هشام، فقدم بوفاته ابن مكرم الثقفى، فلما أشرف على رأس ثنية الوداع صاح: مات الأحول، و استخلف أمير المؤمنين الوليد بن يزيد، فلما دخل دار هشام تلك صاح به الناس: ما تقول فى الدار؟ قال: اهدموها، فوقع الناس فهدموها، و انتهبت أبوابها و خشبها و جريدها، فلم يمض ثالثة حتى وضعت إلى الأرض.

فقال أبو معروف أحد بنى عمرو بن تميم:

ما كان فى هدم دار السوق إذ هدمت سوق المدينة من ظلم و لا حيف

قام الرجال عليها يضربون معا ضربا يفرق بين السور و التحف

ينحطّ منها و يهوى من مناكبها صخر تقلب فى الأسواق كالخلف

و ذكر ابن زبالة هذه الأبيات عن أبى معروف، إلا أنه زاد قبلها ثلاثة أخرى فقال:

و قال أبو معروف:

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۱

قل للوليد أبى العبّاس قد جمعت أيمان قومك بالتسليم فى الصحف

ما زلت ترمى و يرمى الناس عن هدف حتى وضعت نصال النبل فى الهدف

أعطاك ربّك طوعا من قلوبهم نصحا تبين قبل الظن و الحلف

ما كان فى هدم دار السوق إذ هدمت الأبيات المتقدمة

## بيت أم كلاب

و روى ابن زبالة من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال: أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بروايه الخمر التى أهدى له الدوسى فأهريقت بالسوق عند بيت أم كلاب حيث يهراق الشراب اليوم، و سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت قول ابن أبى فديك: أدركت أحجار الزيت ثلاثة مواجهة بيت ابن أم كلاب، و هو اليوم يعرف ببيت بنى أسد، انتهى، و كأنه غير بيت ابن أم كلاب الذى له ذكر فى بنى زريق، فهذا السوق هو المراد بما ورد من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم خرج بأسرى بنى قريظة إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم ضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، و يظهر مما قدمناه و مما سيأتى فى ترجمة الزوراء أن مقدم سوق المدينة مما يلى خاتمة البلاط و ما حول ذلك كان يسمى بالزوراء.

## البطحاء

و روى ابن شبة عن بعضهم أنه قال: أدركت سوقا بالزوراء يقال له سوق الحرص، كان الناس ينزلون إليها بدرج.

قلت: و رأيت فى الأم للشافعى رضى اللّه تعالى عنه ما يقتضى تسمية سوق المدينة بالبطحاء؛ فإنه روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يخطب يوم الجمعة، و كان لهم سوق يقال لها البطحاء، كانت بنو سليم يجلبون إليها الخيل و الإبل و الغنم و السمن، فقدموا فخرج إليهم الناس- الحديث.

## بقيع الخيل

و روى ابن شبة من طريق عروة عن عائشة رضى اللّه عنها قالت فى حديث ساقه:

كان يقال لسوق المدينة بقيع الخيل، و هذا الحديث تقدم من رواية ابن زبالة فى ذكر دعائه صلّى اللّه عليه و سلّم للمدينة و سؤاله نقل و بائها، و فيه: ثم عمد إلى بقيع الخيل- و هو سوق المدينة- فقام فيه و وجهه إلى القبلة، فرفع يديه إلى اللّه فقال: اللهم حبّب إلينا المدينة- الحديث.

و البقيع هنا بالموحدة التحتية؛ فهو المراد بقول ابن عمر فى حديثه الذى رواه الأربعة و الحاكم: إنى أبيع الإبل بالبقيع بالدنانير، و آخذ مكانها الدراهم- الحديث و لما خفى هذا على كثير من الناس قال بعضهم: إن الظاهر أن المراد النقيع بالنون أى حمى النقيع، قال: لأنه أشبه بالبيع من البقيع الذى هو مدفن، و قال النووى: ليس كما قال، بل هو بقيع الغرقد-

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۲

بالباء- و لم يكن ذلك الوقت كثرت فيه القبور، انتهى، و لم يذكر أحد من مؤرخى المدينة أنه كان ببقيع الغرقد سوق، مع اعتنائهم بذكر أسواق المدينة فى الجاهلية و الإسلام؛ فالمعتمد ما قدمناه، و المسمى بالبقيع هنا ما يلى المصلى من سوق المدينة، و يسمى بقيع المصلى أيضا كما سيأتى، و لهذا روى أحمد و الطبرانى عن أبى بردة بن نيار قال: انطلقنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى بقيع المصلى فأدخل يده فى طعام ثم أخرجها فإذا هو مغشوش، أو مختلف، فقال: ليس منا من غشنا، و رواه الطبرانى أيضا عن أبى موسى قال: انطلقت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى سوق البقيع، فأدخل يده فى غرارة، فأخرج طعاما- الحديث، فعبر عن بقيع المصلى بسوق البقيع.

و روى ابن زبالة أيضا فى ذكر سوق المدينة عن محمد بن طلحة قال: رأيت عثمان بن عبد الرحمن و إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد و محمد بن المنكدر، و زيد بن حصفة يقومون بفناء بركة السوق اليوم قبل أن تكون، يقومون مستقبلين فسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك، فقال: قد اختلف علينا فى ذلك؛ فقائل يقول: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يدعو هنالك، و قائل يقول: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول هنالك فينظر الناس، إذا انصرفوا من العيد، قال: و كان عامر بن عبد اللّه بن الزبير يقف عند التبانين فيدعو، و سيأتى فى ذكر المصلى ما رواه الشافعى فى الأم من طريق عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رجع من المصلى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق، حتى إذا كان عند مسجد المصلى الذى هو عند موضع الدار التى بالسوق قام فاستقبل فجّ أسلم فدعا ثم انصرف.

## بركة السوق

قلت: و هذا بين أن بركة السوق فى شامى فج أسلم، و سيأتى فى منازل أسلم ما يبين أن منازلهم فى شامى الثنية التى عليها حصن أمير المدينة اليوم، و تقدم فى ذكر دار السوق حيث قال فيها فى جهة المغرب: و جعل لسكة أسلم بابا ما يبين ذلك، و حينئذ فبركة السوق

هى المنهل الذى ينزل إليه بالدرج عند مشهد النفس الزكية من عين المدينة على يسار المار إلى ثنية الوداع، و فى كلام ابن زبالة ما يومئ أن الذى أحدث العين هناك إنما هو إبراهيم بن هشام، و سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم استسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء، و اللّه أعلم.

و روى ابن شبة عن أبى هريرة أنه كان يقول: لا يذهب الليل و النهار حتى يخسف برجل بصحن هذا السوق، قال ابن أبى فديك: و كنت أسمع من المشايخ أنه قال و الله أعلم: إن ذلك يكون على باب بيت البراذين، و يقال: هو بفناء دار ابن مسعود.

و عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد عن جده قال: خرجت مع أبى هريرة حتى إذا

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۳

كنا عند دار ابن مسعود قال: يا أبا الحارث، إن حبى أبا القاسم صلّى اللّه عليه و سلّم أخبرنى أنه رب يمين بهذه البقعة لا يصعد إلى الله، قال: قلت له: أنّى ذلك يا أبا هريرة؟ قال: أما أنى أشهد ما كذبت، قلت: و أنا أشهد.

و روى ابن زبالة عن عبد الرحمن بن يعقوب أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جاء السوق فرأى حنطة مصبرة فأدخل يده فيها، فناله بلل فى جوفها، فقال: ما هذا؟ لصاحب الطعام، قال:

أصابنى مطر فهو هذا البلل الذى ترى، قال: أ لا جعلته على رأس الطعام حتى يراه الناس؟

من غش فليس منى، من غش فليس منى، و أصل الحديث رواه أبو داود و غيره، و لفظه:

أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مرّ برجل يبيع طعاما، فسأله كيف تبيع؟ فأخبره فأوحى إليه أن أدخل يدك فيه، فأدخل يده فإذا هو مبلول، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: ليس منا من غش.

و عن ابن المغيرة قال: مر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم برجل يبيع طعاما فى السوق بسعر هو أرفع من سعر السوق، فقال: تبيع فى سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: صبرا و احتسابا؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: أبشروا فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله، و إن المحتكر فى سوقنا كالملحد فى كتاب الله.

قلت: و قوله «بسعر هو أرفع» أى بزيادة فى المسعر و هو المبيع، و يدل لذلك ما رواه ابن شبة عن ابن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة قال: كان أبى و عثمان بن عفان شريكين يجلبان التمر من العالية إلى السوق، فمر بهم عمر بن الخطاب، فضرب الغرارة برجله و قال: يا ابن أبى بلتعة زد فى السعر و إلا فاخرج من سوقنا.

و روى ابن زبالة عن القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبى بلتعة و هو بسوق المصلى و بين يديه غرارتان فيهما زبيب، فسأله عن سعره، فسعّر له مدّين بدرهم، فقال عمر: قد حدثت بعير مقبلة من الطائف تحمل زبيبا و هم إذا وضعوا إلى جنبك غدا اعتبروا بسعرك، فإما أن ترفع فى السعر، و إما أن تدخل زبيبك فى البيت فتبيعه كيف شئت، فلما رجع عمر حاسب نفسه فى الظهر، ثم خرج فأتى حاطبا فى منزله فقال: إن الذى قلت لك ليس بعزيمة منى و لا قضاء، و إنما هو شىء أردت به الخير فحيث شئت فبع.

## الفصل السابع و الثلاثون فى منازل القبائل من المهاجرين، ثم اتخاذ السور على المدينة

### منازل بنى غفار

قال عمر بن شبة: نزل بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة القطيعة التى قطع لهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و هى ما بين دار كثير بن الصلت التى تعرف بدار الحجارة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۴

السوق إلى زقاق ابن جبين إلى دار أبى سبرة إلى منازل آل الماجشون بن أبى سلة، و بهذه الخطة مسجد بنى غفار صلّى فيه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو خارج من منزل أبى رهم بن الحصين الغفارى.

قلت: و دار كثير بن الصلت هذه تقدم بيانها فى غربى السوق مما يلى القبلة شامى المصلى، و أما زقاق ابن حبين، ففى غربى السوق أيضا مما يلى الشام بالقرب من حصن أمير المدينة، و ابن حبين كان مولى للعباس بن عبد المطلب. و أما دار أبى سبرة فلم أعرفها؛ فالظاهر أنها كانت فى جهة غربى سوق التمارين. و أما منازل آل الماجشون، فذكر هو فى موضع آخر أنها فى زقاق الجلادين، و سيأتى فى منازل بنى كعب أنه شارع على المصلى، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

و اتخذ سباع بن عرفطة الغفارى خطة بالمصلى و هى الدار التى يقال لها دار عبد الملك بن مروان بالمصلى وجهها شارع قبالة الحجامين.

قلت: و ذلك فى شامى المصلى مما يلى السوق و المغرب لأن ابن شبة قال: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب اتخذ دارا بالمصلى فى موضع الحجامين، ثم ابتاعها معاوية، فزادها فى مصلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم أدخلها بعد هشام بن عبد الملك فى داره التى أخذ بها السوق ثم هدمت.

و نزل سائر بنى غفار محلتهم و هى السائلة من جبل جهينة إلى بطحان و ما بين خط دار كثير بن الصلت ببطحان إلى بنى غفار؛ فنزلت بنو غفار منزلهم من خط دار كثير بن الصلت إلى أن يفضى إلى جهينة.

قلت: و جبل جهينة لم أعرفه، فإما أن يكون أراد به ما يلى جبيل سلع فى مقابلة المصلى و نسبه إلى جهينة لنزولهم عنده، و هناك سائلة تسيل من سلع إذا حصل المطر، و إما أن يكون أراد به أحد الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح لما سيأتى فى منازل جهينة. و أما دار كثير بن الصلت ببطحان فقد ذكر فى موضع آخر ما يبين أنها كانت على شفير وادى بطحان بالعدوة الغربية، و أن عقبة بن أبى معيط لما جلده عثمان بن عفان فى الشراب حلف لا يساكنه إلا و بينهما بطن واد، فناقل كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار الوليد بن عقبة التى فى قبلة مصلى العيد الذى يصلى به الإمام اليوم، و اللّه أعلم.

## منازل بنى ليث بن بكر

و نزل بنو أبى عمرو بن نعيم بن مهان من بنى عبد اللّه بن غفار شامى و غربى بنى مبشر بن غفار، و معهم بنو خفاجة بن غفار.

و نزل بنو ليث بن بكر ما بين خط بنى مبشر بن غفار إلى خط بنى كعب بن عمرو بن خزاعة الذى يسلكك إلى دور الغطفانيين.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۵

قلت: يؤخذ مما سيأتى فى منازل بنى كعب أن منازل بنى ليث كانت فى قبلة خط بنى مبشر، و شامى بنى كعب؛ فتكون جهة منازل بنى ليث فى شامى التمارين و غربيهم، و لعل قول ابن زبالة فى دار السوق فى جهة المغرب قبل ذكر دار التمارين ثم جعل للسكة منفذا يريد به طريق بنى ليث و من يشركهم فى ذلك. و قد قال ابن شبة فى دور بنى مخزوم: و اتخذ أبو شريح الخزاعى حليف بنى مخزوم دارا غربيها شارع على بطحان، و شاميها شارع إلى الزقاق الذى يدعى زقاق بنى ليث، و اللّه أعلم.

و نزل بنو أحمر بن يعمر بن ليث ما بين مسجدهم إلى سوق التمارين، و اتخذوا المسجد الذى فى محلتهم يدعى مسجد بنى أحمر.

و نزل بنو عمر بن معمر بن ليث ما بين مسجدهم الذى يدعى مسجد بنى كدل إلى بطحان إلى منزل بنى مبشرين غفار إلى زقاق الجلادين الذى فيه دار الماجشون إلى دار أبى سبرة بن خلف إلى التمارين.

و نزل آل قسيط بن يعمر بن ليث ما بين شامى بنى كعب من منازل آل نضلة بن عبيد اللّه ابن خراش إلى خط كتاب النصر إلى الشارع إلى المصلى إلى بطحان.

و نزل بنو رجيل بن نعيم بطرف المصلى بين غربى دار كثير بن الصلت أى التى هى قبلة المصلى إلى دار آل قليع الأسديين الشارعة

على بطحان.

و نزل بنو عتوارة بن ليث- و هم بنو عضيدة- ما بين طرف دار الوليد بن عقبة اليمانى ببطحان إلى الحرة إلى زقاق القاسم بن غنام من دار الوليد بن عقبة.

## منازل بنى ضمرة بن بكر

و نزل بنو ضمرة بن بكر إلا بنى غفار محلتهم التى يقال لها بنو ضمرة، و هى شرقى ما بين دار عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد اللّه بن معمر بالثنية إلى محلة بنى الديل بن بكر إلى سوق الغنم الشارع إلى دار ابن أبى ذئب العامرى، و اتخذوا فى محلتهم مسجدا.

## منازل بنى الديل

و نزل بنو الديل بن بكر فى محلتهم- و هى ما بين ضمرة إلى الدار التى يقال لها دار الخرق- حدها زقاق الحضارمة، و يدعى الخط العظيم لها بنى ضمرة، إلى جبل فى مربد أبى عمار بن عبيس من بنى الديل يقال له المستندر إلى دار الصلت بن نوفل النوفلى التى بالجبانة.

قلت: الجبل الذى ذكر أنه يسمى بالمستندر هو الجبل الصغير الذى فى شرقى مشهد النفس الزكية بمنزلة الحاج الشامى؛ لانطباق الوصف المذكور عليه، و اللّه أعلم.

و نزل أبو نمر بن عويف من بنى الحارث بن عبد مناف بن كنانة على بنى ليث بن بكر فاتخذوا الدار التى يقال لها دار أبى نمر، و هى فى خط بنى أحمر بن ليث المتقدم ذكره.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۶

## منازل ابنى أفصى

منازل أسلم و مالك ابنى أفصى- نزل بنو أسلم و مالك ابنى أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر منزلين؛ فنزلت بنو مالك بن أفصى و أمية و سهم ابنى أسلم ما بين خط زقاق ابن حبين مولى العباس بن عبد المطلب الشامى من زاوية يقصان التى بالسوق إلى خط جهينة إلى شامى ثنية عثعث.

قلت: قد علم مما سبق فى دار السوق أن زقاق ابن حبين فى غربى سوق المدينة، و سيأتى فى ترجمة ثنية عثعث أنها منسوبة إلى جبل يقال له سليع عليه بيوت أسلم بن أفصى؛ فهى الثنية التى عند الجبيل الذى عليه حصن أمير المدينة اليوم، و المراد من بيوت أسلم منزل هؤلاء، و اللّه أعلم.

و نزلت سائر أسلم، و هم آل بريدة بن الخصيب و آل سفيان- ما بين زقاق الحضارمة إلى زقاق القنبلة.

قلت: و ذلك فى شرقى مؤخر سوق المدينة مما يلى الشام، و فى جهة زقاق الحضارمة اليوم حديقة تعرف بالحضرمية شامى سور المدينة، و فى شاميها جهة زقاق القنبلة.

و نزلت هذيل بن مدركة ما بين شامى سائلة أشجع و زاوية دور يحيى بن عبد اللّه بن أبى مريم إلى دار حرام بن مزيلة بن أسد بن عبد العزى بالثنية زاويتها اليمانية، و ذلك مجتمعها و مجتمع أسلم.

## منازل مزينة و من حل معها

منازل مزينة و من حل معها من قيس عيلان بن مضر- و نزل بنو هدبة بن لاطم بن عثمان بن عمرو، إلا بنى عامر بن نور بن لاطم بن

عثمان، و عثمان نفسه الذی یقال له مزینة، و هی أمه- ما بین زاویة بیت القروی المطل علی بطحان الغربیة إلی زاویة بیت ابن هبار الأسدی الذی صار لبنی سمعان الشرقیة إلی خط بنی زریق إلی دار الطائفی التی بشق بطحان الشرقی.

و نزل معها فی هذه المحلة بنو شیطان بن یربوع من بنی نصر بن معاویة بن بکر بن هوازن ابن منصور بن عکرمة بن خصفة بن قیس و بنو سلیم بن منصور و عدوان بن عمرو بن قیس.

و عن شرقی خطة مزینة هذه سلیم بن منصور إلی دار خلدة بن مخلد الزرقی، و أدنی دار أم عمرو بنت عثمان بن عفان إلی بیوت نفیس بن محمد مولی بنی المعلی فی بنی زریق من الأنصار، إلی أن تلقی بنی مازن بن عدی بن النجار؛ فهؤلاء الذین نزلوا مع مزینة، و دخل بعضهم فی بعض، و إنما نزلوا جمیعا لأن دارهم فی البادیة واحدة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۶۷

قلت: فمنازل مزینة و من حل معها فی غربی مصلی العید الیوم إلی عدوة بطحان الشرقیة ثم فی قبلة الدور التی بالمصلی ثم فی قبلة بنی زریق إلی بنی مازن بن النجار.

و قد نزلت بنو ذکوان من بنی سلیم مع أهل راتج من الیهود، ما بین دار قدامة إلی دار حسن بن زید بالجبانة.

قلت: و دار قدامة هی المرادة بقول ابن شبة فی دور بنی جمح «و اتخذ قدامة بن مظعون الدار التی فیها المجزرة علی فوهة سکة بنی ضمرة و دبر دار آل أبی ذئب علی یمینک و أنت ذاهب إلی بنی ضمرة» و اللّه أعلم.

و نزل بنو أوس بن عثمان بن مزینة بطرف السورین، ما بین دار أم کلثوم بنت أبی بکر الصدیق إلی مفضی السورین إلی الحمارین، الزقاق الذی فیه قصر بنی یوسف مولی آل عثمان إلی البقال.

قلت: و هذه الأمور بقرب البقیع، کما سیأتی فی تراجمها.

و نزل بنو عامر بن ثور بن ثعلبة بن هدبة بن لاطم ما بین بیت أم کلاب الذی فی خط بنی رزیق الشارع علی المصلی إلی دار مدراقیس الطبیب إلی دار عمرو بن عبد الرحمن بن عوف و دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و دار هشام بن العاص المخزومی.

قلت: و دار مدراقیس الطبیب لها ذکر فی دور بنی محارب بن فهر.

قال ابن شبة: و اتخذ معمر بن عبد اللّه بن عامر دارا فی بنی زریق بین الدار التی یقال لها دار مدراقیس الطبیب و دار أم حسان التی صارت لعمر بن عبد العزیز العمری، و هذه الأماکن فی قبلة ما تقدم مما یلی الدور التی فی قبلة البلاط فی المیمنة و ما حولها، و لعل دار أم حسان المذکورة هی الموضع المعروف الیوم بدار حسان فی قبلة الدور التی بالبلاط الموالیة لدرب سویقة، و اللّه أعلم.

منازل جهینة و بلی- و نزل جهینة بن زید بن السود بن الحارث بن قضاعة و بلی بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة ما بین خط أسلم الذی بین أسلم و جهینة، إلی دار حرام بن عثمان السلمی الأنصاری التی فی بنی سلمة إلی الجبل الذی یقال له جبل جهینة إلی یمانی ثنیة عثعث التی علیها دار ابن أبی حکیم الطیب.

قلت: ذکر دار حرام بن عثمان فی بنی سلمة یرجح أن المراد بجبل جهینة أحد الجبلین اللذین فی غربی مساجد الفتح، و هناک منازل بنی حرام من بنی سلمة، و قد تقدم بیان ثنیة عثعث، و أنها منسوبة إلی الجبل الذی علیه حصن أمیر المدینة الیوم، و اللّه أعلم.

منازل قیس بن عیلان- نزلت أشجع بن ریث بن غطفان بن سعد بن قیس الشعب الذی یقال له شعب أشجع، و هو ما بین سائلة أشجع إلی ثنیة الوداع إلی جوف شعب سلع، و خرج إلیهم النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بأحمال التمر فنثره لهم، و اتخذت أشجع فی محلتها مسجدا.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۶۸

قلت: و ما ذکره منطبق إما علی شعب سلع الذی فی شرقیه، فتکون منازلهم بین خط أسلم الذی فی شامی ثنیة عثعث و بین جبل سلع و هکذا إلی ثنیة الوداع، و إما علی شعب سلع الذی فی شامیه، و قال عروة بن الزبیر: قدمت أشجع فی سبعمائة یقودهم مسعود بن رخیلة

فنزلوا شعبهم، فخرج إليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بأحمال التمر، فقال: يا معشر أشجع، ما جاء بكم؟ قالوا: يا رسول اللّه جئناك لقرب ديارنا منك، و كرهنا حربك، و كرهنا حرب قومنا لقلتنا فيهم؛ فأنزل اللّه تعالى: أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ إلى قوله تعالى: سَبِيلًا [النساء: ۹۰].

و نقل ابن شبة فى تأديب عمر بن الخطاب الرعية فى أمر دينهم أن رجلا من أشجع يقال له بقيلة كان غازيا، فبلغه أن جعدة بن عبد اللّه السلمى يحدث النساء، و أن جوارى يخرجن إلى سلع فيحدثهن، ثم يعقل الجارية و يقول: قومى فى العقال فإنه لا يصبر على العقال إلا حصان، فتقوم ساعة ثم تسقط، فربما تكشفت، فكتب الأشجعى إلى عمر:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

فما قلص تقمن معقّلات قفا سلع لمختلف النّجار

قلائص من بنى سعد بن بكر أو اسلم أو جهينة أو غفار

يعقّلهنّ جعدة من سليم معيدا يبتغى سقط العذارى

قلائصنا هداك اللّه إنا شغلنا عنهم زمن الحصار

يعقّلهن أبيض شيظمىّ فبئس معقّل الذود الطّوارى

فدعا عمر بجعدة فقال: أنت لعمرى كما وصف أبيض شيظمى، و سأله فأقرّ فضربه مائة معقولا، و غرّبه إلى الشام، فكلّم فيه، فأذن له على أن لا يدخل المدينة، ثم أذن له أن يجمع، ثم أذن له أن يدخل فى الجمعة مرتين.

و قال ابن إسحاق: الذى كتب بالشعر رجل من هوازن يدعى خيثمة.

## منازل بنى جشم

و نزلت بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس محلتها التى يقال لها بنو جشم، و هى ما بين الزقاق الذى يقال له زقاق سفين إلى الأساس الذى يقال له أساس إسماعيل بن الوليد إلى خوخة الأعراب إلى دور ذكوان مولى مروان بن الحكم.

قلت: و لم أعرف شيئا مما ذكره، غير أنه ذكر فى دور بنى جمح أن محمد بن حاطب اتخذ الدار التى تدعى دار قدامة فى بنى زريق شرقيها الدار التى يقال لها دار الأعراب، فلعل خوخة الأعراب و ما ذكر معها فى تلك الجهة، و اللّه أعلم.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى؛ ج۲؛ ص۲۶۹

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۶۹

و نزلت بنو مالك بن حماد و بنو زنيم و بنو سكين من فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ذئب ابن غطفان المحلة التى يقال لها بنو فزارة، و هى إلى حمام الصعبة إلى سوق الحطابين الذى بالجبانة، و لم ينزلها أحد من بنى عدى بن فزارة.

قلت: و الذى علمنا جهته من ذلك سوق الحطابين بالجبانة قرب مسجد الراية و ثنية الوداع كما سيأتى فى ترجمة الجبانة، و اللّه أعلم.

## منازل بنى كعب بن عمرو، و إخوتهم من بنى المصطلق

نزل بنو كعب بن عمرو بن عدى بن عامر ما بين يمانى بنى ليث بن بكر إلى دار شريح العدوى إلى موضع التمارين بالسوق إلى زقاق الجلادين الشارع على المصلى يمنة و يسرة إلى بطحان إلى زقاق كدام، و كدام: سقاط كان هناك، إلى دار ابن أبى سليم الشارعة على شامى المصلى.

و نزلت بنو المصطلق بن سعد بن عمرو و أخوه كعب بن عمرو رهط جويرية بنت الحارث زوج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ظاهرة حرة

بنى عضدة إلى أدنى دار عمر بن عبد العزيز إلى الدار التى يقال لها دار الخرازين.

قلت: و ذلك بالحرة الغربية.

## سعة المدينة فى عهد النبى

و من تأمل ما ذكر فى دور المهاجرين و منازل القبائل منهم- مع ما سبق فى منازل الأنصار- رأى أمرا عظيما فيما كان من عمارة المدينة و سعتها، و اتصال بعضها ببعض، و آثار ما كان من العمارة شاهد بذلك اليوم، و اسم المدينة صادق على ذلك كله، و سيأتى فى ترجمة قباء أنها كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة الشريفة، أى بما بينها من النخيل، و لهذا لم تكن الجمعة تقام بغير المسجد النبوى، و لو كانت قباء و غيرها من القرى المنفصلة اليوم منفصلة فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم و بها تلك القبائل من الناس لوجب إقامة الجمعة فى كل قرية بها أربعون كما تقرر فى موضعه، فقد كانت كلها فى حكم البلد الواحد، فسبحان من يرث الأرض و من عليها و هو خير الوارثين.

## اتخاذ سور المدينة

و لما طرق المدينة الشريفة الخراب فى أطرافها جعلوا لها سورا، قال المجد الفيروزآبادى:

سور المدينة الشريفة بناه أولا عضد الدولة بن بويه بعد الستين و ثلاثمائة فى خلافة الطائع لله بن المطيع لله، ثم تهدم على طول الزمان و تخرب لخراب المدينة، و لم يبق إلا آثاره و رسمه.

و قال المطرى فى الكلام على مسجد جهينة: إن ناحية جهينة معروفة غربى حصن

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۰

صاحب المدينة و السور القديم، بينها و بين جبل سلع، و عندها أثر باب للمدينة معروف بدرب جهينة إلى تاريخ كتابه، و هو سنة ست و ستين و سبعمائة.

قلت: قد قدمنا ما يخالف ما ذكره فى ناحية جهينة؛ لأنا و إن لم نر الباب الذى أشار إليه، لكن رأينا آثار السور القديم قبلى جبل سلع، و قرب الحصن المذكور. و يظهر من حاله أن غالب منازل جهينة و غيرها من المنازل المتقدمة كانت فى جوفه، و أنه كان فى جهة المغرب على شفير بطحان بالعدوة الشرقية؛ لأن الأقشهرى نقل فى روضته عن صاحب سور الأقاليم أنه قال: المدينة أقل من نصف مكة، و هى فى حرة سبخة الأرض، و بها نخل كثير، و مياه نخيلهم و زرعهم من الآبار يسقى منها العبيد، و عليها سور، و المسجد فى نحو من وسطها. ثم ذكر صفة المسجد و القبر الشريف، ثم قال: و مصلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الذى كان يصلى فيه الأعياد من غربى المدينة داخل الباب، انتهى. فكون المصلى داخل الباب شاهد لما ذكرنا، و قد صرح بنحوه الإمام أبو عبد اللّه الأسدى فإنه ذكر المساجد الخارجة عن المدينة، ثم ذكر المساجد التى بالمدينة فقال: و داخل المدينة مصلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

## سور آل زنكى

و قال المطرى بعد ذكره لما تقدم من باب هذا السور القديم: و نقل ابن خلكان أن سور هذا الباب القديم بناه عضد الدولة بن بويه بعد الستين و ثلاثمائة من الهجرة فى أيام الطائع لله ابن المطيع، ثم تهدم على طول الزمان و خرب لخراب المدينة، و لم يبق إلا آثاره حتى جدد لها جمال الدين محمد بن أبى منصور- يعنى الجواد الأصبهانى وزير بنى زنكى- سورا محكما حول المسجد الشريف على رأس الأربعين و خمسمائة من الهجرة، ثم كثر الناس من خارج السور، و وصل السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فى سنة سبع و خمسين و خمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها، و ذكر ما قدمناه عنه فى خاتمة الفصل التاسع و العشرين.

ثم قال: إنه لما ركب متوجها إلى الشام صاح به من كان نازلا حول السور و استغاثوا و طلبوا أن يا بنى عليهم سورا يحفظ أبناءهم و ماشيتهم، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم، فبنى فى سنة ثمان و خمسين و خمسمائة، و كتب اسمه على باب البقيع؛ فهو باق إلى تاريخ هذا الكتاب.

قلت: و هو باق على باب البقيع إلى أن كتبنا كتابنا هذا، و صورته فى صفحات الحديد المصفح بها الباب: هذا ما أمر بعمله العبد الفقير إلى اللّه تعالى محمود بن زنكى بن أقسنقر، غفر اللّه له، سنة ثمان و خمسين و خمسمائة. و هذا لا يدل على أنه أنشأ السور.

و عبارة البدر بن فرحون عند ذكره لمحاسن نور الدين الشهيد رحمه اللّه ما لفظه: و بنى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۱

أيضا سور بعلبك، و كمل بناء سور المدينة، و هو سورها الموجود اليوم، و اسمه مكتوب على باب البقيع، و أما السور الذى داخل المدينة فإنما أحدثه الوزير جمال الدين محمد بن أبى منصور، و كان وزيرا لوالد الملك العادل يعنى زنكى ثم استوزره بعد زنكى ولده غازى بن زنكى يعنى أخا الملك العادل؛ فهذا يقتضى أن الملك العادل إنما كمل بناء السور الموجود اليوم فقط، و يبعده ما ذكره من بناء الجواد لسوره؛ فإنه لو كان السور المذكور موجودا لكان هو أكمله و لم ينشئ سورا غيره، و مدة بناء السورين المذكورين متقاربة كما يعلم مما قدمناه.

## من مآثر الجواد الأصفهانى

و قال المجد: إن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن أبى شامة قال فى كتابه ما صورته:

و من أعظم الأعمال التى عملها نفعا- يعنى وزير الموصل جمال الدين الجواد- أنه بنى سورا على مدينة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فإنها كانت بغير سور ينهبها الأعراب، و كان أهلها فى ضنك و ضر معهم.

قال ابن الأثير: رأيت بالمدينة إنسانا يصلى الجمعة، فلما فرغ ترحم على جمال الدين و دعا له، فسألناه عن سبب ذلك، فقال: يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعو له؛ لأننا كنا فى ضر و ضيق و نكد عيش مع العرب، لا يتركون لأحدنا ما يواريه و يشبع جوعته، فبنى علينا سورا احتمينا به ممن يريدنا بسوء، فاستغنينا، فكيف لا ندعو له؟ قال عقبه: قلت:

و هذا السور الذى بناه جمال الدين هو السور الثانى، و السور الذى بناه الملك العادل نور الدين هو السور الثالث، أى بحسب الزمان، و على كل منهما اسم بانيه على الأبواب، و أما السور الأول الذى بناه عضد الدولة فلم يبق منه أثر يعرف به مكانه، انتهى. هكذا نقلته من تاريخ المجد. و بقوله انتهى ظهر أن قوله قلت إلى آخره من كلام ابن أبى شامة، و يحتمل أن يكون من كلام ابن الأثير.

و قال المجد عقبه: قال: و كان الخطيب بالمدينة يقول فى خطبته «اللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن على بن أبى منصور» فلو لم يكن له إلا هذه المكرمة لكفاه فخرا، فكيف و قد أصابت صدقته تخوم الأرض شرقا و غربا و برا و بحرا؟

و أما شدة عنايته بأهل المدينة فكانت عظيمة، قال ابن الأثير: حكى لى بعض الصوفية ممن كان يصحب الشيخ عمر التشاى شيخ شيوخ الموصل قال: أحضرنى الشيخ فقال لى:

انطلق إلى مسجد الوزير بظاهر الموصل و اقعد هناك، فإذا أتاك شىء فاحفظه إلى أن أحضر عندك، ففعلت، فإذا قد أقبل جمع كثير من الحمالين يحملون أحمالا من النصافى و الخام، و إذا نائب جمال الدين قد جاء مع الشيخ و معهما قماش كثير و ثمانية عشر ألف دينار و عدة كثيرة من الجمال، فقال لى: تأخذ هذه و تسير إلى الرحبة و توصل هذه الرزمة و هذا الكتاب إلى

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۲

متوليها فلان، فإذا حضر لك فلان العربى فتوصل إليه هذه الرزمة الأخرى و هذا الكتاب و تسير معه، فإذا أوصلك إلى فلان العربى توصل إليه هذه الرزمة و هذا الكتاب، و هكذا إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة و السلام فتوصل إلى وكيلى فلان هذه الأحمال،

و هـذه الكسوات و المال الـذى عليه اسم المدينـة ليخرجها بمقتضـى هـذه الجريـدة، ثم تأخـذ الباقى الـذى عليه اسم مكة فتسير إليها فيتصدق به وكيلى بموجب الجريدة الأخرى، فسرنا بذلك إلى وادى القرى، فرأينا هناك جمالا كثيرة تحمل الطعام إلى المدينة، و قد منعهم خوف الطريق، فلما رأونا ساروا معنا إليها فوصلناها و الحنطة بها كل صاعين بديا نار مصرى، و الصاع- أى: فى ذلك الزمان- خمسة عشر رطلا بالبغدادى، فلما رأوا المال و الطعام اشتروا كل سبعة آصع بديا نار، فانقلبت المدينة بالدعاء له.

قلت: و قـد قدمنا كيفية نقله إلى المدينة الشـريفة بعد موته و دفنه بتربته التى برباطه المجاور للمسـجد الشـريف عند ذكر باب عثمان و هو باب جبريل لمقابلته له، و تقدم ذكره أيضا فى ترخيم الحجرة الشريفة.

و من أعماله الحسـنة: تجديـد مسـجد الخيف، و إجراء عين عرفة، و بناء جدار الحجرة و ترخيمه، و تجديد باب الكعبة، و كان النعش الذى حمل فيه هو باب الكعبة القديم، و فيه يقول أبو المجد بن قسيم:

أغرّ تبصر منه الناس فى رجل و اللّيث فى بشر، و البدر فى غصن

سما بهمته فى المكرمات إلى علياء تقصر عنها همّة الزّمن

إلى أن قال فيه:

صان المدينة تسويرا و صوّرها فى الحسن غادة ملك الشام و اليمن

و صان بالمال أهليها فما بقيت هزلاء إلّا تشكّت كثرة السّمن

## أبواب السور

### اشارة

و لسور المدينة اليوم أربعة أبواب غير باب حصن أمير المدينة المعروف بباب السر، و هو باب عظيم كله من الحديد.

و أما الأبواب الأربعة:

### فأحدها: [يعرف بدرب المصلى]

الباب الـذى غربى المدينة فى جهة المصـلى عند منزلة الحاج المصـرى، و يعرف بدرب المصـلى، و درب سويقة، و ذرع ما بينه و بين عتبة باب السـلام سـتمائة ذراع و خمسة و أربعون ذراعا، و كان عليه باب متقن أحرقه بعض صبيان الأمير ضـغيم سـنة عزله، فأخذ أمير المدينة باب الحوش الذى عمره الأمير ضغيم و جعله عليه، ثم عمل باب متقن كالأول فى عمارة المسجد المتجددة بعد الحريق الثانى.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۳

### ثانيها: [يعرف بالدرب الصغير]

الباب الذى فى جهة المغرب أيضا عند رحبة حصن أمير المدينة يعرف بالدرب الصغير.

### ثالثها: [يعرف بالدرب الكبير]

الباب المعروف بالدرب الكبير، و بالدرب الشامى.

### رابعها: [یعرف بدرب البقیع]

الباب المعروف بـدرب البقیع فی شـرقی المدینهٔ، و یعرف بدرب الجمعهٔ، و علیه باب متقن مغشـی بصـفائح الحدید، و الظاهر أنه باق من زمن نور الدین الشهید لما قدمناه من الکتابهٔ علیه.

و ذرع ما بینه و بین عتبهٔ باب المسجد المعروف بباب جبریل أربعمائهٔ ذراع و ثلاثهٔ و ثلاثون ذراعا.

و فی قبلهٔ سور المدینهٔ موضع باب مسدود الیوم، و کان یعرف بدرب السوارقیهٔ.

و لم یزل الملوک یهتمون بعمارهٔ سور المدینهٔ، و یصلحون ما و هی منه.

و قـد ذکر الزین المراغی أنه جـدّد فی سـنهٔ خمس و خمسـین و سـبعمائهٔ فی أیام الملک الصالـح صالح أحد أولاد الناصـر محمد بن قلاوون.

و ذکر البـدر بن فرحون أن الأمیر سـعد بن ثابت بن حماد ابتدأ فی سـنهٔ إحدی و خمسـین و سـبعمائهٔ عمل الخندق الذی حول السور المذکور، و مات و لم یکمله، و أکمله الأمیر فضل بن قاسم بن حماد فی ولایته بعده، و اللّه سبحانه و تعالی أعلم.

تم- بحمـد اللّه تعـالی و حوله- الجزء الثـانی من کتاب «وفاء الوفا، بأخبار دار المصـطفی» صـلّی اللّه علیه و سـلّم. و یلیه- إن شاء الله- الجزء الثـالث، و أوله «الباب الخامس، فی مصـلی النبی صـلّی اللّه علیه و سـلّم فی الأعیاد» نسأله- جلت قـدرته- أن یعین علی إکماله، بمنه و فضله و تیسیره، إنه لا ییسر إلی الخیر سواه.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۷۴

## فهرس الجزء الثانی

الفصل الرابع الروایات فی حنین الجذع ۳

صانع المنبر ۵

موضع الجذع ۶

شهرهٔ حدیث حنین الجذع ۷

الموضع الذی دفن فیه الجذع ۷

بدعهٔ اصطنعها الناس بسبب الجذع ۷

عود إلی الاختلاف فی صانع المنبر ۸

أراد معاویهٔ أن ینقل المنبر إلی الشام ۱۰

رفع المنبر ست درجات ۱۰

عدد درجات المنبر ۱۱

مساحهٔ المنبر ۱۲

کسوهٔ المنبر ۲۰

ستور الأبواب کسوهٔ الحجارهٔ ۲۰

الفصل الخامس فی فضائل المسجد الشریف ۲۰

المسجد الذی أسس علی التقوی ۲۱

فضل مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ۲۱

فضل الصلاة فی مسجد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم ۲۲

هل فضل الصلاة فی المساجد الثلاثة یختص بالفرض؟ ۲۶

مرجع مضاعفة فضل الصلاة ۲۷

هل یختص التضعیف بالصلاة؟ ۲۷

الفصل السادس فی فضل المنبر المنیف، و الروضة الشریفة ۲۹

معنی کون المنبر علی الحوض ۳۱

معنی أن الروضة من ریاض الجنة ۳۱

الفصل السابع فی الأساطین المنیفة ۳۸

الأسطوان المخلق ۳۸

أسطوان القرعة ۳۹

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۷۵

أسطوان التوبة ۴۰

أسطوان السریر ۴۴

أسطوان المحرس ۴۵

أسطوان الوفود ۴۵

أسطوان مربعة القبر ۴۶

أسطوان التهجد ۴۶

الفصل الثامن فی الصّفة و أهلها، و تعلیق الأقناء لهم بالمسجد ۴۸

وصف الصفة و موضعها ۴۸

أهل الصفة ۴۹

مبدأ تعلیق الأقناء ۵۱

الفصل التاسع فی الحجرة الشریفة، و بیان إحاطتها بالمسجد الشریف إلا من جهة المغرب ۵۲

المشربة ۵۵

الفصل العاشر فی حجرة فاطمة بنت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و رضی اللّه عنها ۵۷

الفصل الحادی عشر فی الأمر بسدّ الأبواب الشارعة فی المسجد الشریف ۶۰

الفصل الثانی عشر فی زیادة عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه فی المسجد ۶۷

بین عمر و العباس ۶۸

الفصل الثالث عشر فی البطیحاء التی بناها عمر رضی اللّه عنه بناحیة المسجد، و منعه من إنشاد الشعر و رفع الصوت فیه، و ما جاء فی ذلک ۷۸

الفصل الرابع عشر فی زیادة عثمان بن عفان رضی اللّه عنه ۸۱

الفصل الخامس عشر فی المقصورة التی اتخذها عثمان رضی اللّه عنه فی المسجد و ما کان من أمرها بعده ۸۷

الفصل السادس عشر فی زیادة الولید بن عبد الملک علی ید عمر بن عبد العزیز ۸۹

الفصل السابع عشر فیما اتخذه عمر فی المسجد فی زیادة الولید من المحراب و الشّرفات و المنائر، و اتخاذ الحرس، و منعهم من

الصلاة على الجنائز فيه ۹۸

أول من أحدث المحراب و الشرفات ۹۸

عثمان أول من خلق المسجد و رزق المؤذنين ۱۰۲

اتخاذ حرس للمسجد ۱۰۲

الصلاة على الجنائز فى المساجد ۱۰۲

الشيعة غير الأشراف ۱۰۳

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۷۶

الفصل الثامن عشر فى زيادة المهدى ۱۰۵

الفصل التاسع عشر فيما كانت عليه الحجرة الشريفة الحاوية للقبور المنيفة فى مبدأ

الأمر ۱۰۸

أول من بنى جدارا على بيت عائشة ۱۰۹

الفصل العشرون فيما حدث من عمارة الحجرة بعد ذلك، و الحائز الذى أدير عليها ۱۱۱

الفصل الحادى و العشرون فيما روى من الاختلاف فى صفة القبور الشريفة، بالحجرة المنيفة ۱۱۵

رواية نافع فى وضع القبور ۱۱۵

رواية القاسم بن محمد ۱۱۶

رواية عثمان بن نسطاس ۱۱۷

رواية المنكدر بن محمد ۱۱۷

رواية عمرة عن عائشة ۱۱۸

رواية أخرى عن القاسم بن محمد ۱۱۸

رواية عبد اللّه بن محمد بن عقيل ۱۱۹

بقى بعدها موضع قبر ۱۲۱

الملائكة يحفون بالقبر ۱۲۲

لا ينبغى رفع الصوت فى المسجد ۱۲۲

سنة أهل المدينة فى أعوام الجدب ۱۲۳

الفصل الثانى و العشرون فيما ذكروه من صفة الحجرة الشريفة، و الحائز المخمس الدائر عليها، و بيان ما شاهدناه مما يخالف ذلك ۱۲۳

الفصل الثالث و العشرون فى عمارة اتفقت بالحجرة الشريفة على ما نقله الأقشهرى عن ابن عاث، و ما وقع من الدخول إليها عند الحاجة له و تأزيرها بالرخام ۱۳۰

الفصل الرابع و العشرون فى الصندوق الذى فى جهة الرأس الشريف، و المسماة الفضة المواجه للوجه الشريف، و مقام جبريل من الحجرة الشريفة، و كسوتها، و تخليقها ۱۳۳

كسوة الحجرة النبوية ۱۳۸

الفصل الخامس و العشرون فى قناديل الذهب و الفضة التى تعلق حول الحجرة الشريفة، و غيرها من معاليقها ۱۴۰

القناديل ۱۴۰

حکم معالیق المسجد النبوی ۱۴۵

الفصل السادس و العشرون فی الحریق الأول القدیم المستولی علی تلک الزخارف المحدثة

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۷۷

بالحجرة الشریفة و المسجد و سقفهما، و ما أعید من ذلک، و ما تجدد من توسعة المسقف القبلی بزیادة الرواقین فیه، و غیر ذلک ۱۵۰

سبب الحریق و تاریخه ۱۵۰

حکمة اللّه فی الحریق ۱۵۱

الشروع فی العمارة بعد الحریق ۱۵۲

الفصل السابع و العشرون فی اتخاذ القبة الزرقاء التی جعلت علی ما یحاذی سقف الحجرة الشریفة بأعلی سقف المسجد، تمییزا لها، و إبدالها بالقبة الخضراء و المقصورة الدائرة بالحجرة الشریفة ۱۵۷

القبة الزرقاء ۱۵۷

المقصورة الدائرة علی الحجرة ۱۵۹

الفصل الثامن و العشرون فیما تجدد من عمارة الحجرة الشریفة فی زماننا علی وجه لم یخطر قط بأذهاننا، و ما حصل بسببه من إزالة هدم الحریق الأول من ذلک المحل الشریف، و مشاهدة وضعه المنیف، و تصویر ما استقر علیه أمر الحجرة فی هذه العمارة ۱۶۴

الفصل التاسع و العشرون فی الحریق الحادث فی زماننا بعد العمارة السابقة و ما ترتب علیه ۱۷۵

خاتمة فیما نقل من عمل نور الدین الشهید لخندق حول الحجرة الشریفة مملوء بالرصاص، و ذکر السبب فی ذلک، و ما ناسبه ۱۸۵

الفصل الثلاثون فی تحصیب المسجد الشریف و ذکر البزاق فیه، و تخلیقه، و إجماره، و ذکر شیء من أحکامه ۱۹۰

أول تحصیب المسجد النبوی ۱۹۰

حکم البزاق فی المسجد ۱۹۱

مبدأ تخلیق المسجد ۱۹۳

تخلیق القبر ۱۹۵

تجمیر المساجد ۱۹۵

فرش المساجد ۱۹۶

الحدث فی المسجد ۱۹۸

القراءة فی المصحف بالمسجد ۱۹۸

بعث المصاحف إلی بالمسجد ۱۹۹

مصاحف عثمان التی أرسلها إلی الآفاق ۲۰۰

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۷۸

تعلیق المصابیح فی المسجد وصف عام ۲۰۱

الفصل الحادی و الثلاثون فیما احتوی علیه المسجد من الأروقة و الأساطین و البالوعات و السقایات و الدروع، و غیر ذلک مما یتعلق به من الرسوم ۲۰۱

وصف عام ۲۰۱

جدران المسجد ۲۰۲

عدد أساطين المسجد ۲۰۳

عدد بالوعات المسجد ۲۰۶

سقايات المسجد ۲۰۶

حواصل المسجد ۲۰۸

قناديل المسجد ۲۰۸

فی صحن المسجد نخيل مغروسة ۲۰۹

أئمة المسجد ۲۱۰

عرض جدر المسجد ۲۱۰

الفصل الثانی و الثلاثون فی أبواب المسجد و ما سد منها، و ما بقی، و ما يحاذيها من الدور قديما و حديثا ۲۱۲

أبواب المسجد ۲۱۲

باب النبی صلّی اللّه عليه و سلّم ۲۱۳

باب علی ۲۱۴

باب عثمان باب جبريل ۲۱۴

باب ريطة (باب النساء) ۲۱۶

باب سادس ۲۱۷

باب سابع ۲۱۷

باب ثامن ۲۱۸

أبواب المسجد الشامية ۲۱۸

باب تاسع ۲۱۹

باب عاشر ۲۱۹

الباب الحادی عشر ۲۱۹

الباب الثانی عشر ۲۱۹

الباب الثالث عشر ۲۱۹

الباب الرابع عشر ۲۲۰

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفی، ج۲، ص: ۲۷۹

الباب الخامس عشر ۲۲۰

الباب السادس عشر ۲۲۰

باب عاتكة (باب السوق) (و باب الرحمة) ۲۲۰

باب زياد (باب القضاء) ۲۲۱

خوخة تجاه خوخة أبی بكر ۲۲۵

الفصل الثالث و الثلاثون فی خوخة آل عمر رضی اللّه تعالی عنه المتقدم ذكرها، و ما يتعين من سدّها فی زماننا ۲۲۷

تحديد موضع خوخة آل عمر ۲۲۷

اتخاذ بعض الناس بابا وسيلة للتدجيل ۲۲۸

حج السلطان قايتباى ۲۳۰

وقف السلطان قايتباى لأهل المدينة المنورة ۲۳۲

من آثار قايتباى بالحرمين الشريفين ۲۳۴

الفصل الرابع و الثلاثون فيما كان مطيفا بالمسجد الشريف من الدور، و ما كان من خبرها، و جلّ ذلك من منازل المهاجرين رضى اللّه تعالى عنهم ۲۳۵

رسول اللّه يخط دور المدينة ۲۳۵

دار آل عمر بن الخطاب ۲۳۵

بيت لأبى بكر الصديق صار لآل عمر ۲۳۶

دار مروان بن الحكم ۲۳۷

دار رباح و دار المقداد ۲۳۸

دار مطيع بن الأسود ۲۳۸

دار حكيم بن حزام ۲۳۹

دار عبد اللّه بن مكمل ۲۳۹

دار النحام ۲۴۰

دار جعفر بن يحيى ۲۴۰

دار نصير ۲۴۱

دار منيرة مولاة أم موسى ۲۴۱

حش طلحة ۲۴۱

أبيات خالصة ۲۴۲

دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ۲۴۲

دار موسى المخزومى ۲۴۳

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۸۰

أبيات الصوافى ۲۴۳

دار خالد بن الوليد ۲۴۴

دار أسماء بنت حسين ۲۴۴

دار ريطة ۲۴۵

دار عثمان بن عفان ۲۴۵

دار أبى أيوب الأنصارى ۲۴۶

دار جعفر الصادق ۲۴۶

دار حسن بن زيد ۲۴۶

دار فرج الخصى ۲۴۶

دار عامر بن الزبير بن العوام ۲۴۷

الفصل الخامس و الثلاثون فى البلاط، و بيان ما ظهر لنا مما كان حوله من منازل المهاجرين ۲۴۷

تحديد مكان البلاط ۲۴۷

حدود البلاط ۲۴۸

بيان الدور المطيفة بالبلاط ۲۵۱

الفصل السادس و الثلاثون فيما جاء فى سوق المدينة التى تصدق به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على المسلمين، و ذكر دار هشام ابن عبد الملك التى أخذ بها السوق ۲۵۶

الرسول ينشئ السوق ۲۵۶

أسواق المدينة فى الجاهلية ۲۵۶

هدم الدار التى وضعت مكان السوق ۲۶۰

بيت أم كلاب ۲۶۱

البطحاء ۲۶۱

بقيع الخيل ۲۶۱

بركة السوق ۲۶۲

الفصل السابع و الثلاثون فى منازل القبائل من المهاجرين، ثم اتخاذ السور على المدينة ۲۶۳

منازل بنى غفار ۲۶۳

منازل بنى ليث بن بكر ۲۶۴

منازل بنى ضمرة بن بكر ۲۶۵

منازل بنى الديل ۲۶۵

منازل ابنى أفصى ۲۶۶

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج۲، ص: ۲۸۱

منازل مزينة و من حل معها ۲۶۶

منازل بنى جشم ۲۶۸

منازل بنى كعب بن عمرو، و إخوتهم من بنى المصطلق ۲۶۹

سعة المدينة فى عهد النبى ۲۶۹

اتخاذ سور المدينة ۲۶۹

سور آل زنكى ۲۷۰

من مآثر الجواد الأصفهانى ۲۷۱

أبواب السور ۲۷۲

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹